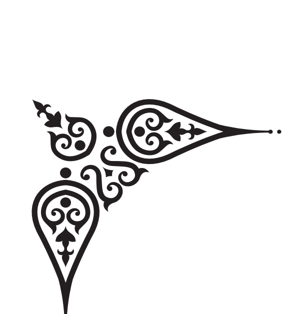


بسم الله الرحمن الرحيم







طُبِعَ برعاية
العتبة الحسينية المقدسة



الطبعة الأولى
١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية

الهاتف: ٠٠٩٦٤٧٤٣٥٠٠٠٢٤٢

www.imamhussain-lib.com

E-mail:info@imamhussain-lib.com

إنّ الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبّر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠٢٢ - ٤٨٦

الغزي، سالم لذيذ والي، مؤلف.

الإمام الحسين عليه السلام في كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد (المتوفي ٢٣٠ هـ/ ٨٤٤ م) / تأليف سالم لذيذ والي الغزي. - الطبعة الأولى. - كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية، ٢٠٢٢ / ١٤٤٣ للهجرة.

٥١٢ صفحة ؛ ٢٤ سم. – (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٩٦٣)، (قسم الشؤون الفكرية والثقافية ؛ ٢٨١)، (شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية ؛ ٢٠٨).

يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات ٤٥٧-٥٠٤).

١. الحسين الشهيد، الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) الإمام الثالث، ٤-٦١ للهجرة – في الحديث. ٢. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع،, ١٦٨-٢٣٠ للهجرة – الطبقات الكبير. أ. مستخلص من (عمل) : ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع،, ١٦٨-٢٣٠ للهجرة – الطبقات الكبير. ب. العنوان.

ردمك: ٩-٢٣-٦٥٥-٩٩٢٢-٩٧٨.

ISBN: 978-9922-655-23-9

BP193.13.A3 G4 2022

تمت الفهرسة في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر.

الإمام الحسين عليه السلام

في كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد

المتوفى ٢٣٠هـ - ٨٤٤م







وحدة الدراسات التخصصية
في الإمام الحسين عليه السلام

هوية الكتاب

عنوان الكتاب: الإمام الحسين عليه السلام في كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد لمحمد بن سعد (المتوفى ٢٣٠ هـ/ ٨٤٤م).

المؤلف: سالم لذيذ والي الغزي.

الناشر: شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية / قسم الشؤون الفكرية والثقافية/ العتبة الحسينية المقدسة.

المطبعة: دار الوارث.

عدد النسخ: ٥٠٠.

سنة الطبع: ٢٠٢٤ م - ١٤٤٥ هـ.

الطبعة: الأولى.

الإخراج الفني: عبد الصاحب رضا صادق.



الآية القرآنية

﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى﴾

سورة الشورى، الآية: ٢٣

صدق الله العلي العظيم





الإهداء

إلى

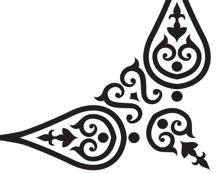
- سادتي أئمة الهدى ومصابيح الدجى.. ولاة الدين والشريعة.. محمَّد وآله الطيبين الطاهرين.. حباً وولاءً.

- أرواح شهداء العراق.. شهداء الحشد الشعبي المقدس..

- مَن قَرَن الله طاعته بطاعتهما.. ربياني صغيراً.. وأحباني كثيراً..

- غيبتهما عن عينيَّ الأقدار.. والِدَيَّ الحبيبَين.. ترحماً واستغفاراً..

- القلوبِ والعيونِ المعلّقةِ بي طوال رحلتي.. أفراد أُسرتي..



المقدّمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسَّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمَّد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، اللهم إنَّك ثقتي في كلِّ كرب ورجائي في كلِّ شدَّة، وبعد:

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ شخصيَّة الإمام الحسين عليه السَّلام مارست دوراً رئيساً ومحورياً في أحداث التاريخ الإسلامي ومن الطبيعي أن تحظى بقدرٍ كبير وواسع في كتب التراث الإسلامي بما يتلاءم ودورها العظيم في تثبيت قيم الإسلام الحقيقي، لكنَّ التاريخ الذي كُتب أغلبه بأيادي السُّلطة ورجالاتها ومَن يسير في ركبهم نادراً ما ينصف آل محمَّد عليهم السَّلام، ومن هنا جاءت أهميَّة موضوع الدراسة لتسلط الضوء على مصدرٍ مهمٍّ من مصادر التراث الإسلامي في معرفة كيفيَّة تناوله لتلك الشخصيَّة العظيمة ونهضته وكيف نظر إليها؟ وكيف حلل أحداثها؟ وما هي رؤيته في كلِّ ذلك.

وكان من أسباب دواعي اختيار هذه الدراسة، قِدَمَ مؤلف الكتاب فهو من أعلام القرن الثاني والثالث الهجريين، فضلاً عمَّا ذُكر عن وثاقته وعدالته وعلميته، وكونه بصريَّ الولادة والنشأة، عاصر حركتها الفكريَّة ونهل الكثير من علومها وتتلمذ على أيدي كبار روادها وأساتذتها، علاوة على القيمة العلمية للكتاب والتي تظهر جليةً من خلال سعة انتشاره في الآفاق واعتماده مورداً للعديد من المصنفات التاريخية التي نهلت منه حتى لا يكاد يخلو مصدر قديم أو مرجع حديث في التاريخ الإسلامي، إلَّا وفيه إشارة أو اقتباس من ابن سعد وكتابه، وكون ترجمته للإمام الحسين عليه السَّلام بقيت عشرات السنين في دهاليز المخطوطات ولم تظهر للقرّاء والباحثين، إلَّا في السنوات الأخيرة، ممَّا دعا إلى القول: إنَّ ابن سعد لم يترجم للإمام الحسين عليه السَّلام في طبقاته[1]، فقد خلت

(١) نبيلة عبد المنعم، نشأة الشيعة الإمامية: ص٢١.

الطبعات المتعددة له من ترجمتي الإمامين الحسن والحسين عليهما السَّلام، ولم تظهر إلَّا في الطبعة التي اعتمدت لهذه الدراسة[(١)]، فكان لتلك الأسباب وغيرها الأثر الرئيس في اختيار الدراسة.

وقد تضمنت الدراسة مقدمةً وتمهيداً وخمسة فصول وخاتمة.

جاء التمهيد ليسلط الضوء على ابن سعد من حيث اسمه وكنيته وحياته الاجتماعية والعقدية ومؤلفاته وموارده ومنهجيته عن الإمام الحسين عليه السَّلام، وتمَّ التركيز خلال ذلك على تسمية الكتاب بالطبقات الكبير كونه عُرف في الطبعات السابقة، وعند أغلب الباحثين والدارسين له باسم الطبقات الكبرى، والشيء الآخر موارده عن الإمام الحسين عليه السَّلام، والتي تبين أنَّها عبارة عن روايات استقاها مباشرة من شيوخه ورواته، فضمت ثلاثةً وخمسين شيخاً وراوياً ترجمنا لخمسة وثلاثين منهم، علاوة على ملحق ضمَّ كلَّ شيوخه ورواته عن الإمام الحسين عليه السَّلام، وذلك لمعرفة مدى وثاقتهم عند ابن سعد ومعرفة عدد البصريين منهم على وجه التحديد، لكي تتسنى لنا رؤية مصنف هذا الكتاب هل كان يمثل الرواية البصرية من عدمها، ولكون جميع مروياته استقاها من شيوخه أو رواته لم نخصص عنواناً خاصاً لشيوخه، بل جاءت ترجمة بعضهم ضمن موارده تجنباً للتكرار.

(١) ومن الجدير بالذكر أنَّ كتاب الطبقات طبع عام ١٩٠٤م طبعة ليدن و١٩٥٧م طبعة دار صادر، والطبعة الثالثة ١٩٦٨م طبعة القاهرة، والطبعة الرابعة ١٩٩٠م طبعة دار الكتب العلمية، والطبعة الخامسة ١٩٩٣م طبعة الطائف، وجميع تلك الطبعات خلت من ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، وأول مرة ظهرت تلك الترجمة في مجلة تراثنا بعد أن استلها من المخطوطة وحققها الباحث السيد عبد العزيز الطباطبائي، ونزلت بشكل منفرد عن كتاب الطبقات الكبير عام (١٩٨٨م/ ١٤٠٨هـ)، ثم قام الدكتور محمد عمر بتحقيق كتاب الطبقات الكبير عام (٢٠٠١م/ ١٤٢١هـ) الذي أضاف كثيراً من التراجم التي سقطت من الطبعات السابقة، فأضافت (١٣٥٨) ترجمة جديدة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير: ص ١٥-١٧. (مقدمة المحقق)؛ الطباطبائي، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام: ص١١٧-٢٠٥.

أَمَّا الفصل الأوَّل من الدراسة جاء بعنوان: الأبعاد الاجتماعية والعبادية والسياسية في شخصية الإمام الحسين عليه السَّلام فتضمن ثلاثة مباحث:

جاء المبحث الأَوَّل ليسلط الضوء على الأبعاد الاجتماعية في شخصيته عليه السَّلام.

بينما خُصص المبحث الثاني للأبعاد العبادية ورؤية ابن سعد في إمامته عليه السَّلام والبُعد الغيبي في الإخبار عن استشهاده.

فيما ركز المبحث الثالث على مواقفه السياسية منذ عهد الرسالة وحتى استشهاد الإمام الحسن عليه السَّلام.

وتضمن الفصل الثاني مقدِّمات النهضة الحسينية فجاء في ثلاثة مباحث:

تناول الأَوَّل: التمهيد للنهضة الحسينية، ليبين أَنَّها لم تكن وليدة اللحظة أو ردَّة فعل على بعض المواقف الآنية، أو أَنَّها مجرد استجابة متسرعة لدعوة الكوفيين له.

وتناول المبحث الثاني: خطوات الإمام الحسين عليه السَّلام في تعامله مع ولاة الأُمويين في المدينة ومكَّة، وكيف استطاع مجابهة ذلك من دون أنْ ينالوا منه.

بينما جاء المبحث الثالث تحت عنوان منهج الإمام عليه السَّلام في ردِّه على الناصحين كون ابن سعد أَولى اهتماماً كبيراً بهؤلاء، علاوة على أنَّ الإمام عليه السَّلام تعامل معهم بأساليب عدَّة، كلٌ حسب ظرفه ومكانته وقصديته.

أَمَّا الفصل الثالث والذي جاء بعنوان الخيار المسلح وتداعياته في النهضة الحسينية، وهو أحد أهم صفحات النهضة الحسينية التي جسد فيها الإمام عليه السَّلام الأقوال والمبادئ والقيم أفعالاً حقيقية، تمثلت بالبطولة والإباء وتجسيد قيم الإسلام على أرض الواقع، والتي تُوّجت بالجود بالنفس واستشهاد العترة الطاهرة لفضح أعدائه وتعريتهم

من غطائهم الديني المزيف الذي استعملوه في تضليل الأُمَّة والقضاء على خصومهم وتثبيت أركان ملكهم، وهذا الفصل هو الآخر تضمن ثلاثة مباحث:

سلّط المبحث الأَوَّل الضوء على الإجراءات الأمنية للسلطة الأُموية واتباع سياسة الترغيب والترهيب ومناورة مسلم بن عقيل في الحدِّ منها والسيطرة على الكوفة.

بينما تناول المبحث الثاني سير المعركة العسكرية يوم العاشر من المحرم وتداعياتها.

فيما ركز المبحث الثالث على شهداء أهل البيت عليهم السَّلام وما تعرض له معسكرهم وعلى الناجين منهم، ويُعدُّ ابن سعد من المؤرخين القلائل الذين ذكروا أسماء الشهداء وأسماء قاتليهم بشكل كامل.

وخُصص الفصل الرابع لمعرفة انعكاسات النهضة الحسينية بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام كونها مثّلت صفحة أُخرى من صفحاتها، فجاء هذا الفصل في مبحثين:

وضح المبحث الأَوَّل انعكاساتها على السلطة الأُموية في الكوفة ودمشق والحجاز.

فيما جاء المبحث الثاني ليبين أثر تداول الإعجاز الإلهي والشعر في النهضة الحسينية، وما أضفاه من عظمة وتقديس للنهضة الحسينية.

أمَّا الفصل الخامس فأوضح مدى أثر روايات ابن سعد عن الإمام الحسين عليه السَّلام في المصادر التاريخية، وسعة انتشارها في الآفاق بين تلك المصادر، فمن المعلوم أنَّ العديد من كتب التاريخ الإسلامي قد استقت معلوماتها من المصادر التي سبقتها، وهنا تكمن خطورة المؤرخين في التاريخ الإسلامي من الجيل الأَوَّل، كون رواياتهم أصبحت مورداً لمن جاء بعدهم من المؤرخين، فوظفوا تلك الروايات حسب منهجيتهم ورؤيتهم بعد التغيرات التي صاحبت منهج الكتابة التاريخية في التدوين[١].

---

(١) ينظر: شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون: ١/ ٣٧٧-٤٦٥.

ولصعوبة الإلمام بكلِّ المصادر التاريخية ارتأينا أنْ نركّز على بعض النماذج من تلك المصادر ومن خلال كتاباتها عن النهضة الحسينية، مع مراعاة أن تكون تلك المصادر في فترات زمنية مختلفة، فتضمن مبحثين:

تناول المبحث الأَوَّل: أثر رواية ابن سعد في كتب التاريخ العام.

بينما جاء المبحث الثاني ليبين أثرها في كتب الأنساب والتراجم.

إنَّ الخوض في غمار شخصيَّة الإمام الحسين عليه السَّلام من أهم الصعوبات التي واجهتني، فقد وجدت نفسي أخوض في بحر متلاطم الأمواج، لكنَّ ما هوّن عليَّ أنِّي تشرفت بتقديم هذا الجهد المتواضع بحقِّ هذه الشخصيَّة الربانيَّة العظيمة، على الرُغم من أنَّني لا أبلغ المدى ولم أُحقق كلَّ ما أَصبو إليه.

وقامت منهجيَّة الدراسة على مقارنة روايات ابن سعد مع ما ذكرته المصادر التاريخيَّة سواء المعاصرة له أو من جاء بعده من المؤرخين توخياً للوصول إلى معرفة رؤية ابن سعد تجاه الإمام الحسين عليه السَّلام التي لم يصرِّح بها لعدم ترجيحه رواية على أُخرى أو إعطاء رأيٍ صريحٍ.

ومن الجدير بالذكر أنَّ رؤية ابن سعد لم تكن غائبة في كلِّ ثنايا كتاب الطبقات الكبير الذي قرأته كاملاً أكثر من مرَّة، بل وجدت له العديد من الآراء وترجيح لبعض الروايات[١].

بل إنَّ هناك أُطروحة دكتوراه كتبت في نقده للرواة[٢].

---

(١) ينظر الطبقات الكبير: ٢/ ٢٥٠، ٢٦٩؛ ٤/ ١٩-٥/ ٣٧٦، ٣٦٨؛ ٦/ ٦٥، ١٠٧، ١٨٨، ٤٧٤، ٥٥١.

(٢) ينظر: الأزوري، منهج ابن سعد في نقد الرواة من خلال كتاب الطبقات الكبرى: ص٦ وما بعدها.

لكنَّه فيما خصَّ ترجمته للإمام الحسين عليه السَّلام لم نجد له رأياً أو تصريحاً أو ترجيحاً لرواية على أُخرى بشكل واضح، فما كان علينا إلَّا معرفة ذلك من خلال المقارنة والاستنتاج والاجتهاد في الرأي.

وفرضت طبيعة الدراسة الاعتماد بشكل أساس على كتاب الطبقات الكبير لابن سعد، والذي أفردنا للحديث عنه وعن مؤلفه تمهيداً تجاوز ثلاثين صفحة، كذلك اعتمدت الدراسة على مصادر متنوعة ومصنفات متباينة من كتب تاريخيَّة وطبقات وأنساب وتراجم وكتب الأدب والجغرافيَّة، فضلاً عن بعض المراجع الثانويَّة التي رفدت الدراسة بالعديد من الآراء والاستنتاجات والتي ثبتت جميعها في قائمة المصادر الأَوَّليَّة والمراجع الثانويَّة.

والحمد لله ربِّ العالمين والشكر على نعمه وفضله، وفي هذا المقام يسعدني ويشرفني وأنا أتمُّ هذا الجهد المتواضع أنْ أتقدم بكلمة شكر وعرفان لكلِّ الذين يؤول إليهم فضل الجهد والمتابعة في إنجاز هذه الدراسة بما قدموه من نصح وتوجيه وتصويب في الرأي، (وليس من اعترف بالنقص والتقصير كمن تبجح بالكمال والتمام)، فالكمال والتمام لله وحده ونحن عبيده الخطاؤون التوابون، وإذ أُقدم هذا القليل مبتهلاً إلى الله العليِّ القدير أن يتقبله منِّي ليكن لي ذخراً في الدنيا والآخرة، على الرغم من أنَّني لم أبلغ المدى ولم أُحقق ما أصبو إليه في إنصاف مظلوميَّة أهل بيت النبوة عليهم السَّلام، ونحن نعتذر إلى الله وإلى مقام الإمام الحسين عليه السَّلام وأهل بيته الكرام عليهم السَّلام من كلِّ تقصير، فهذا مبلغ علمنا وطاقتنا، نسأل الله السداد والتوفيق.

المؤلف

التمهيد: ابن سعد (٢٣٠هـ/ ٨٤٤م) وكتابه الطبقات الكبير

دراسة في سيرة ابن سعد الشخصية

أَوَّلاً: نسبه ورحلاته العلميَّة

هو محمَّد بن سعد بن مَنيع[(١)] الزهري[(٢)] الهاشمي[(٣)]، كنيته أبو عبد الله البصري[(٤)]، اشتهر بكاتب الواقدي[(٥)]، وصاحب الواقدي[(٦)]، والكاتب[(٧)]، وصاحب الطبقات[(٨)]، ولد عام (١٦٨هـ)[(٩)] في البصرة، وذكر أغلب المؤرخين ومن بينهم تلميذه وأحد رواة

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد: ٢/ ٣٦٩. السمعاني، الأنساب: ٥/ ٨. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٥٣/ ٦٢. ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٤/ ٣٥١. المزي، تهذيب الكمال: ٢٥/ ٢٥٥. الذهبي، تاريخ الإسلام: ١٦/ ٣٥٦. الصفدي، الوافي بالوفيات: ٣/ ٧٥. ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب: ٢/ ٧٩.

(٢) السمعاني، الأنساب: ٥/ ٨. ياقوت الحموي، معجم الأُدباء: ١٨/ ٢٧٧. البغدادي، هدية العارفين: ٢/ ١١. وإيضاح المكنون: ١/ ٦١٣. حاجي خليفة، كشف الظنون: ٢/ ١١٠٣. الزركلي، الأعلام: ٦/ ١٣٦.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم: ١١/ ١٦١. السمعاني، الأنساب: ٥/ ٨. الذهبي، الكاشف: ٢/ ١٧٤. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب: ٩/ ١٦١.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٥٣/ ٦٣. المزي، تهذيب الكمال: ٢٥/ ٢٥٥. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب: ٩/ ١٦١.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف: ١/ ١٣٩. ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ٨/ ٦٤. ابن النديم، الفهرست: ص١٠٨. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١/ ١٥٧، و٢/ ٣٦٩. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٥٣/ ٦٣. ابن الأثير، أُسد الغابة: ١/ ٥٢، و٩١. ابن الجوزي، المنتظم: ١١/ ١٦١. المزي، تهذيب الكمال: ٢٥/ ٢٥٥. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٦٦٤. وميزان الاعتدال: ٣/ ٥٦٠. وتاريخ الإسلام: ٣٥٥- ٣٥٦.

(٦) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ٧/ ٢٦٢. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب: ٩/ ١٦١.

(٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٢/ ٣٦٩. السمعاني، الأنساب: ٥/ ٨. المزي، تهذيب الكمال: ٢/ ٩٧. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٣٢، و٦/ ٢٠. والكاشف: ٢/ ١٧٤.

(٨) السمعاني، الأنساب: ٣/ ٢٧٧. الصفدي، الوافي بالوفيات: ٣/ ٧٥. تهذيب التهذيب: ٩/ ١٦١. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب: ٢/ ٦٩.

(٩) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير: ٩/ ٣٦٨. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٢/ ٣٧٠. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٥٣/ ٦٥. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٦٦٥.

كتاب الطبقات الكبير الحسين بن فهم[١] أنَّه توفي في بغداد عام (٢٣٠هـ)[٢].

وقيل إنَّه توفي عام (٢٢٢هـ)[٣]، والرواية الأُولى هي أرجح من غيرها لشبه إجماع بين المؤرخين على ذكرها، علاوة على كون ابن سعد ترجم في كتابه لمن توفي بعد عام (٢٢٢هـ)[٤].

كذلك اكتنف الغموض العديد من جوانب حياة ابن سعد ومنها حياته الاجتماعيَّة ورحلاته العلميَّة، فقد قُدر لهذا المؤرخ الكبير والذي ترجم لأكثر من خمسة آلاف وخمسمائة شخصيَّة إسلاميَّة من الرجال والنساء أن تشحَّ المصادر التاريخيَّة بإعطاء معلومات وافية عنه إلَّا بقدر ضئيل لا يتناسب ومكانته العلميَّة في عصره، وكأنَّ هناك إرادة خفيَّة جعلت علمه هو من يتكلَّم عنه، فذكر الذهبي: (ومَن نظر في الطبقات خضع لعلمه)[٥].

وأغلب ما ذُكر عن ذلك ما هو إلَّا استنتاجات وآراء لا ترتقي إلى الدليل العلمي القاطع.

وقد ذكر بعض المؤرّخين أنَّه مولى الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب[٦]، ولهذا نُسب بأنَّه هاشمي، ويرى أحد الباحثين أنَّ هذا الولاء

---

(١) ينظر الكتاب: ص٢٣.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبير: ٩/ ٣٦٨. ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ٧/ ٢٦٢. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٢/ ٣٧٠. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٥٣/ ٦٣. ابن الأثير، الكامل في التاريخ. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٦٦٦. تهذيب التهذيب: ٩/ ١٦١.

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات: ٣/ ٧٥.

(٤) ترجم للعديد من رواته على سبيل المثال سعيد بن منصور (ت٢٢٧هـ)، وأحمد بن عبد الله بن يونس (ت٢٢٢هـ) ومسلم بن إبراهيم (ت٢٢٢هـ) وعارم بن الفضل السدوسي (ت٢٢٤هـ). ينظر: الطبقات الكبير: ٨/ ٦٣، و٥٢٩، و٩/ ٣٠٥، و٣٠٦.

(٥) سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٦٦٥.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٢/ ٣٧٠. الذهبي، الكاشف: ٢/ ١٧٤. وتذكرة الحفاظ: ٢/ ٤٢٥.

كان على عهد جدِّه أو أبيه ثمَّ انقطع بعد ذلك، ولعلَّه على أثر ذلك انتسب هو أو أبوه إلى بني زهرة من قريش[١].

وعلى الرغم من أنَّنا لم نجد من بين المصادر التاريخيَّة التي اطلعنا عليها تاريخ رحلاته العلميَّة، سوى ما ذكره من لقياه أحد شيوخه في المدينة عام (١٨٩هـ)[٢].

ولكن يتضح من عدد شيوخه الكبير أنَّه طاف العديد من الأمصار ومراكز العلم آنذاك، ففضلاً عن البصرة رحل إلى مكَّة والمدينة والكوفة والمدائن ودمشق وغيرها، ليستقر بعدها في بغداد، لكنَّ حلَّه وترحاله يشوبها الغموض من حيث التسلسل الزمني[٣].

وكانت الرحلة في طلب العلم آنذاك ديدن أغلب العلماء والمؤرخين والمحدثين وغيرهما بحثاً عن الإسناد العالي ودقَّة المعلومة.

ثانياً: ميوله العقديَّة

لم تشر المصادر التاريخيَّة كما ذكرنا لميوله العقديَّة، وأغفلت ذلك كما أغفلت حياته الاجتماعيَّة ورحلاته العلميَّة، وبما أنَّه ولد عام (١٦٨هـ) وتوفي عام (٢٣٠هـ)، فهو عاصر سبعة من حكام بني العباس وهم المهدي (١٥٨-١٦٩هـ)، والهادي (١٦٩-١٧٠هـ)، وهارون العباسي (١٧٠-١٩٣هـ)، والأمين (١٩٣-١٩٨هـ)، والمأمون (١٩٨-٢١٨هـ)، والمعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ)، والواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ).

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى (القسم المتمم لتابعي أهل المدينة): ص١٨ (مقدمة المحقق).

(٢) هو أبو علقمة الفروي واسمه عبد الله بن محمد مولى آل عثمان بن عفان ذكر ابن سعد أنَّه عمّر حتى لقيه سنة (١٨٩هـ) في المدينة وتوفي بعد ذلك. ينظر: الطبقات الكبير: ٧/ ٦٠٢.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى (القسم المتمم لتابعي المدينة): ص٢٠ (مقدمة المحقق).

وفي الواقع حسب ولادته فإنَّه عاصر أحداث حكم هارون العباسي - إذا أخذنا بنظر الاعتبار ما ذكره الذهبي بأنَّه طلب العلم في صباه -[١]، وما بعده من حكام بني العباس حتى حكم الواثق العباسي، وهي مدَّة ليست بالقصيرة وحافلة بالأحداث والمتغيرات، فلم يكن بعيداً عمّا شهدته الحركة الفكريَّة في البصرة بشكل خاص[٢] وفي الأمصار الإسلاميَّة الأُخرى، والحرب بين الأمين والمأمون، وما تبناه المأمون من قضيَّة خلق القرآن، والتي كان لها أثرٌ مباشرٌ عليه، وما تلاها بعد ذلك من أحداث.

ومن أوضح ما قيل في عقيدته هو ما قاله الدكتور حسن إبراهيم حسن في أثناء كلامه عن كتاب الطبقات الكبير: (ويُعدُّ هذا الكتاب من المصادر الموثوق بصحتها، على الرُغم من أنَّ مُؤلفه عُرِفَ بالميل إلى الشيعة)[٣].

والنصُّ المتقدم يُظهر مدى عدم موضوعيَّة حسن إبراهيم حسن فهو يستغرب أنْ يكون كتاب الطبقات بهذه الدرجة من الوثاقة، في حين أنَّ مؤلفه فيه ميل للشيعة، ولسنا بصدد مناقشة الربط بين وثاقة الكتاب وميل مؤلفه للشيعة، فهي تنمُّ عن تعصّب الدكتور حسن إبراهيم حسن وتحامله على مذهب التشيع، وعلى الرغم من أنَّ الدكتور حسن إبراهيم حسن لم يعزز رأيه بأيِّ دليل، لكن يبدو أنَّه تبنى ذلك كونه وجد في مرويات ابن سعد نوعاً من العدالة النسبيَّة والموضوعيَّة فيما يخص التشيع إذا ما قورن مع غيره من المؤرخين أمثال ابن كثير والذهبي وغيرهما، فعدَّ ذلك ميلاً من ابن سعد لهذا المذهب وربما تصور أنَّ هذه العدالة النسبيَّة والموضوعيَّة فيها إفراط فعزاها لميل المؤلف إلى التشيع.

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٦٦٤.

(٢) ينظر: عبد الجبار ناجي، من تاريخ الحركة الفكريَّة: ص٨٣-١٠٢.

(٣) تاريخ الإسلام السياسي: ٢/ ٢٨٦.

بينما تبنى أحد الباحثين رأياً آخراً بقوله: (يُعدُّ محمَّد بن سعد من علماء سلف هذه الأُمَّة الذين أسهموا إسهاماً واسعاً في الذبِّ عن حياضها وخدمة سُنَّة نبيِّها.... ولدلالة سيره على منهج السلف إشادته بكثير من رواة الأحاديث بأنَّهم من أهل السُّنَّة والجماعة، وفي مقدمة من أشاد بهم إمامهم، الإمام أحمد بن حنبل.. وإذا اتضحت لنا منهجيَّة ابن سعد العقديَّة ومتابعته لمنهج أهل السُّنَّة والجماعة فلا التفات إلى تهمة الدكتور حسن إبراهيم حسن التي وجهها على ابن سعد دون دليل...)[١].

ولا نجد صعوبة في معرفة تعصب هذا الباحث من محاولته تبرئة ابن سعد ممَّا عدَّه تهمةً وجهت له من قبل حسن إبراهيم حسن حسب زعمه، ولسنا بصدد مناقشتها والردِّ عليها بقدر مناقشة أهمّ أدلّته في دحض الرأي القائل في ميل ابن سعد للتشيع، فمن أهمِّ أدلة هذا الباحث هو توثيق ابن سعد لرجال السُّنَّة والسلف، وهذا دليل غير دقيق فكتاب الطبقات الكبير مليء بتوثيق أئمَّة الشيعة وعلمائهم وفقهائهم، ومنها على سبيل المثال لا الحصر قوله في الإمام زين العابدين عليه السَّلام: (وكان عليُّ بن الحسين ثقةً مأموناً كثير الحديث عالياً رفيعاً ورعاً)[٢].

وقوله في مالك بن إسماعيل[٣]، أبو غسان الكوفي: (ثقةً صدوقاً متشيعاً شديد التشيع)[٤].

بل نجد ابن سعد يوثق بعض علماء الشيعة مخالفاً لغيره، وذلك لقوله في عبيد

(١) الأزوري، منهج ابن سعد في نقد الرواة: ص١٣- ١٤.

(٢) الطبقات الكبير: ٧/ ٢١٩.

(٣) ينظر الكتاب: ص٣٦.

(٤) ينظر: الطبقات الكبير: ٨/ ٥٢٨-٥٢٩.

الله بـن موسـى الكـوفي[1]، وكان ثقـةً صدوقـاً إنْ شـاء الله كثـير الحديث حسـن الهيئة، وكان يتشـيع ويـروي أحاديـث في التشـيع منكرة، فضعـف بذلك عند كثير مـن الناس وكان صاحب قـرآن)[2].

وعندما ترجم لعطيَّة بن سعد العوفي[3]، قال: (وكان ثقةً إن شاء الله وله أحاديث صالحة، ومن الناس من لا يحتج به)[4].

وفي ترجمتـه لأبي الأسـود الدؤلي[5] قال: (وكان شـاعراً متشـيعاً، وكان ثقةً في حديثه إنْ شاء الله)[6].

وهكذا تبين لنا أنَّ توثيق الرواة ليس بالضرورة دليلاً على معرفة عقيدة ابن سعد، فتوثيقه لأحمد بن حنبل وعلماء السلف حسب رأي هذا الباحث ليس دليلاً كافياً على معرفة عقيدته، وربما أنَّ أمانة ابن سعد العلميَّة وموضوعيته هي ما دفعته أنْ يوثِّق هذا ويضعِّف ذاك، وصنف السيد الميلاني ابن سعد من ضمن علماء السُّنَّة والجماعة بقوله:

(١) ينظر الكتاب: ص٣٣ - ٣٤.

(٢) الطبقات الكبير: ٨/ ٥٢٢-٥٢٣.

(٣) هو عطية بن سعد العوفي، أبو جنادة الكوفي، روي أنَّ الإمام عليّاً عليه السلام أسماه لما وُلِد عطية الله، فسميّ عطية، خرج على الحجاج مع ابن الأشعث وهرب إلى فارس بعد مقتله، جُلد وحُلق رأسه ولحيته لأنَّه رفض سبَّ الإمام عليه السلام ولعنه بأمرٍ من الحجاج، عاد بعد وفاة الحجاج إلى الكوفة وتوفي فيها عام (١١١هـ)، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير: ٨/ ٤٢١؛ المزي، تهذيب الكمال: ٣٥/ ١٦. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب: ١/ ١٤٤.

(٤) الطبقات الكبير: ٨/ ٤٢١.

(٥) واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل ولد عام (١هـ) وتوفي عام (٦٩هـ)، وأصله الدئلي ينسب إلى حي من كنانة وهو الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، واضع علم النحو أخذ أُصوله من الإمام عليٍّ عليه السَّلام، شاعراً متشيعاً ومعدوداً من الفقهاء والأُمراء والأعيان والفرسان، سكن البصرة ووليها في إمامة الإمام عليٍّ عليه السَّلام وشهد معه صفين. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير: ٩/ ٩٨. السمعاني، الأنساب: ٢/ ٥٠٨. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٤/ ٨٢-٨٦.

(٦) الطبقات الكبير: ٩/ ٩٨.

(من أكابر علمائهم المعتمدين وأئمتهم المتبحرين)[١]، من دون أنْ يذكر لذلك دليلًا وكأنَّه أمرٌ مسلَّمٌ به.

وعُدَّ موقف ابن سعد في قضيَّة خلق القرآن نوعاً من أنواع التقيَّة[٢]، هو يعني أنَّه بعيد عن مذهب المعتزلة، وهذا البعد ربما يسري على بُعده عن التشيع، ولهذا السبب يرى أحد الباحثين: أنَّه (كان يرى رأي أهل السُّنَّة)[٣].

وربما يتبنى ابن سعد نظريَّة إمامة المتغلب أو الحاكم، لكنَّه قد يمثل نوعاً معتدلاً بعيداً عن التشدد الذي يحمله البعض في بغضهم لأهل البيت، وبعد ذلك مذهب التشيع، ويمكن أن نلاحظ بعض المفردات في ثنايا كتابه تدلُّ على وسطيته بشكل عام، ففي ترجمته لأبي عثمان النهدي[٤] ذكر: (فلماَّ قُتلَ الحسين بن عليٍّ عليه السَّلام تحوَّل فنزل البصرة)[٥].

وجاء في أحد عناوينه (مقتل الحسين بن عليٍّ صلوات الله عليهما وسلامه)[٦].

وهذه المفردات عليه السَّلام، وصلوات الله عليهما وسلامه، إنْ تدلَّ على شيء فهي تدلُّ على أنّ ابن سعد يكنُّ لأهل بيت النبوَّة بشكل عام التقديس والإجلال مقارنة مع غيره من المؤرخين.

---

(١) نفحات الأزهار: ١٨/ ٢٧٣.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية: ١٠/ ٢٩٨. السبكي، طبقات الشافعية: ٢/ ٣٩.

(٣) موسى، ابن سعد وطبقاته: ص١٧.

(٤) هو أبو عثمان النهدي، عبد الرحمن بن مل من قبيلة قضاعة، أدرك النبيَّ صلىَّ الله عليه وآله ولم يره، صحب سلمان المحمدي أكثر من (١٢) عاماً، كان من ساكني الكوفة فلمّا استشهد الإمام الحسين عليه السَّلام قال: لا أسكن بلداً قتل فيه ابن بنت رسول الله، وتحول إلى البصرة. ينظر: ابن سعد الطبقات الكبير: ٩/ ٩٧-٩٨. ابن عبد البر، الاستيعاب: ٢/ ٨٥٥. ابن الأثير، أسد الغابة: ٣/ ٣٢٤-٣٢٥.

(٥) الطبقات الكبير: ٩/ ٩٨.

(٦) المصدر نفسه: ٦/ ٤٢١.

ثالثاً: أقوال المؤرخين بحقِّه

وعلى عكس الغموض الذي كان الصفة الغالبة على معرفة بعض جوانب حياته، نجده حظي بالثناء والتقدير والاحترام والتوثيق لشخصه ولمُصنفه كتاب الطبقات الكبير من قبل العديد من المؤرخين وعلماء الجرح والتعديل وغيرهم.

فقد وصفه ابن النديم بقوله: (وكان ثقةً مستوراً عالماً بأخبار الصحابة والتابعين)[١].

فيما نعته الخطيب البغدادي بالقول: (من أهل الفضل والعلم.. ومحمَّد بن سعد عندنا من أهل العدالة، وحديثه يدلُّ على صدقه، فإنَّه يتحرى كثيراً من رواياته)[٢].

وكذا قال السمعاني: (إنَّه من أهل الفضل والعلم)[٣].

وعلى هذا النحو ذكره ابن الجوزي بقوله: (وكان كثير العلم، كثير الرواية، كثير الكتب، من الثقات)[٤].

بينما قال عنه ابن خلكان: (كان أحد الفضلاء النبلاء الأجلاء... صدوقاً ثقةً)[٥].

ووصفه الذهبي: (الحافظ العلامة البصري)[٦].

وفي موضع آخر قال: (الحافظ العلامة الحجة... من أوعية العلم)[٧].

(١) ابن النديم، الفهرست: ص١١١.

(٢) تاريخ بغداد: ٢/ ٣٦٩-٣٧٠.

(٣) الأنساب: ٥/ ٨.

(٤) المنتظم: ١١/ ١٦٢.

(٥) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٤/ ٣٥١.

(٦) تذكرة الحفاظ: ٢/ ٤٢٥.

(٧) سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٦٦٤-٦٦٥.

كذلك وصفه الصفدي بقوله: (الحافظ أبو عبد الله البصري... ظهرت فضائله ومعارفه وهو كثير العلم كثير الحديث كثير الكتب، كتب الحديث والغريب والفقه)[١].

وقال ابن حجر العسقلاني فيه: (صاحب الطبقات وأحد الحفاظ الكبار الثقات المتحرين)[٢].

وعلى هذا المنوال ذكره ابن تغرى بردى بقوله: (وكان إماماً فاضلاً عالماً حسن التصانيف)[٣].

وعلاوة على ما ذكرناه من الثناء والتوثيق له وُصف بأنَّه صدوق فاضل[٤]، وحافظ صدوق[٥]، وقيل عنه يصدق[٦].

وعلى الرُغم من كلِّ ما ذكرناه، فهذا لا يعني أنَّه لم يتعرض إلى جرحٍ أو طعنٍ، فقد روي أنَّ مصعباً الزبيري ذكر ليحيى بن معين حديثاً عن محمَّد بن سعد فقال له يحيى بن معين كذب[٧]، وعلل الخطيب البغدادي سبب هذا الطعن بقوله: إنَّه ربما روى حديثاً من مناكير الواقدي فحسبها ابن معين منه[٨]، فيما علل السمعاني ذلك بقوله: (ولعلَّ الناقل عنه غلط أو وهم لأنَّه من أهل العدالة وحديثه يدلُّ على صدقه فإنَّه يتحرى في كثير من رواياته)[٩].

---

(١) الوافي بالوفيات: ٣/ ٧٥.

(٢) تهذيب التهذيب: ٩/ ١٦١.

(٣) النجوم الزاهرة: ٢/ ٢٥٨.

(٤) ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب: ٢/ ٧٩.

(٥) الذهبي، الكاشف: ٢/ ١٧٤.

(٦) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ٧/ ٢٦٢.

(٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٢/ ٣٦٩.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) الأنساب: ٥/ ٨.

وأمَّا الموقف الثاني الذي طُعن فيه ابن سعد، موقفه من القضيَّة المعروفة أيام المأمون (١٩٨-٢١٨هـ)، وهي القول بخلق القرآن، والتي ذكرها العديد من المؤرخين وهي تتلخص بأنَّ المأمون أمر أحد ولاته باستدعاء سبعة من المحدثين والفقهاء، وكان من بينهم ابن سعد وعرض عليهم كتاب المأمون بمعرفة رأيهم بشكل صريح بقضيَّة خلق القرآن، فكان ممَّن أجابهم بأنَّ القرآن مخلوق هو محمَّد بن سعد(١).

وموقفه هذا على الرُغم من أنَّه جاء بسبب ضغط السُّلطة وما تعرض المخالفون له من أذى وقسوة، لكنَّه كان من المثالب عليه، حتى نجد ابن سعد نفسه في ترجمته لأحمد بن حنبل الذي رفض القول بخلق القرآن كأنَّه مجَّد موقفه هذا بقوله: (وقد كان امتُحن وضُرب بالسياط، أمر بضربه أبو إسحاق أمير المؤمنين على أنْ يقول القرآن مخلوق، فأبى أن يقول ذلك، وقد كان حُبس قبل ذلك فثبت على قوله ولم يُجبهم إلى شيء)(٢).

وكذلك قال في ترجمته لعفان بن مسلم الصفار(٣) أحد شيوخه: (وامتُحن وسئل عن القرآن فأبى أنْ يقول القرآن مخلوق)(٤).

رابعاً: تلاميذه

لم يحظَ ابن سعد بترجمة وافية عند المؤرخين، كذلك لم تُشر المصادر التاريخيَّة إلى تلاميذه عدا مجموعة قليلة لا تتناسب ومكانته العلميَّة، فيما اكتفى بعضهم بالقول وحدث عنه آخرون أو خلق كثير، وكان من بين تلاميذه القلائل الذين ذكرهم المؤرخون:

(١) ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٧/ ١٩٧. مسكويه، تجارب الأُمم: ٤/ ١٦٦. ابن الجوزي، المنتظم: ١١/ ١٨. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٦/ ٤٢٣. الذهبي، تاريخ الإسلام: ١٥/ ٢١. ابن كثير، البداية والنهاية: ١٠/ ٢٩٨. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ٢/ ٢١٩. السبكي، طبقات الشافعية: ٢/ ٣٩. السيوطي، تاريخ الخلفاء: ص٢٩٢.

(٢) الطبقات الكبير: ٩/ ٣٥٨.

(٣) ينظر الكتاب: ص٣٥.

(٤) الطبقات الكبير: ٩/ ٣٣٨.

١ . الحسين بن محمَّد بن عبد الرحمن الفهم البغدادي، كان متفنناً في شتى العلوم، كثير الحفظ، فصحياً ولد عام (٢١١هـ) وتوفي عام (٢٨٩هـ)، وهو راوي كتاب الطبقات مع الحارث بن أبي أسامة[١].

٢ . الحارث بن محمَّد بن أبي أسامة التميمي، ولد عام (١٨٦هـ) صاحب المسند، المتوفى عام (٢٨٢هـ)[٢].

٣ . أبو بكر بن أبي الدنيا عبد الله بن محمَّد بن عبيد بن سفيان البغدادي، المتوفى عام (٢٨١هـ) صاحب المصنفات العديدة، وهو أحد الرواة عنه[٣].

٤ . أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري الكاتب المؤرخ المعروف صاحب كتابي (فتوح البلدان) و(أنساب الأشراف)، المتوفى (٢٧٩هـ)[٤].

٥ . أحمد بن عبيد بن ناصح البغدادي الملقب بأبي عصيدة أبو جعفر النحوي من علماء العربية، وهو مؤدب أبناء المتوكل العباسي (٢٣٢هـ- ٢٤٧هـ)، كان حياً في عام (٢٧٩هـ)[٥]، ذكر ابن حجر العسقلاني أنَّه روى عن محمَّد بن سعد[٦].

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٢/ ٣٦٩. السمعاني، الأنساب: ٥/ ٨. المزي، تهذيب الكمال: ٢٥/ ٢٥٥-٢٥٦. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٦٦٥، و١٧٤. تذكرة الحفاظ: ٢/ ٦٨، و٤٢٥. ميزان الاعتدال: ١/ ٥٤٥. تهذيب التهذيب: ٩/ ١٦١.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٢/ ٣٦٩. السمعاني، الأنساب: ٥/ ٨. المزي، تهذيب الكمال: ٢٥/ ٢٥٥-٢٥٦. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٦٦٥. تهذيب التهذيب: ٩/ ١٦١.

(٣) السمعاني، الأنساب: ٥/ ٨. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٢/ ٣٦٩. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٦٦٥، و١٧٤. المزي، تهذيب الكمال: ٢٥/ ٢٥٥-٢٥٦. وتذكرة الحفاظ: ٢/ ٤٢٥. وتهذيب التهذيب: ٩/ ١٦١.

(٤) المزي، تهذيب الكمال، ٢٥/ ٢٥٥-٢٥٦. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٦٦٥.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٥/ ١٣-١٤. السمعاني، الأنساب: ١/ ٣٩٣. المزي، تهذيب الكمال: ١/ ٤٠٣-٤٠٤. ابن مأكولا، إكمال الكمال: ٦/ ٢١٨.

(٦) تهذيب التهذيب: ١/ ٥٢.

٦. أبو القاسم البغوي[١]، الحافظ الثقة الكبير عبد الله بن محمَّد بن عبد العزيز المرزبان، خراساني الأصل، ولد في بغداد وسكن فيها حتى وفاته(٣١٧هـ)[٢].

٧. أحمد بن الحارث الواسطي[٣] ذكر البلاذري أنَّه روى عن محمَّد بن سعد بسنده عن الواقدي بعض أعمال هارون العباسي[٤].

٨. عبيد الله بن محمَّد بن يحيى بن المبارك اليزيدي اللغوي، من أهل الأهواز، كان عالماً في اللغة والأخبار، توفي عام (٢٨٤هـ)، روى عن أهل البصرة[٥]، ذكر الذهبي أنَّه روى عن ابن سعد[٦].

خامساً: مؤلفاته

أشارت المصادر التاريخيَّة إلى العديد من مؤلفات ابن سعد فذكرت الطبقات الكبير[٧] أو الطبقات الكبرى[٨] والطبقات الصغير[٩] الذي عُثر على مخطوطته مؤخراً في الأستانة وحققه الدكتور بشار عواد معروف ومحمَّد زاهد جول، وهو في جزأين وطبع في

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٥٣/ ٦٣. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٦٦٥.

(٢) ابن حبان، طبقات المحدثين بأصبهان: ١/ ٨٥. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٤/ ٤٤٠-٤٥٧.

(٣) لم نعثر له على ترجمة.

(٤) فتوح البلدان: ١/ ٢٠٢. وينظر: ابن العديم، بغية الطلب: ١/ ١٦٧.

(٥) ينظر: ابن حبان، الثقات: ٨/ ٤٠٧. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١٠/ ٣٣٦-٣٣٧. السمعاني، الأنساب: ٥/ ٦٢٧. الذهبي، تاريخ الإسلام: ٢١/ ٢١٨.

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام: ١٦/ ٣٥٦.

(٧) علاء الدين ابن قليج، إكمال تهذيب: ١/ ٢٠٥. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٦٦٤. كحالة، معجم المؤلفين: ١٠/ ٢١. الزركلي، الأعلام: ٦/ ٣١١. سركيس، دليل المؤلفات: ١/ ١١٧.

(٨) ابن النديم، الفهرست: ص١١١. الذهبي، تذكرة الحفاظ: ٢/ ٤٢٥. ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ١/ ٤٣٨.

(٩) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٦٦٤. ابن النديم، الفهرست، ص١١١.

تونس لأوَّل مرة عام ٢٠٠٩م[١]، وكتاب الطبقات الصغير هو مختصر لكتاب الطبقات الكبير[٢]، وهو يشبه إلى حدٍّ بعيد كتاب طبقات خليفة بن خياط في اختصاره، فهو يقتصر في الأغلب على الأسماء وذكر وفياتها ويختلف في تنظيم طبقاته عن الطبقات الكبير[٣].

ونحن نتفق مع هذا الرأي بأنَّ تنظيم ابن سعد لطبقاته مختلف في الكتابين، ففي حين عدَّ الحسن والحسين عليهما السَّلام في الطبقة الخامسة في الطبقات الكبير نجده عدَّهم في الطبقة الثامنة في الطبقات الصغير[٤].

ومن مؤلفاته كذلك كتاب الحيل[٥]، وكتاب أخبار النبيِّ[٦]، والذي يبدو أنَّ الجزأين الأوَّل والثاني من كتابه الطبقات الكبير، والزخرف القصري في ترجمة أبي سعيد البصري[٧].

سادساً: كتاب الطبقات الكبير

يُعدُّ كتاب الطبقات الكبير من أهم مصنفات ابن سعد وأضخمها وأكثرها شهرة حتى غلب اسمه عليه فقيل ابن سعد صاحب الطبقات[٨].

وصفه ابن عساكر بقوله: (وصنف كتاب الطبقات فأحسن تصنيفه وأكثر فائدته

---

(١) ينظر: ابن سعد، كتاب الطبقات الصغير: ١/ ٦-٢٠.

(٢) حاجي خليفة، كشف الظنون: ٢/ ١١٠٣. وينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى: ١/ ٦ (مقدمة المحقق).

(٣) ينظر: ابن سعد، كتاب الطبقات الصغير: ١/ ١٧-١٨ (مقدمة المحقق بشار عواد معروف).

(٤) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير: ٦/ ٣٢٠. الطبقات الصغير: ١/ ١٥٧.

(٥) ابن النديم، الفهرست: ص١١٢.

(٦) م.ن: ص١١١.

(٧) البغدادي، إيضاح المكنون: ١/ ٦١٣. كحالة، معجم المؤلفين: ١٠/ ٢١.

(٨) السمعاني، الأنساب: ٣/ ٢٧٧. الصفدي، الوافي بالوفيات: ٣/ ٧٥. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب: ٩/ ١٦١.

وأتى فيه بما لم يوجد في غيره، وروى فيه عن الكبار والصغار)[١].

وقال عنه السمعاني: (صنف كتاباً كبيراً في طبقات الصحابة والتابعين والخالفين إلى وقته فأجاد وأحسن)[٢].

ولما ذكره ابن تغري بردي قال: (صنف كتاباً كبيراً في طبقات الصحابة والتابعين والعلماء إلى وقته... وقد نقلنا عنه كثيراً في الكتاب[٣] رحمه الله تعالى، روى عنه خلائق لا تحصى ووثقه غالب الحفاظ إلَّا يحيى بن معين)[٤].

علاوة على ذلك فهو من الكتب المهمَّة في التراث الإسلاميِّ وقلَّما استغنى عنه مؤرخ من المؤرخين الذين عاصروا ابن سعد أو ممَّن جاء بعده، وذلك لقدمه وقيمته العلمية، وعدد التراجم الكبير التي احتواها، ووثاقة مصنفه وعدالته ودقَّة معلوماته في مادته.

لكنَّ هذا لا يعني أنَّ كُلَّ ما ذكرناه عن كتاب الطبقات الكبير من مدح وإطراء وثناء أنَّه لا يوجد هناك من قلّل من شأنه، فقد ذكر ابن النديم أنَّه: (روى عنه وألَّف كتبه من تصنيفات الواقدي)[٥]، على الرغم من أنَّه استدرك الأمر بقوله: (وهذا الكتاب - يقصد الطبقات الكبير - ألَّفه ابن سعد من كتب الواقدي والكلبي والهيثم بن عدي والمدائني)[٦].

ونحن نتفق مع الرأي القائل: (مع أنَّ ابن سعد التلميذ قد تأثَّر كثيراً بمعلمه فصارت

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٥٣/ ٦٤.

(٢) السمعاني، الأنساب: ٥/ ٨.

(٣) يقصد كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.

(٤) النجوم الزاهرة: ٢/ ٢٥٨.

(٥) الفهرست: ص١١١.

(٦) م.ن: ص١١٢.

أعمال الواقدي نماذج اقتدى بها من حيث المنهج والمضمون، غير أنَّ طبقات ابن سعد تضمنت بالمقارنة بطبقات الواقدي ومغازيه معلومات تاريخيَّة أوفى، واتسمت بدقَّة في الترتيب والتنظيم)[١].

ومن المسلّم به أنَّ روايات الواقدي شكَّلت نسبة كبيرة في ثنايا كتاب الطبقات الكبير، لكن موارد ابن سعد شملت كذلك كمّاً هائلاً غير مرويات الواقدي وكتبه فضلاً عمَّا تضمنه كتاب الطبقات الكبير من معلومات وافية.

وعلى الرغم من أنَّ المؤرخين أجمعوا على نسبة الكتاب إلى محمَّد بن سعد إلَّا أنَّهم اختلفوا في تسميته، فغلب على اسمه الطبقات الكبرى[٢]، لكنَّ العديد من المؤرخين أشاروا في ثنايا مصنفاتهم وهم يقتبسون منه أو ترجموا إلى مصنف الكتاب بأنَّ اسمه هو الطبقات الكبير.

فقد أورد ابن عساكر في بعض رواياته وفي أكثر من موضع قوله عن: (ابن سعد في الطبقات الكبير)[٣].

جاء في مقدمة ابن الصلاح: (كتاب الطبقات الكبير لمحمَّد بن سعد كتاب حفيل كثير الفوائد)[٤].

ولما ذكر ابن طاووس الصحابي أنس بن مالك قال: (وقد ذكر محمَّد بن سعد في كتاب الطبقات الكبير...)[٥].

---

(١) عبد الجبار ناجي، تاريخ الحركة الفكرية: ص٩٧.

(٢) الذهبي، تذكرة الحفاظ: ٢/ ٤٢٥. ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ١/ ٤٣٨. ابن النديم، الفهرست: ص١١١.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ٣٥/ ٤٥٧، ٤٧/ ٢٦٩.

(٤) الشهرزوري، مقدمة بن الصلاح: ص٢٢٢.

(٥) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٢١٦.

وهكذا ورد عند ابن سيد الناس باسم (كتاب الطبقات الكبير)[١].

وأورده مغلطاي في العديد من المواضع بقوله: (ومحمَّد بن سعد في الطبقات الكبير)[٢].

ولمَّا ترجم الصفدي لابن سعد قال: (وصنف الطبقات الكبير)[٣].

في حين ذكر المزِّي فيما اقتبسه منه بقوله: عن (ابن سعد في الطبقات الكبير)[٤].

وفي ترجمته لابن سعد قال الذهبي: (وصنف الطبقات الكبير والطبقات الصغير)[٥]، وقال كذلك: (محمَّد بن سعد الحافظ، العلامة البصري، مولى بني هاشم، مصنف الطبقات الكبير)[٦]، وفي موضع آخر قال: (وقال ابن سعد في الطبقات الكبير)[٧].

وكذلك ذكر ابن حجر العسقلاني في أحد اقتباساته منه: (فقال ابن سعد في كتاب الطبقات الكبير)[٨].

وفي أكثر من موضع أشار العيني له بقوله: (وفي الطبقات الكبير لمحمَّد بن سعد)[٩]، فضلاً عن أنَّ العديد من المحدثين ذكروه باسم الطبقات الكبير[١٠].

(١) عيون الأثر: ٢/ ٤٤٠.

(٢) إكمال الكمال: ١/ ٢٠٤، ٣١٣، ٢/ ٢٩، ١٤٢، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٦.

(٣) الوافي بالوفيات: ٣/ ٧٥.

(٤) تهذيب الكمال: ٧/ ٣٨٦، ٤٦٦، ١٠/ ٢٧٨، ١٤/ ٤١٦، ٢٨/ ٢٠٩.

(٥) تاريخ الإسلام: ١٦/ ٣٥٦.

(٦) تذكرة الحفاظ: ٢/ ٤٢٥.

(٧) سير أعلام النبلاء: ٩/ ٤٥٧، و١٠/ ٦٦٤.

(٨) تغليق التعليق: ٤/ ٤١٦. وتهذيب التهذيب: ١/ ٤٣٩، ٤/ ١٥٧.

(٩) ينظر: عمدة القارئ: ٨/ ١٠٢، و١٢/ ٢٥٩، و١٤/ ٨٥.

(١٠) كحالة، معجم المؤلفين: ١/ ٢١. محسن الأمين، أعيان الشيعة: ١/ ٢٣٤، ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٥، ٣١١، ٤١٠، ٤١٨؛ و٢/ ٢١١. الزركلي، الأعلام: ٢/ ٣١١. المرعشي، شرح إحقاق الحق: ١٦/ ٨٧. جعفر السبحاني، التوسل بالأرواح المقدسة: ص١٢٢، ١٣٨. نبيلة عبد المنعم داود، نشأة الشيعة الإمامية: ص٢١.

ومـن خـلال مـا تقـدَّم وعلاوة عـلى وجـود كتاب آخـر لابن سـعد باسـم الطبقات الصغـير، يتضـح لنـا أنَّ اسـم الكتاب الصحيـح هو الطبقـات الكبير وليس مـا تعارف عليـه أنَّه الطبقـات الكبرى.

أ: موارده عن الإمام الحسين عليه السَّلام

جاءت موارد ابن سعد عن الإمام الحسين عليه السَّلام عبارة عن روايات استقاها مباشرة من شيوخه ومن الرواة المعاصرين له، ومن الملاحظ على موارده تعدد رواته، فنجد فيهم البصريَّ والبغداديَّ والمدنيَّ والكوفيَّ والمكيَّ والمدائنيَّ والواسطيَّ والخراسانيَّ والمصريَّ وغيرهم من مراكز العلم، ومن هذا التنوع في موارده تتبين سعة ثقافة ابن سعد المعرفيَّة ودقَّة معلوماته، فقد كان حريصاً على استقاء مادته من مصادرها الأصليَّة القريبة من موقع الحدث، بل نجد ابن سعد يستقي بعض معلوماته في إحدى وثلاثين رواية من أئمة أهل البيت عليِّ بن الحسين السجاد ومحمَّد الباقر وجعفر الصادق عليهم السَّلام(١)، وهو بهذا رجع في مصدريَّة بعض رواياته لأصحاب الشأن فيها وهم أهل بيت الرسول عليهم السَّلام، لكنَّ نقولاته عنهم تركزت أغلبها حول جوانب من سيرته الشخصيَّة(٢).

ومن الملاحظ على موارده جاءت كلُّها عن طريق شيوخه ورواته مباشرة من دون أي إشارة إلى أنَّه أخذها عن طريق كتبهم أو مدوناتهم، بل إنَّ الأعمَّ الأغلب منها جاء على نمط أُسلوب المحدثين، فحرص على ذكر السند إلَّا في مقتله عليه السَّلام وقليل من الأحداث استعمل فيها الأُسلوب الجمعي، ولكون بعض شيوخه كانوا من ضمن

---

(١) ينظر: الطبقات الكبير: ٦/ ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٨، ٤٠١، ٤٠٧، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤٤١، ٤٥٣.

(٢) ينظر الكتاب: ص٤٦١ – ٤٦٤.

موارده التي اعتمدها ارتأينا عدم الفصل بين شيوخه ورواته، فترجمنا لخمسة وثلاثين شيخاً وراوياً منهم، فيما وضعنا ملحقاً توضيحياً ضمّ قائمة بثلاثة وخمسين من شيوخه ورواته[١] الذين استقى معلوماته منهم في ترجمته للإمام الحسين عليه السَّلام، ومنهم:

١. محمَّد بن عمر بن واقد الأسلمي

محمَّد بن عمر بن واقد الأسلمي، وكنيته أبو عبد الله الواقدي، من أهل المدينة قدم بغداد عام (١٨٠هـ)، ونزل فيها ورحل إلى الشام، وعاد إلى بغداد فلم يزل بها حتى قدم المأمون من خراسان فولّاه القضاء، وبقي في منصبه حتى وفاته عام (٢٠٧هـ)، قيل كان عالماً بالمغازي والسيرة والفتوح واختلاف الناس وأحاديثهم[٢].

وصفه الخطيب البغدادي بقوله: (وهو ممَّن طبق شرق الأرض وغربها ذكره، ولم يخفَ على أحد عرف أخبار الناس أمره، وسارت الركبان بكتبه في فنون العلم...)[٣]، وعلى الرغم من ذلك ضعَّفه البعض وترك حديثه[٤]، وربما كان ذلك بسبب تشيعه، فقد قال عنه ابن النديم: (وكان يتشيع حسن المذهب، يلزم التقية، وهو الذي روى أنَّ علياً عليه السَّلام كان من معجزات النبيِّ صلَّى الله عليه -وآله- وسلم، كالعصى لموسى عليه السَّلام وإحياء الموتى لعيسى ابن مريم عليهما السَّلام، وغير ذلك من الأخبار)[٥]، وعدَّ ابن النديم من كتبه كتاب الطبقات، وكتاب فتوح الشام، وكتاب مقتل الحسين عليه

(١) ينظر الكتاب: ص٤٦٥ - ٤٦٦.

(٢) الطبقات الكبير: ٧/ ٦٠٣-٦١١، و٩/ ٣٣٦-٣٣٧. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٣/ ٢١٣-٢٣٠. المزي، تهذيب الكمال: ٣٦/ ١٨٠-١٩٥.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٣/ ٢١٥-٢١٦.

(٤) البخاري، الضعفاء الصغير: ١٠٩. النسائي، الضعفاء والمتروكين: ص٢٣٣. ابن عدي، الكامل: ٦/ ٢٤١.

(٥) الفهرست: ص١١١. وللمزيد من التفاصيل ينظر: الغروي، موسوعة التاريخ الإسلامي: ١/ ٢٨-٣٤.

السَّلام، وكتاب مولد الحسن والحسين عليهما السَّلام، وكتاب الجمل، وكتاب صفين، وكتاب السقيفة وغيرها[1]، أورد ابن سعد إحدى وثلاثين رواية كلّها وردت بلفظ (أخبرنا محمَّد بن عمر)[2]، ورد فقط في اثنتين من تلك الروايات مضافاً إلى غيره من الرواة[3]، وذكره فيمن أخذ عنه مقتل الإمام الحسين عليه السَّلام والتي استعمل فيها الإسناد الجمعي بشكل كبير.

٢. الفضل بن دكين بن حماد بن زهير

الفضل بن دكين بن حماد بن زهير، يكنى أبو نعيم، من أهل الكوفة، توفي (٢١٩هـ) في حكم المعتصم العباسي (٢١٨هـ-٢٢٧هـ) ودفن بالكوفة[4]، روي أنَّه كان يتشيع ويكتم ذلك، فقد ذُكر أنَّه سُئل وهو يُحدّث على المنبر يا أبا نعيم أتتشيع؟ فكره مقالة سائله وصرف وجهه عنه وتمثل قائلاً:

وما زال بي حبيك حتى كأنَّني — برجع جواب السائلي عنك أعجم

لأسلم من قول الوشاة وتسلمي — سلمت وهل حي على الناس يسلم

ثمَّ ذكر لسائله قول الإمام جعفر الصادق عليه السَّلام: «**حبُّ عليٍّ عبادة وأفضل الحبِّ ما كتم**»[5].

(١) ابن النديم، الفهرست: ص١١١.

(٢) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٩، ٣٦٨، ٣٨٨، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٤٠٠، ٤٠٧، ٤١٧، ٤١٨، ٤٢١، ٤٤٦، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٣، ٤٥٥.

(٣) الطبقات الكبير: ٦/ ٤١٧، ٤٢١.

(٤) الطبقات الكبير: ٨/ ٥٢٣- ٥٢٤. البخاري، التاريخ الكبير: ٧/ ١١٨. ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار: ص٢٧٥. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١٢/ ٣٤٢-٣٥١. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٠/ ١٤٢-١٥٧. وللمزيد من التفاصيل ينظر: آلاء حسين محمد، الفضل بن دكين ومروياته التاريخية: ص٥ وما بعدها.

(٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١٢/ ٣٥٦.

وقال الذهبي (وكان في أبي نعيم تشيع خفيف)[١].

وصفه ابن سعد بقوله: (وكان ثقةً مأموناً كثير الحديث حجةً)[٢].

وورد اسمه عنده في تسع وعشرين رواية بلفظ: (أخبرنا الفضل بن دكين)[٣]، ولم يرد اسمه مضافاً إلى راوٍ آخر سوى في ثلاث روايات[٤].

٣. عليُّ بن محمَّد بن عبد الله بن أبي سيف

عليُّ بن محمَّد بن عبد الله بن أبي سيف المعروف بالمدائني، بصريُّ المولد والنشأة، نزل المدائن، وسافر إلى بغداد واستقرَّ بها حتى وفاته سنة (٢٢٤هـ)، وهو مولى عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس القرشي، عالماً بالأخبار والمغازي، صاحب التصانيف الكثيرة منها كتاب خطب عليٍّ، وكتبه ومنها أخبار أهل البيت[٥].

وهو أحد شيوخ ابن سعد الذين سمع منهم[٦]، كان أحد موارد ابن سعد عن الإمام الحسين عليه السَّلام ورد اسمه بقوله: (أخبرنا عليُّ بن محمَّد) في ست وعشرين رواية[٧]، ومن الملاحظ على روايات المدائني أنَّ ابن سعد لم يقرنه مع راوٍ آخر في الرواية نفسها ما

(١) سير أعلام النبلاء: ١٠/ ١٥١.

(٢) الطبقات الكبير: ٨/ ٥٢٤. وينظر: العجلي، معرفة الثقات: ٢/ ٢٠٥. ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ٧/ ٦١.

(٣) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٧٢، ٣٧٨، ٣٧٩، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤١٠، ٤١١، ٤١٥، ٤١٧، ٤٢٠، ٤٥٢، ٤٥٤، ٤٥٦.

(٤) م.ن: ٦/ ٣٦٣، ٤٠٣، ٤٥٤.

(٥) ينظر: ابن قتيبة، المعارف: ص٥٣٨. ابن النديم: الفهرست، ص١١٣. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ١٢/ ٥٤-٥٦. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٤٠٠-٤٠٢. الصفدي، الوافي بالوفيات: ٣/ ٧٥.

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٥٣/ ٦٣.

(٧) ينظر: الطبقات الكبير: ٦/ ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٧، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٦، ٣٧٠، ٣٩٣.

عدا إسناده الجمعي الذي اعتمده في مقتل الإمام الحسين عليه السَّلام[١]، ممَّا يدلُّ على وثاقته وأهميَّة روايته لدى ابن سعد، فضلاً عن العدد الكبير لمروياته إذا ما قورنت مع غيره من شيوخ ابن سعد ورواته، باستثناء أُستاذه الواقدي والفضل بن دكين.

٤ . عبيد الله بن موسى بن أَبي المختار العبسيُّ الكوفيُّ

عبيد الله بن موسى بن أبي المختار العبسيُّ الكوفيُّ (ت٢١٣هـ)، يكنى أبا محمَّد، عدَّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السَّلام[٢]، وصفه ابن سعد بالقول: (وكان ثقةً صدوقاً إنْ شاء الله كثير الحديث حسن الهيئة، وكان يتشيع ويروي أحاديث في التشيع منكرة، فضعف بذلك عند كثير من الناس وكان صاحب قرآن)[٣]، ووثَّقه كلٌّ من العجلي وابن حبان[٤].

أورده ابن سعد في ثلاث عشرة رواية كلُّها جاءت بقوله: (أخبرنا عبيد الله بن موسى)[٥]، ورد في روايتين منها مقروناً بالفضل بن دكين[٦].

وعلى الرغم ممَّا ذكره ابن سعد بأنَّه ضُعِّف عند بعض الناس بسبب تشيعه، فالظاهر أنَّه لم يعتدّ بذلك للعديد من المعطيات أوَّلها أنَّه روى عنه فيما يتعلق بالإمام الحسين عليه السَّلام وحده ثلاث عشرة رواية، ولم يضاهيه في ذلك سوى الواقدي والفضل بن دكين والمدائني، وثانيها: لم يأتِ ابن سعد به مضافاً إلى راوٍ آخر سوى في موضعين، وثالثها: وهو الأمر

(١) ينظر: م.ن: ٦/ ٤٢٢.

(٢) الطوسي، رجال الطوسي: ص٢٣٥.

(٣) الطبقات الكبير: ٨/ ٥٢٢-٥٢٣.

(٤) معرفة الثقات، ١/ ٣٩، و٢/ ١١٤؛ الثقات، ٧/ ١٥٢.

(٥) ينظر: الطبقات الكبير: ٦/ ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦٣، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٩، ٤١٦، ٤١٩.

(٦) ينظر: م.ن: ٦/ ٣٥٨، ٤٠٣.

اللافت للنظر أنَّه أضفى في ترجمته كثيراً من الثناء والتوثيق بقوله: (من أروى أهل زمانه.. وكان ثقةً صدوقاً إنْ شاء الله كثير الحديث حسن للهيئة.. وكان صاحب قرآن)[١].

٥. خالد بن مخلَّد البجلي

خالد بن مخلَّد البجلي، يكنى بأبي الهيثم، توفي بالكوفة (٢١٣هـ) في حكم المأمون، وصفه ابن سعد (وكان متشيعاً... منكر الحديث في التشيع مُفْرطاً، وكتبوا عنه ضرورة)[٢]، بينما وثَّقه العجلي بقوله: (ثقة فيه قليل تشيع)[٣]، وكذلك ابن حبان[٤]، وقيل لا بأس به يكتب حديثه[٥]، ووصفه الذهبي بالقول: (الإمام المحدث... وهو شيعي صدوق يأتي بغرائب وبمناكير)[٦]، فيما ضعَّفه العقيلي[٧].

ومن الملاحظ أنَّ ابن سعد لم يوثّقه ووصفه بأنَّه مفرط في التشيع، وذكر أنَّه يكتب عنه للضرورة، لكنَّه ذكره في عشر روايات عن الإمام الحسين عليه السَّلام بقوله: (أخبرنا خالد بن مخلد)[٨] وفي روايتين (أخبرنا خالد بن مخلد البجلي)[٩]، ولم يأتِ به مضافاً إلى راوٍ آخر سوى في ثلاث روايات[١٠].

---

(١) الطبقات الكبير: ٨/ ٥٢٢-٥٢٣.

(٢) ينظر: م.ن: ٨/ ٥٣٠.

(٣) ينظر: معرفة الثقات: ١/ ٣٣٢.

(٤) ينظر: م.ن: ٨/ ٢٢٤-٢٢٥.

(٥) ينظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ٣/ ٣٥٤. ابن عدي، الكامل: ص٣٤-٣٦.

(٦) تذكرة الحفاظ: ١/ ٤٠٧.

(٧) ينظر: ضعفاء العقيلي: ٢/ ١٥.

(٨) ينظر: الطبقات الكبير: ٦/ ٣٥٤، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٧، ٤١٦، ٤١٧.

(٩) ينظر: م.ن: ٦/ ٣٥٤، ٣٥٦.

(١٠) ينظر: م.ن: ٦/ ٣٥٦، ٤٠٧، ٤١٧.

٦. عفان بن مسلم بن عبد الله البصري

عفان بن مسلم بن عبد الله الصفار البصري، يكنى أبا عثمان، من موالي الأنصار، قدم بغداد وسكن فيها حتى وفاته (٢٢٠هـ)، وهو أحد الذين امتحنهم المأمون بقضيَّة خلق القرآن فأبى أنْ يقول إنَّه مخلوق[١]، وثَّقه ابن سعد وقال عنه: (ثقة ثبتاً كثير الحديث حجة)[٢]، وعدَّه العجلي وابن حبان في الثقات[٣].

أشار محمَّد بن سعد إليه في عشر روايات بقوله: (أخبرنا عفان بن مسلم)[٤]، ومن الملاحظ على ابن سعد جاء بأربع منهن عن عفان بن مسلم مقروناً مع غيره مرة براوٍ واحد وأُخرى براويين وثالثة بثلاثة رواة ورابعة بأربعة رواة[٥]، وهذا دليل على سعة وقدرة ابن سعد على الإتيان بالرواية من وجوه عدَّة، لكنَّه في الوقت نفسه كأنَّه فيه تضعيف للراوي بأنَّه يأتي به مقروناً مع غيره، وربما حذر ابن سعد في قبول بعض الروايات ومن أجل أنْ تكون الرواية أكثر وثاقة ومقبوليَّة، جاء ببعضها بهذا الشكل: (أخبرنا عفان بن مسلم ويحيى بن عباد وكثير بن هشام ومسلم بن إبراهيم وموسى بن إسماعيل.. عن أُمِّ سلمة قالت: سمعت الجن تنوح على الحسين)[٦].

---

(١) ينظر: ابن سعد الطبقات الكبير، ٩/ ٣٣٨. ابن قتيبة، المعارف، ص٥٤٢. البخاري، التاريخ الصغير، ٢/ ٣١٣. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١٢/ ٢٦٤-٢٧٢. المزي، تهذيب الكمال: ٢٠/ ١٦٠-١٧٥.

(٢) ابن سعد الطبقات الكبير: ٩/ ٣٠٠، ٣٣٨.

(٣) العجلي، معرفة الثقات: ١/ ٤١. ابن حبان، الثقات: ٨/ ٥٢٢. ابن عدي، الكامل: ٥/ ٣٨٤-٣٨٥. المزي، تهذيب الكمال: ٢٠/ ١٦٠-١٧٥.

(٤) ينظر: الطبقات الكبير: ٦/ ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤١١، ٤١٨، ٤٥٤، ٤٥٥، ٣٦٤.

(٥) ينظر: م.ن: ٦/ ٤٠٢، ٤١٨، ٤٠٥، ٤٥٤، ٤٥٥.

(٦) م.ن: ٦/ ٤٥٤.

٧. مالك بن إسماعيل بن زياد النهدي

مالك بن إسماعيل بن زياد بن دِرْهم النهدي، أبو غسان الكوفي، توفي عام (٢١٩هـ)، وصفه ابن سعد ثقةً صدوقاً متشيعاً شديد التشيع[١]، وقيل عنه صدوق متقن إمام من الأئمة[٢].

ورد اسمه عند ابن سعد في تسع روايات جاءت بلفظ: (أخبرنا مالك بن إسماعيل)[٣] في ست روايات، وفي روايتين بلفظ: (أخبرنا مالك بن إسماعيل أبو غسان النهدي)[٤] وفي رواية واحدة: (أخبرنا مالك بن إسماعيل النهدي)[٥]، ومن بين تلك الروايات جاء في روايتين إحداهما مضافاً إلى الفضل بن دكين وفي الثانية مضافاً إلى راويين آخرين[٦].

٨. موسى بن إسماعيل المنقري

موسى بن إسماعيل المنقري يكنى أبا سلمة، وهو من أهل البصرة توفي (٢٢٣هـ)[٧]، وعلى قول آخر (٢٢٦هـ)[٨]، وثَّقه ابن سعد بقوله: (كان ثقة كثير الحديث)[٩] ووصف بأنَّه ثقة مأمون، ومن المتقين[١٠]، ورد اسمه عند ابن سعد في ثماني روايات كلُّها جاءت

---

(١) ينظر: الطبقات الكبير: ٨/ ٥٢٨-٥٢٩.

(٢) ينظر: ابن شاهين، تاريخ أسماء الثقات، ٢١٩. المزي، تهذيب الكمال، ٢٤/ ١٧٦.

(٣) ينظر: الطبقات الكبير: ٦/ ٣٥٧، ٤٠١، ٤١٧، ٤٥٣، ٤٥٤.

(٤) ينظر: م.ن: ٦/ ٣٥٨، ٤٥٣.

(٥) ينظر: م.ن: ٦/ ٤١١،

(٦) ينظر: م.ن: ٦/ ٣٥٨، ٤٥٤.

(٧) ينظر: م.ن: ٩/ ٣٠٧.

(٨) ينظر: خليفة بن خياط، طبقات خليفة: ص٣٢٨.

(٩) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٩/ ٣٠٧.

(١٠) ينظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ٨/ ١٣٦. البخاري، التاريخ الصغير، ٢/ ٣٢٠. ابن حبان، الثقات، ٩/ ١٦٠.

بقوله: (أخبرنا موسى بن إسماعيل)[١]، ذكره ابن سعد في ثلاث روايات مضيفاً مرة إلى راوٍ واحد، وفي روايتين إلى ثلاثة رواة[٢].

٩ . محمَّد بن عبد الله بن الزبير بن عمر بن درهم

محمَّد بن عبد الله بن الزبير بن عمر بن درهم، يكنى أبا أحمد الزبيري الأسدي، وهو ليس من ولد الزبير بن العوام، وإنَّما مولى لبني أسد، من أهل الكوفة قَدِمَ بغداد، وتوفي بالأهواز عام (٢٠٣هـ)[٣]، وهو من شيوخ ابن سعد الذين سمع منهم[٤] وصفه ابن سعد بقوله: (وكان صدوقاً كثير الحديث)[٥]، وقال عنه العجلي: (كوفي ثقة وكان يتشيع)[٦]، ورد اسمه عند ابن سعد في ست روايات بلفظ: (أخبرنا محمَّد بن عبد الله الأسدي)[٧]، جاء في ثلاث منهن مضافاً إلى راوٍ واحد[٨].

١٠ . معن بن عيسى القزاز

معن بن عيسى القزاز بن معن بن عيسى، ويكنى أبا يحيى، من أهل المدينة في الطبقة السابعة من التابعين، توفي فيها عام (١٩٨هـ)[٩]، وصفه ابن سعد بقوله: (وكان ثقة كثير

---

(١) ينظر: الطبقات الكبير، ٦/ ٣٨٧، ٤١٨، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٥٤، ٤٥٥.

(٢) ينظر: م.ن: ٦/ ٤٥٥، ٤٥٤، ٤١٨.

(٣) م.ن: ٨/ ٥٢٦. ابن معين، تاريخ ابن معين، ١/ ٣٨٨. البخاري، التاريخ الكبير، ١/ ١٣٣. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣/ ١٩-٢١.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٥٣/ ٦٣.

(٥) الطبقات الكبير: ٩/ ٥٢٦.

(٦) معرفة الثقات: ١/ ٣٨. وينظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ٧/ ٢٩٧. ابن حبان، الثقات: ٩/ ٥٨.

(٧) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٥٨، ٣٦٢، ٣٩١، ٤١٥، ٤١٦، ٨/ ٣١٠.

(٨) م.ن: ٦/ ٣٥٨، ٣٦٢، ٤١٥.

(٩) م.ن: ٧/ ٦١٥. وينظر: البخاري، التاريخ الكبير: ٧/ ٣٩٠. ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ٨/ ٢٧٧-٢٧٨.

الحديث ثبتاً مأموناً)[١]، وهو أحد شيوخه الذي درس على يديه في المدينة[٢].

ورد اسمه عند ابن سعد في أربع روايات بلفظ: (أخبرنا معن بن عيسى)[٣]، وواحدة منهن ورد فيها مضافاً إلى راوٍ آخر (حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ومعن بن عيسى)[٤]، ومن الملاحظ أنَّ ابن سعد استعمل لفظ حدثنا هذه المرَّة.

١١. إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي

إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي، من أهل البصرة كوفي الأصل، عرف بابن علية، ويكنى أبا بشر الأسدي، ولي صدقات البصرة، وولي المظالم ببغداد آخر أيام هارون العباسي، وصف بالعلامة الحافظ، توفي في بغداد عام (١٩٣هـ)[٥]، ترجم له ابن سعد ترجمة وافية ووثَّقه بقوله: (وكان ثقة ثبتاً في الحديث حجة)[٦]، وقيل فيه ثقة ورعاً تقياً[٧].

ورد اسمه فيما خصَّ الإمام الحسين عليه السَّلام عند ابن سعد في أربع روايات جاءت ثلاث منهن بلفظ: (أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدي)[٨]، وواحدة بلفظ (أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم)[٩]، ولم يأتِ به ابن سعد مضافاً إلى أي راوٍ آخر.

---

(١) الطبقات الكبير: ٧/ ٦١٥. وينظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ٨/ ٢٧٧-٢٧٨. ابن حبان، الثقات: ٩/ ١٨١.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٢/ ٣٦٩. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٥٣/ ٦٣.

(٣) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٥٤، ٤١٥.

(٤) م.ن: ٦/ ٤١٧.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبير: ٩/ ٣٢٧- ٣٢٨. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٦/ ٢٢٧-٢٣٨. ابن الجوزي، المنتظم: ٩/ ٢٢٥-٢٢٧. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٩/ ١٠٧- ١٢٠.

(٦) الطبقات الكبير: ٩/ ٣٢٧-٣٢٨.

(٧) ميزان الاعتدال: ١/ ٢١٦-٢٢٠.

(٨) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٦٨، ٤١٠.

(٩) م.ن: ٦/ ٣٨٦.

١٢ . كثير بن هشام

كثير بن هشام ويكنى أبا سهل، وهو من دمشق وسكن بغداد، توفي (٢٠٧هـ)[١]، قال عنه ابن سعد: (ثقة صدوقاً)[٢]، وكذلك قالوا عنه بعض أصحاب الجرح والتعديل[٣].

ورد اسمه في أربع روايات بقوله: (أخبرنا كثير بن هشام)[٤]، جاء في روايتين منهن مضافاً مرَّة إلى ثلاثة رواة، وأُخرى مضافاً إلى أربعة رواة[٥].

١٣ . يحيى بن حماد بن أبي زياد الشيباني

يحيى بن حماد بن أبي زياد الشيباني البصري يكنى أبا بكر، وقيل إنَّه يكنى بأبي محمَّد، توفي (٢١٥هـ)[٦]، وثَّقه ابن سعد والعجلي وابن حبان[٧].

ذكره ابن سعد في أربع روايات بقوله: (أخبرنا يحيى بن حماد)[٨]، ومن الملاحظ على روايات يحيى بن حماد أنَّه لم يأتِ ابن سعد به مضافاً إلى راوٍ آخر ربما لوثاقته وكذلك لقلَّة مروياته عنه.

---

(١) الطبقات الكبير: ٩/ ٣٣٦. البخاري، التاريخ الكبير: ٧/ ٢١٨. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١٢/ ٤٨٠- ٤٨٢.

(٢) م.ن: ٩/ ٣٣٦.

(٣) ابن معين، تاريخ ابن معين: ٢/ ٣٥٧. العجلي، معرفة الثقات: ٢/ ٢٢٥. ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ٧/ ١٥٨. ابن حبان، الثقات، ٩/ ٢٦.

(٤) ينظر: الطبقات الكبير: ٦/ ٤٠٨، ٤١٨، ٤٤٨، ٤٥٤.

(٥) ينظر: م.ن: ٦/ ٤١٨، ٤٥٤.

(٦) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير: ٩/ ٣٠٨. المزي، تهذيب الكمال: ٣١/ ٢٧٦-٢٧٨.

(٧) ينظر: م.ن: ٩/ ٣٠٨. معرفة الثقات، ٢/ ٣٥١. الثقات، ٩/ ٢٥٧.

(٨) ينظر: م.ن: ٦/ ٣٧٣، ٣٨٧، ٤١٩، ٤٢٠.

١٤. يعلى بن عُبيد ابن أبي أُميَّة الكوفي

يعلى بن عُبيد ابن أبي أُميَّة الطنافسي الكوفي ولد عام (١١٧هـ) وتوفي عام (٢٠٩هـ)، يكنى أبا يوسف، عدَّه خليفة بن خياط في الطبقة التاسعة من الكوفيين[١] وصفه ابن سعد بقوله: (وكان ثقةً كثير الحديث)[٢]، روى عنه ابن سعد أربع روايات وردت كلُّها بقوله: (أخبرنا يعلى بن عبيد)[٣]، أضافه في إحداها إلى راويين وفي الثانية إلى راوٍ واحد[٤].

١٥. سعيد بن منصور بن شعبة الخرساني

سعيد بن منصور بن شعبة الخرساني، يكنى أبا عثمان، ولد في خراسان وطاف في المدن والأمصار وتوفي في مكة عام (٢٢٧هـ)[٥]، سكت عنه ابن سعد ولم يوثقه[٦]، بينما وصفه الذهبي الحافظ الثقة ومصنف السنن[٧]، ورد لدى ابن سعد في ثلاث روايات بلفظ: (أخبرنا سعيد بن منصور)[٨]، ورد في إحداها مضافاً إلى راويين[٩].

١٦. سليمان بن حرب الواشحي البصري

سليمان بن حرب الواشحي الأزدي البصري، يكنى أبا أيوب، ولد عام (١٤٠هـ)

(١) طبقات خليفة، ص٢٧١. وينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير: ٨/ ٥٢٠. البخاري، التاريخ الكبير: ٨/ ٤١٩. ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار: ص٢٧٤.

(٢) ينظر: الطبقات الكبرى: ٨/ ٥٢٠. ينظر: العجلي، معرفة الثقات: ١/ ٣٨. الذهبي، ميزان الاعتدال: ٤/ ٤٥٨.

(٣) ينظر: م.ن: ٦/ ٣٥٣، ٤٠٥، ٤١٠، ٤١٧.

(٤) ينظر: م.ن.

(٥) المزي، تهذيب الكمال: ١١/ ٧٧-٨١. الذهبي، تذكرة الحفاظ: ٢/ ٤١٦. الصفدي، الوافي بالوفيات: ١٥/ ١٦٣.

(٦) الطبقات الكبير: ٨/ ٦٣.

(٧) ميزان الاعتدال: ٢/ ١٥٩. والكاشف، ١/ ٤٤٥.

(٨) الطبقات الكبير: ٦/ ٤٠٢، ٣٩١، ٤١٣.

(٩) م.ن: ٦/ ٤٠٢.

وتوفي عام (٢٢٤هـ)، قَدِمَ بغداد وحدَّث بها في قصر المأمون، ولي القضاء في مكة، عاد إلى البصرة حتى توفي فيها[١]، وصفه ابن سعد بقوله: (وكان ثقةً كثير الحديث)[٢]، وكذلك وثّقه العجلي وابن أبي حاتم وابن حبان[٣].

ذكره ابن سعد في ثلاث روايات بقوله: (أخبرنا سليمان بن حرب)[٤]، ورد في إحداها مضافاً إلى راوٍ آخر في رواية تعدُّ من الإعجاز الإلهي، (مُطرنا دماً يوم قتل الحسين)[٥]، والظاهر أنّ ابن سعد أراد التأكيد على وثاقة الرواية فأوردها من طريق آخرَ.

١٧ . عبد الملك بن عمرو العقدي

أبو عامر العقدي عبد الملك بن عمرو من قبيلة بكر بن وائل من أهل البصرة توفي عام (٢٠٤هـ)[٦]، وعلى قول إنَّه توفي عام (٢٢٤هـ)[٧]، وثَّقه ابن سعد[٨]، من ثقات العجلي وابن حبان[٩]، كذلك وصف بأنَّه ثقة صدوق[١٠].

ورد عند ابن سعد في ترجمته للإمام الحسين عليه السَّلام في ثلاث روايات، إحداها بلفظ: (أخبرنا أبو عامر العقدي)[١١]، وفي روايتين بلفظ: (أخبرنا عبد الملك بن عمرو أبو

(١) ينظر: خليفة بن خياط، طبقات خليفة: ص٣٢٨. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٩/ ٣٤-٣٨.

(٢) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير: ٩/ ٣٠١.

(٣) ينظر: معرفة الثقات: ٢/ ٣٥١. الجرح والتعديل: ٩/ ١٣٨. الثقات: ٩/ ٢٥٧.

(٤) ينظر: الطبقات الكبير: ٦/ ٤٠٨، ٤٤٦، ٤٥٥.

(٥) ينظر: م.ن: ٦/ ٤٥٥.

(٦) خليفة بن خياط، طبقات خليفة: ص٢٢٧. البخاري، التاريخ الصغير: ٢/ ٢٧٧.

(٧) ينظر: الطبقات الكبير: ٩/ ٣٠١.

(٨) ينظر: م.ن: ٩/ ٣٠١.

(٩) ينظر: معرفة الثقات: ٢/ ١٠٤. الثقات، ٨/ ٣٨٨.

(١٠) ابن معين، تاريخ ابن معين: ص١٣٧. ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ٥/ ٣٦٠.

(١١) ينظر: الطبقات الكبير: ٦/ ٤٠٥.

عامر العقدي)[١]، وذكره في روايتين مضافاً مرَّة إلى راوٍ واحد ومرة إلى راويين[٢].

١٨ . عبد الله بن نمير بن عبد الله الهمداني

عبد الله بن نمير بن عبد الله بن أبي حية بن سرح الهمداني، يكنى أبا هشام، من أهل الكوفة توفي فيها زمن المأمون عام (١٩٩هـ)[٣]، وصفه ابن سعد بقوله: (وكان ثقة كثير الحديث صدوقاً)[٤]، وقال عنه العجلي: (ثقة صالح الحديث صاحب سنة)[٥].

ورد اسمه عند ابن سعد في ثلاث روايات بلفظ (أخبرنا عبد الله نمير)[٦]، من دون أنْ يأتي مضافاً إلى راوٍ آخر.

١٩ . يحيى بن عباد الضبعي

يحيى بن عباد أبو عباد الضبعي، من أهل البصرة نزل بغداد وحدث بها، روى عنه أحمد بن حنبل توفي عام (١٩٨هـ)[٧]، اختلف فيه أهل الجرح والتعديل فمنهم من وثَّقه ومنهم ضعَّفه[٨].

ورد في ثلاث روايات عند ابن سعد بلفظ: (أخبرنا يحيى بن عباد)[٩]، ومن الملاحظ

(١) ينظر: الطبقات الكبير: ٦/ ٤١٦، ٤٥٤.

(٢) ينظر: م.ن: ٦/ ٤٠٥، ٤٥٤.

(٣) م.ن: ٨/ ٥١٦. البخاري، التاريخ الكبير: ٥/ ٢١٦. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٩/ ١٤٤.

(٤) الطبقات الكبير: ٨/ ٥١٦.

(٥) معرفة الثقات: ٢/ ٦٥. وينظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ٥/ ١٨٦. ابن حبان، الثقات: ٧/ ٦٠.

(٦) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٦٣، ٤٠١، ٤٠٢.

(٧) البخاري، التاريخ الكبير: ٨/ ٢٩٢. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١٤/ ١٥٠-١٥١.

(٨) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ٩/ ١٧٣. ابن حبان، الثقات: ٩/ ٢٥٦.

(٩) ابن سعد، الطبقات الكبير: ٦/ ٤١٦، ٤١٨، ٤٥٤.

أنَّ الروايتين جاء فيهما مضافاً إلى راوٍ واحد في الأُولى، وفي الثانية إلى ثلاثة رواة، والثالثة إلى أربعة رواة.

٢٠. أحمد بن عبد الله بن يونس

أحمد بن عبد الله بن يونس، يكنى أبو عبد الله، مولى بني يربوع، من أهل الكوفة، توفي عام (٢٢٧هـ)[١]، وصفه ابن سعد بقوله: (وكان ثقة صدوقاً صاحب سنة وجماعة)[٢]، ورد اسمه عند ابن سعد في روايتين بلفظ: (أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس)[٣]، ولم يرد اسمه مضافاً إلى راوٍ آخر.

٢١. أحمد بن محمَّد بن الوليد الأزرقي

أحمد بن محمَّد بن الوليد الأزرقي، وثَّقه ابن سعد وقال: هو تابعي في الطبقة الخامسة من المكيين، كثير الحديث[٤]، ورد اسمه عند ابن سعد في روايتين بقوله (أخبرنا أحمد بن محمَّد بن الوليد الأزرقي)[٥].

٢٢. أنس بن عياض الليثي

أنس بن عياض أبو ضمرة الليثي، من أهل المدينة، توفي عام (١٨٠هـ) وعلى قول آخر

---

(١) الطبقات الكبير: ٨/ ٥٢٩. خليفة بن خياط، طبقات خليفة: ١٧٣. البخاري، التاريخ الصغير: ٢/ ٣٢٦.

(٢) م.ن: ٨/ ٥٢٩. وينظر: العجلي، معرفة الثقات: ١/ ٤٠. ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ٢/ ٥٧. ابن حبان، الثقات: ٨/ ٩.

(٣) م.ن: ٦/ ٤١٢ – ٤٥٣.

(٤) م.ن: ٨/ ٦٣. ينظر: ابن مأكولا، إكمال الكمال: ١/ ١٥٢.

(٥) م.ن: ٦/ ٤١٢ – ٤١٣.

(٢٠٠هـ)[١]، ذكره ابن سعد بقوله: (وكان ثقةً كثير الحديث)[٢]، وعدَّه ابن داوود في رجاله[٣]، أورده ابن سعد في روايتين بلفظ: (أخبرنا أنس بن عياض أبو ضمرة الليثي)[٤].

٢٣. سفيان بن عيينة ابن أبي عمران

سفيان بن عيينة ابن أبي عمران، يكنى أبا محمَّد، أصله من أهل الكوفة، ثمَّ نزل والده مكة واستقر فيها، يُعدُّ من حكماء الحديث ومحدِّث الحرم، في الطبقة الخامسة من تابعي مكة توفي فيها عام (١٩٨هـ)[٥]، من شيوخ ابن سعد[٦]، وصفه ابن سعد بقوله: (وكان ثقة ثبتاً كثير الحديث حجة)[٧]، ذكره ابن سعد في روايتين بقوله: (أخبرنا سفيان بن عيينة)[٨].

٢٤. شبابة بن سوار الفزاري

شبابة بن سوار الفزاري المدائني، ويكنى أبا عمرو، أصله من خراسان رحل إلى بغداد وحدث فيها، ثمَّ رحل إلى مكة فأقام فيها حتى وفاته عام (٢٠٥هـ) وعلى قول آخر (٢٠٦هـ)[٩].

---

(١) الطبقات الكبير: ٧/ ٦١٤. ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار: ٢٢٦. المزي، تهذيب الكمال: ٣/ ٣٤٩-٣٥٣.

(٢) م.ن: ٧/ ٦١٤. وينظر: ابن حبان، الثقات: ٦/ ٧٦. الباجي، الجرح والتعديل: ١/ ٣٧٢.

(٣) رجال ابن داوود: ٥٣.

(٤) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٥٤ - ٣٥٦.

(٥) م.ن: ٨/ ٥٩-٦٠. المزي، تهذيب الكمال: ١١/ ١٧٧-١٩٦. الذهبي، تذكرة الحفاظ: ١/ ٢٦٢.

(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٢/ ٣٩٦.

(٧) الطبقات الكبير: ٨/ ٦٠. وينظر: العجلي، معرفة الثقات: ١/ ٤١٧. ابن حبان، الثقات: ٦/ ٤٠٣. الذهبي، ميزان الاعتدال: ٢/ ١٧٠-١٧١.

(٨) م.ن: ٦/ ٣٥٧ - ٣٦٨.

(٩) ينظر: البخاري، التاريخ الكبير: ٤/ ٢٧٠. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٩/ ٢٩٥- ٢٩٩.

قال عنه ابن سعد (وكان ثقةً صالح الأمر في الحديث، وكان مرجياً)[١]، وعلى الرغم من أنَّ البعض وصفه بثقة صدوق إلَّا أنَّهم ذكروا أنَّه لا يحتج به، وأنَّ أحمد بن حنبل تكلَّم فيه، وضعَّفه العقيلي وقال عنه: يدعو للإرجاء[٢].

ورد اسمه عند ابن سعد في روايتين بلفظ: (أخبرنا شبابة بن سوار)[٣]، ولم يأتِ به مضافاً إلى راوٍ آخر في أيٍّ منهما.

٢٥. عارم بن الفضل السدوسي

عارم بن الفضل السدوسي، يكنى أبا النعمان، واسمه محمَّد وعارم لقبه، من أهل البصرة توفي عام (٢٢٤هـ)[٤]، سكت عنه ابن سعد ولم يوثقه وإنَّما ذكر اسمه وكنيته ووفاته[٥]، في حين وصفه العجلي بقوله: (بصري ثقة رجل صالح خولط قبل أن يموت...)[٦]، ورد اسمه عند ابن سعد في روايتين بلفظ: (أخبرنا عارم بن الفضل)[٧].

٢٦. عبد الله بن أبي بكر بن حبيب السهمي

عبد الله بن أبي بكر بن حبيب السهمي، يكنى أبا وهب، من أهل البصرة، سكن بغداد

---

(١) ينظر: الطبقات الكبير: ٩/ ٣٢٢.

(٢) العقيلي، ضعفاء العقيلي، ٢/ ١٩٦. وينظر: العجلي، معرفة الثقات: ١/ ٤٤٧. ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ٤/ ٣٩٢.

(٣) ينظر: الطبقات الكبير: ٦/ ٣٦٩ - ٤١٢.

(٤) خليفة بن خياط، طبقات خليفة: ٣٢٨. ابن قتيبة، المعارف: ٥٢٢.

(٥) الطبقات الكبير: ٩/ ٣٠٦.

(٦) معرفة الثقات: ٢/ ٥.

(٧) الطبقات الكبير: ٦/ ٤٠٩ - ٤١٦.

وحدَّث فيها، توفي فيها عام (٢٠٨هـ)[١]، وثَّقه ابن سعد بقوله: (وكان ثقة صدوقاً)[٢]، ورد اسمه في روايتين بلفظ: (أخبرنا عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي)[٣].

٢٧. عبد الله بن الزبير بن عيسى الأسدي المكي

عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدي الأسدي المكي، في الطبقة الخامسة من التابعين ثقة كثير الحديث، توفي في مكة عام (٢١٩هـ)[٤]، صاحب المسند[٥]، ورد في روايتين عند ابن سعد بلفظ: (أخبرنا عبد الله بن الزبير الحميدي)[٦].

٢٨. عبد الوهاب بن عطاء العجلي

عبد الوهاب بن عطاء العجلي، من شيوخ ابن سعد[٧]، يكنى أبا نصر الخفاف، من أهل البصرة، رحل إلى بغداد واستوطنها ولزم سوق الكرخ حتى وفاته (٢٠٤هـ) وقيل (٢٠٦هـ)[٨]، وصفه ابن سعد بقوله: (وكان كثير الحديث معروفاً صدوقاً إنْ شاء الله)[٩]، وقيل عنه ليس بالقوي وَعُدَّ في الضعفاء والمتروكين[١٠].

---

(١) ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار: ٢٥٦. السمعاني، الأنساب: ٣/ ٣٤٤. المزي، تهذيب الكمال: ١٤/ ٣٤٠-٣٤٤. ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب: ١/ ٤٨١.

(٢) الطبقات الكبير: ٩/ ٣٣٦.

(٣) م.ن: ٦/ ٣٨٤- ٤٠٠.

(٤) م.ن: ٨/ ٦٣. ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ٥/ ٥٦.

(٥) الحميدي، مسند الحميدي: ١/ ١.

(٦) الطبقات الكبير: ٦/ ٤٢٩-٤٣٠.

(٧) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٥٣/ ٦٣.

(٨) ابن سعد، الطبقات الكبير: ٩/ ٣٣٥. خليفة بن خياط، طبقات خليفة: ٣٢٨. البخاري، التاريخ الكبير: ٦/ ٩٨. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١١/ ٢٢-٢٦.

(٩) ابن سعد، الطبقات الكبير: ٩/ ٣٣٥.

(١٠) البخاري، الضعفاء الصغير: ٦/ ٩٨. النسائي، الضعفاء والمتروكين: ٢٠٨. العقيلي، ضعفاء العقيلي: ٣/ ٧٧. ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ٦/ ٧٢.

ذكره ابن سعد في موضعين بلفظ: (أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء)[١]، وفي الأُخرى بلفظ: (حدثنا عبد الوهاب بن عطاء) مضافاً إلى راوٍ آخر[٢].

٢٩. عمرو بن عاصم بن عبد الله البصري

عمرو بن عاصم بن عبد الله البصري، يكنى أبا عثمان، قدِم بغداد وحدَّث فيها، توفي عام (٢١٣هـ)[٣]، وهو من شيوخه[٤]، وثَّقه وعدَّه في البصريين، لكنَّه لم يذكر سوى اسمه وكنيته[٥]، وقيل عنه ثقة صالح[٦]، ورد اسمه في ترجمة ابن سعد للإمام الحسين عليه السَّلام في روايتين بلفظ: (أخبرنا عمرو بن عاصم الكلابي)[٧]، ذكره في إحداهما مضافاً إلى راوٍ آخر[٨].

٣٠. محمَّد بن حميد العبدي

محمَّد بن حميد العبدي، كوفي، من أصحاب الإمام الصادق عليه السَّلام[٩]، ذكره ابن سعد في روايتين بلفظ: (أخبرنا محمَّد بن حميد العبدي)[١٠].

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبير: ٦/ ٤٠١.

(٢) م.ن: ٦/ ٤١٧.

(٣) ينظر: البخاري، التاريخ الكبير: ٦/ ٣٥٥. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١٢/ ١٩٩.

(٤) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٥٣/ ٦٣.

(٥) ينظر: الطبقات الكبير: ٩/ ٣٠٧.

(٦) ينظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ٦/ ٢٥٠. ابن حبان، الثقات: ٨/ ٤٠٨.

(٧) ينظر: الطبقات الكبير: ٦/ ٤٠٥، ٤٥٥.

(٨) ينظر: م.ن: ٦/ ٤٠٥.

(٩) الطوسي، رجال الطوسي: ٢٨١. الخوئي، رجال الخوئي: ١٧/ ٥٣. الشبستري، الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق عليه السَّلام: ٣/ ٦٣.

(١٠) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٥٣، ٤٠٧.

٣١. محمَّد بن عبد الله بن المثنى الأنصاري

محمَّد بن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصاري، يكنى أبا عبد الله، من أهل البصرة، تولى قضاء بغداد زمن هارون العباسي، ثمَّ ولي قضاء البصرة زمن المأمون، ثمَّ عزل وبقي يحدِّث في البصرة حتى وفاته (٢١٥هـ)[١]، وصفه ابن سعد بقوله: (وكان صدوقاً)[٢]، عدَّه العقيلي في الضعفاء[٣]، فيما وصفه آخرون بأنَّه (صدوق ثقة)[٤].

ورد اسمه عند ابن سعد في ترجمة الإمام الحسين عليه السَّلام في روايتين بلفظ: (أخبرنا محمَّد بن عبد الله الأنصاري)[٥]، جاء في إحداهما مضافاً إلى راوٍ آخر[٦].

٣٢. محمَّد بن عبيد ابن أبي أُميَّة الطنافسي

محمَّد بن عبيد ابن أبي أُميَّة الطنافسي وهو أخو يعلى بن عبيد الكوفي، ويكنى أبا عبد الله، نزل بغداد وعاش مدَّة طويلة، ثمَّ رجع إلى الكوفة وتوفي فيها عام (٢٠٤هـ)[٧].

وصفه ابن سعد بقوله: (ثقة كثير الحديث، وكان صاحب سنة وجماعة)[٨]، في حين وصفه العجلي بالقول: (كوفي ثقة، وكان عثمانياً)[٩]، وصفه الذهبي بقوله: (صدوق

(١) الطبقات الكبير: ٩/ ٢٩٦؛ ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار: ٢٥٧. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٣/ ٢٥-٢٩.

(٢) الطبقات الكبير: ٩/ ٢٩٦.

(٣) ضعفاء العقيلي: ٤/ ٩٠-٩١.

(٤) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ٧/ ٣٠٥. ابن حبان، الثقات: ٧/ ٤٤٣.

(٥) ينظر: الطبقات الكبير: ٦/ ٤٥٢، ٤٥٤.

(٦) ينظر: م.ن: ٦/ ٤٥٤.

(٧) م.ن: ٨/ ٥٢٠.

(٨) م.ن.

(٩) معرفة الثقات: ٢/ ٢٤٧.

مشهور)[١]، بينما ضعفه أصحاب الجرح والتعديل بالقول: (كان محمَّد يخطئ ولا يرجع عن خطأه، وكان يظهر السُّنَّة)[٢].

ورد اسمه عند ابن سعد في روايتين جاءت الأُولى بلفظ: (أخبرنا محمَّد بن عبيد)[٣]، وفي الرواية الثانية مضافاً إلى أخيه بلفظ: (أخبرنا يعلى ومحمَّد ابنا عبيد)[٤].

٣٣. مسلم بن إبراهيم الأزدي البصري

مسلم بن إبراهيم الأزدي البصري، وكنيته أبو عمرو، وكان يعرف بالشحام، توفي عام (٢٢٢هـ)، وهو في الطبقة السابعة من تابعي البصرة، ثقة كثير الحديث[٥].

ذكره ابن سعد في روايتين بلفظ (أخبرنا مسلم بن إبراهيم)[٦]، جاء في إحداهما مضافاً إلى أربعة رواة[٧].

٣٤. هوذة بن خليفة بن عبد الله بن عبد الرحمن

هوذة بن خليفة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكرة، يكنى أبا الأشهب، من أهل البصرة ولد عام (١٢٥هـ)، سكن بغداد وتوفي فيها عام (٢١٦هـ) في حكم المأمون العباسي[٨].

---

(١) ميزان الاعتدال: ٣/ ٦٣٩.

(٢) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ٨/ ١٠-١١. الباجي، التجريح والتعديل: ٢/ ٧٢٤.

(٣) الطبقات الكبير: ٦/ ٤١٧.

(٤) م.ن: ٦/ ٤١٧.

(٥) م.ن: ٩/ ٣٠٥.

(٦) م.ن: ٦/ ٤٤٥.

(٧) م.ن: ٦/ ٤٥٤.

(٨) ينظر: م.ن: ٩/ ٣٤١. ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار: ٢٥٧. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١٤/ ٩٥-٩٨.

ورد اسمه في ترجمة ابن سعد للإمام الحسين عليه السَّلام في روايتين بلفظ: (أخبرنا هوذة بن خليفة)[١]، ومن الملاحظ أنَّ ابن سعد لم يأتِ به مضافاً في كلتا الروايتين.

٣٥. وهب بن جير بن حازم الأزدي

وهب بن جرير بن حازم الأزدي، ويكنى أبا العباس، من أهل البصرة، توفي عند عودته من الحج على بعد ستة أميال من البصرة فحمل ودفن فيها[٢].

وثَّقه ابن سعد لكنَّه قال تكلَّم فيه عفان بن مسلم[٣]، وخطَّأه ابن أبي حاتم[٤]، وعدَّه العقيلي في الضعفاء[٥].

ورد عند ابن سعد في روايتين بلفظ: (أخبرنا وهب بن جرير)[٦]، جاء في إحداهما مضافاً إلى راوٍ آخر[٧].

ب: منهجيته بشكل عام

تضمن كتاب الطبقات الكبير قسمين متباينين من حيث الحجم، فخصص القسم الأَوَّل للرجال وهو الجلُّ الأعظم من الكتاب، والقسم الثاني هو للنساء ويقع القسم الأَوَّل في تسعة أجزاء:

---

(١) ينظر: الطبقات الكبير: ٦/ ٤٠١، ٤٠٢.

(٢) ينظر: م.ن: ٩/ ٢٩٩. خليفة بن خياط، طبقات خليفة: ٢٢٧. البخاري، تاريخ الكبير: ٨/ ١٩٦.

(٣) م.ن: ٩/ ٢٩٩. وينظر: العجلي، معرفة الثقات: ٢/ ٣٤٤. ابن عدي، الكامل: ٧/ ٦٨.

(٤) ينظر: الجرح والتعديل: ٨/ ٢٨.

(٥) ينظر: ضعفاء العقيلي: ٤/ ٢٢٤.

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبير: ٦/ ٤٠٢، ٤١٦.

(٧) م.ن: ٦/ ٤١٦.

خصص ابن سعد الجزأين الأوَّل والثاني في السيرة النبويَّة للرسول صلَّى الله عليه وآله، فذكر ولادته ونشأته وبعثته وهجرته وصفاته وغزواته وسراياه ووفادة العرب، وتناول مرضه ووفاته ودفنه، كذلك ذكر قضاته ومن كان يفتي بالمدينة في عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وأصحاب رسول الله ومن أبناء المهاجرين والأنصار وغيرهم[١].

أمَّا الأجزاء السبعة المتبقية من هذا القسم تناول فيها الصحابة والتابعين وتابعي التابعين من الفقهاء والمحدثين وغيرهم حتى عصره، وقسم الصحابة إلى خمس طبقات مراعياً في ذلك الأسبقيَّة في الإسلام والنسب، وكأنَّه نحا منحى تقسيم عمر بن الخطاب في العطاء.

تضمنت الطبقة الأُولى: أهل بدر من قريش، فذكر بني هاشم أوَّلاً مبتدئاً بالرسول صلَّى الله عليه وآله، ثمَّ بني عبد شمس، وهكذا إلى أن أتمَّ قريشاً ثمَّ بدأ بالأنصار مبتدئاً بالأوس ثمَّ الخزرج، وختم تلك الطبقة بالنقباء الذين حضروا بيعة العقبة[٢].

أمَّا الطبقة الثانية: وهم الذين لم يشهدوا بدراً ولهم إسلام قديم وهاجر عامتهم إلى الحبشة وشهدوا أُحداً وما بعدها من المشاهد[٣].

بينما ذكر في الطبقة الثالثة المهاجرين والأنصار ممَّن شهد الخندق وما بعدها ممَّن اعتنق الإسلام بين معركة الخندق وفتح مكَّة المكرمة[٤].

وتناول في الطبقة الرابعة: الذين أسلموا عند فتح مكة وما بعدها وهي آخر طبقات

(١) ينظر: الطبقات الكبير: ١/ ٤-٤٣٦، و٢/ ٥-٣٤٢.

(٢) ينظر: م.ن: ٣/ ٥-٥٧٨.

(٣) ينظر: م.ن: ٤/ ٥-٤٠٥.

(٤) ينظر: م.ن: ٥/ ٥-٣٩٧.

الأكابر من أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله حسب منهجية ابن سعد[١].

أمَّا الطبقة الخامسة والتي وقعت مادة الدراسة ضمنها، خصصها للذين توفي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وهم أحداث الأسنان ولم يغزُ أحدٌ منهم معه، وذكر في نهايتها وهي آخر طبقات أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله تتلوها طبقات التابعين[٢].

ثمَّ ذكر التابعين وتابعي التابعين والفقهاء والمحدثين وغيرهم إلى عصره حسب أمصارهم ومدنهم، ومن الجدير بالذكر أنَّه في أثناء ترجمته لهم يبتدئ بذكر الصحابة الذين نزلوا تلك الأمصار والمدن عدا المدينة المنورة، وهو بذلك ترجم لبعض الصحابة أكثر من مرَّة، لكنَّه راعى في ذلك حجم ترجمته لهم بذكر ترجمة مقتضبة نوعاً ما، فعلى سبيل المثال ترجم للإمام عليٍّ عليه السَّلام مع الكوفيين ترجمة مقتضبة جداً إذا ما قورنت مع ترجمته في الطبقة الأُولى[٣].

وقد رتب هؤلاء التابعين ومن بعدهم على النحو التالي المدينة المنورة، وقسمهم على سبع طبقات[٤]، ومكَّة المكرمة على خمس طبقات[٥]، والطائف[٦]، وفي اليمن قسمهم على أربع طبقات[٧]، واليمامة[٨]، والبحرين[٩]، وقسم الكوفيين على تسع طبقات[١٠]،

(١) ينظر: الطبقات الكبير: ٦/ ٥-٣١٩.
(٢) ينظر: م.ن: ٦/ ٣٢٠- ٥٦٦.
(٣) ينظر: م.ن: ٣/ ١٧-٣٨؛ ٨/ ١٣٤.
(٤) ينظر: م.ن: ٧/ ٥-٦٢٠.
(٥) ينظر: م.ن: ٨/ ٥-٦٣.
(٦) ينظر: م.ن: ٨/ ٦٤- ٨٢.
(٧) ينظر: م.ن: ٨/ ٨٣- ١٠٩.
(٨) ينظر: م.ن: ٨/ ١١٠-١١٧.
(٩) ينظر: م.ن: ٨/ ١١٨-١٢٧.
(١٠) ينظر: م.ن: ٨/ ١٢٨- ٥٤٢.

وأمَّا البصريون فقسمهم على ثماني طبقات[١]، وواسط[٢]، والمدائن[٣]، وبغداد[٤]، وخراسان[٥]، والري[٦]،

وهمدان[٧]، وقم[٨]، والأنبار[٩]، وقسم مَن في الشام على ثماني طبقات[١٠]، والجزيرة[١١]، والعواصم والثغور[١٢]، وقسمهم في مصر على ست طبقات[١٣]، وأيلة[١٤][١٥]، وإفريقيا[١٦]، والأندلس[١٧]، ومن الملاحظ التفاوت الكبير بين الذين ترجم لهم في هذه الأمصار والمدن فربما اقتصرت ترجمته على فقيه أو محدِّث واحد مثل همدان وإفريقيا والأندلس.

---

(١) ينظر: الطبقات الكبير: ٩/ ٥-٣١١.

(٢) ينظر: م.ن: ٩/ ٣١٢- ٣١٨.

(٣) ينظر: م.ن: ٩/ ٣١٩- ٣٢٢.

(٤) ينظر: م.ن: ٩/ ٣٢٣-٣٦٨.

(٥) ينظر: م.ن: ٩/ ٣٦٩- ٣٨٣.

(٦) ينظر: م.ن: ٩/ ٣٨٤-٣٨٥.

(٧) ينظر: م.ن: ٩/ ٣٨٦.

(٨) ينظر: م.ن: ٩/ ٣٨٦.

(٩) ينظر: م.ن: ٩/ ٣٨٧.

(١٠) ينظر: م.ن: ٩/ ٣٨٨-٤٨٠.

(١١) ينظر: م.ن: ٩/ ٤٨١-٤٩٣.

(١٢) ينظر: م.ن: ٩/ ٤٩٤-٤٩٨.

(١٣) ينظر: م.ن: ٩/ ٤٩٩-٥٢٧.

(١٤) وهي مدينة على ساحل بحر القلزم مَّما يلي بلاد الشام، وقيل هي آخر الحجاز وأوَّل الشام، كانت مدينة عامرة، سكنها اليهود وهم الذين حرم الله عليهم الصيد في السبت فخالفوه. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ١/ ٢٩٢.

(١٥) ينظر: الطبقات الكبير: ٩/ ٥٢٨-٥٢٩.

(١٦) ينظر: م.ن: ٩/ ٥٣٠.

(١٧) ينظر: م.ن.

أمَّا القسم الثاني وهو قسم النساء وجاء في الجزء العاشر، فتضمن ترجمة ستمائة وسبع وعشرين امرأة من نساء المسلمين، بدأه بالحديث عن زوجات الرسول صلَّى الله عليه وآله وبناته وبنات عمِّه، ثمَّ ذكر النساء المهاجرات من قريش، ثمَّ غرائب النساء من العرب المهاجرات المبايعات، ثمَّ نساء الأنصار النساء اللواتي لهن رواية عن أزواجه وغيرهن[1].

ج: منهجيته في ترجمة الإمام الحسين عليه السَّلام

جاءت ترجمته للإمام عليه السَّلام ضمن الطبقة الخامسة والتي قال عنها ابن سعد: (وهم الذين توفي النبيُّ صلى الله عليه - وآله - وسلَّم وهم أحداث الأسنان...)[2]، وضمت ترجمة خمسةٍ وأربعين صحابياً حسب منهجيته، ذكر في نهايتها قوله: (آخر الطبقة الخامسة وهي آخر طبقات أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم تتلوها طبقات التابعين)[3]، وتميزت تراجم هذه الطبقة بشبه المطوَّلة في أغلب تراجمها.

وبعد أنْ ترجم ابن سعد لسبعة من هذه الطبقة[4]، وردت ترجمته للإمام عليه السَّلام بعد الإمام الحسن المجتبى عليه السَّلام مباشرةً وهي أطول ترجمة في هذه الطبقة، ولم تُضاهيها سوى ترجمة الإمام الحسن عليه السَّلام، وقريباً من ذلك ترجمة عبد الله بن العباس، ومن الجدير بالذكر أنَّ هناك بعض الروايات التي تخص الإمام الحسين عليه السَّلام كانت من ضمن ترجمته للإمام الحسن عليه السَّلام، وكذلك وقع بعضها في ثنايا

---

(١) ينظر: الطبقات الكبير: ١٠/ ٥-٤٥٩. للمزيد من التفاصيل ينظر: هادي، ابن سعد ومنهجه في كتاب الطبقات: ٢ وما بعدها.

(٢) م.ن: ٦/ ٣١٩.

(٣) م.ن: ٦/ ٥٦٦.

(٤) وهم عبد الله بن العباس وعبيد الله بن العباس وقثم بن العباس ومعبد بن العباس وكثير بن العباس وتمام بن العباس والحسن بن علي عليه السلام. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير: ٦/ ٣٢٠-٣٩٩.

كتاب الطبقات الكبير في مختلف أجزائه.

جاءت ترجمته للإمام الحسين عليه السَّلام مستعملاً أُسلوب المحدثين بذكر سند الرواية، فكان الأعم الأغلب فيها لفظ (أخبرنا)، وكما أشرنا في ذكر موارده، واستعمل لفظة (حدثنا)[١]، في موضعين، بينما استعمل في ستة مواضع لفظ: (قالوا)[٢]، وكذلك لما ذكر رثاء الشعراء للإمام عليه السَّلام استعمل في أكثر من موضع لفظ: (قال)[٣].

أمَّا منهجيته في ترجمة الإمام عليه السَّلام فبدأ باسمه ونسبه وولادته، ثمَّ ذكر أبناءه معرجاً على نسائه، بعدها تطرق لولادته ورضاعته ذاكراً موقف أُمِّ الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب في رضاعته، وما دار بشأن ذلك بين الرسول صلَّى الله عليه وآله وبينها، ثمَّ تطرق ابن سعد لمحبة الرسول له، وعرج على موقف أُمّ سلمة ذاكراً حديث الكساء وحديث المباهلة وغيره من الأحاديث التي أوضحت حبَّ الرسول صلَّى الله عليه وآله للحسن والحسين عليهما السَّلام، ثمَّ تطرق ابن سعد لموقف عمر بن الخطاب من الحسن والحسين عليهما السَّلام بعدها ذكر أقوال بعض الشخصيات التي عاصرتهم بحقهما أمثال عبد الله بن عمر بن الخطاب وأبي هريرة وعبد الله بن عباس.

ثمَّ ذكر بعض أعماله العباديَّة في مكَّة والمدينة وذكر دعاءه، وأفرد لذلك عنواناً مع أنَّه لم يذكر سوى دعاءٍ واحدٍ له، وذكر بعض مواقفه الاجتماعيَّة، ومنها موقفه من بعض زيجات بني هاشم، ثمَّ استطرد في ذكر لباسه وخضابه، وأورد ذلك في أكثر من رواية ومن وجوه عدَّة.

---

(١) ينظر: الطبقات الكبير: / ٤٠٧، ٤١٧.

(٢) ينظر: م.ن: ٦/ ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٤٦، ٤٣١، ٤٥٦.

(٣) ينظر: م.ن: ٦/ ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠.

وخصص حيزاً واضحاً من ترجمته له عليه السَّلام للإخبار عن استشهاده، فروى ما أخبر به الرسول صلَّى الله عليه وآله عن ذلك في روايات عدَّة ومن طرقٍ ووجوهٍ متعددة، ثمَّ ذكر أخبار الإمام عليٍّ عليه السَّلام كذلك، وإخبار الحسين عليه السَّلام نفسه عمَّا يجري عليه.

وخصص ابن سعد حيزاً كبيراً من ترجمة الإمام عليه السَّلام تحت عنوان (مقتل الحسين بن عليٍّ صلوات الله عليهما وسلامه)[1]، واستعمل لأوَّل مرَّة الأُسلوب الجمعي في رواياته بعد أنْ كان حريصاً جداً على ذكر أسانيد جميع الروايات المتقدمة، بينما ذكر هذه المرَّة إسناده عن محمَّد بن عمر الواقدي وذكر أسانيده، وعليّ بن محمَّد المدائني وذكر كذلك أسانيده، ثمَّ قال: (وغير هؤلاء حدثني في هذا الحديث بطائفة، فكتبت جوامع حديثهم في مقتل الحسين رحمة الله عليه ورضوانه وصلواته وبركاته)[2]، واستمر حتى نهاية ترجمته.

وعندما يخرج في الحديث عن مقتل الإمام الحسين عليه السَّلام بذكر بعض الروايات المسندة التي غالباً ما يعزز بها رواياته يضع عنواناً آخر (رجع الحديث إلى الأوَّل)[3]، في الإشارة لرجوعه لإسناده الجمعي في مقتل الحسين عليه السَّلام.

فبدأ حديثه عن مقتل الإمام عليه السَّلام ببيعة معاوية ليزيد لعنهما الله ورفض الإمام عليه السَّلام لذلك، وقدوم وفد من أهل الكوفة في حياة معاوية لعنه الله له عليه السَّلام، ثمَّ ذكر بعض المراسلات بينه عليه السَّلام وبين معاوية لعنه الله، بعدها تناول هلاك

---

(١) الطبقات الكبير: ٦/ ٤٢١.

(٢) م.ن: ٦/ ٤٢٢.

(٣) م.ن: ٦/ ٤٢٣، ٤٣١، ٤٤٦، ٤٤٨، ٤٥٦.

معاوية وتولي يزيد لعنهما الله الحكم، وكيف كتب إلى والي المدينة يأمره بأخذ البيعة من الإمام الحسين عليه السَّلام، وكيفية خروجه عليه السَّلام من المدينة إلى مكة، ثمَّ بدأ بذكر الناصحين له، واستمر في ذكرهم فتناول مَن لقيه من الناصحين وهو في طريقه إلى الكوفة، بعدها رجع إلى الحديث الأوَّل فذكر إرسال الإمام عليه السَّلام لمسلم بن عقيل سلام الله عليه، وكيف تغيرت الأوضاع بالكوفة بتغيير واليها من قبل يزيد بن معاوية لعنه الله، ثمَّ تطرق إلى ما جرى لمسلم بن عقيل وموقف هاني بن عروة رضوان الله تعالى عليهما منه وكيف كان مصيرهما.

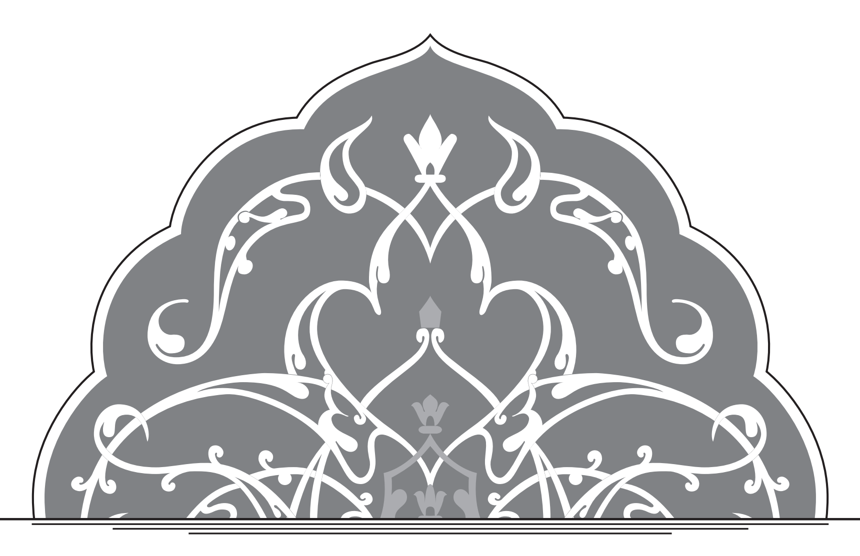
بعد ذلك تناول ابن سعد مسيرة الإمام عليه السَّلام إلى الكوفة وكيفيَّة لقائه بجيش الحر وما جرى بينهما، ثمَّ ذكر كيفيَّة وصوله إلى كربلاء، ثمَّ تطرق لحوار الإمام عليه السَّلام مع أهل الكوفة قبيل يوم عاشوراء وعرج ابن سعد على الموقف داخل الكوفة، وكيف أنَّ عبيد الله بن زياد عسكر في النخيلة ووجه العساكر والجيوش لقتال الإمام عليه السَّلام.

ثمَّ ذكر الليلة التي سبقت يوم العاشر من المحرم ومخاطبته أهل بيته وأصحابه، بعدها ذكر خطبته لمعسكر جيش عمر بن سعد وكيف أنَّ الحر الرياحي انحاز لمعسكر الحسين عليه السَّلام، بعدها ساق مجريات المعركة، ثمَّ ذكر المستشهدين من آل محمَّد، والناجين من معسكر الحسين عليه السَّلام، وما جرى على معسكره عليه السَّلام من سلب ونهب وسبي، وذكر وصول أُسرة الحسين عليه السَّلام للكوفة، ومن ثمَّ وصول مبعوث يزيد يأمر ابن زياد بحمل أُسرته إلى الشام، فذكر ما جرى بينهم وبين يزيد، ثمَّ ذكر كيفيَّة رجوعهم إلى المدينة، معرجاً على قيام يزيد ببعث رأس الإمام عليه السَّلام إلى المدينة، وما جرى فيها على إثر وصوله وكيفيَّة دفنه.

كذلك تطرق ابن سعد لكيفيَّة تلقي ابن عباس خبر استشهاد الإمام عليه السَّلام وما جرى إثر ذلك من كلام بين عبد الله بن الزبير وبينه وحديث المسور بن مخرمة بهذا الشأن، وكذلك ذكر موقف أُمِّ سلمة وغيرها من الشخصيات، لكنَّه لم يتقيد بالموقع الجغرافي لتلك الشخصيات، فذكر مواقف بعض الكوفيين وغيرهم، ثمَّ ذكر الإعجاز الإلهي وبعض المخاريق التي حدثت على إثر استشهاده، من نَوح الجن عليه، والحمرة في أُفق السماء، ثمَّ ذكر موقف التوابين وما آل إليه مصيرهم بشكل مختصر، ثمَّ ذكر رثاء بعض الشعراء له، وختم ترجمته له بالقول: (آخر مقتل الحسين بن عليٍّ رحمه الله ورضى الله عنه وعن أبيه وأخيه وذويه، وصلَّى الله على سيدنا محمَّد نبيه وآله...)[1].



(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٦٠.



الفصل الأوّل:

الأبعاد الاجتماعيَّة والعبادية والسياسيَّة في شخصيَّة الإمام الحسين عليه السَّلام

المبحث الأوَّل: الأبعاد الاجتماعيَّة.

المبحث الثاني: الأبعاد العباديَّة.

المبحث الثالث: الأبعاد السياسيَّة من عصر الرسالة حتى استشهاد الإمام الحسن عليه السَّلام.



المبحث الأَوَّل: الأبعاد الاجتماعيَّة

أَوَّلاً: ولادته عليه السَّلام

لم تكن ولادة الإمام الحسين عليه السَّلام أمراً عادياً كونه سبط رسول الله صلَّى الله عليه وآله وابن وصيه الإمام عليٍّ عليه السَّلام، فضلاً عمَّا علَّمه رسول الله صلَّى الله عليه وآله ما تؤول إليه أُموره، ودوره في ديمومة الإسلام وقيمه ومبادئه، ولكونه عليه السَّلام من أعظم الشخصيات التي مارست دوراً رئيساً ومهماً في المجتمع الإسلامي، دأب أغلب المؤرخين - على الرُغم من اختلاف مذاهبهم ومشاربهم - في الخوض في أدق تفاصيل حياته؛ ولذلك نجد ابن سعد أولى اهتماماً كبيراً لبعض جوانبه الاجتماعيَّة، فابتدأ ترجمته له عليه السَّلام بقوله: (الحسين بن عليٍّ رضي الله عنهما ابن عليٍّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصي ويكنى أبا عبد الله، وأُمُّه فاطمة بنت رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم، وأُمُّها خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قُصي.

علقت فاطمة رضي الله عنها بالحسين لخمس ليالٍ خلون من ذي القعدة سنة ثلاث من الهجرة، فكان بين ذلك وبين ولاد الحسن خمسون ليلة، وولد الحسين في ليالٍ خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة)[1].

ذهب المؤرخون[2] إلى ما ذهب إليه ابن سعد في نسبه وكنيته وأنَّ ولادته عليه السَّلام

---

(١) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٩٩.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٢/ ٣٢. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٧١. الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٢/ ٢٢٦. ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد: ٥/ ١٢٩. المسعودي، التنبيه والإشراف: ٢١٣. ومروج الذهب: ٢/ ٣٠٥. أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٨٤. ابن حبان: ١/ ٢٤٤. الطبراني، المعجم الكبير: ٣/ ١١٧. المفيد، الإرشاد: ١٨٩. الطوسي، مصباح المتهجد: ٨٥٢؛ الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد: ١/ ١٥١. السمعاني، الأنساب: ٣/ ٤٧٦. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٤/ ٢٥٧. ابن الجوزي، المنتظم: ٣/ ٢٠٤. ابن الأثير، أسد الغابة: ٢/ ٢٥. النويري، نهاية الأرب: ١٦/ ٤٠٠. الذهبي، سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٨٠. الصفدي، الوافي بالوفيات: ١٢/ ٢٦٢. المقريزي، إمتاع الأسماع: ١/ ١٩٦.

كانت في شعبان سنة (٤هـ)، لكنَّ الشيخ الكليني وابن عبد البر ذكرا أنَّه ولد سنة (٣هـ)[١]، ومنهم من ذهب إلى أنَّ ولادته سنة (٦هـ)[٢].

وعلى الرغم ممَّا ذُكر بشأن ولادته عليه السَّلام إلَّا أنَّ أرجح الروايات هي ولادته سنة (٤هـ)، وذلك لشبه إجماع المؤرخين عليها، فضلاً عن الربط بين ولادته وولادة الإمام الحسن عليه السَّلام الذي كان أسنَّ منه بسنة[٣]، وهناك من استدل بولادة الإمام الحسين عليه السَّلام عن عمره يوم استشهاده، فذكر اليعقوبي (وكانت سنُّ الحسين يوم قتل ستاً وخمسين سنة، وذلك أنَّه ولد في سنة ٤ من الهجرة)[٤].

ثانياً: تسميته وحلق رأسه والعق عنه عليه السَّلام

اختلفت الروايات في كيفيَّة تسمية الإمام عليه السَّلام، ولذلك نجد ابن سعد ذكر عشر روايات بشأنها: فأورد ثلاث روايات بطرق مختلفة عن الإمام جعفر الصادق عن أبيه الإمام الباقر عليهما السَّلام، الأُولى: (أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم سمّى حسناً وحسيناً يوم سابعهما واشتق اسم حسين من حسن)[٥]، بينما ذكر في الثانية والثالثة: (أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم سمّى حسناً وحسيناً يوم سابعهما)[٦].

---

(١) الكافي الشريف: ١/ ٤٦٣. الاستيعاب: ١/ ٣٩٢.

(٢) ابن العديم، بغية الطلب: ٦/ ٢٥٦٢.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ٣٥٩. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١/ ١٥١.

(٤) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٧١. للمزيد من التفاصيل عن ولادته ينظر: البو هلالة، الإمام الحسين بن عليٍّ عليهما السَّلام: ٩٩-١١٥.

(٥) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٥٦.

(٦) م.ن: ٦/ ٣٥٦.

ثمَّ ذكر رواية رابعة (قال عليٌّ عليه السَّلام: (كنت رجلاً أحبُّ الحرب فلمَّا ولد الحسن هممت أن أُسميه حرباً فسماه رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم الحسن)، قال: (فلمَّا ولد الحسين هممت أنْ أُسميه حرباً لأنِّي كنت أحبُّ الحرب وسمّاه رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلَّم الحسين) وقال: (إنِّي سميت ابنيَّ هذين باسمي ابني هارون شبراً وشبيراً))[(١)].

وذكر رواية خامسة بسنده عن الإمام عليٍّ عليه السَّلام قال: (لمَّا ولد الحسن سميته حرباً فجاء رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم فقال: أروني ابني، ما سميتموه؟ قلنا حرباً قال: بل هو حسن، فلمَّا ولد الحسين سميته حرباً فجاء رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم فقال: أروني بني ما سميتموه؟ قلنا حرباً قال: بل هو حسين، فلمَّا ولد الثالث سميته حرباً فجاء رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم) فقال: أروني ابني، ما سميتموه؟ قلنا حرباً قال: بل هو محسن، ثمَّ قال: سميتهم بأسماء ولد هارون شبراً وشبيراً ومشبراً)[(٢)].

وعلى هذا المنوال جاءت روايته السادسة فذكر: (لمَّا ولد الحسن سماه عليٌّ حرباً قال: وكان يعجبه أنْ يكنى أبا حرب، فقال رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم: (ما سميتم ابني؟)، قالوا: حرباً، فقال: (ما شأن حرب هو حسن)، فلمَّا ولد حسين سمَّاه عليٌّ حرباً، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم: (ما سميتم ابني؟)، قالوا حرباً، فقال: (ما شأن حرب هو حسين)، فلمَّا ولد الثالث سميته حرباً، فقال رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم: (ما سميتم ابني؟)، قلنا حرباً، فقال: (ما شأن حرب هو محْسِن أو مُحَسن)[(٣)].

---

(١) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٥٦. ينظر: الطبراني، المعجم الكبير: ٣/ ٩٧.

(٢) م.ن: ٦/ ٣٥٦.

(٣) م.ن: ٦/ ٣٥٦- ٣٥٧.

الرواية السابعة عن النبيِّ صلَّى الله عليه – وآله – وسلَّم أنَّه قال: «**سميتهما باسم ابني هارون يعني الحسن والحسين شبراً وشبيراً**»[١]، وفي روايته الثامنة أنَّ أسماءهم لم تكن من أسماء الجاهليَّة فذكر: (الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة، لم يكونا في الجاهلية)[٢].

الرواية التاسعة ذكر فيها (... أنَّ علياً عليه السَّلام لَّما ولد ابنه الأكبر سمّاه بعمِّه حمزة، ثمَّ ولد ابنه الآخر فسمَّاه بعمِّه جعفر، قال، فدعاني النبيُّ صلَّى الله عليه – وآله – وسلَّم أن قد أُمرت أن أُغير اسمي ابني هذين، قال: «**قلت الله ورسوله أعلم**» قال: «**فسماهما حسناً وحسيناً**»)[٣].

الرواية العاشرة (... ولَّما ولدت فاطمة حسناً أتت به النبيَّ صلَّى الله عليه – وآله – وسلَّم فسماه حسناً، فلمّا ولدت حسيناً أتت به النبيَّ صلَّى الله عليه – وآله – وسلَّم فقال: «**هذا أحسن من هذا**»، فشقَّ له من اسمه فقال: «**هذا حسين**»)[٤].

ذهب العديد من المؤرخين إلى أنَّ الإمام عليّاً عليه السَّلام سمَّى أولاده حرباً، لكنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله غيّرهما وسمَّاهم الحسن والحسين عليهما السَّلام، وأنَّهما سُمّيا بأسماء أولاد نبيِّ الله هارون على نبيّنا وآله وعليه السَّلام شبر وشبير[٥].

---

(١) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٥٧.

(٢) م.ن.

(٣) م.ن.

(٤) م.ن: ٦/ ٣٥٧.

(٥) ابن إسحاق، السيرة والمغازي: ٢٤٧. أحمد بن حنبل، مسند أحمد: ١/ ٩٨. البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ٣٦١. الطبراني، المعجم الكبير،: ٣/ ٩٧. القاضي النعمان، شرح الأخبار: ٣/ ٨٩. الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين: ١٦٥. ابن عبد البر، الاستيعاب: ١/ ٣٨٤. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٣/ ١٧٠-١٧١؛ و١٤/ ١١٨-١١٩. ابن الأثير، أسد الغابة: ٢/ ١٠، ١٨؛ المحب الطبري، ذخائر العقبى: ١١٩. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٤٧. ابن كثير، البداية والنهاية: ٧/ ٣٦٦-٣٦٧. المتقي الهندي، كنز العمال: ١٣/ ٦٦٧.

وفي روايـة أُخـرى أنَّ الإمـام عليّـاً عليـه السَّـلام سـمّى أولاده بأسـماء عمّيهما حمزة وجعفـر، وأنَّ رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه غيَّرهمـا بعـد ذلـك بأمـر مـن الله تعـالى فسماهما حسـناً وحسـيناً[١].

وذكر بعض المؤرخين أنَّ فاطمة عليها السَّلام لمَّا ولدت الحسن عليه السَّلام ذهبت إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله فسمّاه الحسن، ولمَّا ولد الإمام الحسين عليه السَّلام ذهبت إليه، وقالت له هذا أحسن من هذا فشقَّ له من اسمه فسمّاه حسيناً[٢]، وأورد غيرهم ما ذكره ابن سعد بأنَّ الحسن والحسين من أسماء أهل الجنة لم يعرفا قبلهما[٣].

وذكر ابن سعد أربع روايات قال فيها إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله عقَّ عن الإمام الحسين عليه السَّلام بكبش[٤]، وذكر أنَّ ذلك في اليوم السابع من ولادته فقال: (عقَّ النبيُّ صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم عن الحسن والحسين يوم السابع)[٥]؛ وأورد رواية أُخرى جاء فيها: (ذبحت فاطمة عن حسن وحسين حين ولدا شاة شاة...)[٦].

وذكر ابن سعد أربع روايات أشارت إلى أنَّ فاطمة الزهراء عليها السَّلام حلقت رأس الحسن والحسين وتصدَّقت بزنته فضه[٧]، وذكر في رواية أُخرى: (أنَّ رسول الله صلىَّ الله عليه - وآله - وسلَّم أمر أنْ يتصدق بزنة شعر حسن وحسين على الأوفاض -يعني

(١) المحب الطبري، ذخائر العقبى: ١٢٠.

(٢) عبد الرزاق الصنعاني، المصنف: ٤/ ٣٣٥. الصدوق، علل الشرائع: ١/ ١٣٩. ومعاني الأخبار: ٥٧-٥٨. المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٢٢٤. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٤٨.

(٣) الدولابي، الذرية الطاهرة: ١٠٠. القاضي النعمان، شرح الأخبار: ٣/ ٨٩. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٣/ ١٧١. ابن الأثير، أسد الغابة: ٢/ ٢٥. المقريزي، إمتاع الأسماع: ٥/ ٣٥٨. السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٢٠٦.

(٤) ينظر: الطبقات الكبير: ٦/ ٣٥٣.

(٥) م.ن: ٦/ ٣٥٥.

(٦) م.ن: ٦/ ٣٥٤.

(٧) م.ن: ٦/ ٣٥٤ - ٣٥٥.

المساكين الذين في الصفة-)[(١)][(٢)]، وفي رواية ذكر: (أمر النبيُّ صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم أنْ يتصدق بزنة شعر حسن وحسين فوزن شعر أحدهما فوجد ثلثي درهم)[(٣)]، وذكر كذلك: (ما بلغ زنة شعورهما درهما)[(٤)].

ممَّا تقدَّم يمكننا القول:

أ: مُجمل ما تدور حوله روايات التسمية ثلاثة أُمور

الأمر الأَوَّل: إنَّ الإمام عليّاً عليه السَّلام أراد أنْ يسمِّي الإمام الحسين عليه السَّلام باسم حرب فرفض الرسول صلَّى الله عليه وآله ذلك وسمَّاه حسيناً، ويبدو من الروايات التي ذكرت أنَّ الإمام عليّاً عليه السَّلام أراد تسمية أبنائه باسم حرب هي من متبنيات السُّلطتين الأُموية والعباسية الذين يروق لهم إظهار الإمام عليٍّ عليه السَّلام بمظهر العنف والحرب، وإنْ كان ذلك فيه إشارة ضمنية لشجاعته لأنَّه لا يمكن لهم مجاراتها أو نفيها، فهي من المُسلَّمات في المجتمع الإسلامي، ولذلك نجد بعض الرواة والمؤرخين ذكروا سبب رغبته عليه السَّلام بتسمية أبنائه واحداً تلو الآخر باسم حرب؛ لأنَّه حسب زعمهم كان يعجبه أن يكنى أبا حرب، وفي رواية أُخرى أنَّه رجل كان يحبُّ الحرب، وهذا تشويه واضح لشخصيته عليه السَّلام، فمن المعلوم أنَّ جهاده في حياة الرسول صلَّى الله عليه وآله كان بأمرٍ وتوجيهٍ منه، وبعد تسلّمه الدولة لم يخض حرباً إلَّا كان مضطراً لها وبعد أنْ يستنفد جميع الوسائل المتاحة له، وهذا واضح جداً من أساليب

(١) الصُفّة: بضم الصاد وتشديد الفاء هي ظُله كان مسجد الرسول صلىَّ الله عليه وآله في مؤخرتها يأوي إليها مساكين المسلمين وفقرائهم... ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٣/ ٤١٤.

(٢) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٥٥.

(٣) م.ن: ٦/ ٣٥٥.

(٤) م.ن: ٦/ ٣٥٥.

الصلح التي تبناها[١] قبل حروب الجمل وصفين والنهروان، والتي كان (يهدف من خلالها توجيه حالة الحرب إلى حالة السِّلم والسَّلام ليعمَّ الأمن والاستقرار في ربوع الدولة الإسلامية)[٢]، بينما كانت أحبَّ الكنى إليه أبو تراب، كناه بها رسول الله صلى الله عليه وآله[٣]، وجاء كلُّ ما نقله المؤرخون والرواة من حبِّه للحرب وغيرها متناغمًا مع ما صرَّح به الأُمويون بشكل واضح يوم العاشر من المحرم حين خاطب عمر بن سعد معسكره يحثهم لقتال الإمام الحسين عليه السَّلام بقوله: (هذا ابن قتال العرب)[٤].

علاوة على ذلك فإنَّ تلك الروايات التي زعمت أنَّه أراد تسمية الإمام الحسين عليه السَّلام حرباً، وأنَّ الرسول صلَّى الله عليه وآله رفض هذا الاسم حين ولد الحسن، ومن المنطقي أن لا يرجع الإمام عليٌّ عليه السَّلام إلى تكرار ذلك في ولادة الحسين عليه السَّلام فينهاه الرسول مرَّة أُخرى، فمن المعروف عن الإمام عليٍّ عليه السَّلام لا يخالف الرسول في أيِّ شيء، كيف يقدم على ذلك مرَّة ثانية؟ بل لا يسبق رسول الله صلَّى الله عليه وآله في أيِّ خطوة، فكيف بتسمية ولديه.

والسؤال الذي يرد على الرغم من أنَّ للإمام عليٍّ عليه السَّلام أربعة عشر ذكراً[٥]، لم نجد بينهم مَن اسمه حرباً، فلو كانت الروايات التي زعمت أنَّ الإمام عليّاً عليه السَّلام يحبَّ الحرب لكان بمقدوره أنْ يسمِّي أحد أبنائه بعد رحيل الرسول صلَّى الله عليه وآله بهذا الاسم.

---

(١) ينظر: المياحي، الإمام عليٌّ عليه السلام دراسة في فكره العسكري: ٩٩-١١٣.

(٢) م.ن: ١٠٠.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٤٠.

(٤) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٢٥٨. المجلسي، بحار الأنوار: ٤٥/ ٥٠.

(٥) الطبقات الكبير: ٣/ ١٧-١٩.

الأمر الثاني: إنَّه لَمَّا ولد الإمام الحسين عليه السَّلام ذهبت به فاطمة عليها السَّلام إلى الرسول صلَّى الله عليه وآله فسمَّاه حسيناً.

الأمر الثالث: إنَّ الرسول صلَّى الله عليه وآله سمَّى الإمامين الحسن والحسين عليهما السَّلام يوم سابعهما بأسماء أبناء نبيِّ الله هارون على نبيّنا وآله وعليه السَّلام.

أَمَّا الرواية التي ذكرت أنَّ الإمام الحسن عليه السَّلام سمِّي باسم عمِّه حمزة، وأنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام سمِّي باسم عمِّه جعفر ثمَّ جاء الرسول صلَّى الله عليه وآله بأمر من السماء فغيَّرهما، هي الأُخرى لا تصمد أمام المعطيات التاريخيَّة ومع أنَّه من الطبيعي أنْ تتم تسمية الابن باسم عمِّه، خصوصاً إذا كان عمُّه بثقل وعظمة حمزة وجعفر الطيار، لكن يبدو أنَّ الرواية ليست بدرجه قويَّة من الحِبكة فأغفل واضعوها أنَّ التغيير جاء بعد مرور سنة على الأقل حسب زعمهم، والمفروض أنَّ اسم حمزة بقي على الإمام الحسن عليه السَّلام حتى ولادة الإمام الحسين عليه السَّلام، وحسب الرواية أنَّه لَمَّا سمِّي الحسين بجعفر أُمر رسول الله بتغيرهما، فلم تشر لنا المصادر التاريخيَّة التي اطلعنا عليها أنَّ الإمام عليّاً عليه السَّلام كُني بأبي حمزة، ولم تذكر تلك المصادر أنَّ الإمام الحسن عليه السَّلام كان يسمَّى حمزة.

وعلى ما يبدو أنَّ كلَّ ذلك يدور حول هدف واحد ويتمثل بالآتي:

١. إخراج الإمامين الحسن والحسين عليهما السَّلام من دائرة أنَّهم أبناء رسول الله صلَّى الله عليه وآله، كون أنَّ تسمية الابن هي من مسؤوليَّة والده ومتى كانت تسميتهما من قبل الإمام عليٍّ عليه السَّلام وليس من الرسول كانت أخف وطأة على أعدائهم، والذين لا يطيقون القول إنّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله هو من سمَّاهما بهذه الأسماء.

٢. تهدف موضوعة التسمية لرسم صورة ضبابيَّة عن الإمام عليٍّ عليه السَّلام وموقفه من الرسول صلَّى الله عليه وآله، من خلال أنَّه سبق الرسول صلَّى الله عليه وآله في تسمية أبنائه عليهم السَّلام.

٣. الإيحاء إلى وجود اختلاف فكريٍّ بين الإمام عليٍّ عليه السَّلام وبين الرسول صلَّى الله عليه وآله يتضح من خلال رأيهما حول تسمية الإمامين عليهما السَّلام.

٤. إخفاء حقيقة أنَّ تسميتهما جاءت من قبل الله سبحانه وتعالى.

٥. إضفاء نوع من المقبوليَّة على اسم حرب كونه من أسماء بني أُمية، والاقتداء بتسميته.

ب: روايات ابن سعد في كتابه الطبقات الكبير

قدم ابن سعد عشر روايات بشأن تسمية الإمام الحسين عليه السَّلام كلّها جاءت مسندة، وهو بذلك كان موضوعياً ودقيقاً في طرح رواياته بهذا الشأن، لكنَّنا نجد ابن سعد على الرغم من ذلك قدَّم ثلاث روايات بطرق مختلفة بسنده عن الإمام الصادق عن أبيه الباقر عليهما السَّلام أنَّ الرسول صلَّى الله عليه وآله سمَّى الإمامين الحسن والحسين عليهما السَّلام يوم سابعهما، وأنَّه اشتق اسم حسين من حسن، وهذه الرواية لا تتعارض مع كونهما من أسماء الجنة ولم يكونا من أسماء الجاهليَّة، فضلاً عن أنَّه بتقديمه تلك الروايات الثلاث ومصدريته فيها الإمام الصادق عليه السَّلام، وهو يروي عن أبيه الإمام محمَّد بن عليٍّ الباقر عليهما السَّلام كما ذكر ابن سعد، فهو يعني اعتمد الرواية من أهل البيت عليهم السَّلام أنفسهم، ويبدو أنَّه رجَّح صحَّتها، وذلك من خلال تركيزه عليها والمجيء بها من ثلاثة طرق مختلفة.

ج: توثيق روايات ابن سعد

اتبع ابن سعد في إيراده للروايات المتعلقة بالعقيقة وحلق الرأس أُسلوب المحدثين فأوردها جميعاً مسندة ومن طرق مختلفة، ولذلك نجده اهتم بتوثيق رواياته كونها تُعدُّ من السُّنَّة النبويَّة المطهَّرة، وجعل الأئمة المعصومين عليهم السَّلام مصدراً لرواياته بشأن حلق رؤوسهما والعقيقة كونهم أقرب من غيرهم له، وهم أهل بيته وخاصته.

ثالثاً: رضاعته عليه السَّلام

من الطبيعي أن تتولى الصديقة فاطمة الزهراء عليها السَّلام رضاعة الإمام الحسين عليه السَّلام، لكن كونه عليه السَّلام له خصوصيَّة تختلف عن أيِّ مولود آخر اختلفت الروايات في كيفيَّة رضاعته، حتى ذهب الكليني إلى أنَّه لم يرضع إلَّا من إبهام النبيِّ صلَّى الله عليه وآله[1]، ويبدو أنَّ ذلك مرجعه للاعتقاد أنَّ إضافة بعض الُأمور الإعجازيَّة هو رفع من شأن قدسيَّة الإمام الحسين عليه السَّلام، ولا يستبعد أنَّ الرسول صلَّى الله عليه وآله يضع إبهامه في فم الإمام الحسين عليه السَّلام ليضفي عليه من بركاته، لكنَّ الأمر الطبيعي أنْ يكون تحت رعاية الصديقة الزهراء عليها السَّلام، وعلى الرغم من ذلك أورد ابن سعد رضاعته من أُمِّ الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب في موضعين أَوَّلهما عند ترجمته للإمام الحسين عليه السَّلام، والثانية في ترجمته لأُمِّ الفضل، جاء في روايته الأُولى:

(إنَّ أُمَّ الفضل زوجة العباس قالت: يا رسول الله، رأيت فيما يرى النائم كأنَّ عضواً من أعضائك في بيتي؟ فقال: «**خيراً رأيتِ، تلد فاطمة غلاماً فترضعيه بلبان ابنك قُثَم**»[2]،قال: فولدت الحسين فكَفَلته أُمُّ الفضل...)[3].

---

(١) الكافي، محمد بن يعقوب الكليني: ١/ ٤٦٥.

(٢) هو قثم بن العباس بن عبد المطلب وأُمُّه أُمُّ الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، قيل له صحبة، وهو قليل الرواية، استعمله الإمام عليٌّ عليه السلام والياً على مكة، سار إلى سمرقند مع سعيد بن عثمان بن عفان وقتل فيها. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٤٠-٤٤٢.

(٣) الطبقات الكبير: ٦/ ٤٠٠؛ و ١٠/ ٢٦٤.

وذكر في روايته الثانية أَنَّ أُمَّ الفضل قالت: (لَمَّا ولد الحسين بن عليٍّ قلت: يا رسول الله، أعطينيه أو ادفعه إليَّ فلأكفله وأرضعه بلبن قثم، ففعل،...)[١].

وقبل مناقشة تلك الروايات لا بُدَّ من معرفة متى هاجرت أُمُّ الفضل من مكَّة إلى المدينة المنورة، وبالاعتماد على مرويات ابن سعد نفسه في هذا الشأن فقد روى أَنَّها هاجرت بعد إسلام العباس بن عبد المطلب[٢]، فيما ذكر بشأن إسلامه وهجرته للمدينة روايتين إحداهما أَنَّه هاجر أيام الخندق عام (٥هـ)، والأُخرى أَنَّه هاجر بعد فتح خيبر عام (٧هـ)[٣]، فيما رجَّح ابن سعد هجرته بعد فتح خيبر بذكره قول الواقدي بشأن هجرته: (هذا عندنا وهل لا يشك أهل العلم والرواية، أنّ العباس كان بمكة ورسول الله بخيبر قد فتحها)[٤]، بل روي أَنَّه وهو في مكَّة وضع ابنه قثم على صدره وهو يقول: يا قُثَمُ يا قُثَمُ يا شبهَ ذي الكرمِ[٥].

واختلف المؤرخون في رضاعة أُمِّ الفضل للإمام الحسين عليه السَّلام، فمنهم من ذهب إلى ما ذكره ابن سعد[٦]، وبعضهم ذكر أنَّ الذي أرضعته أُمُّ الفضل هو الإمام الحسن عليه السَّلام[٧]، حتى استدل ابن حجر العسقلاني بذلك على أنَّ قثم أسنَّ من

---

(١) الطبقات الكبير: ٦/ ٤٠١؛ و١٠/ ٢٦٤.

(٢) م.ن: ١٠/ ٢٦٤.

(٣) م.ن: ٤/ ١٥-١٦.

(٤) م.ن: ٤/ ١٦.

(٥) م.ن: ٤/ ١٦

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٤/ ١١٤. ابن العديم، بغية الطلب: ٦/ ٢٥٦٥. المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٣٩٨. الصفدي، الوافي بالوفيات: ١٢/ ٢٦٢. ابن عنبة، عمدة الطالب: ١٩١. العمري العلوي، المجدي: ١٣. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٤٠. ابن كثير، البداية والنهاية: ٦/ ١٥٨. القندوزي، ينابيع المودة: ٢/ ٢٠٢.

(٧) أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل: ٦/ ٣٤٠. الدولابي، الذرية الطاهرة: ١٠٦. الطبراني، المعجم الكبير: ٣/ ٢٣، و٢٥/ ٢٥. الحافظ الأصبهاني، ذكر أخبار أصبهان: ١/ ٤٦. ابن الأثير، أسد الغابة: ٢/ ١٠. العاملي، الدر النظيم: ٤٨٩. الإربلي، كشف الغمة: ٢/ ١٤٦، ١٥٣، ١٦٩. المحب الطبري، ذخائر العقبى: ١٢١. المطهر الحلي، العدد القوية: ٣٥. الذهبي، تنقيح التحقيق: ١/ ٣٤. الصالحي، سبل الهدى: ١١/ ٦٤. المجلسي، بحار الأنوار: ٤٣/ ٢٤٢، ٢٥٥.

الإمام الحسن عليه السَّلام[١]، في حين لم يُشر بعضهم إلى مَن هو الذي أرضعته أُمُّ الفضل، هل هو الإمام الحسن أم الإمام الحسين عليهما السَّلام[٢].

هذا من حيث مضمون تلك الروايات، وأمَّا من جهة سندها فمصدريتها عن قول أُمِّ الفضل وجاءت من طرق عدَّة تنتهي بسماك بن حرب[٣]، ذكر ابن حبان[٤]، أنَّه يخطئ كثيراً وضعَّفه كلٌّ من العجلي[٥]، والعقيلي[٦]، وابن عدي[٧]، والذهبي[٨]، وكذلك عن قابوس بن المخارق[٩]، قال عنه ابن حزم[١٠]: مجهول.

من خلال ما تقدَّم يمكننا أن نبين الآتي:

١. يتبين من اختلاف المؤرخين في تحديد أيِّ الإمامين الحسن الحسين عليهما السَّلام الذي أرضعته أُمُّ الفضل؛ عدم دقَّة تلك الروايات بهذا الشأن، وهذا الاختلاف في الروايات يثير الشكوك في صحتها.

٢. أغلب تلك الروايات التي ذكرها المؤرخون على الرغم من اختلاف طُرقها إلى أنَّها

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة: ٥/ ٣٢١.

(٢) ابن الأثير، أسد الغابة: ٢/ ١٠. الصالحي، سبل الهدى: ١١/ ٦٤.

(٣) هو سماك بن حرب بن أوس بن خالد الذهلي البكري من كبار تابعي أهل الكوفة، يكنى أبا المغيرة، أدرك ثمانين صحابياً، توفي في نهاية حكم هشام بن عبد الملك. ينظر: البخاري، التاريخ الكبير: ٤/ ١٧٣. ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار: ص١٧٧. ابن عدي، الكامل: ٣/ ٤٦٠-٤٦٢.

(٤) الثقات: ٤/ ٣٣٩.

(٥) معرفة الثقات: ١/ ٤٣٦-٤٣٧.

(٦) ضعفاء العقيلي: ٢/ ١٧٨-١٧٩.

(٧) الكامل: ٣/ ٤٦٠.

(٨) ميزان الاعتدال: ٢/ ٢٣٣-٢٣٤.

(٩) هو قابوس بن المخارق بن عبد الله الشيباني من بني سُليم، كوفي روى عنه سماك بن حرب، وأبو قابوس غير منسوب اختلف في اسمه فقيل اسمه المخارق.. ينظر: ابن مأكولا، إكمال الكمال: ٧/ ٩٢. ابن الأثير، أسد الغابة: ٣/ ٢٤٢.

(١٠) المحلى: ١١/ ١٥٩.

انتهت إلى سماك بن حرب الذي أشرنا إلى مَن ضعَّفه وجاءت رواياته مرسلة كما وردت لدى ابن سعد (عن سماك: أنَّ أُمَّ الفضل امرأة العباس قالت:...)[(١)]، ووردت بصيغة أُخرى عن سماك عن قابوس بن المخارق الذي عدَّه ابن حزم مجهولاً[(٢)]، واختلف في اسم أبيه ونسبه[(٣)].

٣. تبين ممَّا ذكره ابن سعد بشأن هجرة أُمِّ الفضل وزوجها العباس أنَّهما هاجرا إمَّا في عام (٥هـ) أو في عام (٧هـ)، وفي أقرب الاحتمالين مضى على ولادة الإمام الحسين عليه السَّلام أكثر من عام كامل، وهو ما يتناقض مع رواية رضاعته عليه السَّلام من أُمِّ الفضل كونها ذكرت حديثها للرسول صلَّى الله عليه وآله قبل ولادته عليه السَّلام، فضلاً عن أنَّ ابن سعد والواقدي رجحا هجرتها عام (٧هـ) أي بعد ولادته بثلاثة أعوام.

٤. ورود اسم أُمِّ الفضل وهي زوجة العباس بن عبد المطلب وكون أغلب المدونات التاريخيَّة كُتبت أيام الدولة العباسيَّة يثير العديد من الشكوك في صحتها، فهي دائماً تحاول إظهار البيت العباسي بأفضل حالاته من جهة، وحُسن تعامل الرسول صلَّى الله عليه وآله مع هذا البيت، وذلك لترسيخ شرعيتهم بالحكم التي كثيراً ما عانوا منها إذا ما قارنوا أنفسهم بأهل البيت أصحاب الحقِّ الشرعي فيها.

رابعاً: لباسه وخضابه وخاتمه عليه السَّلام

ذكر ابن سعد العديد من الروايات التي أشارت إلى أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام كان

---

(١) الطبقات الكبير: ٦/ ٤٠٠، و١٠/ ٢٦٤.

(٢) المحلى: ١١/ ١٥٩.

(٣) ابن الأثير، أسد الغابة: ٣/ ٢٤٢.

عليه جبة خز[١]، وفي رواية أُخرى مطْرَفاً من خز[٢]، وخضَّب لحيته ورأسه بالوسمة[٣][٤]، والحناء والكتم[٥][٦]، وأنَّ لحيته شديدة السواد[٧]، وكان يركب البراذين[٨] البيض[٩].

وذكر أيضاً (أنَّ الحسن والحسين (عليهما السَّلام) كانا يتختمان في يسارهما)[١٠]، وهي موضوعة حتماً لتأييد ما ذهب إليه المخالفون إلى استحباب التختم باليسار للتغطية على روايات تختم النبيِّ صلَّى الله عليه وآله باليمين، وقال: (كان في خاتم الحسن والحسين ذكر الله)[١١].

أشار بعض المؤرخين إلى لباس الإمام عليه السَّلام وخضابه فذكر النجاشي أنَّ عبيد الله بن الحر الجعفي سأل الإمام الحسين عليه السَّلام عن خضابه فقال: «**أَمَا إنَّه ليس كما ترون، إنَّما هو حِناء وكَتَم**»[١٢]، والحناء والكتم سُنَّة نبويَّة شريفة، قال رسول الله صلىَّ الله

(١) الطبقات الكبير: ٦/ ٤١٦.

(٢) م.ن: ٦/ ٤١٥.

(٣) الوسمة هي نبات يخضب به، ويقال اسمه العظلم، يشبه بالليل المظلم على شدَّة سواده. ينظر: الجوهري، الصحاح: ٥/ ١٩٨٨. الفيروز آبادي، القاموس المحيط: ٢/ ٢٢، و٤/ ١٥٢.

(٤) الطبقات الكبير: ٦/ ٤١٥-٤١٧.

(٥) هو نبات يخلط مع الوسمة ليكون الخضاب أشدَّ سواداً. ينظر: الفراهيدي، العين: ٥/ ٣٤٣. ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الحديث: ٤/ ١٥٠.

(٦) الطبقات الكبير: ٦/ ٤١٥.

(٧) م.ن: ٦/ ٤١٥ - ٤١٧.

(٨) والبرذون هو نوع من الخيول الغير عربية، وجمعه براذين، والأُنثى برذونه، وكنيته أبو الأخطل، كني به لخطل أُذنيه وهو استرخاؤهما بخلاف أُذني الفرس العربي.. ينظر: الدميري، حياة الحيوان الكبرى: ١/ ١٧٣.

(٩) الطبقات الكبير: ٦/ ١١٧.

(١٠) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٧٨.

(١١) م.ن: ٦/ ٣٧٩.

(١٢) رجال النجاشي: ١١.

عليه وآله: «**إنَّ أحسن ما غُيِّر به هذا الشيب الحنا والكتم**»[(١)]، وأورد الكليني بسنده عن الإمام الصادق عليه السَّلام أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام استشهد وعليه جبة خز[(٢)].

ويبدو أنَّ الاهتمام بالملبس وخصوصاً أمام الأعداء شيء طبيعي، فقد ذُكر أنَّ ابن عباس لَمَّا بعثه الإمام عليٌّ عليه السَّلام ليحاجج الخوارج (لبس أفضل ثيابه وتطيب بأفضل طيبه وركب أفضل مراكبه فخرج فوافقهم فقالوا: يا بن عباس بينما أنت أفضل الناس إذ أتيتنا في لباس الجبابرة ومراكبهم، فتلا عليهم هذه الآية ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[(٣)])[(٤)].

خامساً: تواضعه وكرمه عليه السَّلام

روى ابن سعد (مرَّ الحسين عليه السَّلام بمساكين يأكلون في الصفَّة فقالوا، الغداء، فنزل، وقال: «**إنَّ الله لا يحبُّ المتكبرين**»، فتغدى ثمَّ قال لهم: «**قد أجبتكم فأجيبوني**»، قالوا: نعم، فمضى بهم إلى منزله، فقال للرباب: «**أخرجي ما كنت تدخرين**»)[(٥)].

ويبدو مِن هذه الرواية تواضع الإمام عليه السَّلام مع فقراء المسلمين في الوقت الذي لم يتقبل المسلمون في ذلك الوقت التواضع كون العصبيَّة الجاهليَّة لم تكن تفارقهم في أغلب الأحيان، ولو كانت فارقتهم وكان كبار وقادة المسلمين يفعلون الذي فعله الحسين

(١) أحمد بن حنبل، مسند أحمد: ٥/ ١٤٧، ١٥٠. أبو داود، سنن أبي داود: ٢/ ٢٩٠. النسائي، سنن النسائي: ٨/ ١٣٩. أبو يعلى الموصلي، مسند أبي يعلى: ٥/ ١٠٣. الهيثمي، مجمع الزوائد: ٥/ ١٦٠.

(٢) الكافي، الكليني: ٦/ ٤٤٢-٤٥٢. الطبراني، المعجم الكبير: ٣/ ١١٥. القاضي النعمان، دعائم الإسلام: ٢/ ١٥٣. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٤/ ٢٥٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

(٤) الكليني، الكافي: ٦/ ٤٤٢. القاضي النعمان، دعائم الإسلام: ٢/ ١٥٣.

(٥) الطبقات الكبير: ٦/ ٤١٣.

عليه السَّلام مع هؤلاء الفقراء والمساكين لما ذكره المؤرخون أمثال ابن سعد، ولكنَّ هذا التواضع المتمثل في هذه الرواية هو ما دأب عليه الأئمة الأطهار، والذين أرادوا بكلِّ أفعالهم وأقوالهم تطبيق تعاليم الإسلام الحقيقيَّة على أرض الواقع؛ ولذلك نجده عليه السَّلام بعد أنْ لبى طلبهم وجلس معهم ليتناول الغداء، دعاهم إلى بيته ليكون قبوله دعوتهم مبرراً لمعاملتهم بالمثل وإكرامهم بكلِّ ما يدَّخر، وهو ما يتضح من مخاطبته عليه السَّلام للرباب بقوله: «**أخرجي ما كنت تدخرين**»[1]، وكأنَّ الرواية تبينّ أنَّه أكرمهم بكلِّ ما يدَّخره، ومن المعلوم أنَّ الصفَّة في مسجد الرسول صلَّى الله عليه وآله كانت دائماً مقراً لفقراء المسلمين وزهادهم والمستضعفين منهم[2].

سادساً: زوجاته وأولاده عليه السَّلام

تطرق ابن سعد لزوجات الإمام الحسين عليه السَّلام في أثناء حديثه عن أبنائه، وتجنباً للتداخل بينهما ارتأينا دراسة كلٍّ منهم على حدة، ففي حديثه عن عليٍّ الأكبر ذكر ابن سعد: (وأُمُّه آمنة بنت أبي مرَّة بن عُروة بن مسعود بن معتب من ثقيف وأُمُّها ابنة أبي سفيان بن حرب، وفيها يقول: حسان بن ثابت:

طافت بنا شمسُ النهار ومن رَأَى ... من الناس شمساً بالعشاء تَطُوفُ
أبــو أُمِّــهــا أَوفى قــريـش بـذمـةٍ ... وأعـامُـهـا إِمَّـا سـألـتَ ثُـقِـيـفُ[3].

لم يختلف المؤرخون بأنَّ ليلى بنت أبي مرَّة بن عروة بن مسعود الثقفي هي زوجة الإمام

---

(١) الطبقات الكبير: ٦/ ٤١٣.

(٢) للمزيد من التفاصيل ينظر: عطاوي، أهل الصفَّة في عصر الرسالة والراشدي: ١٨-٣٦، وص٧٠-٧١.

(٣) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٩٩ - ٤٣٩.

الحسين عليه السَّلام وهي أُمُّ عليٍّ الأكبر[١]، وأشاروا إلى أنَّ أُمَّها هي ميمونة بنت أبي سفيان[٢]، وهناك من ذكر أنَّ اسمها ليلى أو لبني[٣]، فيما أورد بعضهم أنَّ اسمها آمنة[٤].

وأمَّا الشعر الذي ذكره ابن سعد فقد أشارت إليه بعض المصادر التاريخية[٥]، لكنَّهم نسبوه إلى الحارث بن خالد[٦]، والذي طغى على شعره الكلام البذيء والماجن بحقِّ بعض نساء العرب[٧]، بينما شكك الطبري في أنَّ تلك الأبيات لحسان بن ثابت بقوله: (وهذان البيتان ينسبان إلى عمر بن أبي ربيعة[٨]، وأنهما من شعره)[٩].

ولذلك لا نستبعد أنَّ تلك الأبيات هي للحارث بن خالد لكون شعره يصبُّ في خانة النيل من الأُسر الشريفة ورفع شأن بعض البيوتات مثل بني أُميَّة وثقيف، خصوصاً إذا ما علمنا أنَّ الشاعر كان والياً ليزيد بن معاوية في مكَّة.

---

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السَّلام: ١٦١؛ مصعب الزبيري، نسب قريش: ٥٧. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة: ٢٣٤. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٧٢. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ٥/ ٣٠١. ابن حبان، الثقات: ٢/ ٣١٠. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٤١/ ٣٦٢. الإربلي، كشف الغمة: ٢/ ٢٤٩. ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/ ٢٠٠.

(٢) مصعب الزبيري، نسب قريش: ٥٧. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة: ٢٣٤. أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٨٦.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة: ٢٣٤.

(٤) مصعب الزبيري، نسب قريش: ٥٧. الطبري، المنتخب من ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين: ٢٤-٢٥.

(٥) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ٣/ ٢٣٠. ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ٧/ ٣٠٦.

(٦) هو الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي، شاعر مكي، ولاه يزيد بن معاوية مكة عام (٦٣هـ) أيام ابن الزبير فمنعه من الصلاة بالناس، ولما حدثت ثورة أهل المدينة أخرجه ابن الزبير من مكة... ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١١/ ٤١٥-٤٢٠، و٢٨/ ٢٠٨. المزي، تهذيب الكمال: ١٧/ ١٢١.

(٧) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ٣/ ٢٣٠.

(٨) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، الشاعر المعروف الذي طغى على شعره الفسق والمجون، أدرك عمر بن الخطاب ووفد على عبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز... ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٤٥/ ٨٨-١١٤.

(٩) المنتخب من ذيل المذيل: ٢٤-٢٥.

وكثيراً ما حاول الأُمويون التركيز على مصاهرتهم لبني هاشم وتوظيفه للإفادة منه معنوياً، ففي حكم معاوية بن أبي سفيان (٤١هـ-٦٠هـ)، روي أنَّه قال يوماً: من أحقُّ الناس بهذا الأمر -يعني الخلافة-؟، فقيل له: أنت، فقال: لا، إنَّ أحقَّ الناس بهذا الأمر هو عليٌّ الأكبر بن الحسين، ففيه شجاعة بني هاشم وسخاء بني أُميَّة وزهو ثقيف[١].

أمَّا زوجته الثانية التي ذكرها ابن سعد هو عند حديثه عن الإمام عليٍّ بن الحسين السجاد عليهما السَّلام بقوله: (وأُمُّه أُمُّ ولد، وأَخوه لأُمِّه عبد الله بن زُييد مولى الحسين بن عليٍّ، وهم ينزلون بينبع)[٢][٣].

وفي رواية أُخرى قال أيضاً: (وأُمُّه أُمُّ ولد اسمها غزالة، خلف عليها بعد حُسين زُييد مولى الحسين بن عليٍّ، فولدت له عبد الله بن زَيَيْد فهو أخو عليٍّ بن حسين لأُمِّه)[٤].

واختلف المؤرخون في تسميتها وفي نسبها، فذكر خليفة بن خياط: (أُمُّه فتاة، يقال لها سَلاَمة)[٥]، بينما قال ابن قتيبة: (إنَّ أُمَّه سنديَّة، يقال لها: سلافة، ويقال لها: غزالة، خلف عليها بعد الحسين زييد مولى الحسين بن عليٍّ فولدت له: عبد الله بن زييد، فهو أَخو عليٍّ بن الحسين لأُمِّه)[٦].

ويرى البلاذري (أنَّها سجستانيَّة تدعى سلافة)[٧]، بينما روى اليعقوبي أنَّ اسمها:

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٦٨.

(٢) ينبع وهي أرض بين مكة والمدينة فيها نخيل وماء وزرع، وفيها وقف للإمام عليٍّ عليه السَّلام يتولاها أبناؤه من بعده... ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٥/ ٤٤- ٤٥.

(٣) الطبقات الكبير: ٦/ ٤٠٠.

(٤) م.ن: ٧/ ٢٠٩.

(٥) طبقات خليفة: ٢٣٨.

(٦) المعارف: ٢١٤-٢١٥.

(٧) أنساب الأشراف: ٣/ ٣٢٥.

(حرار بنت يزدجرد كسرى.. فسمّاها - الحسين - غزالة..)[١].

ووصفها المبرد أنَّها سلافة من بنات يزدجرد وهي من خيرات النساء[٢]، وذكر الطبري اسمها جيداً[٣]، بينما يرى صاحب المجدي في أنساب الطالبيين أنَّ اسمها شاه زنان بنت كسرى يزدجرد نفلها عمر بن الخطاب بعد فتح المدائن للحسين بن عليٍّ[٤].

وأمَّا ما ذكره ابن سعد بأنَّ أُمَّ زين العابدين عليه السَّلام تزوجت بعد الإمام الحسين عليه السَّلام من مولاه زييد وأنجبت أخاه لأُمِّه عبد الله، وكذلك ذكر الكليني أنَّه تزوج إحدى الإماء، فكتب له عبد الملك بن مروان: أنَّك صرت بعلاً للإماء، فكتب له عليه السَّلام: «**إنَّ الله رفع بالإسلام الخسيسة وأتمَّ به الناقصة فأكرم به من اللؤم، فلا لؤم على مسلم، إنَّما اللؤم لؤم الجاهلية، إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله أنكح عبده ونكح أَمَته**»[٥].

في حين يرى أحد المؤرخين أنَّ عبد الملك بن مروان كتب هذا الكتاب يعيّره فيه لأنَّه زوج أُمَّه من مولاه[٦].

والذي ذكره ابن سعد وغيره من المؤرخين في شأن اسم وزواج أُمِّ الإمام السجاد عليه السَّلام يحمل العديد من المغالطات التي لا يمكن القبول بها حسب المعطيات التاريخيَّة والمنطقيَّة، ونحن نتفق مع ما ذهب إليه أحد الباحثين الذي تناول قضيَّة أُمِّ الإمام السجاد

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٢١٢.
(٢) الكامل في اللغة والأدب: ٢/ ٩٠.
(٣) المنتخب من ذيل المذيل: ٢٤-٢٥.
(٤) العمري، المجدي: ٩٣.
(٥) الكافي، الكليني: ٥/ ٣٤٥-٣٤٦.
(٦) البري، الجوهرة في أنساب: ٥١.

عليه السَّلام بالتفصيل ودرسها دراسة مستفيضة فتوصل إلى الآتي:

١. إنَّ اسمها شاه زنان ابنة يزدجرد الثالث آخر ملوك الفرس، وقد ورد في سببها ثلاث روايات: الأُولى في زمن عمر بن الخطاب، والثانية في زمن عثمان بن عفان، والثالثة في زمن الإمام عليٍّ عليه السَّلام، والصحيح في زمن عثمان بن عفان، وما ورد من روايات في زمن عمر بن الخطاب هو عبارة عن تصحيف، والدليل على ذلك هو ولادة الإمام السجاد عليه السَّلام عام(٣٨هـ).

٢. إنَّها لم تتزوج بعد الإمام الحسين عليه السَّلام لسبب بسيط، لأنَّها توفيت في النفاس، وأنَّ التي تزوجت زبيد هي أُمّ ولد قامت بتربية الإمام السجاد عليه السَّلام[١].

كذلك أشار ابن سعد لثلاث من زوجات الإمام عليه السَّلام على منهجيته المتبعة في ذكر زوجاته، فلمَّا ذكر جعفر بن الحسين قال: (أُمُّه السلافة امرأة من بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة)[٢].

وقال أيضاً: (وفاطمة، وأُمُّها أُمُّ إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرة)[٣]، وحين ذكر سكينة قال: (وأُمُّها الرباب بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب، وفي الرباب وسكينة يقول الحسين بن عليٍّ رضي الله عنهما:

لعمرك إنَّني لأحب داراً   تضيفها سكينة والرباب

(١) العيساوي، أُمّ الإمام السجاد عليه السّلام دراسة وتحليل: ٢١-٤٤أوص٥٦-٥٨.

(٢) الطبقات الكبير: ٦/ ٤٠٠.

(٣) الطبقات الكبير: ٦/ ٤٠٠، و١٠/ ٤٣٩.

أحبها وأبذل بعدُ مالي وليس للائمي فيها عتاب
ولست لهم وإنْ عتبوا مطيعاً حياتي أو يغيبني التراب[١]

ولم تختلف روايات ابن سعد مع ما ذكرته المصادر التاريخيَّة من حيث المضمون بشأن زوجاته الرباب بنت امرئ القيس والقضاعيَّة وأُمِّ إسحاق بنت طلحة[٢].

لكنَّ روايته بشأن زوجته السادسة حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، والتي جاء فيها: (ثمَّ خلف عليها بعد المنذر حسين بن عليٍّ بن أبي طالب)[٣].

وهو بهذا اختلف مع ما ذكرته المصادر التاريخيَّة في ذكره زواج الإمام الحسين عليه السَّلام منها، كذلك ناقض روايته بأنَّ حفصة تزوجت الإمام الحسن بن عليٍّ عليهما السَّلام والتي ذكر فيها أنَّه طلَّقها فتزوجها عاصم بن عمر بن الخطاب، ثم طلَّقها فتزوجها المنذر بن الزبير بن العوام[٤][٥]، والظاهر أنَّ هناك تصحيفاً ربما من بعض النساخ، فوردت لدى ابن سعد أنَّها زوجة الإمام الحسين عليه السَّلام، ونحن نتفق مع ما ذهب إليه أحد الباحثين في دحضه لزواجها من الإمام الحسين عليه السَّلام مستنداً للعديد من المعطيات التاريخيَّة في ذلك الشأن[٦].

(١) م.ن: ٦/ ٤٠٠؛ و١٠/ ٤٤٠.

(٢) ينظر: مصعب الزبيري، نسب قريش: ٥٧. ابن حبيب، المحبر: ٣٩٧، ٤٤٢. الطبري، المنتخب من ذيل المذيل: ٢٤-٢٥. أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين: ٩٤.

(٣) م.ن: ١٠/ ٤٣٥.

(٤) هو المنذر بن الزبير بن العوام بن خويلد، وأُمُّه أسماء بنت أبي بكر، وكنيته أبو عثمان، كان من خلَّص أصحاب معاوية بن أبي سفيان وأوصى أن ينزل في قبره عند دفنه، قتله الأُمويون في حصارهم الأوَّل لمكّة.. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير: ٧/ ١٨١. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٦٠/ ٢٨٧-٢٩٤.

(٥) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٧٦-٣٧٧.

(٦) البو هلالة، الإمام الحسين بن عليٍّ عليهما السَّلام دراسة في جوانب من سيرته: ٤٨٢-٤٨٣.

وخلاصة القول إِنَّ ابن سعد ذكر ست زوجات للإمام الحسين عليه السَّلام هنَّ آمنة بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي، والثانية أُمُّ ولد هي أُمُّ الإمام زين العابدين عليه السَّلام، والثالثة السلافة من قضاعة، والرابعة أُمُّ إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله، والخامسة الرباب بنت امرئ القيس، والسادسة حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر[١].

أمَّا أبناؤه عليه السَّلام فعدَّهم فيه خمسة ذكور وبنتين وهم عليٌّ الأكبر، وعليٌّ زين العابدين، وجعفر، وعبد الله، وأبو بكر، وفاطمة، وسكينة[٢]، وروى اليعقوبي أنَّه (قيل لعليِّ بن الحسين: ما أقلّ ولد أبيك! فقال: «**العجب كيف ولدت له، إنَّه كان يصلِّي في اليوم والليلة ألف ركعة، فمتى كان يفرغ للنساء**»)[٣].

ولَمَّا ذكر ابن سعد الإمام زين العابدين عليه السَّلام، ذكره في الطبقة الثانية من تابعي أهل المدينة بدأ ترجمته[٤] - التي ناهزت على العشر صفحات - بنسبه وذكر اسم أُمِّه وكيف أنَّها تزوجت بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام، وكما أشرنا في موضعها ثمَّ أكد على أنَّ عقب الإمام الحسين عليه السَّلام من الإمام زين العابدين عليه السَّلام، مؤكداً بأنَّ المستشهد يوم الطف بشكل واضح وصريح هو عليٌّ الأكبر عليه السَّلام، وأنَّ زين العابدين عليه السَّلام هو من بقي حياً، وله العقب من الإمام الحسين عليه السَّلام بقوله: (إنَّ علياً الأكبر قُتل مع أبيه لا بقيَّة له.. وعلياً الأصغر، له العقب من ولد الحسين...)[٥]، وذكر في موضع آخر: (وعليُّ بن حسين بن عليٍّ الأكبر، قتله مرَّة

(١) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٩٩-٤٠٠، و١٠/ ٤٣٥.

(٢) م.ن: ٦/ ٣٩٩ -٤٠٠، ٤٣٩.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٧٢.

(٤) الطبقات الكبير: ٧/ ٢٠٩-٢١٨.

(٥) م.ن: ٦/ ٣٩٩-٤٠٠.

بن منقذ بن النعمان العبدي)[١]، ولمَّا ذكر الناجون من واقعة الطف قال منهم: (عليُّ بن الحسين الأصغر)[٢]، وفي ترجمته للإمام زين العابدين عليه السَّلام: (ولعليِّ بن الحسين هذا العقب من ولد الحسين وهو عليّ الأصغر بن الحسين، وأمَّا عليٌّ الأكبر فقُتل مع أبيه بنهر كربلاء وليس له عقب)[٣]، وهو بذلك دحض ما أورده الشيخ المفيد بأنَّ المستشهد يوم الطف هو عليٌّ الأصغر وليس عليّاً الأكبر[٤]، وذهب صاحب المجدي في أنساب الطالبيين إلى ما ذهب إليه ابن سعد، وعدَّ ما ذكره الشيخ المفيد خطأً ووهماً[٥]، كذلك ترجم ابن سعد لبنات الإمام الحسين عليه السَّلام سكينة وفاطمة ما يقارب الصفحتين ذاكراً نسبهما وزواجهما ووفاتهما[٦].

سابعاً: موقفه من بعض زيجات نساء بني هاشم

أشار ابن سعد إلى قضيتي زواجٍ كان للإمام الحسين عليه السَّلام تدخلٌ ودورٌ مباشرٌ له فيهما، وهما زواج أُمِّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر[٧]، وأُمِّ كلثوم بنت عليِّ بن أبي طالب عليهما السَّلام، وقد أورد بهذا الشأن ثلاث روايات:

---

(١) الطبقات الكبير: ٦/ ٤٤٢.

(٢) م.ن: ٦/ ٤٤٣.

(٣) م.ن: ٧/ ٢٠٩.

(٤) المفيد، الإرشاد: ٢٤٢-٢٤٣.

(٥) العمري، المجدي في أنساب الطالبيين: ص٩٠.

(٦) الطبقات الكبير: ١٠/ ٤٣٩-٤٤١.

(٧) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وكنيته أبو جعفر، أُمُّه أسماء بنت عميس، وهو أوَّل مولود ولد للمسلمين في الحبشة، كان كريماً عفيفاً سخياً يسمى بحر الجود، تزوج من السيدة زينب بنت عليٍّ عليهما السلام، روى عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله، اختُلف في سنة وفاته فقيل عام (٨٠هـ) وقيل غير ذلك. ينظر: ابن سعد، الطبقات: ٦/ ٤٦١-٤٧٠. ابن عبد البر، الاستيعاب: ٣/ ٨٨٠-٨٨٢. ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ٤/ ٣٦-٣٩.

الرواية الأُولى

(خطب معاوية بن أبي سفيان ابنة عبد الله بن جعفر على يزيد بن معاوية، فشاور عبد الله حسيناً فقال: «**أتزوجه وسيوفهم تقطر من دمائنا؟ ضُمَّها إلى ابن أخيك القاسم بن محمَّد**»، قال: إنَّ عليَّ دَيناً قال: «دونك البُغَيبِغَة[١] فاقضِ منها دينك، فقد علمت ما كان يصنع منها عمُّك»، فزوجها من القاسم، ووفد عبد الله إلى معاوية فباعه البغيبغة بألف ألف، وكتب معاوية إلى مروان حُزْها، فركب مروان ليقبضها فوجد الحسين واقفاً على الشعْب، قال: «**من شاء فليدخله، والله لا يدخله أحد إلَّا وضعت فيه سهماً**»، فرجع مروان، وكتب إلى معاوية، فكتب إليه معاوية أعرض عنها وسوّغ المال عبد الله بن جعفر فلمَّا هلك معاوية وقُتل الحسين، أخذ يزيد بن معاوية البغيبغة، فلمَّا هلك يزيد، ردَّها ابن الزبير على آل أبي طالب، فلمَّا قُتل ابن الزبير، ردَّها عبد الملك على آل معاوية، فلمَّا ولي عمر بن عبد العزيز، ردَّها على ولد عليٍّ، فلمَّا ولي يزيد بن عبد الملك، قبضها ودفعها إلى آل معاوية حتى ولي الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقال: ارتفعوا إلى القاضي)[٢].

الرواية الثانية

(إنَّ معاوية كتب إلى مروان: زوّج يزيد من ابنة عبد الله بن جعفر، واقضِ عنه دَينه خمسين ألف دينار وصِلْه بعشرة آلاف دينار، فقال عبد الله جعفر: ما أقطع أمراً دون الحسين، فشاوره فقال: «**اجعل أمرها إليَّ**» ففعل، واجتمعوا فقال مروان: إنَّ أمير المؤمنين

---

(١) البغيبغة وهي ضيعة وعين ماء كانت للإمام عليٍّ عليه السَّلام في أعلى المدينة، أوقفها هي وعين أبي نيزر على فقراء المدينة وابن السبيل لا تباعا ولا تورثا حتى يرثها الله وهو خير الوارثين إلَّا إذا احتاج لهما الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام فهما طلق لهما ليس لأحد غيرهما.. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ١/ ٤٦٩. الحميري، الروض المعطار: ١١٢-١١٣.

(٢) الطبقات الكبير: ٦/ ٤١٤.

أحبّ أنْ يزيد القرابة لُطْفًا، والحق عِظَمًا، وأنْ يتلافى صلاح هذين الحيين بالصهر، وقد كان من أبي جعفر في إجابة أمير المؤمنين ما حسن فيه رأيه، وولي أمرها خالها، وليس عند الحسين خلاف على أمير المؤمنين، فتكلَّم الحسين وقال: «**إنَّ الله رفع بالإسلام الخسيسة وأتمَّ الناقصة، وأذهب اللؤم، فلا لؤم على مسلم، وإنَّ القرابة التي عظَّم الله حقَّها قرابتنا، وقد زوجْتُ هذه الجارية، من هو أقرب نسبًا وألطف سببًا القاسم بن محمَّد بن جعفر**»، فقال مروان: أغدراً يا بني هاشم؟ وقال لعبد الله بن جعفر: يا بن جعفر، ما هذه أيادي أمير المؤمنين عندك! قال: قد أعلمتك أنِّي لا أقطع أمراً فيها دون خالها. فقال الحسين: «**نشدتكم الله أتعلمونَ أنَّ الحسن خطب عائشة بنت عثمان فولوْكَ أمرها فلمَّا صِرنا في مثل هذا المجلس؟ قلت: قد بدا لي أنْ أُزوجها عبد الله بن الزبير؟ هل كان هذا يا أبا عبد الرحمن؟**» - يعني المسور بن مخرمة - فقال: اللهم نعم، فقال مروان: إنَّما ألوم عبد الله، فأمَّا حسين فَوَغِر الصدر، فقال مسور: لا تحمل على القوم، فالذي صنعوا أوصل، وصلوا رحماً ووضعوا كريمتهم حيث أحبوا)[1].

الرواية الثالثة

أمَّا روايته الثالثة فقد وردت بشأن قضيَّة زواج أُمِّ كلثوم بنت الإمام عليٍّ عليه السَّلام فذكر: (خطب سعيد بن العاص[2]، أُمَّ كلثوم بنت عليٍّ بعد عمر، وبعث إليها بمائة ألف فدخل عليها الحسين فشاورته، فقال: «**لا تَزَوجِيْه**»، فأرسلت إلى الحسن، فقال سعيد:

---

(١) الطبقات الكبير: ٦/ ٤١٤- ٤١٥.

(٢) هو سعيد بن العاص بن أُميَّة، ولد عام الهجرة، قُتل أبوه العاص يوم بدر كافراً قتله الإمام عليٌّ عليه السَّلام، وسعيد من كبار قريش، استعمله عثمان على الكوفة وكان متكبراً غليظاً وهو القائل هذا السواد بستان لأغيلمة من قريش، عزله عثمان عن الكوفة عام (٣٤هـ)، اعتزل الجمل وصفين ولم يشترك فيهما، ولَمَّا آلت الأُمور إلى معاوية ولّاه المدينة بالتعاقب مع مروان بن الحكم، وهو والد عمرو بن سعيد الأشدق، توفي في سنة (٥٩هـ). ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب: ٢/ ٦٢١-٦٢٤.

أين أبو عبد الله؟ قال له الحسن: «**أكفيك دونه**»، قال: فلعلَّ أبا عبد الله كره هذا يا أبا محمَّد؟ قال: «**قد كان، وأكفيك**»، قال: إذاً لا أدخل في شيء يكرهه، ورجع ولم يعرض في المال ولم يأخذ منه شيئاً)[١].

وردت روايتا ابن سعد بشأن خطبة زواج ابنة عبد الله بن جعفر لدى بعض المؤرخين، وهي لا تختلف من حيث المضمون فذكروا: (خطب معاوية بن أبي سفيان إلى عبد الله بن جعفر ابنته من زينب ابنة عليٍّ وأُمُّها فاطمة؛ وقال له معاوية: أقضي عنك دينك، فوعده، فقال عبد الله: إنَّ عليَّ أميراً لست أستطيع أنْ أُزوجها حتى أستأمره، فقال له معاوية: فاستأمره، وأتى حسين بن عليٍّ وقال: إنَّ معاوية خطب إليَّ ابنتي ووعدني قضاء ديني، وإنَّما أنت والد، أنت خالها فما ترى؟ قال له: «**أحبُّ أنْ تجعل أمرها بيدي**»، قال: هو بيدك، قال: فدخل حسين بن عليٍّ على الجارية فقال: «**إنَّ أباك قد جعل أمرك بيدي فاجعلي أمرك بيدي**»، فقالت: هو بيدك فخرج الحسين، فقال: «**اللهم أقدر لها خير من تعلم**»، فلقي شاباً منهم فقال: «**يا فلان اجعل أمرك بيدي**»، فقال: هو بيدك، وكتب معاوية إلى مروان بن الحكم وهو أمير المدينة: إنَّني خطبت إلى جعفر ابنته فاشترط رضا الحسين فادعه إليك حتى يسلِّم، فجمع مروان الناس وجاء بالدف والسكر، ودعا حسيناً فقال: إنَّ أمير المؤمنين كتب إليَّ أنَّه خطب إلى عبد الله بن جعفر، واشترط رضاك، فسلِّم له، فحمد الله حسين وأثنى عليه ثمَّ قال: «**أُشهدكم أنِّي قد زوجتها فلاناً**» يعني الشاب الذي لقيه، فقال مروان: أبيتم يا بني هاشم إلَّا غدراً، فقال له الحسين: «**نشدتك بالله هل تعلم أنَّ الحسن بن عليٍّ خطب ابنة عثمان بن عفان فاجتمع الناس مثل اجتماعهم الآن، وحضر الحسن لذلك، فجئت أنت فخطبت ثمَّ زوجتها غيره**»، فقال: نعم، قال

---

(١) الطبقات الكبير: ٦/ ٤١٥.

الحسين: «**فمن الغادر نحن أَم أنتم؟**»، ثمَّ أعطى الحسين عبد الله بن جعفر أرضاً له يقال لها البغيبغة فباعها من معاوية بألفي ألف، وأعطى الشاب الذي زوج أرضاً له أُخرى قومت ألفي ألف وأعطى من صلب ماله قيمة أربعة آلاف ألف)[١].

أمَّا قضية الزواج الثانية وهي زواج أُمِّ كلثوم ابنة الإمام عليٍّ عليه السَّلام فذكرها ابن عساكر في روايتين: الأُولى نقلها عن ابن سعد[٢]، أمَّا الثانية جاء فيها: (إنَّ سعيد بن العاص بعث إلى أُمِّ كلثوم بنت عليِّ بن أبي طالب التي كانت تحت عمر بن الخطاب يخطبها... فبلغ ذلك إخوتها فكرهوه وثقل عليهم وكلَّموها كلاماً شديداً، وقد كانت وعدت سعيداً موعداً فدعت ابنها زيد بن عمر بن الخطاب وهو يومئذٍ غلام صغير وبسطت دارها ووضعت فيها سريراً، ثم قالت: إذا جاء سعيد بن العاص فزوجنيه، وقد كان سعيد وعد ناساً وأرسل إليهم ليحضروا تزويجه فحضروه في المسجد، فلمَّا اجتمعوا إليه قال: إنِّي دعوتكم لأمر بدا لي غيره، إنِّي كنت خطبت أُمَّ كلثوم بنت عليٍّ فأنعمت، والله ما كنت لأدخل على ابني فاطمة بأمر يكرهانه، ثمَّ التفت إلى كعب مولاه فقال: انظر إلى المائتي ألف الدرهم التي هيأت لابنة عليٍّ، اذهب بها إليها وقل لها: يقول لك ابن عمِّك: إنَّا كنا هيأنا لكِ هذه فاقبضيها صلة منا لك)[٣].

ويمكننا من خلال كلِّ ما تقدَّم بشأن هذه الزيجات أنْ نبيّن الآتي:

١. ما أورده ابن سعد في قضيّة زواج ابنة عبد الله بن جعفر لا يمكننا نفي الحادثة

(١) ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق: ٢٥١-٢٥٢. ينظر: ابن شبة النميري، تاريخ المدينة: ١/ ٢٢١-٢٢٢. البلاذري، أنساب الأشراف: ٥/ ١٥٠-١٥٢. البكري، معجم ما استعجم: ٢/ ٦٥٩. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ١/ ٤٦٩-٤٧٠؛ الحميري، الروض المعطار: ١١٣.

(٢) ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٢١/ ١٣٠-١٣١.

(٣) م.ن: ٢١/ ١٣٠-١٣١.

برمتها كونها وردت من طرق مختلفة، فابن سعد أوردها بسنده عن الواقدي ونقلها عنه البلاذري بقوله: (حدثني محمَّد بن سعد)، كذلك نجد ابن إسحاق ذكرها بسنده عن الإمام الباقر عليه السَّلام، في حين وردت عند آخرين[١]، في أثناء حديثهم عن البغيبغة، كذلك ليس من المستغرب أنْ يقدم معاوية بن أبي سفيان على مثل هذا العمل لمحاولة الحصول على تأييد ظاهري في أقل تقدير من أحد بيوت بني هاشم، إذا ما علمنا مكانة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فيهم، فضلاً عن أنَّ أُمَّها زينب بنت عليٍّ عليهما السَّلام.

٢. يؤخذ على رواية ابن سعد الثانية أنَّها صورت الخلاف بين الإمام الحسين عليه السَّلام والأُمويين على أنَّه خلاف ضيق، وكأنَّه خلاف بين أُسرتين يمكن تجاوزه ورأب الصدع فيه عن طريق هذه المصاهرة، وهو ما تبين من قول مروان (وأن يتلافى صلاح هذين الحيين بالصهر)[٢]، وقول مروان هذا لم يرد في رواية ابن إسحاق ولا غيره من المؤرخين ما عدا البلاذري الذي نقلها عن ابن سعد[٣].

٣. تبيَّن من خلال الروايات المتقدِّمة الذكر دور الإمام الحسين عليه السَّلام في الحياة الاجتماعيَّة لبني هاشم، وضرورة أخذ موافقته في العديد من الأُمور المفصليَّة، ومن بينها قضايا الزواج، ومن الطبيعي أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام رفض تزويج يزيد بن معاوية لا لكونه من بني أُميَّة فحسب، وإنَّما لمعرفته بمواقفه المسبقة من الإسلام، والتي يرى الإمام عليه السَّلام أنَّه لا يستحق أنْ يكون زوجاً لهاشميَّة بمنزلة ابنة عبد الله بن جعفر، وحين وجد أنَّ عبد الله بن جعفر رغب في تزويج ابنته من يزيد بن معاوية لهدف

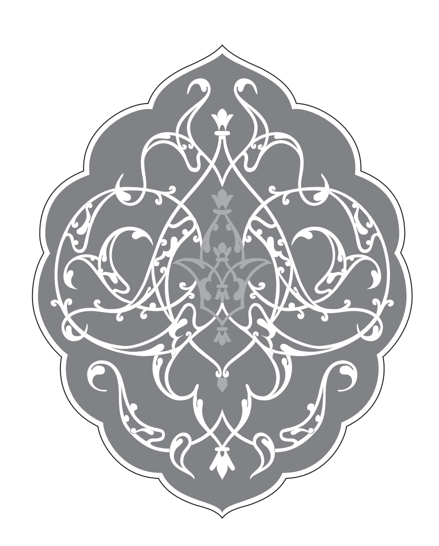
(١) ابن شبة النميري، تاريخ المدينة: ١/ ٢٢١-٢٢٢. البكري، معجم ما استعجم: ٢/ ٦٥٩. الحموي، معجم البلدان: ١/ ٤٦٩-٤٧٠. الحميري، الروض المعطار: ١١٣.

(٢) الطبقات الكبير: ٦/ ٤١٤- ٤١٥.

(٣) ينظر: أنساب الأشراف: ٥/ ١٥٠.

مادي نحله البغيبغة وألزمه بقضاء دينه وحاجته منها.

٤ . أمَّا رواية تزويج أُمِّ كلثوم المزعومة فمليئة بالأكاذيب والتناقضات التاريخيَّة والتي تهدف إلى إثبات زواج أُمِّ كلثوم من عمر بن الخطاب، وأنَّ له منها ولداً اسمه زيد، وهو أمر قد ناقشه الكثير من المؤرخين وكذبوه، ومن أهداف الرواية الأُخرى محاولة إثبات وجود الخلاف والتنازع بين أفراد البيت النبويِّ في مسألة تزويج أُمِّ كلثوم من سعيد بن العاص، فأُمُّ كلثوم بزعمهم كانت راغبة بالتزويج وسعت لتحقيق ذلك على خلاف رغبة أخيها الإمام الحسين عليه السَّلام، وهو ممَّا لا يُتصور صدوره من السيدة أُمِّ كلثوم وهي المعترفة بإمامة أخيها الإمام الحسين عليه السَّلام، ويستحيل أنْ يصدر عنها مخالفة لإمامها وسيد البيت العلوي آنذاك، لكنَّ الحقد الأُموي والعباسي لم يترك فرداً من أفراد بيت النبيِّ إلَّا وشوَّه صورته من أجل خدمة المصالح الأُمويَّة والعباسيَّة.



المبحث الثاني: الأبعاد العباديَّة

من المُسلَّم به أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام ولد ونشأ وترعرع في بيت النبوة، ومن الطبيعي أنْ تكون حياته العباديَّة مثالاً يقتدى به من كلِّ المسلمين ويسيروا على منهجه لقربه من بيت النبوَّة، فضلاً عمَّا أورده رسول الله صلَّى الله عليه وآله من الأحاديث النبويَّة الشريفة بحقِّه، ومن المؤكد أنَّ كلَّ قول أو فعل كان فيه تجسيدٌ وتطبيقٌ عمليٌّ للدين الإسلامي وقد أشار ابن سعد في ثنايا كتابه إلى هذه الأبعاد في شخصيته عليه السَّلام فذكر:

كان الإمام الحسين عليه السَّلام يقول في دعائه: «**اللهم إنَّك تَرى ولا تُرى، وأنت بالمنظر الأعلى، وإنَّ لك الآخرة والأُولى، وإنَّا نعوذ بك من أن نذل ونخزى**»[١]، ولم تفارق الإمام عليه السَّلام فلسفة الدعاء وأهميته في أحلك الظروف التي مرّ بها عليه السَّلام، فقد ذكر ابن سعد: أنَّه (لَمَّا أصبح يومه الذي قُتل فيه رحمة الله عليه قال: «**اللهم أنت ثقتي في كلِّ كرب، ورجائي في كلِّ شدَّة، وأنت لي في كلِّ أمر نزل بي ثقة، وأنت ولي كلِّ نعمة وصاحب كلِّ حسنة**»)[٢].

وهكذا كان ديدنه عليه السَّلام بأنَّه كان ترجماناً للقرآن والسُّنَّة النبويَّة المطهَّرة في كلِّ حركاته وسكناته، مبيناً للأُمَّة أنَّه مهما كان مصيره فهو بلطف من الله وتقديره سبحانه وتعالى، وأنَّ كلَّ ما نزل به وسينزل هو بأمر منه وبعينه مهما عظم الخطب؛ ولذلك كان

(١) الطبقات الكبير: ٦/ ٤١٣.

(٢) م.ن: ٦/ ٤٣٧-٤٣٨.

مثالاً اقتدى به كلُّ أحرار العالم على مرِّ الدهور والعصور.

وتبين من رواية ذكرها ابن سعد أنَّ بعض المسلمين يأخذون بأُمور دينهم من الأئمَّة الأطهار فقال: (جاء رجل من أهل مصر إلى الحسن والحسين يوم عرفة، فسألهما عن صيام يوم عرفة، فوجد حسيناً صائماً ووجد حسناً مفطراً، وقالا كلُّ ذلك حسن)[١].

وأشار ابن سعد في أكثر من رواية إلى أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام كان يحج ماشياً فذكر: (حجَّ الحسين بن عليٍّ خمساً وعشرين حجة ماشياً، ونجائبه تُقاد معه)[٢]، وفي رواية ثانية بسنده عن الإمام الصادق عليه السَّلام: «**إنَّ الحسين بن عليٍّ حجَّ ماشياً ونجائبه تقاد إلى جنبه**»[٣]، وفي رواية بسنده عن الإمام الباقر عليه السَّلام: «**كان حسين بن عليٍّ يمشي إلى الحجِّ ودوابه تقاد وراءه**»[٤].

أورد العديد من المؤرخين[٥]، عبادة الإمام الحسين عليه السَّلام ومنها حجه إلى مكَّة، فذكروا ما ذكره ابن سعد في أنَّه حجَّ خمساً وعشرين حجَّة ماشياً ودوابه تقاد معه، وذكر سبط ابن الجوزي أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام بعد وفاة الإمام الحسن عليه السَّلام يحجُّ في كلِّ عام ماشياً[٦]، وروى اليعقوبي أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام قال: «**علَّمني رسول الله قل هو الله أحد، وعلمني الصلوات الخمس**»[٧].

---

(١) م.ن: ٦/ ٤١٣.

(٢) م.ن: ٦/ ٤١٠.

(٣) الطبقات الكبير: ٦/ ٤١٠.

(٤) م.ن: ٦/ ٤١١.

(٥) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٤/ ١٨٠. ابن الجوزي، المنتظم: ٥/ ٣٤٩. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ٢/ ١٢٤. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٨٧-٢٨٨. الزرندي، درر السمطين: ٢٠٨.

(٦) تذكرة الخواص: ٢/ ١٢٩.

(٧) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٧١.

إمامة الإمام الحسين عليه السَّلام في رؤية ابن سعد وآليات التعامل معها

تُعدُّ الإمامة من القضايا المفصليَّة عند المسلمين واختلفت نظرتهم إليها، ففي حين نظر إليها الشيعة الإماميَّة (أصل من أُصول الدين، لا يتمُّ الإيمان إلَّا بالاعتقاد فيها، وأنَّها كالنبوَّة لطف من الله تعالى، فلا بُدَّ أنْ يكون في كلِّ عصر إمام هادٍ يخلف النبيَّ في وظائفه من هداية البشر... فهي استمرار للنبوَّة، والدليل الذي يوجب إرسال وبعث الأنبياء هو نفسه أيضاً نصب الإمام بعد الرسول صلَّى الله عليه وآله)[١].

وهي بذلك تعدُّ منصباً إلهياً، بينما يرى الأعمّ الأغلب ممَن خالفهم من المسلمين أنَّها منصب دنيويٌّ لإقامة أُمور الدين والدنيا، ينعقد من وجهين: إمَّا باختيار أهل العقد والحل ويذهبون في ذلك مذاهب شتى فيختلفون في عددهم، مستندين بذلك على بيعة أبي بكر في السقيفة، أو بتعيين الحاكم الذي بعده كما فعل أبو بكر باختياره عمر بن الخطاب، أو الستة الذين اختارهم عمر لما يسمى بالشورى، وهكذا استمر الحال في كلِّ عصر وزمان، ولا بُدَّ للأُمَّة من إمام أو خليفة برّاً كان أو فاجراً، وما على الأُمَّة بعد أن انعقدت بيعته إلَّا الطاعة والقبول به[٢]، ووضعوا على لسان رسول الله صلىَّ الله عليه وآله ما يشرعن ذلك: (**«سيليكم بعدي البرُّ ببره، ويليكم الفاجر بفجوره، فاسمعوا وأطيعوا في كلِّ ما وافق الحقَّ، فإنْ أحسنوا فلكم ولهم، وإنْ أساءوا فلكم وعليهم»**)[٣]، ومن ذلك زعموا أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام قُتل بسيف جده[٤].

(١) المظفر، عقائد الإماميّة: ١١٩-١٢٠. ينظر: الشريف المرتضي، الشافي في الإمامة: ١/ ٣٥ وما بعدها.

(٢) ينظر: الماوردي، الأحكام السلطانية: ٥-٢١. وللمزيد من التفاصيل ينظر: القاسم، أزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة: ٢١ وما بعدها، الأميني، دراسة عامة في الإمامة: ٣٧ وما بعدها.

(٣) المتقي الهندي، كنز العمال: ٦/ ٦٢.

(٤) ابن العربي، العواصم والقواصم: ٢٣٣-٢٣٤. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١/ ٢١٧.

وسوف نتطرق إلى ما ذكره ابن سعد من روايات بشأن مقام إمامة الإمام الحسين عليه السَّلام والتي يمكن أن نجعلها في محورين:

المحور الأوَّل أحاديثه عن فضائل الإمام عليه السَّلام، وأمَّا الثاني مروياته التي تتعارض مع مقام الإمامة، ومن خلالهما نحاول الانطلاق لمعرفة رؤيته في ذلك.

المحور الأوَّل: أحاديث فضائل الإمام عليه السَّلام

أورد ابن سعد العديد من الروايات التي بينت حبَّ الرسول صلَّى الله عليه وآله للإمام الحسين عليه السَّلام وهو ما أوضحه في العديد من المواقف، والتي مهد من خلالها الرسول صلَّى الله عليه وآله لأهليته لمقام الإمامة منذ صغره، مثل ما مهَّد للإمامين عليٍّ والحسن عليهما السَّلام ومنها قوله صلَّى الله عليه وآله: «**حسين منِّي وأنا منه، أحبَّ الله من أحبَّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط**»[(١)]، وأورد قوله صلىَّ الله عليه وآله: «**من أحبَّهما فقد أحبَّني ومن أبغضهما فقد أبغضني**»[(٢)]، وحديثه صلىَّ الله عليه وآله بحقِّ الحسن والحسين عليهما السَّلام: «**من أحبَّني فليحبّ هذين**»[(٣)].

ونقل ابن سعد بسنده عن أبي هريرة قال: (خرج علينا رسول الله صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم ومعه حسن وحسين، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرَّة

(١) الطبقات الكبير: ٦/ ٤٠٤-٤٠٥. أخرجه: البخاري، التاريخ الكبير: ٨/ ٤١٤-٤١٥. الطبراني، المعجم الكبير: ٣/ ٣٢.

(٢) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٦٢، ٤٠٤. أخرجه أبو يعلى الموصلي، مسند أبي يعلى: ١١/ ٧٩. الطبراني، المعجم الكبير: ٣/ ٤٨. والمعجم الوسيط: ٥/ ١٠٢. القاضي النعمان، شرح الأخبار: ٣/ ٧٦. الطوسي، الأمالي: ٢٥١. الذهبي، ميزان الاعتدال: ٢/ ١١٠.

(٣) الطبقات الكبير: ٦/ ٤٠٤. أخرجه: النسائي، السنن الكبرى: ٥/ ٥٠. أبو يعلى الموصلي، مسند أبي يعلى: ٩/ ٢٥٠. ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة: ٢/ ٤٨. الدار قطني، علل الدار قطني: ٥/ ٩٤. ابن حبان، صحيح ابن حبان: ١٥/ ٤٢٧؛ الهيثمي، مجمع الزوائد: ٩/ ١٧٩-١٨٠.

وهذا مرَّة، حتى انتهى إلينا فقال له رجل: يا رسول الله إنَّك لتحبّهما فقال: «**من أحبَّهما فقد أحبَّني ومن أبغضهما فقد أبغضني**»[1].

وبسنده عن أُسامة بن زيد بن حارثة قال: (طرقت رسول الله صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم ذات ليلة لبعض الحاجة، فخرج إليَّ وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو، فلمَّا فرغت من حاجتي قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه؟ فكشف فإذا حسن وحسين على وركيه فقال: «**هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهم إنَّك تعلم أنِّي أُحبَّهما فأحبّهما، اللهم إنَّك تعلم أنِّي أحبّهما فأحبّهما، اللهم إنَّك تعلم أنِّي أحبّهما فأحبهما**»)[2].

وكذلك بسنده عن جابر الأنصاري ذكر ابن سعد أنَّه قال: (دخل حسين بن عليٍّ من باب بني فلان، فقال جابر: مَنْ سَره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا، فأشهد أنِّي سمعت رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم يقوله)[3]، ومن ثلاثة طرق مختلفة أورد ابن سعد حديث الرسول صلَّى الله عليه وآله: «**إنَّ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»[4].

ومن أحاديث رسول الله صلَّى الله عليه وآله التي أوردها ابن سعد بحقِّ الأئمَّة

---

(١) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٦٣. أخرجه: أحمد بن حنبل، مسند أحمد: ٢/ ٤٤٠. الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين: ٣/ ١٦٦. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٣/ ١٩٩. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٥٤. الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/ ١٧٩. المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٣٢٩. ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/ ٣٩. ابن حجر، الإصابة: ٢/ ٦٢.

(٢) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٠٢. أخرجه: ابن أبي شيبة الكوفي، المصنف: ٧/ ٥١٢. ابن حبان، صحيح ابن حبان: ١٥/ ٤٢٢-٤٢٣. النسائي، السنن الكبرى: ٥/ ١٤٥. وخصائص أمير المؤمنين: ١٢٣. الهيثمي، موارد الظمآن: ٧/ ١٨٩-١٩٠.

(٣) الطبقات الكبير: ٦/ ٤٠٢. أخرجه: الهيثمي، مجمع الزوائد: ٩/ ١٨٧.

(٤) م.ن: ٦/ ٣٦٣، ٤٠٥. أخرجه: الطبراني، المعجم الكبير: ٣/ ٢٩. المتقي الهندي، كنز العمال: ١٢/ ١١٣. الصالحي، سبل الرشاد: ١١/ ٦٠.

الأطهار ومنهم الإمام الحسين عليه السَّلام والتي حاول أعداؤهم طمسها أو تشويهها أو حرفها عن مسارها الصحيح وتأويلها لغير الغاية التي أرديت منها، هي حديث الكساء والثقلين والمباهلة، كلُّ ذلك أورده ابن سعد في كتابه، فذكر عن أُمِّ سلمة قولها: (إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم جمع فاطمة وحسناً وحسيناً ثمَّ أدخلهم تحت ثوبه، ثمَّ جأر إلى الله فقال: «**رب هؤلاء أهلي**»، قالت أُمُّ سلمة: فقلت يا رسول الله، أدخلني معهم، فقال: «**إنَّك من أهلي**»)[1].

وفي رواية ثانية عنها: (بينا رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم ذات يوم في بيتي إذ جاءت الخادمة فقالت: عليٌّ وفاطمة بالسدة، فقال لي: «**تنحي عن أهل بيتي**»، فتنحيت في ناحية البيت فدخل عليٌّ وفاطمة ومعهما حسن وحسين وهما صبيان صغيران، فأخذ حسناً وحسيناً فأجلسهما في حجره، وأخذ علياً فاحتضنه إليه، وأخذ فاطمة بيده الأُخرى فاحتضنهما وقبلهما وأغدق عليهما خميصة سوداء، ثمَّ قال: «**اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي**»، فقالت أُمُّ سلمة فقلت: وأنا يا رسول الله، قال: «**وأنتِ**»)[2].

ولمَّا كان الإمامان الحسن والحسين عليهما السَّلام ابنَيْ رسول الله صلَّى الله عليه وآله فإنّ هذا يُحلُّ لهما رؤية نساء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، فذكر ابن سعد رواية بسنده عن الإمام الباقر عليه السَّلام قال: «**كان الحسن والحسين لا يريان أُمَّهات المؤمنين، فقال ابن عباس: إنَّ رؤيتهن لهما حلال**»[3].

---

(١) م.ن: ٦/ ٤٠٢. أخرجه الطبري، جامع البيان: ٢٢/ ١٢. الطبراني، المعجم الكبير: ٣/ ٥٣، و٢٣/ ٣٠٨.

(٢) م.ن: ٦/ ٤٠٢. أخرجه كلٌّ من ابن أبي شيبة الكوفي، المصنف: ٧/ ٥٠١. أحمد بن حنبل، مسند أحمد: ٦/ ٢٩٦. الطبراني، المعجم الكبير: ٣/ ٥٤، و٢٣/ ٣٣٠. الخطيب التبريزي، الإكمال في أسماء الرجال: ١٥٦. ابن كثير، تفسير ابن كثير: ٣/ ٤٩٣. الهيثمي، مجمع الزوائد: ٩/ ١٦٦. المتقي الهندي، كنز العمال: ١٣/ ٦٤٤-٦٤٥.

(٣) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٦٨. سعيد بن منصور، سنن سعيد: ١/ ٢٣٩. ابن أبي شيبة الكوفي، المصنف: ٣/ ٤١٧. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٦٥.

والحديث المتقدم يشير إلى أنَّ سبطي الرسول صلَّى الله عليه وآله كانا من حقِّهما رؤية نساء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله اللواتي حُجبن عن الناس ما خلا ما هو محرّم عليهن، فكان الإمامان عليهما السَّلام ممَّن يحقُّ لهم الدخول والخروج إليهن، وربما قول الإمام الباقر عليه السَّلام أنَّهما لا يريان أُمَّهات المؤمنين هو تخليهم عن حقٍّ من حقوقهم، وليس لأنَّ ذلك محرم عليهم فهما أبناء رسول الله صلَّى الله عليه وآله، وهو ما يفسر من تذييل الرواية بقول ابن عباس.

وأورد ابن سعد حديث المباهلة فذكر: (قدم على النبيِّ صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم أسقف نجران والعاقب[١]، قال: فعرض عليهما رسول الله صلىَّ الله عليه - وآله - وسلَّم الإسلام فقالا: إنَّا كنَّا مسلمين قبلك، قال: «**كذبتما، إنَّه منع منكم الإسلام ثلاثاً: قولكما اتخذ الله ولدا، وأكلكما لحم الخنزير، وسجودكما للصنم**»، فقالا فمن أبو عيسى؟ فما دري رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم ما يرد عليهما، حتى أنزل الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[٢] إلى قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللّهُ وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٣]، قال: فدعاهما رسول الله صلىَّ الله عليه - وآله - وسلَّم إلى الملاعنة، وأخذ بيد فاطمة والحسن والحسين وقال: «**هؤلاء بني**»، قال: فخلا أحدهما بالآخر

(١) كبار وفد نجران ثلاثة الأوَّل: هو عبد المسيح ويسمّى العاقب وهو أمير القوم وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم لا يخلفون رأيه، والثاني ويعرف بالسيد هو الذي يقوم بأُمورهم وشؤونهم وصاحب رحلهم واسمه الأيهم، والثالث هو أبو حارثة بن علقمة من قبيلة بكر بن وائل وهو أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم له شأن وشرف كبير عند ملوك الروم من النصرانية بنوا له الكنائس وأغدقوا عليه الأموال... ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية: ج٢/ ٥٧٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦٢.

فقال: لا تلاعنه، فإنْ كان نبياً فلا بقيَّة، قال: فجاءا فقالا: لا حاجة لنا في الإسلام ولا في ملاعنتك، فهل من ثالثة؟ قال: «**نعم، الجزية**» فأقرّا بها ورجعا)[١].

وذكر في رواية أُخرى (لَّما أراد النبيُّ صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم أنْ يباهل أهل نجران، أخذ بيد حسن وحسين، وقال لفاطمة: «**اتبعينا**»، فلـمَّا رأى ذلك أعداء الله رجعوا)[٢].

ومن الملاحظ على رواية ابن سعد عن وفد نجران أنَّ فيها خللاً جوهرياً وهو تغييب دور الإمام عليٍّ عليه السَّلام في هذه الحادثة المفصليَّة، والتي تُعدُّ صريحة بأفضليَّة الأئمَّة عليٍّ والحسن والحسين وأُمِّهما فاطمة الزهراء عليهم السَّلام، وكانت تلك الحادثة سبباً في نزول قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[٣].

وقد أشار المفسِّرون إليها صراحة إلى الأئمَّة عليٍّ والحسن والحسين وإلى فاطمة الزهراء عليها السَّلام، فذكر الفخر الرازي: (... وكان قد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعليٌّ رضي الله عنه خلفها، وهو يقول، «**إذا دعوت فأمِّنوا**»، فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى، إنِّي لأرى وجوهاً لو سألوا الله أنْ يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، ثمَّ قالوا: يا أبا القاسم، رأينا أنْ لا نباهلك وأن نقرك على دينك، فقال صلوات الله عليه:

---
(١) الطبقات الكبير: ٦/ ٤٠٦-٤٠٧.
(٢) م.ن: ٦/ ٤٠٧.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

«فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا، يكن لكم ما للمسلمين، وعليكم ما على المسلمين»، فأبوا، فقال: «**فإنِّي أُناجزكم القتال**»، فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تردَّنا عن ديننا...)[١].

وهكذا نجد الفخر الرازي وغيره من المفسِّرين يرى أنَّ سبب رفض نصارى نجران المباهلة هو قول أحدهم: (إنِّي لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها).

ومن المعلوم أنَّ ابن سعد خصص جزأين مهمين من كتابة الطبقات الكبير للسيرة النبويَّة حتى عدَّه ابن النديم كتاباً منفصلاً مختصّاً بسيرة الرسول عن كتابه الطبقات الكبير[٢]، وسبب ذلك الكمِّ الهائل من المعلومات التي وردت في هذين الجزأين عن سيرة الرسول صلَّى الله عليه وآله، لكنَّنا نجد ما كتبه تحت عنوان وفد نجران يختزل الحادثة بقوله: (... ثمَّ غدوا عليه بزي الرهبان فسلَّموا عليه، فردَّ عليهم السَّلام ودعاهم إلى الإسلام، فأبوا وكثر الكلام والحجاج بينهم، وتلا عليهم القرآن، وقال رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم: «**إنْ أنكرتم ما أقول لكم فهَلُم أُباهلُكُمْ**»، فانصرفوا على ذلك، فَغَدَا عبد المسيح ورجلان من ذَوي رأيهم على رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم فقال: قد بدا لنا أن لا نُبَاهلك فاحكم علينا بما أحببت نعطك ونُصالحك،...)[٣].

وهكذا نجد ابن سعد أغفل ذكر كثير من الحقائق وعوَّض عنها بكلمات مُبهمة، فلم يبن السبب الذي جعل وفد نجران يتراجع عن المباهلة وموافقتهم على حكم الرسول صلَّى الله عليه وآله، في حين كانوا كثيري الجدل والحجاج مع الرسول صلَّى الله عليه وآله

(١) التفسير الكبير، ٨/ ٨٥. وينظر: السمعاني، تفسير السمعاني: ١/ ٣٢٧.

(٢) الفهرست: ١١١.

(٣) الطبقات الكبير: ١/ ٣٠٧-٣٠٨.

حسب رواية ابن سعد نفسه، بل وحتى في روايته التي ذكرها في ترجمة الإمام الحسين عليه السَّلام لم يشر إلى أنَّ الإمام علياً عليه السَّلام كان معهم، وأنَّ سبب تركهم مباهلة الرسول صلَّى الله عليه وآله هو ما تبين من قولهم: (إنَّا نرى وجوهاً لو سألوا الله أنْ يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها).

بينما أشارت المصادر التاريخيَّة إلى أنَّ الرسول صلَّى الله عليه وآله لَمَّا جاء بأهل بيته تساءل وفد نصارى نجران عنهم فقالوا: (هذا ابن عمِّه وهذه ابنته وهذان ابناها)[(١)]، وذكر سبط بن الجوزي قول النصارى بعضهم لبعض: (إنْ خرج في عدَّة من أصحابه فباهلوه، لأنَّه غير نبيٍّ، وإنْ خرج في أهل بيته، فلا تباهلوه، فإنَّه نبيٌّ صادق، ولئنْ باهلتموه لتهلكن... وخرج رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم وعليٌّ عليه السَّلام بين يديه والحسن عن يمينه والحسين عن شماله وفاطمة عليها السَّلام خلفه، ثمَّ قال: «**هلموا فهؤلاء أبناؤنا**» وأشار إلى الحسن والحسين «**وهذه نساؤنا**» يعني فاطمة «**وهذه أنفسنا**» يعني نفسي وأشار إلى عليٍّ، فلمَّا رأى القوم ذلك خافوا وجاءوا بين يديه، فقالوا: يا محمَّد، أقلنا أقالك الله)[(٢)]، وبينما نجد ابن سعد اكتفى بذكر الشهود على كتاب الصلح بين الرسول ووفد نجران، نجد اليعقوبي ذكر وكتبه عليُّ بن أبي طالب عليه السَّلام[(٣)].

وعلى الرغم من أنَّ ابن سعد يُحسب له ذكر آية المباهلة في ظل التعتيم على فضائل أهل البيت عليهم السَّلام في كتب التراث الإسلامي، إلَّا أنَّه يؤخذ عليه في هذه الرواية بَخْسِهِ حقَّ الإمام عليٍّ عليه السَّلام في موضوعة وفد نجران، تلك

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٥٤-٥٥. ينظر: ابن شبة النميري، تاريخ المدينة: ٢/ ٥٨٣. المقريزي، إمتاع الأسماع: ٢/ ٩٥. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ١/ ١٧٤-١٧٦.

(٢) تذكرة الخواص: ١/ ١٧٥-١٧٦.

(٣) ينظر: الطبقات الكبير: ٢/ ٣٠٨. وتاريخ اليعقوبي: ٢/ ٥٥.

المباهلـة التـي جعـل الله تعالى فيهـا بنصٍّ قرآنيٍّ صريـحٍ أنَّ الإمـام عليّاً عليه السَّـلام هو نفـس رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآله.

وأورد ابن سعد بسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله قال: «**إنِّي أوشك أنْ أُدعى فأُجيب، وإنِّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعِترتي، كتابُ الله حَبْلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنَّ اللطيف الخبير أخبرني أنَّهما لن يفترقا حتى يَرِدا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تَخْلُفُونِي فيهما**»[١].

وحديث الثقلين من الأحاديث التي حاول البعض[٢] إثارة الجدل حولها، فأوردوها بتحريف حديث رسول الله صلَّى الله عليه وآله فقالوا: كتاب الله وسنتي، وذكر ابن عبد البر بعد ذلك بقوله: (الهدي كلُّ الهدي في اتباع كتاب رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم، فهي المبينة لمراد كتاب الله إذا أشكل ظاهره أبانت السُّنَّة عن باطنه وعن مراد الله منه، والجدال في ما تعتقده الأفئدة من الضلال)[٣]، ولم تكن لهم غاية في ذلك سوى أنهَّم أرادوا أنْ يحرفوا قول الرسول صلَّى الله عليه وآله لأنَّه يقوِّض حكمهم وملكهم إذا ما عرفت الأُمَّة حقَّ أهل البيت عليها.

فيما نجد ابن سعد كان منصفاً وموضوعياً في ذكره حديث الثقلين إذا ما قورن مع غيره من المؤرخين أمثال ابن عبد البر والسيوطي، فضلاً عمَّا تمثله رواية ابن سعد من حيث السبق الزمني على غيرها.

(١) الطبقات الكبير: ٢/ ١٧٤. ينظر كذلك: أحمد بن حنبل، مسند أحمد: ٣/ ١٤-١٧. الدارمي، سنن الدارمي: ٢/ ٤٢٢. ابن أبي عاصم، كتاب السنة: ٦٣٠. الطبراني، المعجم الكبير: ٥/ ١٥٤. والمعجم الوسيط: ٣/ ٣٧٤. الحاكم النيسابوري، المستدرك: ٣/ ١٤٨. الشريف المرتضي، الانتصار: ٨١. البيهقي، السنن الكبرى: ٧/ ٣٠، و١٠/ ١١٤. الطوسي، الخلاف: ١/ ٢٧. الهيثمي، مجمع الزوائد: ٩/ ١٦٣.

(٢) ابن عبد البر، الاستذكار: ٨/ ٢٦٥. السيوطي، الجامع الصغير: ١/ ٥٠٥. المتقي الهندي، كنز العمال: ١/ ١٧٣.

(٣) م.ن: ٨/ ٥٠٥.

كذلك ذكر ابن سعد العديد من الروايات التي أشارت إلى بعض أقوال معاصري الإمام الحسين عليه السَّلام بحقِّه، فذكر (بينما عمرو بن العاص كان جالساً في ظلِّ الكعبة، إذ رأى الحسين بن عليٍّ مقبلاً، فقال: هذا أحبُّ أهل الأرض إلى أهل السماء اليوم)(١)، وذكر كذلك أنَّ رجلًا جاءه (فقال: عليَّ رقبة من ولد إسماعيل، فقال: ما أعلمها إلَّا الحسن والحسين)(٢)، وروى ابن سعد (كان الرجل إذا أتى ابن عمر فقال: إنَّ عليَّ رقبة من بني إسماعيل قال: عليك بالحسن والحسين)(٣)، تلك الروايات التي تبينّ منزلة ومكانة الإمام الحسين عليه السَّلام عند بعض معاصريه، فضلاً عمَّا ذكره من أقوال بعض الناصحين التي سوف نتطرق إليها في موضعها.

المحور الثاني: الروايات التي تتعارض مع مقام الإمامة

على الرغم ممَّا تقدَّم نجد ابن سعد أورد العديد من الروايات التي لا يمكن القبول والأخذ بها من دون مناقشتها مناقشة علميَّة وموضوعيَّة، لمعرفة غاياتها وأهدافها التي وضعت من أجلها أو مدى صحتها من عدمها.

فقد ذكر عن أبي سعيد الخدري(٤) قال: (رأيت الحسن والحسين صليا مع الإمام العصر ثمَّ أتيا الحجر فاستلماه...)(٥)، وذكر في رواية أُخرى: أنَّ (الحسن والحسين

(١) الطبقات الكبير: ٦/ ٤٠٨.

(٢) م.ن: ٦/ ٤٠٨.

(٣) م.ن: ٦/ ٤٠٨.

(٤) أبو سعيد الخدري وهو سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة من الخزرج، لم يشترك في أُحد لصغر سنه، واستشهد والده في معركة أُحد، وشهد الخندق وما بعدها، روى عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله تعرض للضرب يوم الحرة ونُهب بيته، كان يقول نعرف المنافقين ببغضهم عليَّ بن أبي طالب عليهما السلام. توفي عام (٧٤هـ). ينظر: ابن سعد، الطبقات: ٥/ ٣٥٠-٣٥٦. ابن الأثير، أسد الغابة: ٤/ ٣٠، و٥/ ٢١١. ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ٣/ ٦٥-٦٧.

(٥) الطبقات الكبير: ٦/ ٤١٢.

يصليان المكتوبة خلف مروان)[١]، وفي رواية ثالثة ذكر: (كان الحسن والحسين يصليان خلف مروان ويعتدان بالصلاة معه)[٢]، ورواية رابعة جاء فيها: (قال: أخبرنا شبابة بن سوار، قال: أخبرني بسام[٣]، قال: سألت أبا جعفر عن الصلاة خلف بني أُمية؟ فقال: صلِّ خلفهم، فإنَّا نصلي خلفهم، قال: قلت: يا أبا جعفر، إنَّ ناساً يزعمون أنَّ هذا منكم تقيَّة، فقال: قد كان الحسن والحسين يصليان خلف مروان يبتدران الصف، وإنْ كان الحسين ليسبه وهو على المنبر حتى ينزل، أفتقيَّة هذه؟)[٤].

وفي ترجمته لزين للإمام العابدين عليه السَّلام ذكر قول الباقر عليه السَّلام: «**إنَّا لنصلي خلفهم في غير تقيَّة، وأشهد على عليِّ بن حسين أنَّه كان يصلِّي خلفهم في غير تقيَّة**»[٥].

وعند استشهاد الإمام الحسن عليه السَّلام ذكر ابن سعد روايات عدَّة تشير إلى أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام قدَّمَ والي المدينة سعيد بن العاص للصلاة عليه وقال: (لولا أنَّها سُنَّة ما قدمتك)[٦]، وكذلك قوله عليه السَّلام: (تقدَّم فلولا أنَّ الأئمَّة تُقدَّم ما قدمناك)[٧]، وفي رواية أُخرى: (قال حسين بن عليٍّ لسعيد بن العاص: تقدَّم فلولا أنهَّا سُنَّة ما قدَّمتك، يعني على الحسن بن عليٍّ)[٨].

---

(١) م.ن: ٦/ ٣٧٢.

(٢) م.ن: ٦/ ٤١٣.

(٣) هو بسام بن عبد الله الصيرفي، كنيته أبو عبد الله مولى بني أسد، روى عن الإمام الباقر عليه السَّلام، قتله أبو جعفر المنصور.. النجاشي، رجال النجاشي: ١١٠-١١١.

(٤) الطبقات الكبير: ٦/ ٤١٢.

(٥) م.ن: ٧/ ٢١١.

(٦) م.ن: ٦/ ٣٩١

(٧) م.ن: ٦/ ٣٩٠

(٨) م.ن: ٦/ ٣٩١-٣٩٢.

وقد ذكرت بعض المصادر التاريخيَّة هذه الروايات التي ذكرها ابن سعد[١]، وللوقوف على حقيقتها والغايات والأهداف التي وجدت لأجلها، نودّ بيان الآتي:

١. قدَّم ابن سعد العديد من الروايات التي تؤكد حبَّ الرسول صلَّى الله عليه وآله إلى الإمام الحسين عليه السَّلام، وأورد الكثير من الأحاديث النبويَّة الشريفة بحقِّه، بل إنَّه أورد بعضها من وجوه عدَّة ومن طرق مختلفة، تأكيداً لصحتها ووثاقتها، وجاء بها مسندة متبعاً فيها أُسلوب المحدثين، ولم يتبع فيها الأُسلوب الجمعي الذي استعمله في بعض الروايات التاريخيَّة الذي يُعدُّ من المآخذ على الرواية التاريخيَّة، وهو بذلك يُعدُّ من أوائل من حفظ هذا التراث لأهل البيت. وله السبق الزمني في ذكر بعض الأحاديث النبويَّة الشريفة بحقِّ الإمام الحسين عليه السَّلام، ونظرة بسيطة إلى تخريج الأحاديث التي أوردها ابن سعد نجد إسنادها العالي، وهو جُلّ ما يبحث عنه المحدثون والرواة والمؤرخون، لكنْ على الرغم من كلِّ ذلك نجده تجنب الخوض في صريح الأحاديث النبويَّة بحقِّ الأئمَّة، ومنها قول الرسول صلَّى الله عليه وآله: «**إنّ ابني هذين إمامان إنْ قاما وإن قعدا**»[٢].

٢. يؤخذ على ابن سعد أنَّه أورد العديد من الروايات التي أشارت إلى صلاة كلٍّ من الإمامين الحسن والحسين عليهما السَّلام خلف مروان بن الحكم، علاوة على صلاة

---

(١) الشافعي، كتاب الأُمّ: ١/ ١٨٥. ومسند الشافعي: ٥٦. عبد الرزاق الصنعاني، المصنف: ٤/ ٢٧١. البخاري، التاريخ الصغير: ١/ ١٣٦. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة: ٢٠٢. أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٨٣. الطبراني، المعجم الكبير: ٣/ ١٣٦. القاضي النعمان، شرح الأخبار: ٣/ ١٢٦. الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين: ٣/ ١٧١. السرخسي، المبسوط: ٢/ ٦٢. الراوندي، النوادر: ١٦٣. البيهقي، السنن الكبرى: ٣/ ١٢٢. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٥٤/ ٢٩٠. و٥٧/ ٢٤٨. العلامة الحلي، تذكرة الفقهاء: ١/ ١٧٧، و٤/ ٢٨٢. ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/ ٢٨٣. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٧٨. الهيثمي، مجمع الزوائد: ٣/ ١٧١. الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٥/ ٣٨٣، و٨/ ٣٠١. المجلسي، بحار الأنوار: ٤٤/ ١٢٣، و٨٥/ ٧٣.

(٢) القاضي النعمان، دعائم الإسلام: ١/ ٣٧.

سعيد بن العاص والي المدينة على الإمام الحسن عليه السَّلام بوجود الإمام الحسين عليه السَّلام، وفي هذا الشأن يمكننا مناقشتها من وجوه عدَّة:

الوجه الأوَّل

يبدو أنَّ مَن وضعوا آلاف الأحاديث النبويَّة على لسان النبيِّ صلَّى الله عليه وآله اجتهدوا في وضع تلك الروايات ومن طرق متعددة ووجوه مختلفة، للنيل من قدسيَّة آل البيت والأئمَّة الأطهار ومصادرة حقِّهم في الإمامة، كما صادروا حقَّهم في قيادة الأُمَّة، وبخسهم إياها، ولذلك نجدهم وضعوها على لسان بعض الأئمَّة أو أصحابهم، ليوهموا الآخرين في صحَّة تلك الروايات؛ ولذلك ارتأينا عدم الخوض في إسناد أغلب تلك الروايات كونهم اجتهدوا في الإتيان بها من وجوه متعددة وطرق مختلفة تدليساً ووضعاً.

الوجه الثاني

وردت تلك الروايات عند ابن سعد في غير الغاية التي ذكرتها أغلب كتب التاريخ والحديث، فأغلبهم أوردها كشاهد على صحَّة الصلاة خلف الحاكم الجائر والظالم، كون الإمامين الحسن والحسين عليهما السَّلام صليا خلف مروان، وابن عمر صلَّى خلف الحجاج، وأنَّ العديد من الصحابة صلُّوا خلف مَن لا يحمدون فعاله من السلطان، وقد أشار العلامة الحلي إلى أنَّ صلاتهم خلف مروان تأتي من باب التقيَّة، وأنَّ الصلاة على الميت من قبل الوالي أو الحاكم هو سُنَّة(١).

ويبدو ممَّا ذكره ابن سعد بصلاة الإمامين عليهما السَّلام خلف مروان وغيره من الأُمويين – بشكل ملفت للنظر فضلاً عن التركيز على ذلك – أنَّه نقل المتلقي إلى فكرة أنَّ

(١) تذكرة الفقهاء: ٢/ ٤٠.

العلاقة بين البيت الأُموي والأئمَّة الأطهار علاقة حسنة، وما تلك الخلافات الحاصلة سوى أُمور جانبيَّة، بدليل أنَّ عمود الدين هي الصلاة والأئمَّة يعتدّون بصلاتهم خلف بني أُميَّة وولاتهم، ولم يكتفِ ابن سعد بنقل المتلقي والقارئ بهذا الشكل، بل حاول إيصال الفكرة إليه بنقل بعض الروايات التي تبين أنَّ أصل الخلاف هو خلاف جانبي لا يرتقي إلى عظام الأُمور، فذكر أنَّ مروان حمل سرير الحسن عند وفاته، ولمَّا عُوتب على مواقفه معه قال: (كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال)[1].

وهذا يعني أنَّ مروان الذي منع دفن الإمام الحسن عليه السَّلام مع جدِّه رسول الله صلَّى الله عليه وآله، وكادت الدماء تسيل بسبب ذلك، قد حضر دفن جنازة الإمام عليه السَّلام وحملها معهم وهو خلاف المنطق والعقل.

ونجد ابن سعد ساق تلك الروايات التي ذكرت صلاة الأئمَّة خلف الوالي أو السلطان وكأنَّه أمر مُسلَّم به في رأيه، ففضلاً عن تأكيده على تلك الروايات بإيرادها بطرق عدَّة، فقد ذكر ثلاث روايات كلَّها تذكر أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام قال لسعيد بن العاص: تقدَّم فلولا أنَّها سُنَّة ما قدمتك، ثمَّ جاء بحديث نبويٍّ شريف بعد ذلك مباشرة؛ ليؤكد أنَّ الوالي أو السلطان هو الإمام وهو أحقُّ بالصلاة، فذكر بسنده عن الواقدي: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: (الإمام أحقُّ بالصلاة)[2].

هذا الحديث لم نجده في كتب الحديث التي اطلعنا عليها وأخرجه ابن سعد وأحد رجاله حسن بن عمارة البجلي وهو كوفي متوفى عام (١٥٣هـ)، وصفه ابن سعد بقوله:

---

(١) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٩٣.

(٢) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٩٢.

(كان ضعيفاً في الحديث، ومنهم من لا يكتب حديثه)[١]، وذُكر أنَّه وضع سبعين حديثاً عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله لا أصل له، فضعَّفه وتركه أغلب علماء الجرح والتعديل ورجال الحديث[٢].

والسؤال الذي يرد هنا لماذا كتب ابن سعد حديثه في هذا الموضع بالذات وهو متروك الحديث حسب قوله وهو ممَّن لا يكتب حديثه؟

ويبدو أنَّ ابن سعد لم يكن مطمئناً لمقبوليَّة تلك الروايات الثلاث التي أشارت إلى أنَّ سعيد بن العاص هو من صلَّى على الإمام الحسن عليه السَّلام بوجود الإمام الحسين عليه السَّلام وبني هاشم، ولم يكن هناك دليل لذلك إلَّا أنْ يأتي بحديث نبويٍّ يؤكد أنَّ الإمام هو أَولى بالصلاة على من يموت في سلطانه من وليه وغيره، وبهذا فهو يؤكد صحَّة رواياته تلك ويضفي صفة الإمامة على الوالي والسلطان، ويبدو أنَّه يتبنى رأي مدرسة الصحابة أنَّ السُّلطان هو ولي الأمر عادلاً كان أَم جائراً.

وهكذا نجد ابن سعد حاول طرح نظراء للأئمَّة عليهم السَّلام أو في أقلّ تقدير مساواتهم معهم، فلم يكن هناك أيُّ إشكال بصلاة الإمامين الحسن والحسين عليهم السَّلام خلف مروان بن الحكم أو صلاة والي المدينة سعيد بن العاص على جنازة الإمام الحسن عليه السَّلام بوجود الإمام الحسين عليه السَّلام، وربما هو بذلك لا يعتقد بإمامتهما وإنَّما ركَّز على نظريَّة المتغلب أو الحاكم ومادام الإمام الحسين عليه السَّلام لم يتولَ السُّلطة السياسيَّة فهو في نظر ابن سعد ليس إماماً؛ ولذلك كان عليه الاعتداد بالصلاة خلف

---

(١) م.ن: ٨/ ٤٨٨.

(٢) البخاري، التاريخ الكبير: ٢/ ٣٠٣. والتاريخ الصغير: ٢/ ١٠٩. والضعفاء الصغير: ٣٣. العجلي، معرفة الثقات: ١/ ٢٩٩. العقيلي، ضعفاء العقيلي: ١/ ٧٥أ٢٣٧-٢٤١. ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل: ١/ ١٣٧-١٣٨، و٣/ ٢٨. ابن حبان، المجروحين: ١/ ٢٩٩. الذهبي، المغني في الضعفاء: ١/ ٢٥٤. وميزان الاعتدال: ١/ ٥١٤-٥١٥. ابن حجر، تقريب التهذيب: ١/ ٢٠٧.

مروان، والظاهر هو المبرر نفسه الذي سلبه حقَّ الصلاة على جنازة أخيه الإمام الحسن عليه السَّلام من وجهة نظر ابن سعد، ولعلَّ قائلاً يقول، لم يكن ابن سعد هو الوحيد من بين الرواة والمؤرخين من ذكر ذلك، وعلى الرغم من صحة ذلك لكنَّنا نجد ابن سعد قد ركَّز بشكل ملفت للنظر في هذا الأمر، بل لم يكتفِ بذلك، ففي موضع آخر ذكر أنَّ كلاً من الإمامين الحسن والحسين عليهما السَّلام يصليان خلف عبد الله بن عمر بن الخطاب، لكنَّ هذه المرَّة ليس كون ابن عمر سلطاناً أو والياً، وإنَّما ولي الميت، فذكر بسنده عن عبد الله البَهِي[٣] قال: (شهدت ابن عمر صلىَّ على أُمِّ كلثوم وزيد بن عمر بن الخطاب، فجعل زيداً فيما يلي الإمام وشهد ذلك الحسن والحسين)[٤].

وفي رواية أُخرى بسنده عن الشعبي أنَّه صلَّى خلف ابن عمر في صلاته هذه: (الحسن والحسين ابنا عليٍّ ومحمَّد ابن الحنفيَّة وعبد الله بن العباس وعبد الله بن جعفر)[٥].

ونحن لسنا بصدد أصل قضيَّة زواج أُمِّ كلثوم من عمر بن الخطاب وما أُثير حولها من الشبهات، وقد تكون لا أساس لها من الصحة أصلاً[٦]، حتى يترتب عليها مثل هذه الصلاة وغيرها، فضلاً عن أنَّها أنجبت ولداً وتوفي في يوم وفاتها نفسه، ممَّا سمح لعبد الله بن عمر أن يصلِّي على أخيه من دون أنْ يحقَّ للحسن والحسين عليهما السَّلام الصلاة على أُختهم من جهة، والسؤال الذي يرد هنا هو لماذا لم يصلِّ الوالي أو الحاكم الذي اكتسب

(٣) هو عبد الله البهي ويقال هو عبد الله بن يسار مولى مصعب بن الزبير، وكنيته أبو محمد، روى عن عائشة وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وعروة بن الزبير وأبي سعيد الخدري، وثَّقه البعض وقيل إنَّه مضطرب الحديث. ينظر: ابن حبان، الثقات: ٥/ ٤٨. المزي، تهذيب الكمال: ١٦/ ٣٤١. ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب: ١/ ٥٤٩. وتهذيب التهذيب: ٦/ ٨٢.

(٤) الطبقات الكبير: ١٠/ ٤٣١.

(٥) م.ن: ١٠/ ٤٣١.

(٦) للمزيد ينظر: الهندي، إقحام الأعداء والخصوم: ١٣١ وما بعدها. المحمداوي، أُمّ كلثوم: ٣٤ وما بعدها.

صفة الخلافة - حسب رأيهم - من منصبه في الدولة، على الرُغم من وجوده؟ ولماذا كان من حقِّ ابن عمر أن يصلِّي على أخيه زيد بن عمر، وهو بهذا خالف السُّنَّة التي زعموا أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام خشي أنْ يخالفها فقدَّم سعيد بن العاص للصلاة على الإمام الحسن عليه السَّلام؟

كلُّ هذه الأسئلة وغيرها تضع الشكوك وكثيراً من علامات الاستفهام حول أصل تلك الروايات ومدى صحتها، وما يهمنا في هذا الأمر هو رؤية ابن سعد من خلال إيراده تلك الروايات، ولم نجده ناقداً لها أو معترضاً أو ملمحاً إلى عدم صحتها، بل نجد العكس من ذلك أكَّدها في أكثر من مناسبة، في حين كان لابن سعد بعض الآراء والمواقف في غيرها من هذه الروايات في ثنايا طبقاته، ولهذا وصفه أحد الباحثين بالقول: (تاريخ ابن سعد ثقيل في ميزان النقد والعلم والحقِّ، وقد تحرَّى ابن سعد بها دون الصدق كلِّه والحقّ كلّه، ولم يخرج عنهما في كلِّ ما دونه)[١].

وهذا ما لا نجده في رواياته التي أشارت إلى صلاة الإمامين عليهما السَّلام خلف مروان وغيرهما، فضلاً عن ذلك نجده أورد روايتين في غاية الخطورة:

الأُولى: أوردها في ترجمته للحسن بن الحسن بن عليِّ بن أبي طالب عليهم السَّلام فذكر: (أخبرنا شبابة بن سوار الفزاري قال: أخبرني الفضيل بن مرزوق[٢] قال: سمعت الحسن بن الحسن[٣] يقول لرجل ممَّن يغلو فيهم: ويحكم أحبونا لله فإنْ أطعنا الله فأحبّونا، وإنْ عصينا الله فابغضونا، قال: فقال له رجل: إنّكم قرابة رسول الله وأهل بيته، فقال:

(١) عطار، غزوات الرسول وسراياه: ١.

(٢) هو الفضل بن مرزوق كوفي، منكر الحديث، كان ممَّن يخطئ على الثقات.. ينظر: ابن حبان، المجروحين: ٢/ ٢٠٩.

(٣) الحسن بن الحسن بن عليِّ بن أبي طالب ويكنى أبا محمد، وأُمُّه خولة بنت منظور، روى عن أبيه وعن فاطمة بنت الإمام الحسين عليهما السَّلام، توفي عام (٩٩هـ) وفي قول آخر (٩٧هـ)، ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٣/ ٦١-٧٢. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٨٣-٤٨٦. المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٨٥-٩٥.

ويْحك لو كان الله مانعاً بقرابة من رسول الله أحداً بغير طاعة الله لنفع بذلك مَن هو أقرب إليه منّا أباً وأُمَّاً، والله إنّي لأخاف أن يضاعف للعاصي مناً العذاب ضِعْفَيْن، وإنّي لأرجو أن يُؤتى المحسن منّا أجره مرتين، ويلكم اتقوا الله وقولوا فينا الحقَّ فإنَّه أبلغ فيما تريدون ونحن نرضى به منكم، ثمَّ قال: لقد أساء بنا آباؤنا إنْ كان هذا الذي تقولون من دين الله ثمَّ لم يُطلعونا عليه ولم يُرْغِبونا فيه، قال: فقال له الرافضي: ألم يقل رسول الله، لعليٍّ: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه؟ فقال: أمَا والله أنْ لو يعني بذلك الإمرة والسلطان لأفصحَ لهم بذلك، كما أفصح لهم بالصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت، ولقال لهم: أيّها الناس هذا وليُّكم من بعدي، فإنَّ أنصح الناس كان للناس رسول الله صلَّى الله عليه – وآله – وسلَّم)، ولو كان الأمر كما تقولون إنّ الله ورسوله اختارا علياً لهذا الأمر والقيام بعد النبيِّ إنْ كان لأعظم الناس من ذلك خطيئة وجُرماً، إذ ترك ما أمره به رسول الله صلَّى الله عليه – وآله – وسلَّم أنْ يقوم فيه كما أمره أو يعذر فيه إلى الناس)[1].

والرواية الثانية كذلك في ترجمته لعمر بن عليِّ بن الحسين بن عليِّ بن أبي طالب عليهم السَّلام قال: (أخبرنا شَبابة بن سوار قال: أخبرنا فُضيل بن مرزوق قال: سألتُ عمر بن عليٍّ[2] وحسين بن عليٍّ[3] عمَّي جعفر – يقصد الإمام الصادق عليه السَّلام – قلتُ: هل

(١) الطبقات الكبير: ٧/ ٣١٤-٣١٥. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٣/ ٦٧-٧٠. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٨٦؛ المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٩٤-٩٥.

(٢) هو عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأُمُّه أُمُّ ولد، له العديد من الأبناء منهم عليٌّ وإبراهيم وجعفر ومحمَّد وموسى، في الطبقة الثالثة من تابعي أهل المدينة، روى عن أبيه الإمام السجاد، وروى عنه الفضيل بن مرزوق... ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير: ٧/ ٣١٨-٣١٩. المزي، تهذيب الكمال: ٢١/ ٤٦٦-٤٦٧. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب: ٧/ ٤٢٦.

(٣) هو حسين بن علي بن الحسين بن عليِّ بن أبي طالب، وهو حسين الأصغر، وأُمُّه أُمُّ ولد، وهو من سادات المدينة، وهو أصغر أولاد الإمام السجاد عليه السلام، بقي حياً حتى أدركه الواقدي وروى عنه، له العديد من الأولاد منهم عبد الله وعبيد الله الأعرج وعليٌّ... ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير: ٧/ ٣٢١. ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار: ٢٠٥.

فيكم أهل البيت إنسان مفترضة طاعته تعرفون له ذلك ومن لم يعرف له ذلك فمات ميتة جاهلية؟ فقالا: لا والله ما هذا فينا، مَن قال هذا فينا فهو كذاب، قال: فقلت لعمر بن عليٍّ: رحمك الله. إنَّ هذه منزلة تزعمون أنَّها كانت لعليٍّ، إن النبيَّ صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم، أوصى إليه، ثمَّ كانت للحسين إن الحسن أوصى إليه، ثمَّ كانت لعليٍّ بن الحسين إن الحسين أوصى إليه، ثم كانت لمحمَّد بن علي إن علي أوصى إليه، فقال: والله لمات أبي - يقصد الإمام زين العابدين - فما أوصى بحرفين، قاتلهم الله! والله إنْ هؤلاء إلاّ متأكلون بنا...)[١].

ويمكننا مناقشة الروايتين من حيث السند والمضمون، فمن جهة السند نستغرب أنَّ الروايتين اللتين أوردهما ابن سعد جاءت بالسند نفسه، وهو شبابة بن سوار الفزاري عدّه العقيلي في الضعفاء[٢]، وعدّه ابن سعد من المرجئة[٣]، وهؤلاء لهم آراؤهم الخاصة في القضايا المفصليَّة منها طاعتهم لبني أُميَّة، ومواقفهم كلُّها هرباً من الثورة عليهم[٤].

ومصدر كلتا الروايتين هو الفضيل بن مرزوق الذي ضعفة يحيى بن معين[٥]، ومنهم من قال لا يحتج بحديثه[٦]، ووصفه ابن حبان منكر الحديث جدّاً، وقال هو من يخطئ على الثقات[٧]، ويبدو أنَّ مصدر العديد من الروايات التي فيها طعن لمذهب التشيع هو الفضيل بن مرزوق نفسه، إذ روى عنه ابن معين قال: (سمعت عبد الله بن الحسن بن

(١) الطبقات الكبير: ٧/ ٣١٩. وينظر: ابن عساكر: ٤١/ ٣٩٢-٣٩٣. المزي، تهذيب الكمال: ٢٠/ ٣٩٥.

(٢) ضعفاء العقيلي: ٢/ ١٩٦.

(٣) الطبقات الكبير: ٩/ ٣٢٢. العجلي، معرفة الثقات: ١/ ٤٤٧.

(٤) ينظر: عمر فروخ، تاريخ الفكر: ٢١٢.

(٥) تاريخ يحيى بن معين: ١٩١.

(٦) ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل: ٧/ ٧٥.

(٧) المجروحين: ٢/ ٢٠٩.

الحسن يقول لرجل من الرافضة: والله إنَّ قتلك لقربة لولا حقُّ الجوار)[١]، وفي كلِّ تلك الروايات نجد كلمة الرافضة تترد كثيراً، وعلى الرغم من أنّ بعض المؤرخين[٢] نقلوا تلك الرواية إلَّا أنّ مصدريتهم كذلك فيها هو الفضيل بن مرزوق.

ومن حيث المضمون فالروايتان تشيران إلى العديد من الشكوك، فهي نفيٌّ لحقائق مُسلَّمة بين المسلمين، فوصيّة المسلم واجبة ومن غير المنطقي ما ذكرته الرواية أنّ عليَّ بن الحسين عليهما السَّلام مات ولم يوصِ بحرفين، فهي خلافاً للمنطق والعقل، والرواية الأُولى جاءت منسجمة مع ما تقول به مدرسة الصحابة أنّ الرسول صلَّى الله عليه وآله توفي ولم يوصِ، وقد قال الرسول لسلمان المحمدي: «**فإنَّ وصيي وموضع سرّي وخير من أترك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني عليُّ بن أبي طالب**»[٣]، وهو ما أكّده ابن سعد نفسه، فلم يقضِ دين الرسول صلَّى الله عليه وآله غير الأئمَّة عليٍّ والحسن والحسين عليهم السَّلام فذكر: (...أنّ رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم لَمَّا توفي أمر عليٌّ صائحاً يصيح: مَن كان له عند رسول عِدَة أو دَيْن فليأتِني! فكان يبعث كلَّ عام عند العقَبة يوم النحر مَن يصيح بذلك حتى توفي عليٌّ، ثمَّ كان الحسن بن عليٍّ يفعل ذلك حتى توفي، ثمَّ كان الحسين يفعل ذلك، وانقطع ذلك بعده رضوان الله عليهم وسلامه...)[٤].

ويبدو أنَّ أهل البيت عليهم السَّلام دأبوا على قضاء دين الرسول صلَّى الله عليه وآله لأكثر من خمسين سنة ثمَّ انقطع ذلك لاستحالة بقاء أحد ممَّن كان له عدة أو دين وربما

(١) تاريخ ابن معين: ١/ ١٨٢.

(٢) ابن عساكر: ٤١/ ٣٩٢-٣٩٣. المزي، تهذيب الكمال: ٢/ ٣٩٥. ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان: ٦/ ٦٣.

(٣) الطبراني، المعجم الكبير: ٦/ ٢٢١. وينظر: الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ١/ ٩٩. المطهر الحلي، كشف اليقين: ٢٥٥. الخطيب التبريزي، الإكمال في أسماء الرجال: ٩٦. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب: ٣/ ٩١. المتقي الهندي، كنز العمال: ١١/ ٦١٠.

(٤) الطبقات الكبير: ٢/ ٢٧٧.

كان هناك من يدَّعي ذلك فيأخذ ما يدعيه، فقد ذكر ابن سعد (... فلا يأتي أحدٌ من خلق الله إلى عليٍّ بحقٍّ ولا باطل إلَّا أعطاه)[١].

وربما مرجع تلك الروايات هو الخلاف بين أفراد البيت الهاشمي، وبعضهم له موقف من بعض الأئمة أو من المقربين لهم، وقد يحصل ذلك جهلاً أو حسداً شأنهم بذلك شأن البيوت الأُخرى، فإذا استثنينا المعصومين من آل محمَّد ومن له عصمة مكتسبة فغيرهم معرَّض لما يتعرَّض له سائر الناس.

وكذلك ذكر ابن سعد أنَّ أبا هريرة صلَّى على جنازة وكان الإمام الحسين عليه السَّلام حاضراً معهم فذكر أنَّه: (أعيا الحسين فقعد في الطريق، فجعل أبو هريرة ينفض التراب عن قدميه بطرف ثوبه، فقال الحسين: يا أبا هريرة وأنت تفعل هذا؟ قال أبو هريرة: دعني فو الله لو يعلم الناس منك ما أعلم لحملوك على رقابهم)[٢].

وهذه الرواية على الرغم من أنّها تبيّن مكانته عليه السَّلام عند أبي هريرة، لكنَّها أشارت إلى أنَّ الذي صلَّى على الجنازة هو أبو هريرة، وكان عليه السَّلام حاضراً، وهذا يعني أنّه صلَّى خلف أبي هريرة.

وخلاصة القول عن رؤية ابن سعد عن مقام إمامة الحسين عليه السَّلام: على الرغم من تواتر بعض الروايات التي ذكرت صلاة الإمام الحسين عليه السَّلام خلف مروان أو غيره من الأُمويين والتي لا نميل إليها ولا نرجح صحتها مستندين في ذلك إلى الأدلَّة العقليَّة ومنها:

١. المشهور في المصادر التاريخيَّة أنَّ مروان كان يسبُّ الإمام عليّاً عليه السَّلام

(١) م.ن.

(٢) م.ن: ٦/ ٤٠٨- ٤٠٩.

في صلاتـه، فهـل يصـح أنْ يحـضر الإمامان صلاة يُسـبُّ فيهـا أمير المؤمنين ويسـمعون سـبَّه، والمعـروف أنَّ سـبَّ الإمام عليٍّ عليه السَّـلام هو سـبُّ رسـول الله صـلَّى الله عليه وآلـه، وهـذا ما ذكره ابن سـعد نفسـه بـأنّ مروان كان يسـبّ الإمـام عليّاً عليه السَّـلام عـلى المنـبر كلَّ جمعة(١).

٢. مدى شرعيّة وصحّة صلاة يُسبّ فيها نفس رسول الله صلَّى الله عليه وآله، هل هي صلاة تامة المشروعيَّة وكاملة الشرائط؟ وهل إمامها ثابت العدالة أم أنّه دليل على أنّه من المنافقين؟ وبالتالي لا تصح الصلاة خلفه، وهذا ما جاء على لسان النبيِّ صلَّى الله عليه وآله «**يا عليُّ لا يحبّك إلَّا مؤمن ولا يبغضك إلَّا منافق**»(٢)، وبالتأكيد أنَّ سبّ الإمام هو نتيجة لبغض راسخ في شخصيَّة مروان.

٣. الروايات تجعل من الحضور المستمر للأئمَّة عليهم السَّلام من دون انقطاع يصليان خلف مروان دلالة على الاستمرار في الصلاة، ومن ثمّ فإنَّ هذا الأمر يوحي بأنّ الصلاة خلفهم هي صلاة بإرادتهما وليس هناك أيُّ ضغط أو إكراه، بل إنَّه لا يوجد في المصادر التاريخيَّة أنّ الإمامين عليهما السَّلام قد أُجبرا من قبل السلطة الأُمويَّة أو مروان على الصلاة خلفهم، وهذا الموقف المنسوب لسبطي الرسول صلَّى الله عليه وآله، فضلاً عن أنَّهما لا يعيدان الصلاة في البيت وهو يعني أنَّ الصلاة التي صلياها صحيحة لأنّهما لا يعيدانها، وإذا كانت صحيحة فهذا يدلّ على صحّة صلاة مروان ومن ثمّ صحة ولايته، أمَّا إذا كانت غير صحيحة فهذا ذمٌّ لأهل بيت النبوَّة وبأنَّهما لا يعيدان الصلاة الباطلة، وحاشا لأهل البيت من هذا العمل، فهم أعرف من الجميع بأحكامها وشروطها، وهذا

(١) الطبقات الكبير: ٦/ ٤١٠. ينظر: أبو الهيل، السياسة الأُموية المضادة للإمام عليٍّ عليه السلام دراسة في سياسة السب: ٤٤- ٥٦.

(٢) أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل: ١/ ٩٥. الهيثمي، مجمع الزوائد: ٩/ ١٣٣.

الأمر خلاف الواقع، فشخصيَّة مروان واضحة المعالم ببغضه آل البيت عليهم السَّلام وعدم عدالته، ومن المعروف أنَّ أهل بيت النبوَّة لهم ضوابط للصلاة قد وضعوها ووضحوها للملأ، منها أنْ يتصف إمام الصلاة بالعدالة والتي لا يتصف مروان بها وأنّه خلاف ذلك.

٤. والأمر الآخر والأهم من ذلك أنَّ الصلاة خلف مروان يوحي بأنَّ الإمامين عليهما السَّلام داعمان ومؤيدان للحاكم الذي نصب مروان والياً على المسلمين، وعلى ذلك قد ينتج من هذا الأمر أنّ الإمامين عليهما السَّلام أضفيا الشرعيَّة على حكم معاوية، وهذا الأمر لا يمكن قبوله بأيِّ حالٍ من الأحوال كون هناك العديد من المواقف التي تؤكّد عدم قبولهما عليهما السَّلام بسياسة الأُمويين تجاه الأُمَّة.

٥. يبدو من كلِّ ما ذكره ابن سعد عن مقام الإمامة من سياقه لتلك الروايات وسكوته عنها، بل ومن خلال تكراره وكأنَّه يُشير بأنَّ ليس هناك أفضليَّة أو نص أو وصية توجب أن يكون الإمام الحسين عليه السَّلام بأفضل من أقرانه من أبناء الصحابة أمثال عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير بن العوام وعبد الله بن العباس وعبد الله بن جعفر وغيرهما سوى أنَّ الرسول كان يفضلهما كونهما ابني ابنته فاطمة الزهراء عليها السَّلام، لكنْ على الرغم من كلِّ ذلك تبقى رؤية ابن سعد في مقام إمامة الحسين عليه السَّلام يشوبها الغموض ولم تكن صريحة بعدم الاعتراف بها، وأقل ما يقال إنَّه ساوى بينه وبين غيره من الصحابة وأبنائهم.

٦. ربما ما ذكره ابن سعد من الروايات التي أشرنا إليها تشير إلى موقف إيجابيٍّ لم يصرِّح به بشكل علني، وواضح مراعاة للظروف التي كانت سائدة في عصره آنذاك، تبين وسطيته نوعاً ما يمكن أن نستنتجها من خلال كلِّ ما ذكرناه مضافاً إليها ما ذكره في

رثاء الإمام الحسين عليه السَّلام، يسهب في نقل العديد من الأبيات الشعريَّة والتي رواها عن شعراء طغى على أغلبهم الطابع الشيعي مثل قول عبيدة بن عمرو[١]:

فيا عين أذري الدمع منك وأسبلي ... على خير بادٍ في الأنام وحاضر

على ابن عليٍّ وابن بنت محمَّد ... نبيِّ الهدى وابن الوصي المهاجر[٢]

البعد الغيبي في الإخبار عن استشهاده عليه السَّلام

أورد ابن سعد العديد من الروايات التي ذكرت أنَّ الرسول صلَّى الله عليه وآله والإمام عليّاً عليه السَّلام أخبرا الناس عن استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام في أكثر من مناسبة، بل إنَّه هو عليه السَّلام أخبرهم بأنَّه سوف يقتل في أرض كربلاء.

فذكر ابن سعد روايته الأُولى عن أُمِّ سلمة: (إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم اضطجع ذات يوم للنوم، فاستيقظ فزعاً وهو خاثر، ثمَّ اضطجع فرقد واستيقظ وهو خاثر دون المرة الأُولى، ثمَّ استيقظ ففزع، وفي يده تربة حمراء يقلبها بيده، وعيناه تهرقان الدموع، فقلت: ما هذه التربة يا رسول الله؟ فقال: «**أخبرني جبريل أنَّ ابْنِي الحسين يقتل بأرض العراق، فقلت لجبريل: أرني تربة الأرض التي يقتل بها، فجاء بها فهذه تربته**»[٣].

---

(١) هو عبيدة بن عمرو الكندي، كان من ضمن مقدّمة جيش قيس بن سعد التي بعثها الإمام الحسن عليه السلام لقتال معاوية لعنه الله، وأُصيب ولَّما وصل مسجد الكوفة كان هناك حديث بين المسيب بن نجبة والإمام الحسن عليه السلام ومعاوية كان حاضراً، فعرفه الإمام عليه السلام فقطع كلامه وقال له، «ما هذا الذي بوجهك يا أخا كندة» فقال: ضربة أصابتني مع قيس بن سعد. ينظر: ابن أعثم الكوفي، الفتوح: ٤/ ٢٩٥. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٦/ ١٥. محسن الأمين، أعيان الشيعة: ٤/ ٢٧٤.

(٢) الطبقات الكبير: ٦ / ٤٥٩.

(٣) الطبقات الكبير: ٦/ ٤١٧. أخرجه الضحاك، الآحاد والمثاني: ١/ ٣١٠. الطبراني، المعجم الكبير: ٣/ ١٠٩، و٣٣/ ٣٠٨. البيهقي، دلائل النبوة: ٦/ ٤٦٨. المتقي الهندي، كنز العمال: ١١/ ٦٥٧.

وفي رواية ثانية عن أُمِّ سلمة: (قال لي نَبيُّ الله: «**اجلسي بالباب فلا يَلِجُ عَلَيَّ أحد**»، فجاء الحسين وهو وصيف، فذهَبَت تَنَاوَلَهَ فسبقها فدخل، قالت: فلمّا طال عليَّ خفت أن يكون قد وَجَدَ عليَّ فتطلعت من الباب، فإذا في كفِّ النبيِّ صلَّى الله عليه – وآله – وسلَّم شيء يَقلِّبه – والصبي نائم على بطنه ودموعه تسيل، فلمّا أمرني أنْ أدخل، قلت: يا رسول الله، إنَّ ابنك جاء فذهبت أتناوله فسبقني، فلمَّا طال عليَّ خفت أنْ تكون قد وجدتَ عليَّ، فتطلعت من الباب فرأيتك تقلب شيئاً في كفك والصبي نائم على بطنك ودموعك تسيل، فقال: «**إنّ جبريل أتاني بالتربة التي يقتل عليها وأخبرني أنّ أُمَّتي يقتلونه**»[١].

وعلى قول آخر عن أُمِّ سلمة أنّ جبريل قال لرسول الله: «**أتحبه؟**»، قال: «**نعم**»، فقال: «**أما إنّ أُمَّتك ستقتله**»[٢].

أمّا الرواية الثالثة أوردها ابن سعد عن عائشة، قالت: (كانت لنا مشربة، فكان النبيُّ صلَّى الله عليه – وآله – وسلَّم إذا أراد لقيا جبريل لقيه فيها، فلَقِيه رسول الله صلَّى الله عليه – وآله – وسلَّم مرّة من ذلك فيها، وأمر عائشة أنْ لا يصعد إليه أحد، فدخل حسين بن عليٍّ ولم تعلم حتى غشيها، فقال جبريل: «**من هذا؟**»، فقال رسول الله صلَّى الله عليه – وآله – وسلَّم: «**ابني**»، فأخذه النبيُّ، صلَّى الله عليه – وآله – وسلَّم فجعله على فخذه، فقال: «**أما إنّه سيقتل**»، فقال رسول الله صلَّى الله عليه – وآله – وسلَّم: «**ومن يقتله؟**»، قال: «**أُمَّتك**»!! فقال رسول الله صلَّى الله عليه – وآله – وسلَّم: «**أُمَّتي تقتله؟**»، قال: «**نعم، وإنْ شئت أخبرتك بالأرض التي يُقتل بها**»، فأشار له جبريل إلى الطف بالعراق وأخذ تربة حمراء فأراه إياها، فقال: «**هذه من تربة مصرعه**»)[٣].

(١) م.ن: ٦/ ٤١٧–٤١٨. أخرجه: ابن أبي شيبة الكوفي، المصنف: ٨/ ٦٣٢. المتقي الهندي، كنز العمال: ١٣/ ٦٥٧.

(٢) م.ن: ٦/ ٤١٩.

(٣) الطبقات الكبير: ٦/ ٤١٨. الإربلي، كشف الغمة: ٢/ ٢٢١.

وجاءت روايته الرابعة عن عائشة، قالت: (بينا رسول الله صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم راقد إذ جاء الحسين يحبو إليه فَنَحّيته عنه، ثمَّ قمت لبعض أَمري، فدنا منه فاستيقظ يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال: «**إنَّ جبريل أراني التربة التي يقتل عليها الحسين، فاشتدَّ غضب الله على من يسفك دمه**»، وبسط يده فإذا فيها قبضة من بطحاء، فقال: «**يا عائشة والذي نفسي بيده إنَّه ليحزنني، فمن هذا من أُمَّتي يقتل حسيناً بعدي؟!**»)(١).

علاوة على ما ذكره ابن سعد عن إخبار الرسول صلَّى الله عليه وآله عن استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام، فقد ذكر أنَّ الإمام عليّاً عليه السَّلام وهو على شاطئ الفرات قال: «**صبراً أبا عبد الله**»(٢).

وروى ابن سعد أنَّ الإمام عليّاً عليه السَّلام قال: «**ليقتلن الحسين بن عليٍّ، وإنِّي لأعرف تربة الأرض التي يُقتل بها، يقتل بقرية قريب من النهرين**»(٣).

وكذلك روي حين مرجعه من صفين أنَّه عليه السَّلام سأل عن الموضع الذي هم فيه، فقيل له كربلاء، فقال: «**كربٌ وبلاءٌ**»، ثمَّ قال: «**يُقْتَل ها هنا قوم أفضل شهداء على وجه الأرض، لا يكون شهداء رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم**»(٤).

وفي رواية أُخرى ذكرها ابن سعد أنَّه عليه السَّلام قال: (أخذ كفّاً من بعر الغزلان

---

(١) م.ن: ٦/ ٤١٨. أخرجه المتقي الهندي، كنز العمال: ١٢/ ١٢٧.

(٢) م.ن: ٦/ ٤١٩. ينظر: ابن أبي شيبة الكوفي، المصنف: ٨/ ٦٣٢. محمد بن سليمان الكوفي، مناقب أمير المؤمنين: ٢/ ٢٥٣. الطبراني، المعجم الكبير: ٣/ ١٠٥ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٤/ ١٨٧. ابن طاووس، الملاحم والفتن: ٣٣٣. ابن العديم، بغية الطلب: ٦/ ٢٥٩٦. المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٤٠٧. المقريزي، إمتاع الأسماع: ١٢/ ٢٣٦.

(٣) م.ن. ينظر: الطبراني، المعجم الكبير: ٣/ ١١٠. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٤/ ١٥٥. ابن العديم، بغية الطلب: ٦/ ٢٦٠٣. الذهبي، تاريخ الإسلام: ٥/ ١٠٤.

(٤) م.ن: ٦/ ٤١٩. وينظر: الطبراني، المعجم الكبير: ٣/ ١١١.

فشمَّه، ثمَّ قال: «**أوه، أوه، يُقتل بهذا الغائط قوم يدخلون الجنة بغير حساب**»)[(١)].

كذلك ذكر ابن سعد قول الإمام الحسين عليه السَّلام: «**والله ليعتدنَّ عليَّ كما اعتدت بنو إسرائيل في السبت**»[(٢)]، وقوله عليه السَّلام: «**والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العَلَقَة من جوفي، فإذا فعلوا سلَّط الله عليهم مَن يذلهم...**»[(٣)].

ولم يقتصر هذا الإخبار عن استشهاده على ما تقدَّم، بل إنَّ ابن سعد جاء بروايتين:

الأُولى: (قال مرَّ عليٌّ على كعب[(٤)]، فقال: إنَّ من ولدِ هذا لرجل يقتل في عصابة لا يجف عرق خيولهم حتى يردوا على محمَّد صلَّى الله عليه - وآله - وسلم فمرَّ حسن، فقالوا: هو هذا يا أبا إسحاق؟ قال: لا، فمرّ حسين، فقالوا: هذا هو؟ فقال: نعم)[(٥)].

هذه الرواية أوردها بعض المؤرخين من طرق أُخرى وهي لا تختلف من حيث المضمون عمّا ذكره ابن سعد[(٦)].

---

(١) الطبقات الكبير: ٦/ ٤٢٠. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٤/ ١٥٨. المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٤١٠. ابن حجر، تهذيب التهذيب: ٢/ ٣٠١.

(٢) م.ن: ٦/ ٤٢١. ينظر: الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ٥/ ٢٥٩. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٤/ ٢١٦. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٩١-٤٩٢.

(٣) م.ن: ٦/ ٤٢١. ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٢٦٥. المفيد، الإرشاد: ٢١٣. الطبرسي، إعلام الورى: ٢٣٧. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٩٣. ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/ ١٨٣.

(٤) هو كعب بن ماتع الحميري، وكنيته أبو إسحاق، كان حبراً من أحبار اليهود ومن أعلم الناس بأخبار التوراة، أسلم في عهد عمر بن الخطاب، وهو من كبار التابعين، خرج إلى الشام وسكن فيها حتى وفاته عام (٣٤هـ). ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار: ١٩٠. ابن عبد البر، التمهيد: ٢٣/ ٣٩. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٥٠/ ١٥١-١٧٦.

(٥) الطبقات الكبير: ٦/ ٤٢٠.

(٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٤/ ٢٠٠. ابن طاووس، الملاحم والفتن: ٣٣٤. ابن العديم، بغية الطلب: ٦/ ٢٦٠٢ المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٤١٠.

الرواية الثانية: (قال العريان بن الهيثم[١]: كان أبي يتبدَّى فينزل قريباً من الموضع الذي كانت فيه معركة الحسين، فكنَّا لا نبدو إلَّا وجدنا رجلاً من بني أسد هناك، فقال له أبي: أراك ملازماً هذا المكان، قال: بلغني أنَّ حسيناً يقتل هاهنا، فأنا أخرج لعلِّي أصادفه فأُقتل معه، فلمَّا قتل الحسين، قال أبي: انطلقوا ننظر، هل الأسدي فيمن قتل؟ فأتينا المعركة فَطَوّفْنا فإذا الأسدي مقتول)[٢].

هذه الرواية التي انفرد بها ابن سعد ولم نجدها إلَّا عند بعض المؤرّخين نقلاً عنه[٣]، تشوبها العديد من الملاحظات منها لم تُشر إلى اسم ذلك الأسدي الذي من المفروض أن يكون معروفاً، ولماذا لم يلتحق بالإمام الحسين عليه السَّلام فلم تكن المدّة قصيرة بين خروجه من المدينة، ومن ثمَّ مكة وحتى وصوله إلى كربلاء، علاوة على سفارة مسلم بن عقيل وما أعقبها من أحداث، كذلك أين كان العريان بن الأسود هل مع جيش عمر بن سعد أَم جاء من الكوفة ليتفقد الشهداء ويتعرف على الأسدي، وكونه من أشراف الكوفة ومن المقربين لبني أُميّة، بدليل بعض المناصب التي تبوأها، لا يستبعد أن يكون من ضمن جيش عمر بن سعد وربما يعطي ذلك نوعاً من المقبوليَّة للرواية في هذه الحالة، وقرب منازل بعض الأسديين من كربلاء يضفي صحَّة على تلك الرواية نوعاً ما.

ومن خلال كلِّ ما تقدم من روايات الإخبار يمكننا القول:

١. قدَّم ابن سعد مادة وافية عن إخبار الرسول صلَّى الله عليه وآله عمَّا يحدث للحسين

---

(١) هو العريان بن الهيثم بن الأسود بن قيس النخعي الكوفي، من كبار رجال مذحج وأشراف الكوفة، استعمله مسلمة بن عبد الملك بن مروان على شرط الكوفة، ولمَّا ولي العراق خالد بن عبد الله القسري جعله على الكوفة... ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٤٠/ ٣٠٢-٣٠٨. المزي، تهذيب الكمال: ٢٠/ ٤٣-٤٦.

(٢) الطبقات الكبير: ٦/ ٤٢١.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٤/ ٢١٦-٢١٧. ابن العديم، بغية الطلب: ٦/ ٢٦١٥.

عليه السَّلام مستقبلاً، وكيفيَّة مصرعه وأنَّ الأُمَّة سوف تقتله، وقد بين التربة التي يقتل عليها، وجاءت الأحاديث النبويَّة الشريفة بهذا الشأن متواترة ومن طرق عديدة، وربما ضعَّف بعضهم من تلك الأحاديث مثل ابن كثير بتضعيف بعض رجالاتها[١]، لكنَّ تواتر تلك الأحاديث واختلاف طرقها يؤكد صحتها، ولم يكتفِ ابن سعد بسوق الأحاديث النبويَّة الشريفة باتباعه منهج المحدثين بإيراد سندها كاملاً، حتى أنَّ ابن عساكر والمتقي الهندي أخرجا بعضها اعتماداً عليه، علاوة على ذلك فإنَّ ابن سعد ساق أكثر من رواية أكدت تلك الأحاديث، وهي عبارة عن إخبار الإمام عليٍّ عليه السَّلام عن استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام معتمداً على ما علمه من رسول الله صلَّى الله عليه وآله.

٢. من مقارنة رواية ابن سعد مع ما ذكره الطبراني بشأن قول الإمام عليٍّ عليه السَّلام نجد أنَّ هناك اختلافاً واضحاً، ففي حين ذكر ابن سعد قوله عليه السَّلام: «**أفضل شهداء على وجه الأرض، لا يكون شهداء رسول الله صلَّى الله عليه وآله**» أورد الطبراني وبالسند نفسه «**يُقتل شهداء في هذا الموضع ليس قبلهم شهداء إلَّا شهداء بدر**»[٢]، ونحن نتفق مع ما ذهب إليه أحد الباحثين بأنّه يمكن القطع بتفضيلهم على من سبقهم ومن لحقهم لقول الإمام الحسين عليه السَّلام: «**لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي**»[٣]، ويمكن أن نضيف أنَّ شهداء بدر قد وعدوا إحدى الحسنين النصر أو الشهادة، وكان الفارق العددي بينهم رجلاً لثلاثة رجال أو قريباً من ذلك، ثمَّ قاتلت الملائكة معهم، في حين كان الأمر مختلفاً مع أصحاب الإمام الحسين عليه السَّلام، فما عدا الإيمان بالدّين والعقيدة كانوا موقنين أنّهم مقتولون لا محالة وقضيّة استشهادهم ما هي إلَّا قضيَّة وقت، والفارق

(١) ابن كثير، البداية والنهاية: ٦/ ٢٥٧-٢٥٨.
(٢) الطبراني، المعجم الكبير: ٣/ ١١١.
(٣) السماوي، إبصار العين: ١٢.

العددي بينهم وبين الأعداء لا يمكن أنْ يكون فيه أيُّ مقارنة من الوجهة العسكريَّة.

٣. من الملاحظ على روايات ابن سعد بشأن الإخبار عن استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام أنّها شكّلت موضوعاً مهماً في مروياته وساقها بشكل واضح وجاءت كلُّها مُسندة، وكأنّه يوحي من خلال تلك المرويات أنَّ استشهاده أمرٌ مسلَّمٌ به، وهذا الإخبار جاء مقدِّمةً لما تبناه النّاصحون، وإسهاب ابن سعد في نصائحهم، فهل أراد ابن سعد من خلال روايات الإخبار أنْ يبرر حتميَّة استشهاد الإمام عليه السَّلام؟ وأنَّ هذا الأمر كان مقدّراً من الله سبحانه وتعالى، وأنَّ دور بني أُميَّة فيه محدودٌ؟ وأنّ مسؤوليَّة قتله تقع على الأُمَّة التي أخبر جبريل عليه السَّلام النبيَّ صلَّى الله عليه وآله «**إنّها ستقتله**»؟

أم أنَّ ابن سعد ذكر تلك المرويات بهذا الشكل وركز عليها لكي لا يبرر للأُمَّة تخاذلها وعدم نصرتها له، ولم يكن خروجه حدثاً طارئاً جاء على حين غرة؟ وإنّما تواترت الأحاديث النبويَّة الشريفة عنه، بل إنَّ الإمام عليّاً عليه السَّلام أخبر جيشه وهو في طريقه إلى صفين ما يحدث في موضع كربلاء، وأورد ابن سعد أكثر من رواية في هذا الشأن.

ومن المستغرب أنَّ هذا الإخبار عن طريق الرسول صلَّى الله عليه وآله وما ذكره الأئمة عليهم السَّلام بعده عنه، لم نجد له صدى أو أثراً لدى المسلمين أو على الأقل في مجتمع المدينة ومكة والكوفة وغيرهما، فأصحابه عليه السَّلام المستشهدون بين يديه لا يمثلون سوى نسبة محدودة من مجتمع مترامي الأطراف في ذلك الحين، وهنا يمكننا طرح فرضيّات عدّة:

الفرضيّة الأُولى: إنَّ هذا الإخبار لم تعلم به عامة الناس ولا يعلمه إلَّا الخواص من بني هاشم وعدد من الصحابة المقربين.

الفرضيَّة الثانية: إنَّ الغالبيَّة العظمى كانت تعلم بما أخبر عنه الرسول صلَّى الله عليه وآله وما يؤول إليه مصير الإمام الحسين عليه السَّلام، وأَنَّ استشهاده حتمياً فأدّى ذلك إلى عدم التحاقهم به والقتال لجنبه.

الفرضيَّة الثالثة: إنَّ تقادم الأيام وطول المدّة بين إخبار الرسول صلَّى الله عليه وآله واستشهاد الإمام عليه السَّلام أنسى الناس ما أخبرهم به فلم يلتحقوا به، وربّما أُضيفت لذلك سرعة الأحداث وسطوة الأُمويين وسيطرتهم على الأُمَّة عوامل كلُّها أدَّت لذلك.

الفرضيَّة الرابعة: إنَّ الأُمَّة تخاذلت عن نصرته وكشفت عن حقيقة عقيدتها برسالة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله عندما أصبحت أداة طيعة بأيدي الحكام، بل إنّهم آمنوا بمشروعيَّة قتل أهل البيت عليهم السَّلام.

ومن خلال ما تقدَّم لم نجد في كلِّ تلك الفرضيات الإجابة الشافية، فعدد بني هاشم الذين استشهدوا مع الإمام عليه السَّلام محدود جداً ولا يمثّل العدد الحقيقي لهذه الأُسرة الكبيرة، ومن الطبيعي أن يكون ذلك على بيّنة واضحة من ذلك الإخبار، وأنَّ تلك الأُمَّة تخاذلت عن نصرته وتغاضت عن كلِّ ما سمعت به بحقِّ الإمام الحسين عليه السَّلام، ويبدو أنَّ عوامل عديدة اجتمعت كلُّها وأسهمت في أنْ تكون تلك النهضة الحسينيَّة بهذه النتيجة.

المبحث الثالث: الأبعاد السياسيَّة من عصر الرسالة حتى استشهاد الإمام الحسن عليه السَّلام

لم يكن الإمام الحسين عليه السَّلام بمعزل عمّا يدور حوله، فمنذ ولادته ارتبط بمباركة رسول الله صلَّى الله عليه وآله، فكانت تسميته والعقّ عنه وحلق شعره وغيرها بإشراف مباشر من رسول الله صلَّى الله عليه وآله، وهو ما أشرنا إليه في المبحث السابق من هذا الفصل.

وعلى الرغم من أنَّ سنّه الشريف عليه السَّلام عند رحيل رسول الله صلَّى الله عليه وآله ناهز السنة السابعة على فرضيّة أرجح الروايات أنّه ولد عام (٤هـ)[1]، ومن هذا يتبيّن صُغر سِنّه عند معاصرته للرسول؛ ولذلك نجد ابن سعد ترجم له في الطبقة الخامسة بقوله: (وهم الذين توفي رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم وهم أحداث الأسنان)[2]، ولم يَعدّه في أصحاب رسول الله الأكابر وذلك لقوله: نهاية الطبقة الرابعة (وهي آخر طبقات الأكابر من أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم)[3]، حسب منهجيَّة كتابه، وعلى الرغم من ذلك نجد أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام زمن

(١) ابن سعد، الطبقات الكبير: ٦/ ٣٩٩. البلاذري، أنساب الأشراف: ٢/ ٣٢. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٧١. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ٢/ ٢٢٦. ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد: ٥/ ١٢٩؛ المسعودي، التنبيه والإشراف: ٢١٣. ومروج الذهب: ٢/ ٣٠٥. أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٨٤ ابن حبان، ١/ ٢٤٤. الطبراني، المعجم الكبير: ٣/ ١١٧ المفيد، الإرشاد: ص١٨٩ الطوسي، مصباح المتهجد: ٨٥٢. الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد: ١/ ١٥١ السمعاني، الأنساب: ٣/ ٤٧٦. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٤/ ٢٥٧. ابن الجوزي، المنتظم: ٣/ ٢٠٤. ابن الأثير، أسد الغابة: ٢/ ٢٥. والكامل في التاريخ: ٢/ ١٧٦. النويري، نهاية الأرب: ١٦/ ٤٠٠. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٨٠. الصفدي، الوافي بالوفيات: ١٢/ ٢٦٢. المقريزي، إمتاع الأسماع: ١/ ١٩٦.

(٢) الطبقات الكبير: ٦/ ٣١٩.

(٣) م.ن: ٦/ ٣١٩.

الرسول صلَّى الله عليه وآله كان شاهداً على أحد كتب الرسول صلَّى الله عليه وآله التي بعثها إلى ثقيف، فذكر ابن سعد رواية جاء فيها: (وكتب رسول الله صلَّى الله عليه – وآله – وسلَّم، لثقيف كتاباً أنَّ لهم ذمة الله وذمة محمَّد بن عبد الله على ما كتب لهم، وكتب خالد بن سعيد[١] وشهد الحسن والحسين، ودفع النبيُّ صلىَّ الله عليه – وآله – وسلَّم، الكتاب إلى نُمير بن خَرَشَة[٢]، قالوا: وسأل وفد ثقيف رسول الله صلىَّ الله عليه – وآله – وسلَّم، أن يُحرمَ لهم وَجا[٣]، فكتب لهم: هذا كتابٌ من محمَّد رسول الله إلى المؤمنين، إنّ عضاة وَجا وصيده لا يعضد فمن وجد يفعل ذلك، فإنَّه يُؤخذ فيبلغ النبيّ وهذا أمر النبيِّ محمَّد بن عبد الله رسول الله، وكتب خالد بن سعيد: بأمر النبيِّ محمَّد بن عبد الله فلا يتعدينه أحد فيظلم نفسه فيما أمر به محمَّد بن عبد الله)[٤].

أشار المؤرخون إلى قضيَّة إسلام ثقيف وكيفيَّة وصول وفدهم إلى الرسول صلَّى الله عليه وآله، فذكروا أنَّه في عام (٩هـ) قدِم وفد ثقيف إلى المدينة وتفاوض مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وكانت لهم مطالب وشروط رفض بعضها وقبل بالبعض الآخر، فرفض الموافقة على عدم هدم صنمهم الآت، وأنْ يضع عنهم الصلاة لكنَّه صلى الله عليه وآله قَبِلَ بعضها، منها أنَّهم أحقُّ الناس بوجا وهو واديهم لهم أشجاره ومحرّم على غيرهم

(١) خالد بن سعيد بن العاص بن أُميَّة، له صحبة ومن أوائل الذين أسلموا من قريش، كتب عهد رسول الله صلىَّ الله عليه وآله لثقيف، واستعمله على صنعاء، بعثه أبو بكر بن أبي قحافة على رأس الجيش الذي توجه للشام ثمَّ عزله، ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٦/ ٦٧-٨٦. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١/ ٢٥٩.

(٢) هو نمير بن خرشة بن ربيعة بن الحارث الثقفي، وأُمُّه آمنة بنت جابر بن جندب الثقفي، لقي الرسول صلىَّ الله عليه وآله، وكان أحد وفد ثقيف الذين جاءوا بإسلام ثقيف، وحمل كتاب الرسول إليهم. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب: ٤/ ١٥١١. ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ٦/ ٣٧٣. الصفدي، الوافي بالوفيات: ٢٧/ ١٠٤.

(٣) وجا هو وادي في الطائف ينظر: البكري، معجم ما استعجم: ٤/ ١٣٦٩.

(٤) الطبقات الكبير: ١/ ٢٤٦.

الصيد فيه، ولا يُعشرون ولا يستكرهون بمال أو نفس وغير ذلك[(١)].

ومن الملاحظ على روايات بعض المؤرخين أنَّهم اكتفوا بذكر أنَّ مَن كتب كتاب ثقيف بإملاء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله هو خالد بن سعيد[(٢)] من دون التطرق لذكر الشهود على الكتاب، وهو ما اعتاد رسول الله صلَّى الله عليه وآله عليه عند كتابة كتبه التي تتضمن امتيازات أو عهوداً أو تلبية مطالب لبعض المسلمين.

ويبدو أنَّ الرسول صلَّى الله عليه وآله لَّما كتب الكتاب لبني ثقيف ووافق على بعض مطالبهم ختم الكتاب بقوله: (وكتب خالد بن سعيد وشهد الحسن والحسين)، وهو ما ذكره ابن سعد ولا تختلف روايته عمَّا ذكره ابن سلام إلَّا بإضافة شهادة الإمام عليٍّ عليه السَّلام بقوله: (هذا كتاب من محمَّد النبيِّ رسول الله إلى المؤمنين، أنَّ عضاه وج وصيده لا يعضد، ولا يقتل صيده، فمن وجد يفعل شيئاً من ذلك فإنَّه يُجلد وتنزع ثيابه، ومن تعدَّى ذلك يؤخذ فيبلغ محمَّداً رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم، وإنَّ هذا من محمَّد النبيِّ، وكتب خالد بن سعيد بأمر من محمَّد بن عبد الله رسول الله، فلا يتعده أحد، فيظلم نفسه في ما أمر به محمَّد رسول الله لثقيف، وشهد على نسخة هذه الصحيفة - صحيفة رسول الله التي كتب لثقيف - عليُّ بن أبي طالب، وحسن بن عليٍّ، وحسين بن عليٍّ، وكتب نسختها لمكان الشهادة)[(٣)].

في حين نجد الواقدي وابن هشام ذكرا نصَّ الكتاب وختماه بالقول: (وكتب

(١) ينظر: الواقدي، المغازي: ٢/ ٩٧٣. ابن هشام، السيرة النبوية: ٤/ ٥٣٧-٥٤٣. ابن سلام، كتاب الأموال: ٢٨٣-٢٨٥؛ ابن زنجويه، الأموال: ٢/ ٤٥٣-٤٥٧. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ٣/ ٥٨-٩٠.

(٢) الواقدي، المغازي: ٢/ ٩٧٣. ابن هشام، السيرة النبويَّة: ٤/ ٥٣٧- ٥٤٣. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ٣/ ٥٨-٩٠. ابن سيد الناس، عيون الأثر: ٢/ ٢٧١-٢٧٤.

(٣) كتاب الأموال: ٢٨٤-٢٨٥. وينظر: ابن زنجويه، كتاب الأموال: ٢/ ٤٥٦-٤٥٧.

خالد بن سعيد، بأمر النبيِّ الرسول محمَّد بن عبد الله، فلا يتعداه أحد، فيظلم نفسه فيما أمر به محمَّد رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم)(١)، وهكذا نجد كلًّا من الواقدي وابن هشام اقتطعا الرواية من دون ذكر الشهود الذين ذكرهم ابن سعد وأبي عبيد، وكذلك اكتفى الطبري بقوله: (وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم حتى اكتتبوا كتابهم، وكان خالد هو الذي كتب كتابهم بيده...)(٢).

ومن خلال ما تقدَّم يمكننا القول:

١- انفرد ابن سعد بذكر الشهود على كتاب الرسول صلَّى الله عليه وآله لثقيف ولم يوافقه في ذلك إلَّا أبو عبيد ونقل عنه ابن زنجويه، وهو بهذا حفظ من السيرة النبويَّة ما أغفله غيره مثل ابن هشام وابن سيد الناس وكون ابن هشام كتب سيرة ابن إسحاق فهذا يعني هو الآخر أغفلها إنْ لم يكن ابن هشام تركها لقوله: (وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب ممَّا... يسوء بعض الناس ذكره)(٣)، وإنْ كنَّا لا نعتقد ذلك كون أنَّ رواية الطبري(٤) التي أوردها بسنده عن ابن إسحاق هي الأُخرى أغفلت تلك الشهادة.

وعلى الرغم من أنَّ ابن سعد اعتمد على أكثر من (٨٠٪) في السيرة النبويَّة على أُستاذه الواقدي(٥)، لكنَّنا نجده هنا لم يتقيد بروايته التي لم يُشر فيها إلى شهادة الحسن والحسين

(١) المغازي: ١/ ٩٧٣. السيرة النبويَّة: ٢/ ٥٤٣. وينظر: ابن سيد الناس، عيون الأثر: ٢/ ٢٧٤.
(٢) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ٣/ ٥٩.
(٣) ابن هشام، السيرة النبويَّة: ١/ ٤.
(٤) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ٣/ ٥٨-٦٠.
(٥) اللامي، السيرة النبوية دراسة في الرواية البصريَّة: ١٦٩.

عليهما السَّلام، ففي حين أغفلها الواقدي وغيره من المؤرخين لأسباب مجهولة وربما تندرج ضمن ما صاحب تدوين التاريخ من طمس وتغييب للعديد من الحقائق التي فيها مناقب لأهل البيت عليهم السَّلام لدوافع عدَّة سياسيَّة وعقديَّة وغيرها، يُحسبْ لابن سعد موضوعيّته في هذا الشأن وحياديّته في الحفاظ على تراث أهل البيت عليهم السَّلام.

٢- تكمن أهميَّة شهادة الإمامين الحسن والحسين عليهما السَّلام وهم بهذا السن على كتب ورسائل وعهود الرسول صلَّى الله عليه وآله على مكانتهما ورفعة شأنهما عند الرسول صلَّى الله عليه وآله والمسلمين، ونظرة يسيرة في أسماء الشهود لنظراء تلك الكتب وأمثالها من العهود والمواثيق ومن شهد عليها يتضح لنا أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله عاملهم معاملة كبار صحابته[1].

٣- يتبين ممَّا ذكره ابن سعد أنَّ الرسول صلَّى الله عليه وآله أراد أنْ يوصل رسالة مبكرة إلى المسلمين بأنَّ هناك خصوصيَّة يتمتع بها أهل البيت عليهم السَّلام، بأنْ جعلهم شاهدين على هذا الكتاب، والذي لم يعتَدْ الرسول أنْ أشهدَ على مثله مَن هو بسنِّهم، بل العكس من ذلك، فكان ذلك يندرج ضمن أحاديثه النبويَّة الشريفة بحقِّهما والتي ذكرناها في موضعها، وكلُّ ذلك من أجل تهيئة الأُمَّة لتقبّل الدور المحوري والرئيسي الذي سيناط بهم في المستقبل للحفاظ على بيضة الإسلام ومبادئه وقيمه.

وعلى الرغم من عدم ذكر ابن سعد أيَّ رواية عن دور الحسين عليه السَّلام أيام عهد أبي بكر بن أبي قحافة، ربما لكونها مدَّة قصيرة فهي تربو على السنتين، لكنَّنا نجده ذكر أكثر من رواية بشأن الإمام الحسين عليه السَّلام في عهد عمر بن الخطاب فذكر: (فرض

(١) شهد على كتابه لسلمة بن مالك السلمي عليٌّ بن أبي طالب وحاطب بن أبي بلعتة، وعلى كتابه لبني جناب من كلب سعد بن عبادة وعبد الله بن أنيس ودحية بن خليفة الكلبي، وشهد على كتابه لخثعم جرير بن عبد الله، وشهد على كتابه لوفد ثمالة والحدان سعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة... ينظر: ابن سعد الطبقات الكبير: ١/ ٢٤٧-٢٥٠.

عمر لأبناء البدريين ألفين ألفين إلَّا حسناً وحسيناً فإنَّه ألحقهما بفريضة أبيهما لقرابتهما برسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم ففرض لكلِّ واحدٍ منهما خمسة آلاف درهم)[١].

وفي رواية ذكر ابن سعد: (أنَّ عمر بن الخطاب لَمَّا دوّن الديوان وفرض العطاء ألحق الحسن والحسين بفريضة أبيهما مع أهل بدر لقرابتهما برسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم ففرض لكلِّ واحد منهما خمسة آلاف)[٢].

وذكر في رواية أُخرى بسنده عن الإمام الباقر عليه السَّلام: «**جعل عمر بن الخطاب عطاء الحسن والحسين مثل عطاء أبيهما**»[٣]، وكذلك ذكر ابن سعد بسنده عن الإمام الباقر عليه السَّلام: «قَدِمَ على عمر بن الخطاب حُلل من اليمن، فكسا الناس فراحوا في الحُلل وهو بين القبر والمنبر جالس، والناس يأتونه فيسلّمون عليه ويدعون، فخرج الحسن والحسين ابنا عليٍّ من بيت أُمِّهما فاطمة بنت رسول الله صلَّى الله عليه وآله يتخطيان الناس وكان بيت فاطمة في جوف المسجد ليس عليهما من تلك الحُلل شيء، وعمر قاطب صَارّ بين عينيه، ثمَّ قال: والله ما هنّاني ما كسوتم قالوا: ولِمَ يا أمير المؤمنين؟ كسوت رعيتك وأحسنت، قال: مِنْ أجل الغلامين يتخطيان الناس ليس عليهما منها شيء، كَبُرَت عنهما وصَغُرا عنها، ثمَّ كتب إلى صاحب اليمن أن ابعث إليَّ بحلتين لحسن وحسين وعجّل، فبعث إليه فكساهما)[٤].

ومِمَّا لا شكَّ فيه أنَّ عمر بن الخطاب قد فرّق في العطاء وبهذا خالف الرسول صلَّى الله

---

(١) الطبقات الكبير: ٣/ ٢٧٦.

(٢) م.ن: ٦/ ٣٦٩، ٤٠٧.

(٣) م.ن: ٦/ ٤٠٧.

(٤) م.ن: ٦/ ٤٠٧- ٤٠٨. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٤/ ١٧٧. المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٤٠٥. المتقي الهندي، كنز العمال: ١٣/ ٦٥٨-٦٥٩.

عليه وآله الذي قسّم بالسويَّة[1]، واستمر العمل في ذلك حتى ولي أُمور المسلمين أمير المؤمنين الإمام عليٌّ عليه السَّلام[2]، فقسم العطاء بالسويَّة وأرجعها إلى سابق عهدها بعد أنْ أدَّت سياسة التفرقة بالعطاء في عهد أبي بكر وعمر وعثمان إلى وجود تفاوتٍ طبقيٍّ في المجتمع على حساب الطبقات الأُخرى، ولَمَّا كانت التفرقة بالعطاء اجتهاداً من عمر بن الخطاب حاول استعمال بعض الأساليب التي أراد بها التغطية على العديد من أعماله بحقِّ أهل البيت عليهم السَّلام، إذا ما علمنا أنَّ تلك الخطوة كانت في عام (٢٠هـ) أي بعد سبع سنوات تقريباً من حكمه، وهكذا نجد هذه الرواية تأتي للتغطية على أعماله، فذكر سبط ابن الجوزي أنَّ عمر بن الخطاب أجاب ابنه حين عتب عليه في قلة عطائه مقابل عطاء الحسن والحسين فقال له: (ويحك يا عبد الله! ايتني بجدٍّ مثل جدهما، وأب مثل أبيهما، وأُمٍّ مثل أُمِّهما، وجدَّة مثل جدَّتهما، وخال مثل خالهما، وخالة مثل خالتهما، وعمٍّ مثل عمِّهما، وعمَّة مثل عمَّتهما! جدُّهما رسول الله صلَّى الله عليه – وآله – وسلَّم، وأبوهما عليٌّ، وأُمُّهما فاطمة، وجدَّتهما خديجة، وخالهما ابن رسول، وخالتهما زينب ورقية وأُمُّ كلثوم، وعمُّهما جعفر بن أبي طالب)[3].

وفي رواية أُخرى نقل ابن سعد قول الإمام الحسين عليه السَّلام: (صعدت إلى عمر بن الخطاب، فقلت له: «**انزل عن منبر أبي واصعد منبر أبيك**»، قال: فقال لي: «**إنَّ أبي لم يكن له منبر، فأقعدني معه**»، فلَمَّا نزل ذهب بي إلى منزله فقال: أي بني! مَن علمك هذا؟ قال قلت: «**ما علمنيه أحد**»، قال: أي بني، لو جعلت تأتينا وتغْشَانا، قال: فجئت يوماً

(١) م.ن: ٣/ ٢٧٦. ابن سلام، كتاب الأموال: ص٣٥٤. للمزيد من التفاصيل ينظر الشرهاني، التغير في السياسة المالية: ١٨٩-٢١٨.

(٢) ابن سلام، كتاب الأموال: ٣٥٥.

(٣) تذكرة الخواص: ٢/ ١٢٥-١٢٦.

وهو خالٍ بمعاوية، وابن عمر بالباب لم يؤذَن له، فرجعت فلقيني بعد فقال لي: يا بني لم أرك تأتينا، قال: قلت: «**قد جئت وأنت خالٍ بمعاوية فرأيت ابن عمر رجع فرجعت**»، قال: أنت أحقُّ بالإذن من عبد الله بن عمر، إنّما أنبت في رؤوسنا ما ترى الله ثمَّ أنتم، قال: ووضع يده على رأسه)[1].

وفي رواية أُخرى ذكر ابن سعد: (أنَّ أبا بكر خطب يوماً فجاء الحسن فصعد إليه المنبر فقال: «**انزل عن منبر أبي**»، فقال عليٌّ: إنَّ هذا لشيء عن غير مَلأ مِنا)[2].

وردت روايتا ابن سعد لدى العديد من المؤرخين مع اختلاف بسيط في بعض الكلمات التي لا تغير من المضمون شيئاً فأوردها بعضهم[3] منسوبة مرَّة للإمام الحسين عليه السَّلام وأُخرى إلى الإمام الحسن عليه السَّلام[4].

ويبدو من خلال تلك الروايات أنَّ الإمامين الحسن والحسين عليهما السَّلام كانا منذ صُغرهما على علمٍ بحقِّ آل محمَّد المغتصب منذ وفاة الرسول صلَّى الله عليه وآله وصرحا به علانيةً من خلال تلك المواقف التي نسبها المؤرخون تارة الإمام الحسن عليه السَّلام وتارة أُخرى للإمام الحسين عليه السَّلام، وهل موقفهما بتوجيه من الإمام عليٍّ عليه السَّلام أَم من دونه، ومن المؤكد أنَّهما كانا يعبِّران عن وجهة نظره، وربما سمح لهما صُغر سنهما بقول ذلك من دون التعرض لهما؛ ولذلك نجد بالمقابل أبا بكر أو عمر أو الاثنين

(١) الطبقات الكبير: ٦/ ٤٠٨.

(٢) م.ن: ٦/ ٣٧٤.

(٣) العجلي، معرفة الثقات: ١/ ٣٠١-٣٠٢. ابن شبة النميري، تاريخ المدينة: ٣/ ٧٩٨-٧٩٩. الدار قطني، علل الدار قطني: ٢/ ١٢٥-١٢٦. الطوسي، الأمالي: ٧٠٣. الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد: ١/ ١٥٢. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٤/ ١٧٥-١٧٦. المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٤٠٤. المتقي الهندي، كنز العمال: ١٣/ ٦٥٤-٦٥٥.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ٣٧. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٦/ ٤٢. المحب الطبري، الرياض النضرة: ١/ ٢٠٣. المتقي الهندي، كنز العمال: ٥/ ٦١٦.

معاً حاولا عدم إثارتهما وكسب ودِّهما وتقبّل قولهما على مضض والاستفهام منهما عن مصدره ومغزاه.

موقف الإمام الحسين عليه السَّلام من صلح الإمام الحسن عليه السَّلام:

تولى الإمام عليٌّ عليه السَّلام قيادة الأُمَّة بعد عثمان بن عفان عام (٣٥هـ)[١]، وما إنْ بايعته الأُمَّة وبدأ بتنفيذ مشروعه الإصلاحي وإرجاع المسلمين إلى مسارهم الصحيح بعد أن عصفت بهم اجتهادات مَن سبقه لأكثر من أربعة وعشرين عامًا وتفاقمت يومًا بعد آخر، فوجد المنتفعون من ذلك أنّه لا سبيل إلّا الوقوف بوجهه مهما كلّف الثمن، فلم تمضِ سوى أشهر معدودة حتى وقعت معركة الجمل عام (٣٥هـ) ثمَّ صفين عام (٣٧هـ) ثمَّ النهروان عام (٣٨هـ)، ولم تمضِ سوى أربع سنوات ونيف على خلافته حتى انتهت باستشهاده عام (٤٠هـ)[٢]، فبايع المسلمون الإمام الحسن عليه السَّلام ثمَّ آلت الأُمور إلى معاوية بموجب الهدنة[٣] التي أبرمها الإمام الحسن عليه السَّلام مع معاوية بن أبي سفيان عام (٤١هـ).

كلُّ هذه الأحداث كان الإمام الحسين عليه السَّلام رقمًا مهمًا فيها، فكان مع والده أوَّلًا بأوَّل، وكان له دور بارز في الأحداث التي غلب الجانب العسكري فيها على الجوانب الأُخرى بشكل عام، كونها تخللتها أكثر من ثلاث حروب كبرى زمن الإمام عليٍّ عليه السَّلام، وهي الجمل وصفين والنهروان[٤]، ولم نجد ابن سعد يشير إلى أيِّ دور للإمام

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٢٢.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة: ١٩٩. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٤٨.

(٣) يرى أحد الباحثين أنَّه من الخطأ إطلاق مصطلح الصلح على ما جرى بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية وأنَّ الأمر لا يتعدَّى سوى هدنة تنتهي بهلاك معاوية. ينظر: التميمي، قراءة جديدة في هدنة الإمام الحسن: ٨١.

(٤) روى أنَّ الإمام الحسين عليه السلام كان على الميسرة في حرب الجمل، وشهد صفين وكان أميراً على القلب ينظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة: ١٨٤. ابن العديم، بغية الطلب: ٦/ ٢٥٦٢.

الحسين عليه السَّلام فيها، لكنَّه عند ترجمته للإمام الحسن عليه السَّلام تناول قضيّة صلحه مع معاوية، فذكر أكثر من رواية بهذا الشأن من بداية تصدّيه لقيادة الأُمَّة واستعداداته لمواجهة معاوية بن أبي سفيان وإرساله العساكر للتصدي له، وملابسات ذلك وما آلت إليه الأُمور فيها بعد بين الإمام الحسن عليه السَّلام ومعاوية[١]، وقبل أنْ ينهي ابن سعد حديثه عن صلح الإمام الحسن عليه السَّلام أورد رواية أُخرى جاء فيها: (أنَّ معاوية كان يعلم أنَّ الحسن كان أكره الناس للفتنة، فلمّا توفي عليٌّ بعث إلى الحسن فأصلح الذي بينه وبينه سرّاً وأعطاه معاوية عهداً إنْ حدث به حدث والحسن حيّ ليسمينه وليجعلنَّ هذا الأمر إليه، فلمَّا توثَّق منه الحسن، قال ابن جعفر: والله إنِّي لجالس عند الحسن إذ أخذت لأَقوم فجذب ثوبي وقال: أقعد يا هناه اجلس، فجلست، قال: إنِّي قد رأيت رأياً وأحبُّ أنْ تتابعني عليه قال: قلت ما هو؟ قد رأيتُ أنْ أعمد إلى المدينة فأنزلها وأُخلي بين معاوية وهذا الحديث، فقد طالت الفتنة وسقطت فيها الدماء، وقطعت فيها الأرحام وقُطعت السبل، وعُطِّلَت الفُروج - يعني الثغور - فقال ابن جعفر: جزاك الله عن أُمَّة محمَّد خيراً فأنا معك على هذا الحديث، فقال الحسن: أدعُ لي الحسين، فبعث إلى حسين فاتاه فقال: أي أخي، إنِّي قد رأيت رأياً وإنِّي أُحبُّ أنْ تتابعني عليه، قال: ما هو؟ قال: فقصَّ عليه الذي قال لابن جعفر، قال الحسين: أُعيذك بالله أنْ تكذب علياً في قبره وتُصدِّق معاوية، فقال الحسن: والله ما أردتُ أمراً قط إلَّا خالفتني إلى غيره، والله لقد هممتُ أنْ أقذفك في بيت فأطِّينه عليك حتى أقضي أمري، قال: قال: فلمَّا رأى الحسين غضبه قال: أنت أكبر ولد عليٍّ وأنت خليفته وأمرنا لأمرك تبع فأفعل ما بدا لك...)[٢].

وعند الرجوع لما ذكره أغلب المؤرخين حول صلح الإمام الحسن عليه السَّلام نجدهم

---

(١) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٨٠-٣٨٥.

(٢) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٨٤-٣٨٥.

أشاروا ضمنياً لموقف الإمام الحسين عليه السَّلام منه، فذكر ابن قتيبة أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام كان كارهاً لذلك الصلح[١]، بينما ذكر البلاذري بسنده عن الحسن البصري: أنَّه (لَمَّا بايع أهل الكوفة الحسن أطاعوه وأحبّوه أشدَّ من حبِّهم لأبيه، واجتمع له خمسون ألفاً، فخرج بهم حتى أتى المدائن، وسرح بين يديه قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري[٢] في عشرين ألفاً، فنزل بمسكن[٣]، وأقبل معاوية من الشام في جيش، ثمَّ إنَّ الحسن خلا ناحية الحسين فقال: يا هذا إنِّي نظرت في أَمري فوجدتني لا أصل إلى الأمر حتى يُقتل من أهل العراق والشام من لا أحب أنْ أحتمل دمه، وقد رأيت أنْ أُسلِّمَ الأمر إلى معاوية فأشاركه في إحسانه ويكون عليه إساءته، فقال الحسين: أُنشدك الله أن تكون أوَّل من عاب أباك وطعن عليه، ورغب عن أمره، فقال: إنِّي لا أرى ما تقول، ووالله لئن لم تتابعني لأُشدنك في الحديد فلا تزال فيه حتى أَفرغ من أمري، قال: فشأنك...)[٤]، وفي موضع آخر قال البلاذري: (كان الحسين منكراً لصلح الحسن)[٥].

وروى الطبري (وقال الحسن للحُسين ولعبد الله بن جعفر: إنِّي قد كتبت إلى معاوية في الصلح وطلب الأمان، فقال له الحسين: نشدتك الله أنْ تصدق أُحدوثة معاوية وتكذّب أُحدوثة عليٍّ! فقال له الحسن: اسكُتْ فأنا أعلم بالأمر منك)[٦].

(١) الإمامة والسياسة: ١/ ١٨٧.

(٢) هو قيس بن سعد بن دليم بن حارثة الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا الفضل، وهو من كرام أصحاب رسول الله صلىَّ الله عليه وآله وأسخيائهم ودهاتهم، ومن أهل الرأي والمكيدة في الحروب مع النجدة والبسالة، كان شريف قومه هو وأبوه وجدّه، أعطاه رسول الله صلَّى الله عليه وآله راية قومه يوم فتح مكة، وهو من خُلَّص أصحاب الإمام عليٍّ عليه السلام شهد مشاهده كلَّها، وكان عامله على مصر، وبقي مع الإمام الحسن عليه السلام حتى عقد الصلح ثمَّ عاد للمدينة وتوفي فيها عام (٦٠هـ) وعلى قول آخر (٥٩هـ). ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب: ٣/ ١٢٨٩-١٢٩٣.

(٣) مسكن موضع على نهر دجيل قرب تكريت عند دير جاثليق، وهو الموضع الذي قتل فيه مصعب بن الزبير عام (٧٢هـ) على يد الأُمويين بقيادة عبد الملك بن مروان. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٢/ ٤٤٣؛ ٥/ ١٢٧.

(٤) أنساب الأشراف: ٣/ ٢٩٣.

(٥) م.ن: ٣/ ٣٦٣.

(٦) الأُمم والملوك: ٥/ ١٠٨. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/ ٣٥٣-٣٥٤.

في حين نقل سبط بن الجوزي رواية عن الشعبي جاء فيها: (لمَّا مال الحسن إلى صلح معاوية، قال له أَخوه الحسين: إنِّي أُنشدك الله أنْ تصِدّق أُحدوثة معاوية، وتكذّب أُحدوثة أبيك! فقال: يا أخي، أمَا ترى إلى ما نحن فيه؟)[١].

ورواية ابن سعد التي انفرد بذكرها ونقلها عنه عدد من المؤرخين[٢] جاءت وهي تحمل العديد من المغالطات، فالرواية بمجملها مخالفة لأغلب ما ذهب إليه أغلب المؤرخين[٣] بأنَّ الإمام الحسن عليه السَّلام قد جيّش الجيوش وهيأ العساكر لقتال معاوية بعد أنْ بعث له الرسائل وقتل جواسيسه وحذَّره من مغبَّة عدم الاعتراف بدولته والطاعة له، لكن الأُمور سارت بغير ما خَطَطَ لها الإمام، فاضطر لعقد الصلح بسبب العديد من التداعيات، ولما يعلمه من مصلحة الأُمَّة بعد أنْ أخذ على معاوية العهود والمواثيق في الحفاظ على بيضة الإسلام والتي نقضها معاوية منذ اليوم الأوَّل.

ويمكننا أن نكتفي بما ذكره أبو الفرج الأصفهاني بشأن تصميم الإمام الحسن عليه السَّلام على قتال معاوية: (ثمَّ إنَّ الحسن بن عليٍّ سار في عسكر عظيم وعدَّة حسنة... ودعا عبيد الله بن العباس[٤] فقال له: يا بن عم، إنيِّ باعث معك اثني عشر ألفاً من

---

(١) تذكرة الخواص: ٢/ ٢١.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٣/ ٢٦٧. المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٢٤٨. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٦٥. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب: ٢/ ٢٥٩-٢٦٠.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٤٩-١٥٠. ابن أعثم الكوفي، الفتوح: ٤/ ٢٩٠-٢٩٦. أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ص٦١-٨٠. المفيد، الإرشاد: ص١٧٩-١٨٢. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٣/ ٢٦٠-٢٨٠.

(٤) عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، وكنيته أبو محمّد، أدرك النبيَّ صلىَّ الله عليه وآله وحدَّث عنه، وهو أصغر من أخيه عبد الله بن العباس بسنة واحدة، ولَّاه الإمام عليٌّ عليه السلام اليمن وأمَّره على الحج بالناس عامي (٣٦هـ) و(٣٩هـ)، وهو الذي قتل الأُمويون أولاده لمَّا غزا بسر بن أرطأة اليمن بأمر من معاوية عام (٤٠هـ)، بعثه الإمام الحسن عليه السلام على الجيش الذي ذهب لقتال أهل الشام فتركه وذهب لمعسكر معاوية. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٣٧/ ٤٧١-٤٩٢. المزي، تهذيب الكمال: ١٩/ ٦٠-٦٥.

فرسان العرب وقرّاء المصر، الرجل منهم يزن الكتيبة فسِرْ بهم، وألن لهم جانبك، وابسط وجهك، وافرش لهم جناحك، وأدنهم من مجلسك، فإنَّهم بقيَّة ثقة أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وسرّ بهم على شط الفرات حتى تقطع بهم الفرات، ثمَّ تصير إلى مسكن، ثمَّ امضِ حتى تستقبل معاوية، فإنْ أنت لقيته فاحبسه حتى آتيك فإنِّي في أثرك وشيكاً، وليكن خبرك عندي كلَّ يوم، وشاور هذين، يعني قيس بن سعد، وسعيد بن قيس[١]، فإذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلك، فإنْ فعل فقاتل، فإنْ أصبت فقيس بن سعد على الناس، وإنْ أُصيب قيس فسعيد بن قيس على الناس، ثمَّ أمره بما أراد)[٢].

هذه الوثيقة الصريحة التي ذكرها أبو الفرج الأصفهاني هي عبارة عن خطة عسكريَّة دقيقة شاملة لكلِّ دقائق الأُمور تبيِّن مدى قدرة وشجاعة الإمام الحسن عليه السَّلام وتصميمه على قتال معاوية، وتدحض تلك الروايات التي زعمت أنَّ الإمام عليه السَّلام كان قد عزم على تسليم الأُمور لمعاوية، ومنها رواية ابن سعد التي ذكرت موقف الإمام الحسين عليه السَّلام من الصلح وجواب الإمام الحسن عليه السَّلام له.

وعلى الرغم من أنَّه لا يمكن أن ننفي بأنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام كان لا يريد أنْ تصل أُمور الأُمَّة إلى ما وصلت إليه وتبايع لمعاوية، ولا شك أنَّ قرار الإمام الحسن عليه السَّلام فيه مصلحة للمسلمين عامة والشيعة خاصة، والمؤكد أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام أدرك هذا ومقتنع بصواب فعل أخيه الإمام المعصوم، وأنَّ الصلح فيه أبعاد مهمة، وذُكر أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام كتب لبعض خاصته وشيعته: «**إنَّ أمر الله**

(١) هو سعيد بن قيس الهمداني، كان على سبع حمير وهمدان في الكوفة، وهو من خُلَّص أصحاب الإمام عليٍّ عليه السلام شهد مشاهده وكان على ميمنته يوم صفين، وهو الذي طعن ابن الحضرمي لمَّا بعثه معاوية للاستيلاء على البصرة، فقال الإمام عليه السلام: «لو كنت بواباً على باب جنة.. لقلت لهمدان ادخلوا بسلام».. ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ٢/ ٢٣٥، ٣٢٢، ٤٧٨. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٧/ ٣٤٩.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٧١.

كان قدراً مقدوراً، إنَّ أمر الله كان مفعولاً)، وذكر كراهته لذلك الصلح وقال: (كنتُ طيِّب النفس بالموت دونه ولكنَّ أخي عزم عليَّ وناشدني فأطعته وكأنَّما يحزُّ أنفي بالمواسي ويُشَرِّح قلبي بالْمُدّى، وقد قال الله عزَّ وجلَّ ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1]، وقال: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾)[2][3].

وفي رواية أُخرى ذكرها البلاذري يتضح منها موقف الإمام الحسين عليه السَّلام جواباً لحجر بن عدي لَمَّا قال له: (يا أبا عبد الله، شربتم العزَّ بالذل، وقبلتم القليل بترك الكثير، أطعني اليوم واعْصَني سائر الدهر، دع رأي الحسن واجمع شيعتك، ثمَّ ادْعُ قيس بن سعد وابعثه في الرجال، وأخرج أنا في الخيل فلا يشعر ابن هند إلَّا ونحن معه في عسكره فنضاربه حتى يحكم الله بيننا وبينه وهو خير الحاكمين، فإنَّهم الآن غارون، فقال: إنَّا قد بايعنا وليس إلى ما ذكرت سبيل)[4].

ويبدو ممَّا تقدَّم أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام لم يتعدَّ رأيه رأي أخيه الإمام الحسن عليه السَّلام، فرفض كلَّ الدعوات التي طالبته بنقض الصلح في بدايته على الرغم من المحاولات التي جرت بين شيعتهم وبينه ملتزماً بما طلبه من الإمام الحسن عليه السَّلام، ومن الأدلَّة على ذلك ملازمة الإمام الحسين عليه السَّلام لأخيه حتى استشهاده، دليلاً آخر يضاف إلى نقض جميع الروايات التي أرادت أنْ تصور أنَّه كان مخالفاً لكلِّ ما يروم إليه الإمام الحسن عليه السَّلام، فمن خلال النص الذي أورده ابن سعد: (والله ما أردتُ

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٩.

(٢) سورة البقرة: الآية: ٢١٦.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ٣٦٣-٣٦٤.

(٤) أنساب الأشراف: ٣/ ٣٦٥-٣٦٦.

أمراً قط إلَّا خالفتني إلى غيره، والله لقد هممتُ أنْ أقذفك في بيت فأطيّنه عليك حتى أقضي أمري)، وهذا النص يحاول أن يصور أنَّ الخلاف كان مستمراً بينهما، ولم يكن هو الخلاف الأوَّل، في حين لم نعثر في المصادر التي اطلعنا عليها على أيِّ موقف يُشير إلى وجود خلاف بينهما، فضلاً عن أنَّ الإمام الحسن عليه السَّلام لم يمضِ على تسلمه مقاليد الأُمَّة سوى مدِّة محدودة.

ومن خلال مقارنة ما ذكره المؤرخون وبين رواية ابن سعد عن موقف الإمام الحسين عليه السَّلام نجد أنَّ هناك تشابهاً واضحاً بينه وبين ما أورده البلاذري في موقف الإمام الحسن عليه السَّلام من الإمام الحسين عليه السَّلام، والتي ناقض البلاذري نفسه، فنجده ينتقل من دون مقدمات من كون الإمام الحسن عليه السَّلام يتمتع بحبِّ شيعته وأنصاره وأنَّ حبَّهم له فاق حبَّ أبيه، وقد اجتمع إليه أكثر من خمسين ألف مقاتل وقد سار فيهم لقتال معاوية، نجد أنَّ الرواية تنتقل مباشرة من دون ذكر أيِّ سبب أنَّه خلا بالإمام الحسين عليه السَّلام ليعلمه أنَّه قرر تسليم الأمر لمعاوية؛ معللاً ذلك بأنَّ هذا الأمر سوف لا يكون إلَّا بإراقة الدماء، ولو كان الأمر هكذا لما جيَّش الإمام الجيوش وأرسل العساكر مقدَّمة له، بل نجد في الرواية إشارة ضمنيَّة أنَّ الإمام خشي من معاوية، إذ إنَّه خلا بالحسين بعد أنْ علم بقدوم جيش معاوية من الشام وهو ما لا يمكن القبول به.

أمَّا روايتا الطبري والتي ناغمت رواية ابن سعد في ثلاث فقرات:

الأُولى: إنَّ الإمام الحسن عليه السَّلام قال لأخيه الحسين عليه السَّلام وعبد الله بن جعفر.

والفقرة الثانية: أنْ تكذب أُحدوثة عليٍّ وتصدِّق أُحدوثة معاوية.

والفقرة الثالثة: هي قساوة ردِّ الإمام الحسن عليه السَّلام على الإمام الحسين عليه

السَّلام، لكنَّها كانت أقلَّ وطأة ممَّا ذكرته رواية ابن سعد.

وفضلاً عمَّا ذكرناه نجد في سند رواية الطبري بصمات عوانة بن الحكم المعروف بهواه الأُموي قد تداخلت مع رواية ابن سعد، والتي نعتقد أنَّ هناك تلاعباً في ألفاظها ومضمونها هدفه النيل من قدسية أهل البيت عليهم السَّلام، فمن المعلوم أنَّ العباسيين يروجون لمثل هذه الروايات، وأنَّ العديد من المؤرخين والرواة كانوا متأثرين بآراء السُّلطة وهواها سواء كانوا رغبةً في ذلك أَم رهبة، ويمكن أن نستدلَّ برسالة أبي جعفر المنصور لمحمَّد ذي النفس الزكية وهي ليست ببعيدة عن العهد الذي بدأ فيه بواكير التدوين التاريخي فكتب إليه: (ثمَّ كان جدُّك حسن بعده، فباعها من معاوية بخرق ودراهم، ولحق بالحجاز ودفع الأمر إلى غير أهله، وأخذ مالاً من غير حله، فإنْ كان لكم فيها شيء فقد بعتموه وأخذتم ثمنه)[١].

موقف الإمام الحسين عليه السَّلام من حكم معاوية قبل استشهاد الإمام الحسن عليه السَّلام:

على الرغم من أنَّ المدَّة بين الصلح واستشهاد الإمام الحسن عليه السَّلام عام (٤٩هـ)[٢] وعلى قول آخر عام (٥٠هـ)[٣]، ليست بالقليلة إلَّا أنَّ المصادر التاريخيَّة تشحُّ علينا بذكر مواقف الإمام الحسين عليه السَّلام من حكم معاوية بن أبي سفيان، ويبدو أنّ وجود الإمام الحسن عليه السَّلام قد جعل من الإمام الحسين عليه السَّلام يتقيّد بكلِّ ما أبرمه طيلة حياة الإمام الحسن عليه السَّلام ولم يتخذ أيَّ موقف من دون علمه وموافقته،

(١) سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص: ٢/ ٨٨.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة: ٢٠٣. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٥٦.

(٣) الخصيبي، الهداية الكبرى: ١٧٨. أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٥٩.

وعلى الرغم من ذلك فقد ذكر ابن سعد روايات عدَّة في هذا الشأن منها قوله: (إنَّ الحسن والحسين كانا يقبلان جوائز معاوية)[١]، وعن (ثُوَيْر بن أبي فَاخِتَة[٢]، عن أبيه، قال: وفدت مع الحسن والحسين إلى معاوية فأجازهما فقبلا)[٣]، وذكر (أنَّ معاوية بن أبي سفيان كان يلقى الحسين فيقول: مرحباً وأهلاً بابن رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم ويأمر له بثلاثمائة ألف)[٤].

وروى بعض المؤرخين[٥] أنَّ الحسن والحسين قبلا جوائز معاوية، في حين يرى ابن الصباغ المالكي أنَّ الحسين رفض قبول عطايا وهدايا معاوية حين قدم مكة وردَّها عليه بقوله: (إنَّ معاوية لَمَّا قدم مكَّة وصله بمال كثير وثياب وافرة وكسوة فاخرة فردَّ الجميع عليه ولم يقبل منه شيئاً)[٦]، ويرى المحقق الكركي أنَّ قبولهما هو أخذ حقّهما من بيت المال[٧]، لكنَّنا لا نرجح أنهَّما وفدا على معاوية إلى بلاد الشام للعديد من المعطيات التاريخية، منها أنَّ الإمام الحسن عليه السَّلام كان مريضاً لمدَّة طويلة، حتى أنَّ البلاذري روى (وطال مرض الحسن بعد قدومه المدينة من العراق، حتى قيل إنَّه السل)[٨]، ومن جهة أُخرى أنَّ الإمامين عليهما السَّلام يعلمان أنَّ معاوية وبطانته في دمشق من أشدِّ

(١) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٦٨-٣٦٩.

(٢) ثوير بن أبي فاختة ويكنى أبا جهم الكوفي، واسم أبي فاختة سعيد بن علاقة، وهو مولى أُمِّ هاني بنت أبي طالب، ينظر: النجاشي، رجال النجاشي: ١١٧.

(٣) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٦٩.

(٤) م.ن: ٦/ ٤٠٩.

(٥) ابن أبي شيبة الكوفي، المصنف: ٥/ ٢٦٦. الشيخ الطوسي، تهذيب الأحكام: ٦/ ٣٣٧. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١١٣-١١٤و ٥٩/ ١٩٤. العلّامة الحلي، تذكرة الفقهاء: ١٢/ ١٥٢. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٦٦.

(٦) الفصول المهمة: ٢٦٧.

(٧) الخراجيات: ٧٩. للمزيد عن شروط الصلح ينظر: العبودي، الإمام الحسن عليه السلام: ٢٣١-٢٣٨.

(٨) أنساب الأشراف: ٣/ ٢٩٥.

المبغضين لآل البيت عليهم السَّلام، وأنَّهم لطالما يتحينون الفرص للنيل من قدسيتهم والتقليل من شأنهم، ولو وفدا إلى دمشق لوجدنا كتب التاريخ حافلة بمناظراتهم وردِّهم على مَن يحاول النيل من قدسيتهم.

ويمكن أنْ نستدلَّ من رواية ذكرها ابن عساكر على إصرار بعض الرواة والمؤرخين في تلفيق التهم والأكاذيب على آل البيت عليهم السَّلام لغايات وأهداف تتفق مع متبنيات الأُمويين والعباسيين على حدٍّ سواء، فذكر ابن عساكر بسنده عن (عليِّ بن محمَّد بن الصائغ[1]، حدثني أبي، قال: رأيت الحسين بن عليِّ بن أبي طالب بعينيَّ وإلاّ فُعميتا، وسمعته بأُذنيَّ وإلّا فَصُمَّتا، وفد على معاوية بن أبي سفيان زائرًا، فأتاه في يوم جمعة وهو قائم على المنبر خطيبًا، فقال له رجل من القوم: يا أمير المؤمنين ائذن للحسين بن عليٍّ يصعد المنبر! فقال معاوية: ويلك دعني أفتخر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: سألتك بالله يا أبا عبد الله، أليس أنا ابن بطحاء مكَّة؟ فقال الحسين: إي والذي بعث جدي بالحقِّ بشيرًا، ثمَّ قال: سألتك بالله يا أبا عبد الله، أليس أنا خال المؤمنين؟ فقال: إي والذي جعل جدّي نبيًا، ثمَّ قال: سألتك بالله يا أبا عبد الله، أليس أنا كاتب الوحي، فقال: إي والذي بعث جدي نذيراً، ثمَّ نزل معاوية، وصعد الحسين بن عليٍّ فحمد الله عزَّ وجلَّ بمحامد لم يحمده الأوَّلون والآخرون، ثمَّ قال: حدثني أبي عن جدِّي، عن جبريل عليه السَّلام، عن ربِّه عزَّ وجلَّ أنّ تحت قائمة كرسي العرش ورقة آس مكتوب عليها لا إله إلَّا الله، محمَّد رسول الله، يا شيعة آل محمَّد لا يأتي أحد منكم يوم القيامة يقول لا إله إلَّا الله، إلَّا أدخلته

(١) علّي بن محمّد بن الصائغ وصفه الخطيب البغدادي بأنَّه ضعيف جداً، وعدَّه الذهبي وابن حجر في الضعفاء، وذكر ابن الجوزي حديثه في الموضوعات. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة بغداد: ٣/ ٤٤١. ابن الجوزي، الموضوعات: ٣/ ١٣١؛ الذهبي، ميزان الاعتدال: ٣/ ١٥٣. والمغني في الضعفاء: ٢/ ٩٦. ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان: ٢/ ٤٨٩.

الجنة، قال: فقال معاوية بن أبي سفيان: سألتك بالله يا أبا عبد الله، مَن شيعة آل محمَّد؟ فقال: الذين لا يشتمون الشيخين أبا بكر وعمر، ولا يشتمون عثمان، ولا يشتمون أبي، ولا يشتمونك يا معاوية)[(١)].

قال ابن عساكر: (هذا حديث منكر ولا أرى إسناده متصلاً إلى الحسين)[(٢)]، والرواية المتقدِّمة الذكر تشير بوضوح سنداً ومضموناً إلى ضعفها ووهنها، ولذلك نجد ابن عساكر لم يعتد بها.

وممَّا يؤيد ضعف روايات وفادة الإمامين الحسن والحسين عليهما السَّلام على معاوية وزهدهم ممَّا في يديه ما روي أنَّه: (لمَّا قدم معاوية المدينة أتاه وجوه الناس، ودخل عليه عبد الله بن الزبير، فقال له معاوية: ألا تعجب للحسن بن عليٍّ، أنَّه لم يدخل عليَّ منذ قدمت المدينة، وأنا بها منذ ثلاث، قال: يا أمير المؤمنين! دع عنك حسناً... والله لو شاء الحسن أنْ يضربك بمئة ألف سيف لفعل، ولأهل العراق أبرُّ به من أُمِّ الحوار بحوارها، فقال معاوية: أتغريني به يا بن الزبير! والله لأقبلن عليه ولأصلن قرابته... ثمَّ إنَّ الحسن دخل على معاوية في اليوم الرابع فقال: أمَا والله إنِّي لأعلم ما خلفك عليَّ، أردت أنْ تقيم حتى أُجيز الناس وأنفض ما في يدي ثمَّ تأتيني فإنْ أعطيتك أجحفت بي، وإنْ لم أُعطك بخلتني قريش، يا غلام! احسب كلَّ ما أعطينا أهل المدينة فمر للحسن بمثل جميعه وأنا ابن هند، فقال الحسن: اشهدوا أنِّي قد قبلته ووهبته الحاضرين وأنا ابن فاطمة، ثمَّ خرج الحسن، فارتحل معاوية)[(٣)].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ١٤/ ١١٣-١١٤.

(٢) م.ن: ١٤/ ١١٤.

(٣) مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية: ٥٩.

ومن هذه الرواية يتضح زهد الإمامين عليهما السَّلام فيما بيد معاوية، وأنَّهما يأنفان من مقابلته وهو في المدينة، وهو ما جعله يشكو ذلك لعبد الله بن الزبير وغيره، فمن الطبيعي أنَّهما لا يفدان إليه إلى دمشق، ولأيِّ شيء تكون وفادتهما؟ لطلب الأموال التي أشارت هذه الرواية أنَّه قبلها ووهبها للحاضرين الذين يبدو أنَّهم كانوا من فقراء الناس الذين حضروا للحصول على جزء من حقوقهم التي غصبها الأُمويون.

ولا نستبعد أن تكون هناك العديد من الروايات التي ذكرت أنَّ الإمامين الحسن والحسين عليهما السَّلام قد وفدا على معاوية في الشام، هي بالأصل لا أساس لها من الصحة، وأنَّها جاءت من أجل النيل من قدسية الإمامين عليهما السَّلام ولتحقيق أهداف سياسية مغرضة، إذا ما علمنا ما صاحب التدوين التاريخي، فقد حاول العباسيون الترويج لفكرة أنَّ أهل البيت قد ضعفوا ووهنوا أمام الأُمويين مقارنةً مع العباسيين الذين انتصروا عليهم وقالوا ذلك علانيةَ: (ثمَّ خرجتم على بني أُميَّة فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل، وحرّقوكم بالنيران، ونفوكم في البلدان، فقتلوا زيداً بالكوفة، وابنه يحيى بخراسان، وأسروا صبيانكم ونساءكم، وحملوهم في المحامل بغير وطاء كالسبي المجلوب إلى الشام، وطافوا برأس عمِّك حسين بن عليٍّ في البلدان، حتى خرجنا عليهم فطلبنا بثأرهم، وأدركنا بدمائهم، وأورثناكم أرضهم وديارهم...)[١]، فما بالنا إذ نجد صاحب هذه الكلمات هو مَن أشرف شخصياً على أقدم مَن كتب في السيرة والتاريخ[٢]، فقد كُتب أغلب التاريخ بأقلام السلطة، ومن الطبيعي أن لا يكون منصفاً وخصوصاً مع آل محمَّد الذين لطالما وقفوا بوجه جبروت الحكام وطغيانهم.

---

(١) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ٢/ ٨٩.

(٢) ينظر: شاكر مصطفى، التاريخ والمؤرخين: ١٦٠-١٦١.

موقف الإمام الحسين عليه السَّلام من استشهاد الإمام الحسن عليه السَّلام:

كان استشهاد الإمام الحسن عليه السَّلام من الأحداث المهمَّة التي عصفت بالأُمَّة، فَوِصفَ استشهادهِ بأَنَّه أوَّل ذلٍّ دخل العرب[1]، وكان أعداؤه يترقبون ذلك، فروي أنَّ معاوية ومَن كان معه كبَّروا حين بلغهم استشهاد الحسن عليه السَّلام[2] فرحاً وسروراً، فأجابه ابن عباس بقوله: (أمَا والله ما سدَّ جسده حفرتك، ولا زاد نقصان أجله في عمرك، ولقد مات وهو خير منك...)[3].

وتطرق ابن سعد لموقف الإمام الحسين عليه السَّلام من استشهاده في قضيتين الأُولى هو سبب استشهاده والقصاص من الذي دسَّ السم إليه، والقضيَّة الثانية هي دفن الإمام مع جدِّه رسول الله صلَّى الله عليه وآله، في حين أشرنا لموقف الإمام الحسين عليه السَّلام في الصلاة عليه في المبحث الثاني من هذا الفصل.

فأمَّا عن سبب استشهاده فقد جاء في روايته الأُولى بسنده عن الواقدي: (كان الحسن بن عليٍّ كثير نكاح النساء وكُنَّ قلَّما يحظين عنده، وكان قَلَّ امرأة تزوجها إلَّا أحبته وصبت به، فيقال: إنَّه كان سُقي، ثمَّ أفلتَ، ثمَّ سقي فأفلت، ثمَّ كانت الآخرة توفي فيها، فلمَّا حضرته الوفاة قال الطبيب وهو يختلف إليه: هذا رجلٌ قد قَطَع السمُّ أمعاءه، فقال الحسين: يا أبا محمَّد خبِّرني مَن سَقَاك؟ قال: ولِمَ يا أخي؟ قال: أقتله، والله قبل أنْ أدفنك، أو لا أقدر عليه؟ أو يكون بأرض أتكلف الشخوص إليه؟ فقال: يا أخي إنَّما هذه الدنيا ليالٍ فانية، دَعْهُ حتى ألتقي أنا وهو عند الله، فأبى أن يسمِّيه، وقد سمعتُ بعض مَن

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبير: ٦/ ٣٩٣. أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٨٣. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٣/ ٢٩٥.

(٢) المسعودي، مروج الذهب: ٣/ ٩.

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ١/ ١٩٧.

يقول: كان معاوية قد تلطّف لبعض خَدَمه أن يسقيه سُمًّا)[١].

والرواية الثانية: ذكر فيها أنَّ الحسين جلس عند رأس الحسن وقال: (أي أخي أنبئني مَن سَقاكَ؟ قال: لِمَ؟ أَتقتله؟ قال: نعم، قال: ما أنا بمحدثك شيئًا، إِنْ يكن صاحبي الذي أظن، فالله أشدّ نقمة، وإلّا فو الله لا يقتل بي بريء)[٢].

وفي رواية ثالثة أوردها ابن سعد: (قال الحسن للحسين: إنِّي قد سُقيت السمَّ غير مرّة، وإنِّي لم أُسق مثل هذه المرّة، إنّي لأضعُ كبدي، قال: فقال: مَن فعل ذلك بك؟ قال: لِمَ؟ لتقتله؟! ما كنت لأُخبرك)[٣].

أشار المؤرِّخون إلى قضيَّة استشهاد الإمام الحسن عليه السَّلام فذكروا أنّه سُقي السمّ[٤]، لكنَّ بعضهم كان أكثر صراحة بتوجيه الاتهام لصاحب المكيدة الحقيقي في ذلك وهو معاوية بن أبي سفيان، فذكر المسعودي (وذكر أنَّ امرأته جَعْدة بنت الأشعث بن قيس الكندي سقته السمّ، وقد كان معاوية دسَّ إليها: إنّك إن احتلْتِ في قتل الحسن وَجِّهت إليك بمائة ألف درهم، وزوّجتك من يزيد)[٥]، وهو ما أشار إليه ابن عبد البر بقوله: (كان ذلك منها بتدسيس من معاوية إليها وما بذله لها في ذلك)[٦].

ولا نريد الخوض في تفاصيل ذلك لكي لا نخرج عن موقف الإمام الحسين عليه السَّلام من استشهاده، فيبدو أنَّ الإمام الحسن عليه السَّلام كان حريصًا على عدم إثارة قضيَّة دسِّ السمِّ إليه، رغم معرفته في ذلك، فقد ذكر المسعودي (أنَّ الحسن قال عند

(١) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٨٦.

(٢) م.ن: ٦/ ٣٨٧.

(٣) م.ن: ٦/ ٣٨٧.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٥٦. ابن عبد البر، الاستيعاب: ١/ ٣٨٨-٣٩١. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٠٢. وأسد الغابة: ٢/ ١٥.

(٥) مروج الذهب: ٣/ ٦. ينظر: المفيد، الإرشاد: ١٨٢.

(٦) الاستيعاب: ١/ ٣٨٩.

موته: لقد حاقَتْ شربته، وبلغ أُمنيته، والله لا وفى لها بما وَعَدَ ولا صدق فيما قال)[1]، في إشارة صريحة لزوجته جعدة بنت الأشعث ومعاوية بن أبي سفيان، لكنّه لم يصرِّح علنًا بها، وهكذا نجد أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام اكتفى بما ذكره الإمام الحسن عليه السَّلام بإيكال أمر مَن دبّر قتله ومن نفذه إلى الله سبحانه وتعالى.

ومن خلال كلِّ ما تقدَّم نرى أنَّ ابن سعد أورد العديد من الرّوايات بشأن مَن كان السبب في استشهاد الإمام الحسن عليه السَّلام، فصرّح في إحدى رواياته بمعاوية لكنَّه جعل تلك المحاولة من قبل خدمه، وفي رواية أُخرى أورد اسم زوجته جعدة وأنَّها هي من سقته السمَّ[2]، لكنَّه لم يُشر إلى سبب قيامها بهذا الفعل، وهو ما أشار إليه بعض المؤرخين بأنَّ ذلك بدسٍّ من معاوية.

وأَمَّا القضيَّة الأُخرى وهي دفنه عليه السَّلام فذكر ابن سعد أَنَّه عليه السَّلام أوصى أن يدفن مع جدِّه رسول الله صلَّى الله عليه وآله، فإنْ حدث مانع في ذلك فيدفن إلى جنب أُمِّه في البقيع[3]، لكنَّ هذا الأمر لم يكن بهذه السهولة فالمؤامرات كانت تحاك من قبل الأُمويين بقيادة مروان بن الحكم على الرغم من أَنَّه لم يكن والياً آنذاك، أي عند استشهاد الحسن عليه السَّلام، وفي رواية يتضح منها أنَّ معاوية كان يتابع نتائج مؤامرته بقتل الحسن عليه السَّلام، فإنَّ مروان كان يُعلمه بثقل حالته[4]، وأنهَّم ينوون دفنه مع رسول الله صلىَّ الله عليه وآله وأنَّهم لا يصلون إلى ذلك وهو على قيد الحياة[5]، فكان منع دفن الإمام الحسن عليه السَّلام

(١) مروج الذهب: ٣/ ٦.

(٢) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٨٧.

(٣) م.ن: ٦/ ٣٨٨.

(٤) م.ن.

(٥) م.ن: ٦/ ٣٨٩.

برغبة من معاوية وبموافقته، ودليلنا على ذلك ما ذكره ابن سعد بقوله: (ومروان يومئذٍ معزول يريد أنْ يرضي معاوية بذلك، فلم يزل مروان عدواً لبني هاشم حتى مات)[١]، ثمَّ ذكر في نصٍّ آخر أنَّ مروان كتب لمعاوية أنَّه وقف بوجه بني هاشم وتبعه في ذلك ألفا رجل فحالوا من دفنه مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله، (فكتب معاوية إلى مروان يشكر له ما صنع واستعمله على المدينة ونزع سعيد بن العاص)[٢]، وهكذا نجد ذلك كلَّه بتخطيط مروان وموافقة ومباركة من معاوية بن أبي سفيان.

أمَّا عن موقف الإمام الحسين عليه السَّلام فقد ذكر ابن سعد أنَّه لَّما توفي الحسن (انتهى حسين بن عليٍّ إلى قبر النبيِّ صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم فقال: احفروا هاهنا، فَنَكب عن سعيد بن العاص وهو الأمير يومئذٍ فاعتزل، فلم يحل بينه وبينه، وصاح مروان في بني أُميَّة ولفها، وتلبسوا السلاح، وقال مروان: لا كان هذا أبداً، فقال له حسين: يا بن الزرقاء! مالك ولهذا أوالٍ أنت؟ قال: لا كان هذا ولا خُلِصَ إليه وأنا حي، فصاح حسين بحلف الفضول[٣]، فاجتمعت هاشم، وتَيْم، وزُهرة، وأسد، وبنو جَعْوَنَةَ بن شَعُوب من بني ليث قد تلبسوا السلاح، وعقد مروان لِوَاءً وعقد حُسين بن عليٍّ لِوَاءً)[٤].

وفي روايـة أُخـرى ذكر ابن سـعد (لَّما حُضر الحسـن، قال: للحسـين ادفنـوني عند أبي يعنـي النبـيَّ صـلَّى الله عليـه - وآلـه - وسـلَّم، إلَّا أنْ تخافـوا الدمـاء فلا تهرقـوا فيَّ دماً،

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٣٩١.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٣٩٧.

(٣) حلف الفضول هو حلف بين قبائل من قريش قبيل الإسلام وحضره الرسول (صلىَّ الله عليه وآله) لنصرة المظلوم على الظالم، وكان أوَّل من دعا إليه الزبير بن عبد المطلب عُقد في دار عبد الله بن جدعان وحضره بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد بن عبد العزى، وبنو زهرة بن كلاب، وتيم بن مرة. ينظر: ابن قتيبة، المعارف، ص٦٠٤؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٢-١٣؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٤/ ١٣٠و١٥/ ٢٠٣-٢٢٤.

(٤) الطبقات الكبير، ٦/ ٣٨٩.

ادفنوني عند مقابر المسلمين، قال: فلمَّا قبض تسلّح الحسين وجمع مواليه، فقال له أبو هريرة: أُنشدك الله ووصيَّة أخيك، فإنَّ القوم لن يدعوك حتى يكون بينكم دمٌ، فلم يزل به حتى رجع)[١].

وفي رواية ذكرها ابن سعد عن موقف عائشة أنَّها قالت (هذا الأمر لا يكون أبداً، يدفن ببقيع الغرقد ولا يكون لهم رابعاً، والله إنَّه لبيتي أعطانيه رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم في حياته، وما دفن فيه عمر وهو خليفة إلَّا بأمري وما أَثَرُ عليٍّ رحمه الله عندنا بِحَسَنٍ)[٢].

ويمكن أن نلخص ما ذكره ابن سعد أنَّ الحسن أوصى أنْ يدفن مع النبيِّ على شرط أنْ لا يراق دمٌ في ذلك، فلمَّا أرادوا دفنه اعترض مروان، وهنا دعا الحسين بحلف الفضول فاجتمعوا حوله، وأنَّ مروان كان كتب إلى معاوية يخبره أنَّه سيمنع أنْ يدفن الحسن مع النبيِّ، كذلك أورد ابن سعد موقف عائشة الرافض لذلك.

وأشارت المصادر التاريخيَّة إلى قضيَّة دفن الإمام الحسن مع الرسول وكيف مُنع من ذلك، ومَن هو الذي قام بهذا الأمر، فجاءت رواية البلاذري لا تختلف من حيث المضمون عن رواية ابن سعد، لكنَّه ذكر أنَّ معاوية كتب إلى مروان (إذا مات الحسن فامنع من ذلك أشدَّ المنع كما مُنعنا من دفن عثمان مع النبيِّ صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم، فأتى الحسين الحسن فأخبره بذلك فقال: يا أخي اجتنبت القتال في حياتي، أفتريد أنْ يكون ذلك عند سريري؟ فضمن له أن لا يفعل)[٣].

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٣٨٨.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٣٩٣.

(٣) أنساب الأشراف، ٣/ ٢٩٨.

في حين أورد اليعقوبي رواية مختصرة في هذا الشأن فذكر: (ثمَّ أُخرج نعشه يُراد به قبر رسول الله، فركب مروان بن الحكم وسعيد بن العاص فمنعا ذلك، حتى كادت تقع فتنة، وقيل إنَّ عائشة ركبت بغلة شهباء، وقالت بيتي لا آذن فيه لأحد، فأتاها القاسم بن محمَّد بن أبي بكر، فقال لها: يا عمَّة! ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر، أتريدين أنْ يقال يوم البغلة الشهباء؟ فرجعت، واجتمع مع الحسين بن عليٍّ جماعة وخلق من الناس، فقالوا له: دعنا وآل مروان، فو الله ما هم عندنا كأكلة رأسٍ، فقال: إنَّ أخي أوصاني أن لا أُريق فيه محجمة دم، فدفن الحسن في البقيع)(١).

ومن خلال كلَّ ما تقدَّم نرى التالي:

١- تطرق ابن سعد لموقف الإمام الحسين عليه السَّلام من قضيَّة دفن الإمام الحسن عليه السَّلام بشكل واضح، وذكر كيف أنَّ الإمام الحسن عليه السَّلام قد ألزم أخاه الإمام الحسين عليه السَّلام بضرورة عدم إراقة قطرة دم بسبب دفنه، والظاهر أنَّ هناك بعض التغييرات التي طرأت على بعض المواقف، ومنها موقف عائشة التي كانت وافقت قبل ذلك، فقد روي أنَّ الإمام الحسن عليه السَّلام في أثناء مرضه أرسل إلى عائشة أنْ تأذن له أنْ يدفن مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله (فقالت: نعم، ما كان بقي إلَّا موضع قبر واحد)(٢)، وروي كذلك أنَّ الإمام الحسن عليه السَّلام قال: (كنت طلبت إلى عائشة إذا متُّ أنْ تأذن لي فأُدفن في بيتها مع رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم، فقالت: نعم، وإنِّي لا أدري لعلَّها كان ذلك منها حياءً، فإذا أنا متُّ فاطلب ذلك إليها فإن طلت نفسها فادفني في بيتها، وما أظنّ القوم إلَّا سيمنعونك إذا أردت ذلك، فإنْ فعلوا فلا تراجعهم في ذلك، وادفني في بقيع الغرقد، فإنَّ فيمن فيه أُسوة، فلمَّا مات الحسن أتى

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٥٦-١٥٧. وينظر: أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ص٨١-٨٢.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٨٢.

الحسين عائشة، فطلب ذلك إليها، فقالت: نعم وكرامة، فبلغ ذلك مروان، فقال مروان: كذب وكذبت، والله لا يدفن هناك أبداً، منعوا عثمان من دفنه في المقبرة، ويريدون دفن الحسن في بيت عائشة! فبلغ ذلك الحسين، فدخل هو ومن معه في السلاح، فبلغ ذلك مروان فاستلأم في الحديد أيضاً)[١].

وهكذا يتضح من روايتي ابن شبة النميري وابن عبد البر أنَّ الإمام الحسن عليه السَّلام استأذن من عائشة قبل وفاته وأوصى الحسين أن يستأذن منها مرَّة أُخرى بعد وفاته، خوفاً أن تكون وافقت حياءً منها، فوافقت مرّة أُخرى، وهو ما يعني أنَّ عائشة وافقت على ذلك مرّتين، لكنَّها تراجعت فيما بعد، معللة رفضها بسبب ما كان بينها وبين الإمام عليٍّ عليه السَّلام لقولها: (وما أَثَرُ عليٍّ رحمه الله عندنا بِحَسَنٍ)، ولم يبين ابن سعد كيف أوصلت كلامها هذا لبني هاشم، هل أرسلت مبعوثاً من قِبلها لهم؟ أَم أنَّها حضرت بنفسها، وهل أنَّ بني هاشم استأذنوا عائشة في أنْ يدفن الإمام الحسن عليه السَّلام مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله أم لا؟

لكنَّنا في الوقت ذاته نجد اليعقوبي وأبا الفرج الأصفهاني ذكروا أنَّها ركبت بغلة شهباء وقالت: بيتي لا آذن فيه لأحد[٢]، ونحن إذ لا نستبعد مجيئها لكنَّنا لا نتفق مع ما ذكره أبو الفرج الأصفهاني أنَّها جاءت لتستنفر بني أُميَّة في منع دفن الإمام الحسن عليه السَّلام مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله[٣]؛ ذلك أنَّ بني أُميَّة كانوا قد عزموا وخططوا لذلك منذ أن علموا أنَّ الإمام الحسن عليه السَّلام اشتدَّ مرضه، وأنَّ بني هاشم في نيتهم دفنه مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، ويبدو العكس من ذلك أنَّ الأُمويين استنجدوا بها بعد ذلك حين

(١) الاستيعاب: ١/ ٣٩١-٣٩٢. وينظر: ابن شبة النميري، تاريخ المدينة: ١/ ١١٠-١١١.
(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٥٦. مقاتل الطالبيين: ص٨٢.
(٣) مقاتل الطالبيين: ص٨٢.

وجدوا أنفسهم عاجزين عن مقاومة بني هاشم ومن معهم، ولذلك يرى البلاذري (فلمّا رأت عائشة السلاح والرجال، وخافت أنْ يعظم الشرُّ بينهم وتُسفك الدماء، قالت: البيت بيتي ولا آذن أنْ يدفن فيه أحد)[١]، وموقف عائشة هذا ليس بعيداً عن دورها في حرب الجمل وما سُفكتْ فيها من الدماء، فضلاً عن مدى أحقيتها بالإذن في دفن أبيها وعمر بن الخطاب مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله حسب الفقه الإسلامي، وهل يجيز لها ذلك، ونرى مجيئها نصرة لبني أُميَّة حلفائها إذا ما قورنوا مع بني هاشم، والظاهر موقفها هذا زاد موقف الأُمويين قوّةً وفي المقابل أضعف موقف الهاشمين ولو ظاهرياً.

وهكذا نجد أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام قد التزم بوصيَّة الإمام الحسن عليه السَّلام الذي أوصى أنْ يدفن مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، لكنَّه اشترط أن لا يراق دمٌ في ذلك، ولمَّا علم بنو أُميَّة بهذا الأمر قبل وفاته جرت مراسلات بين مروان ومعاوية بهذا الشأن، ونتيجة علمهم بشرط الإمام الحسن عليه السَّلام كانوا مطمئنين أنَّه لا يقع قتال بينهما، وبينت الروايات التاريخيَّة أنَّ الرجال التي كان تحت إمرة الإمام الحسين عليه السَّلام أقوى بكثير من قدرة الأُمويين في مواجهتها، وهو ما دعاهم للاستنجاد بعائشة لما لها من ثقل معنويٍّ، فضلاً عن أنَّ البيت بيتها دون نساء الرسول صلَّى الله عليه وآله، على أقل تقدير هذا ما يراه عوام الناس، والدليل على أنَّ الأُمويين ليس لديهم القدرة على مواجهة بني هاشم وحلفائهم هو ما ذكره اليعقوبي (واجتمع مع الحسين بن عليٍّ جماعة وخلق من الناس، فقالوا له دعنا وآل مروان، فو الله ما هم عندنا كأكلة رأسٍ، فقال: إنَّ أخي أوصاني أنْ لا أُريق فيه محجمة دمٍ، فدفن الحسن في البقيع)[٢]، وروي عن محمَّد ابن

(١) أنساب الأشراف: ٣/ ٢٩٨.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٥٧.

الحنفيَّة قوله: (لقد رأيتني يومئذٍ وإنِّي لأُريد أنْ أضرب عنق مروان، ما حال بيني وبين ذلك إلَّا أَن أكون أراه مستوجباً ذلك، إلَّا أنِّي سمعت أخي يقول: إنْ خفتم أنْ يهراق محجم من دمٍ فادفنوني بالبقيع، فقلت لأَخي: يا أبا عبد الله -وكنت أرفقهم به- إنَّا لا ندع قتال هؤلاء القوم جبناً عنهم ولكنَّا إنَّما نتبع وصيَّة أبي محمَّد، إنَّه والله لو قال ادفنوني مع النبيِّ صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم لُمتْنَا عن آخرنا أو ندفنه مع النبيِّ صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم)، ولكنَّه خاف ما قد ترى فقال: إنْ خفتم أنْ يهراق فيَّ محجم من دمٍ فادفنوني مع أُمِّي فإنَّما نتبع عهده وننفذ أمره)[١].

٢- أشار ابن سعد إلى الدور المحوري الذي مارسه الإمام الحسين عليه السَّلام في هذا الحدث التاريخي من خلال العدد الكبير من الصحابة والشخصيات الإسلامية في ذلك الوقت، التي أدَّت دوراً مهماً في ثني الإمام الحسين عليه السَّلام عن موقفه، تنفيذاً لوصية الإمام الحسن، حفاظاً على مصلحة الأُمَّة لعلمهم أنَّ بني أُميَّة لا تعنيهم مصلحة المسلمين في شيء، ففضلاً عمَّا ذكرناه أمثال المسور بن مخرمة وغيره ذكر أنَّ سعد بن أبي وقاص نزل من أرض له وكلَّم الإمام عليه السَّلام بقوله: (الله الله فلم يزل بحسين حتى ترك ما كان يريد)[٢]، ومنهم أبو هريرة وأبو سعيد الخدري الذي وما وقع من مشادات كلاميَّة بينهم وبين مروان بن الحكم، ولما ذكّرا الأخير بأحاديث الرسول صلَّى الله عليه وآله بحقِّ أهل البيت قال لهم مروان: (لقد ضاع حديث رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم حين لا يرويه إلَّا أنت وأبو سعيد الخدري...)[٣].

(١) ابن سعد، الطبقات الكبير: ٦/ ٣٩٠.

(٢) الطبقات الكبير: ٦/ ٣٩٠.

(٣) م.ن: ٦/ ٣٩٤.





الفصل الثاني:

مقدمات النهضة الحسينيَّة

المبحث الأَوَّل: التمهيد للنهضة الحسينيَّة

المبحث الثاني: خطوات الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة ولاة الأُمويين في المدينة ومكَّة

المبحث الثالث: منهج الإمام الحسين عليه السَّلام في الردِّ على الناصحين



المبحث الأَوَّل: التمهيد للنهضة الحسينيَّة

أَوَّلاً: الكتب والوفود أثناء حكم معاوية:

لم تكن نهضة الإمام الحسين عليه السَّلام على الحكم الأُموي والانحراف الذي أصاب الدين على أيديهم، وليدة اللحظة والحدث، وإنَّما هي إصلاح شامل متكامل تمَّ إعداد الأُمَّة للتهيؤ له والنهوض بمسؤولياتها، فبعد صلح الإمام الحسن عليه السَّلام والذي كان اتفاقيَّة مؤقتة أشبه ما تكون بصلح الحديبية بين الرسول صلَّى الله عليه وآله والمشركين، فكان ذلك من متطلبات تلك المرحلة[١]، وقد أجمل الإمام الحسين عليه السَّلام للأُمَّة معالم تلك المرحلة بقوله لخاصته (صدق أبو محمَّد - أي الإمام الحسن عليه السَّلام - فليكن كلُّ رجل منكم حلساً من أحلاس بيته)[٢].

وقد ذكر ابن سعد أربع روايات يستشف منها أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام كان يمهد لنهضته ضدَّ الحكم الأُموي: فذكر روايته الأُولى عبارة عن حوار دار بين معاوية ورجل من قريش[٣]، فقال معاوية له: (إذا دخلت مسجد رسول الله -صلىَّ الله عليه وآله- فرأيت حلقة فيها قوم كأنَّ على رؤوسهم الطير، فتلك حلقة أبي عبد الله مؤتزراً على أنصاف ساقيه، ليس فيها الهزيلا[٤] شيء)[٥].

(١) للمزيد من التفاصيل ينظر: العبودي، الإمام الحسن عليه السلام: ٢٢٥-٢٧٠.

(٢) أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال: ٢٢١.

(٣) ورد بهذه الصيغة في رواية ابن سعد مجهول الاسم.

(٤) إشارة لجدية العمل، والهزل نقيض الجِد، وهما ضدان متنافران. ينظر: ابن منظور، لسان العرب: ٣/ ١١٢. الرازي، مختار الصحاح: ٥٨.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبير: ٦/ ٤١٤.

بينما جاءت الرواية الثانية بسنده عن جعيد همدان[١] قال: - جعيد همدان -... فسألني فقال: - الحسين عليه السَّلام - أخبرني عن شباب العرب أو عن العرب، قال: قلت أصحاب جلاهقاتٍ[٢] ومجالس، قال: فأخبرني عن الموالي، قال: قلت: آكل ربا أو حريص على الدنيا، قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والله إنّهما للصنفان اللذان كنا نتحدّث أنَّ الله تبارك وتعالى ينتصر بهما لدينه...)[٣].

وذكر رواية ثالثة أوضح فيها ابن سعد أنَّ هناك وفوداً ومراسلاتٍ بين الإمام الحسين عليه السَّلام وأنصاره وشيعته من أهل الكوفة: (وكان أهل الكوفة يكتبون إلى حسين يدعونه إلى الخروج إليهم في خلافة معاوية، كلُّ ذلك يأبى، فقدم منهم قوم إلى محمَّد ابن الحنفيَّة، فطلبوا إليه أنْ يخرج معهم فأبى، وجاء إلى الحسين فأخبره بما عرضوا عليه وقال: إنَّ القوم إنَّما يريدون أنْ يأكلوا بنا ويشيطوا دماءنا، فأقام حسين على ما هو عليه من الهموم، مرَّة يريد أنْ يسير إليهم، ومرَّة يُجمع الإقامة...)[٤].

ثمَّ ذكر رواية رابعة جاء فيها: (وقَدِمَ المسيب بن نجبة الفزاري[٥] وعدَّة معه إلى

(١) هو جعيد الهمداني من أهل اليمن كوفي من أصحاب رسول الله صلىَّ الله عليه وآله ومن أصحاب الأئمَّة عليٍّ والحسن والحسين وعليِّ بن الحسين عليهم السلام. ينظر: البرقي، الرجال: ٧. الخوئي، معجم رجال الحديث: ٥/ ١١١. البروجردي، طرائف المقال: ٢/ ٧٧.

(٢) الجُلاهق بضم الجيم البندق المعمول من الطين وهي من الآت الصيد عبارة عن قوس يوضع في وسط وتره البندق عند الرمي، وهي لعبة اقتبسها العرب من الفرس في أواخر أيام عثمان بن عفان وعدّوا ظهورها منكراً في المدينة... ينظر: الفراهيدي، العين: ٥/ ٢٤٤. الجوهري، الصحاح: ٤/ ١٤٥٤. القلقشندي، صبح الأعشى: ٢/ ١٥٤.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبير: ٦/ ٤١١-٤١٢.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبير: ٦/ ٤٢٢.

(٥) هو المسيب بن نجبة بن ربيعة بن رباح من فزارة، شهد القادسية، كان من كبار أصحاب الإمام عليٍّ عليه السلام شهد معه مشاهده كلَّها، وهو أحد زعماء التوابين الذين تحمسوا للأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام، شارك في معركة عين الوردة وحمل رايتهم بعد استشهاد سليمان بن صرد الخزاعي واستشهد فيها.. ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص١٧٤. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٥٨/ ١٩٣-٢٠٠. المزي، تهذيب الكمال: ٢٧/ ٥٨٩-٥٩٠. الذهبي، تاريخ الإسلام: ٥/ ٢٤٨.

الحسين بعد وفاة الحسن، فدعوه إلى خلع معاوية وقالوا: قد علمنا رأيك ورأي أخيك فقال: إنِّي أرجو أنْ يعطي الله أخي على نيته في حبِّه الكف، وأنْ يعطيني على نيتي في حبي جهاد الظالمين)[١].

وقد أورد العديد من المؤرخين ما ذكره ابن سعد بشأن التمهيد للنهضة الحسينيَّة، فذكر أبو حنيفة الدينوري (وبلغ أهل الكوفة وفاة الحسن، فاجتمع عظماؤهم فكتبوا إلى الحسين رضي الله عنه يعزونه.. فكتب إليهم: أمَّا أخي فأرجو أن يكون الله قد وفقه، وسدَّده فيما يأتي، وأمَّا أنا فليس رأيي اليوم ذلك، فالصقوا رحمكم الله بالأرض، واكمنوا في البيوت، واحترسوا من الظنة مادام معاوية حياً، فإنْ يُحدث الله به حدثاً وأنا حيٌّ، كتبت إليكم برأيي والسَّلام)[٢]، وجاءت رواية البلاذري بشكل عام لا تختلف من حيث المضمون عن رواية أبي حنيفة الدينوري بحسن رأي أهل الكوفة وحبِّهم له وتطلعهم إلى قدومه[٣].

وذكر اليعقوبي رواية مطوَّلة تتضمن اجتماع أهل الكوفة عند سماعهم بوفاة الإمام الحسن عليه السَّلام، فكتبوا كتاباً مطولاً في تعزية الإمام الحسين عليه السَّلام وعددوا عليه محاسن الإمام الحسن عليه السَّلام وإعلان البيعة له والولاء وانتظار أوامره: (ونحن شيعتك المصابة بمصيبتك، المحزونة بحزنك، المسرورة بسرورك، السائرة بسيرتك، المنتظرة لأمرك)[٤].

بينما ذكر المفيد رواية مختصرة ذكر فيها أنَّ أهل العراق كتبوا إلى الإمام الحسين عليه

(١) ابن سعد، الطبقات الكبير: ٦/ ٤٢٣.

(٢) الأخبار الطوال: ٢٢١.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ٣٦٦.

(٤) اليعقوبي، التاريخ: ٢/ ١٥٩.

السَّلام بعد وفاة الحسن عليه السَّلام يدعونه لخلع معاوية والبيعة له: (فامتنع عليهم لأنَّ بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز نقضه حتى تمضي المدَّة، فإنْ مات نظر في ذلك)[١]، كذلك أشار السيوطي إلى ذلك بقوله: (وأمَّا الحسين فكان أهل الكوفة يكتبون إليه يدعونه إلى الخروج زمن معاوية، وهو يأبى)[٢]، ويرى أحد الباحثين[٣] أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام آثر عدم الثورة في عهد معاوية والانصراف إلى تنظيم أنصاره وإعدادهم إعداداً جيداً يصبحون فيه على قدرٍ من النضج والوعي قبل القيام بأيِّ نشاط عملي.

يتضح ممَّا تقدَّم أنَّ هناك وفداً رفيع المستوى قد تمَّ إرساله من أهل الكوفة بعد أنْ اجتمعوا في دار سليمان بن صرد الخزاعي[٤] على أثر سماعهم بوفاة الإمام الحسن عليه السَّلام؛ وذلك لتعزية الإمام الحسين عليه السَّلام من جهة، وكذلك الطلب منه بخلع معاوية وإعلان الثورة على حكم بني أُميَّة والقدوم للكوفة من جهة أُخرى، لكنَّ الإمام عليه السَّلام شكرهم على ذلك ورفض خلع معاوية والقدوم إلى الكوفة؛ وذلك لأسباب عدَّة منها أنَّ هناك عقداً وصلحاً قد أُبرم مع معاوية ويقصد به الصلح الذي عقده الإمام الحسن عليه السَّلام، وأنَّه يرى أنَّ الوقت لم يحن، فقد وجه شيعته وأنصاره بكتم الهوى والاحتراس من الظنة حفاظاً عليهم ليومٍ ما.

وعلى ما يبدو أنَّ الوفود والإعداد للثورة لم يقتصر على أهل الكوفة، فقد روى

(١) المفيد، الإرشاد: ١٩١.

(٢) تاريخ الخلفاء: ٢٠٣.

(٣) إبراهيم بيضون، التوابون: ٦٨.

(٤) هو سليمان بن صرد بن أبي الجون الخزاعي، يكنى أبا مطرف، نزل الكوفة وابتنى فيها داراً، شهد مع الإمام عليٍّ عليه السلام صفين وقتل فيها أحد قادة معاوية مبارزة، وهو ممَّن كاتب الإمام الحسين عليه السلام، وهو أمير التوابين استشهد عام (٦٥هـ) في معركة عين الوردة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير: ٥/ ١٩٦-١٩٧. خليفة بن خياط، طبقات خليفة: ١٨١. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١/ ٥٦٣-٥٦٤. ابن الأثير، أسد الغابة: ٢/ ٥٤٨-٥٤٩. الذهبي، تاريخ الإسلام: ٥/ ١٢٢-١٢٣.

البلاذري رواية يُستشف منها أنَّ هناك من أهل الحجاز من كان يختلف إلى الإمام الحسين عليه السَّلام، وكانوا يأتون بسريَّة تامَّة خوفاً من عيون الأُمويين وجواسيسهم، بحيث يأتون ملثمين لكي لا يعرفهم أحد، فقال: (وكان رجال من أهل العراق ولثمان أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين يجلّونه ويعظّمونه ويذكرون فضله ويدعونه إلى أنفسهم)[١].

وهكذا نجد ابن سعد في روايته الثالثة أخفى جواب الإمام عليه السَّلام لأنصاره من أهل الكوفة واقتطع الرواية ولم يكملها على الرغم من أنَّ الموضوع وجواب الإمام عليه السَّلام كان في غاية الأهميَّة، فيبدو أنَّ العديد من الوفود والكتب قد توالت عليه بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السَّلام، فقد أورد ابن سعد نفسه أنَّ مروان بن الحكم كتب لمعاوية على أثر ذلك محذّراً إياهُ من تحركات الإمام الحسين عليه السَّلام، ويطالبه بسرعة التصرف فذكر: (أنِّي لست آمن أنْ يكون حسين مرصداً للفتنة، وأظنُّ يومكم من حسين طويلاً)[٢].

والظاهر أنَّ تلك الوفود لم تثر حفيظة مروان فحسب، بل أثارت حفيظة العديد من الأُمويين وأنصارهم، فقد روي أنَّ عمرو بن عثمان[٣] هو من أشار على مروان بالكتابة إلى معاوية[٤]، كذلك أغفل ابن سعد جواب معاوية إلى والي المدينة مروان بن الحكم الذي أمره معاوية بعدم التعرض للإمام الحسين عليه السَّلام[٥]، إذ كان الموقف من الخطورة

(١) أنساب الأشراف: ٣/ ٣٦٦.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبير: ٦/ ٤٢٣.

(٣) هو عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أُميَّة، أخو أبان بن عثمان، وأُمّه أسماء بنت عمر الدوسية، وهو مدني من كبار التابعين، وفد على معاوية إلى دمشق فأغزاه الروم. ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار: ١٠٩. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٤٦/ ٢٨٥-٢٩٨.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ٣٦٧.

(٥) م.ن.

بحيث تبنَّى معاوية الأمر بنفسه فكتب كتابه مباشرة للإمام الحسين عليه السَّلام، فذكر ابن سعد ذلك فقال: (فكتب معاوية إلى الحسين: إنَّ من أعطى الله صفقة يمينه وعهده لجدير بالوفاء، وقد أُنبئت أنَّ قوماً من أهل الكوفة قد دعوك إلى الشقاق، وأهل العراق من قد جربت، قد أفسدوا على أبيك، وأخيك، فاتق الله، واذكر الميثاق فإنَّك متى تكدني أكدك)[١].

وروى البلاذري كتاب معاوية بقوله: (وكتب معاوية إلى الحسين: أمَّا بعد فقد أُنهيت إليَّ عنك أُمور إنْ كانت حقاً فإنِّي لم أكن أظنّ بك رغبة عنها، وإنْ كانت باطلاً فأنت أسعد الناس بمجانبتها وبحظ نفسك تبدأ، وبعهد الله توفي، فلا تحملني على قطيعتك والإساءة إليك، فإنِّي متى أنكرتك تنكرني ومتى تكدني أكدك، فاتق الله يا حسين في شقِّ عصا الأُمَّة، وإن تردهم في فتنة)[٢] وعلى هذا المنوال وردت روايتا ابن قتيبة[٣] وأبي حنيفة الدينوري[٤].

ومن مقارنة رواية ابن سعد مع روايات المؤرخين نجد أنَّ هؤلاء لم يشيروا إلى أهل الكوفة ولا العراق لا من قريب ولا من بعيد، عكس رواية ابن سعد والتي جاءت كأنَّها توحي لو كان الإمام عليه السَّلام متوجهاً لغير العراق لكان معاوية سكت عن ذلك، فأظهرت رواية ابن سعد معاوية ناصحاً للإمام عليه السَّلام يعدد له مساوئ أهل الكوفة وموقفهم من أبيه وأخيه عليهما السَّلام.

وأشار ابن سعد إلى جواب الإمام عليه السَّلام على كتاب معاوية فذكر (فكتب إليه

(١) ابن سعد، الطبقات الكبير: ٦/ ٤٢٣.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ٣٦٧.

(٣) الإمامة والسياسة: ١/ ٢٠١.

(٤) الأخبار الطوال: ٢٢٤-٢٢٥.

الحسين: «**أتاني كتابك وأنا بغير الذي بلغك عني جدير، والحسنات لا يهدي لها إلَّا الله، وما أردت لك محاربة ولا عليك خلافاً، وما أظن لي عند الله عذراً في جهادك، وما أعلم فتنة أعظم من ولايتك أمر الأُمَّة**»، فقال معاوية إن أثرنا بأبي عبد الله إلَّا أسداً)[١].

وأورد بعض المؤرخين جواب الإمام عليه السَّلام إلى معاوية وكان كتاباً مطولاً عدّد فيه على معاوية جرائمه بحقِّ الأُمَّة، ومنها قتله عمرو بن حمق الخزاعي[٢] وحجر بن عدي الكندي[٣] وادّعاءه زياد ابن سمية، وأخذه البيعة ليزيد، ثمَّ عدد عليه مساوئ يزيد[٤].

ويبدو أنَّ الكتاب لما وصل معاوية قد أثار قلقه قضَّ مضاجعه وأفقده ميزة الحلم المزعوم، فصبَّ جام غضبه على من كان عنده من بني هاشم في دمشق، وهكذا نجد ابن سعد ذكر في ترجمته لعبد الله بن جعفر أنَّ معاوية أنَّب وأغلظ له حين ورده كتاب الإمام عليه السَّلام، فذكر أنَّه: (ورد على معاوية كتاب غمَّه من حسين بن عليٍّ، فضرب به الأرض، ثمَّ قال من يعذرني من ابن أبي تراب، والله لهممت أنْ أفعل به وأفعل...)[٥].

ولا نستبعد أنَّ كتاب الإمام عليه السَّلام الذي أفقد معاوية صوابه هو ذلك الكتاب الذي أجاب به الإمام عليه السَّلام على معاوية، فهو لم يكن كتاباً عادياً، بل هو وثيقة

(١) ابن سعد، الطبقات الكبير: ٦/ ٤٢٣.

(٢) هو عمرو بن الحمق بن الكاهن الخزاعي، من صحابة رسول الله صلىَّ الله عليه وآله ومن خُلَّص أصحاب الإمام عليٍّ عليه السلام، وهو من الثائرين على عثمان بن عفان، استشهد على يد والي الموصل عبد الرحمن بن عثمان الثقفي عام (٥١هـ)، وحُمل رأسه إلى معاوية في دمشق. ينظر: خليفة بن خياط، الطبقات: ١٠٦. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٤٥/ ٤٩٠-٥٠٤. ابن الأثير، أسد الغابة: ٤/ ١٠٠-١٠١.

(٣) هو حجر بن عدي بن جبلة بن ربيعة الكندي، وكنيته أبو عبد الرحمن، والملقب بحجر الخير، من عظماء أصحاب الإمام عليٍّ عليه السَّلام وخُلَّص شيعته، شهد معه كلَّ مشاهده، قتله معاوية بن أبي سفيان صبراً عام (٥١هـ) بمرج عذراء. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير: ٨/ ٣٣٧. ابن عبد البر، الاستيعاب: ١/ ٣٢٩-٣٣٢. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١٢/ ٢٠٧. ابن الأثير، أسد الغابة: ١/ ٦٩٧. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٦٢-٤٦٣.

(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ١/ ٢٠١. البلاذري، أنساب الأشراف: ٥/ ١٢٨-١٣٠.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبير: ٦/ ٤٦٧.

سياسيَّة مهمَّة، فقد كتبه الإمام الحسين عليه السَّلام في أوج عظمة وقوة الأُمويين، ولا يمكن لأيِّ مصلح أو ثائر أو معارض للدولة الأُموية في ذلك الحين أنْ يتجرأ على معاوية ويقول له مثل هذا القول المتقدم الذكر، فقد استقرَّ حكم معاوية طيلة هذه السنوات، وقد استعمل العديد من الأساليب الملتوية في ترهيب وترغيب الأُمَّة حتى أذعنت من شرقها إلى غربها، فتارة يستعمل الأموال والرشا وتارة يستعمل السيف والسجن وأخرى يستعمل الغيلة بقتل معارضيه، وأساليب معاوية لا تعدُّ ولا تحصى والكلُّ كان يخشاه، ومن الواضح أنَّ هذا الكتاب كتبه الإمام عليه السَّلام بعد استشهاد حجر وأصحابه.

وهكذا نجد أنَّ ابن سعد اقتطع معظم كتاب الإمام الحسين عليه السَّلام ولم يذكره كاملاً، ويبدو أنَّه أراد أنْ يحجم من دور الإمام الحسين عليه السَّلام في شأن نهضته ومقارعته الأُمويين، وكذلك وجد أنَّ الكتاب يمجّد بشيعة الإمام عليٍّ عليه السَّلام وأنصاره الذين قتلهم معاوية وهم جلُّهم من أهل الكوفة، وهو لا يريد أن يظهر أهل الكوفة بهذا المظهر ربما محاباة للعباسيين اللذين لا يروق لهم ذلك، ونجد أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام ضاق ذرعاً بما يفعله الأُمويون بشيعته وشيعة أبيه، وهو ما تبين من كتابه المتقدِّم الذكر.

ويبدو من خلال كلِّ ما ذُكر أنَّه كانت هناك مجموعة من الوفود التي كانت تتوافد على الإمام الحسين عليه السَّلام معزية بوفاة الإمام الحسن عليه السَّلام وهذا طبيعي جداً مع ما صورته الأيادي الأُمويَّة بأنَّ استشهاد الحسن عليه السَّلام كان طبيعياً وليس للسلطة الأُمويَّة يدٌ فيه، والبارزون والمشهورون من تلك الوفود كانت تطالب الإمام الحسين عليه السَّلام بالثأر والخروج على معاوية، لكنَّه عليه السَّلام كان يأمرهم بالانتظار لحين تهيئة الأُمور المناسبة، ولعلَّ هذا عكس ما صوَّره ابن سعد في تردد الإمام عليه السَّلام

بين القدوم والإقامة.

ومن خلال ما تقدَّم يمكننا القول:

١- انفرد ابن سعد في روايته الأُولى والتي بينت دقة المعلومات التي كانت تصل إلى مقر الحكم الأُموي في دمشق، فهي وصف دقيق لارتباط الأُمَّة بالإمام الحسين عليه السَّلام ومدى تعلقهم به ورغبتهم في حسن الاستماع إليه من جهة، وجديَّة الإمام الحسين عليه السَّلام في تعامله مع الذين يحضرون مواعظه ودروسه بشكل جليٍّ واضح من جهة أُخرى.

٢- صور ابن سعد من خلال روايته الثانية مراقبة الإمام الحسين عليه السَّلام لمجتمع عصره من أجل إعداد الأُمَّة وتهيئة مقومات النهضة التي تقوم بإصلاح الانحراف الذي حصل في الإسلام، وما آلت إليه الأُمور، وأنَّ تلك المهمَّة لا بُدَّ أنْ يؤدي المجتمع فيها دوراً مهماً خاصة عنصر الشباب والموالي ربما لأنَّهما أكثر فئات الأُمَّة تضرراً في ظل الانحراف الذي أصابها، فقد زج الشباب في ما يسمَّى بالفتوحات فضلاً عن سياسة التجمير[١] التي اتبعتها الدولة الأُمويَّة، أمَّا الموالي فقد عانوا الأَمرَّين من السياسة العنصريَّة التي اتبعتها الدولة معهم منذ زمن عمر بن الخطاب[٢]، فعلى سبيل المثال أنَّه منع تزوجيهم من النساء العربيات[٣] وتكرست تلك السياسة العنصريَّة زمن الأُمويين فاستغلوها أبشع استغلال ولم يرَ الموالي عدالةً إلَّا في ظل حكومة الإمام عليٍّ عليه السَّلام؛ لذا نجدهم يلتفون حول كلِّ ثورة تنادي بالإصلاح والتغيير كثورة المختار الثقفي والثورة العباسيَّة وغيرهما.

---

(١) التجمير هو بقاء الجند في ثغور الأعداء دون السماح برجوعهم لأمصارهم ومدنهم، وقد نهي أن تجمر غزاة المسلمين في ثغور المشركين. ينظر: الخليل الفراهيدي، العين: ٦/ ١٢٢.

(٢) الشرهاني، التغيير في السياسة المالية: ١٠٢.

(٣) الجاحظ، العثمانية: ٢١١. الأزدي، الإيضاح: ٢٨٠. الثقفي، الغارات: ٢/ ٨٢٣. البيهقي، السنن الكبرى: ٧/ ١٣٣.

ويبدو أنَّ جواب جعيد همدان لم يرق للإمام عليه السَّلام فاسترجع كون أنَّ الأُمَّة مغلوبة على أَمرها، وانشغال الشباب والموالي بأُمور شتى قد تكون بعيدة كلَّ البعد عن النهوض بمسؤولياتها.

٣- إنَّ هناك مكاتبات ولقاءات بين الإمام الحسين عليه السَّلام وبين أنصاره وشيعته وخاصة من أهل الكوفة في أثناء حكم معاوية تدعو لخروج الإمام عليه السَّلام على السلطة الأُموية وإعلان الثورة وخلع معاوية بن أبي سفيان.

٤- على الرغم من أنَّ ابن سعد أراد أنْ ينزل الإمام الحسين عليه السَّلام من مرحلة اليقين إلى مرحلة التردد، فقول ابن سعد مرَّة يريد أنْ يسير إليهم ومرَّة يجمع الإقامة، هي في واقع الأمر محاولة للنيل من قدسيته عليه السَّلام والنزول به إلى مستوى أيِّ ثائر أو مصلح آخر ضدَّ الحكم الأُموي، في حين أنَّ هناك أسباباً عدَّة كانت وراء عدم قيامه بنهضته إبان حكم معاوية بن أبي سفيان منها:

التزامه بالاتفاقيَّة التي أُبرمت بين الإمام الحسن عليه السَّلام ومعاوية.

فضلاً عن نظرة الإمام عليه السَّلام الثاقبة لأحوال الأُمَّة آنذاك، حيث وضع معاوية إمكاناتها ومقدراتها بقبضته بعد أنْ أخذ بسياسة الترهيب والترغيب للرعيَّة، فضلاً عن أنَّ معاوية كان يتصنع الفضيلة ويدَّعي التدين، وكونه قد وطد حكمه وسلطانه منذ مدَّة ليست بالقصيرة فمن المعروف أنَّ سلطانه على أهل الشام بدأ منذ حكم أبي بكر وجمع له الشام منذ أيام عمر بن الخطاب وبلغ ذروة سلطانه زمن عثمان بن عفان، ثمَّ ناصب العداء للإمام عليٍّ عليه السَّلام، فجاء استشهاد الإمام عليٍّ عليه السَّلام ثمَّ الهدنة بينه وبين الإمام الحسن عليه السَّلام، وهكذا

أصبحت الرعيَّة تحت طاعة معاوية كأمر واقع مُسلَّم به، ولم يبق في الساحة بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السَّلام غير الإمام الحسين عليه السَّلام الذي لم يألُ الأُمويون جهداً لمحاربته بكلِّ ما أُوتوا من قوةٍ في ظلِّ تلك الظروف.

هذا ما حدا بالإمام أنْ يكون حريصاً على التريث في إعلان نهضته في الوقت الذي كان يعدُّ العدَّة فيه لذلك اليوم، فقد حسم أَمره مباشرة بعد صلح الإمام الحسن عليه السَّلام وهو قوله: «**ليكن كلُّ رجل منكم حلساً من أحلاس بيته ما دام معاوية حياً**»(١).

٥- يؤخذ على رواية ابن سعد الثالثة أنَّه جعل الوفد ينأى بنفسه عن الإمام الحسين عليه السَّلام ويتجه إلى محمَّد ابن الحنفيَّة، وهذا ما لا يمكن قبوله والأخذ به كون أغلب شيعة الإمام يعرفون جيداً أنَّ مثل هذه المهمَّة عصيّةٌ على التنفيذ فلا يستطيع النهوض بها إلَّا مَن كان في ثقل ومكانة الإمام الحسين عليه السَّلام في ظل عنفوان حكم الأُمويين، اللهم إلَّا إذا كان القصد من توجههم نحو محمَّد ابن الحنفيَّة هو الاستعانة به عند الإمام، وهذا ما لم يتم ملاحظته من خلال سياق تلك الرواية، فهو لم يكن برفقة الوفد للإمام، فضلاً عن كلامه عن الوفد أمام الإمام عليه السَّلام، ويُستشف من ذلك أنَّ ابن سعد ساوى بين الإمام الحسين عليه السَّلام ومحمَّد ابن الحنفيَّة إذا أخذنا بنظر الاعتبار علاقة ابن سعد بالعباسيين وصلته بهم، كونه على أقل تقدير كاتب الواقدي قاضي العباسيين(٢) الذين أخذوا شرعيتهم عن طريق انتقالها من أبناء محمَّد ابن الحنفيَّة الذي نقلها إليهم قبل وفاته(٣).

---

(١) أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال: ٢٢١.

(٢) وكيع، أخبار القضاة: ٣/ ٢٧٠.

(٣) الشهرستاني، الملل والنحل: ١٤٨. وينظر: ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد: ٥/ ٢١٨-٢١٩.

وعلى الرغم من أنَّنا لا نعرف من الوفد الذي ذكره ابن سعد في روايته غير المسيب بن نجبة، لا نستبعد وجود بعض ممَّن كاتبوا الحسين عليه السَّلام من أشراف الكوفة وزعمائهم كانوا من ضمن ذلك الوفد أو غيره، وأغلب هؤلاء الأشراف والزعماء تتحكم بهم أهواؤهم ومصالحهم الآنيَّة والماديَّة والبحث عن بعض الامتيازات التي لا يجدونها إلَّا في السُّلطة والحكم؛ وهؤلاء لا يعني لهم شيئاً الفرق بين قدسيَّة الإمام الحسين عليه السَّلام ومحمَّد ابن الحنفيَّة.

٦- أمَّا رواية ابن سعد الرابعة التي يُحسب له فيها أنَّه أعطى تفاصيل عن الوفد الذي كان برئاسة المسيب بن نجبة الفزاري، وهو من كبار زعماء الكوفيين، وكان يسمَّى فارس مضر الحمراء وله منزلة وقدر معروفان(١)، كذلك بينت الرواية وقت وصول الوفد وهو بعد وفاة الإمام الحسن عليه السَّلام، ويتضح أنَّ الوفد كان من ضمن مهامه الرئيسة تعزية الإمام الحسين عليه السَّلام بوفاة الإمام الحسن عليه السَّلام، لكنَّه كان لديه مهمَّة أُخرى وهي طلبه من الإمام عليه السَّلام خلع معاوية وهو أمر في غاية الأهميَّة، لكنْ ممَّا يؤخذ على رواية ابن سعد أنَّها لم تبينْ أنَّ الوفد كان يحمل كتاباً من أهل الكوفة أم اقتصر رأي أهل الكوفة على هذا الوفد وكان معبراً عن جميع زعماء ورؤساء أهل الكوفة، وأهم من ذلك كلِّه أنَّ رواية ابن سعد لم تبينْ جواب الإمام الحسين عليه السَّلام على مطلبهم المتعلق بخلع معاوية.

ثانياً: سفارة مسلم بن عقيل في ترجمة الإمام الحسين عليهما السلام:

خصص ابن سعد ما يقارب ثلاث صفحات من ترجمته للإمام الحسين عليه السَّلام لسفارة مسلم بن عقيل، مستنداً في جميع رواياته إلى الإسناد الجمعي الذي أشار إلى

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك،٦/ ١٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٦١١.

استعماله في قضيَّة مقتل الإمام عليه السَّلام، على الرغم من أنَّه خالف مبدأه الذي ألزم به نفسه بتناوله العديد من الروايات الخارجة عن ذلك الإسناد، وهذا ما لم نجده عند تناوله لقضيَّة مسلم بن عقيل التي يمكن حصرها بمحورين، وسنتناول المحور الأَوَّل منها في هذا المبحث كونه وقع ضمن التمهيد للثورة:

المحور الأَوَّل: استدعاء الإمام عليه السَّلام لمسلم بن عقيل ووصوله الكوفة وتولية ابن زياد عليها، وتغير الموقف السياسي فيها لصالح الأُمويين.

المحور الثاني: إجراءات عبيد الله بن زياد ومحاولة اغتياله واستشهاد مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وما تبعها، والتي سنتناولها في الفصل الثالث كون هذا المحور وقع في أحداث النهضة، في حين أنَّ المحور الأَوَّل كان من ضمن مقدِّمات النهضة الحسينيَّة والتمهيد لها.

ففي المحور الأَوَّل ذكر ابن سعد ذلك فقال: (قالوا: وقد كان الحسين قدَّم مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى الكوفة، وأمره أنْ ينزل على هاني بن عروة المرادي، وينظر إلى اجتماع الناس عليه ويكتب إليه يخبرهم، فقدِم مسلم بن عقيل الكوفة مستخفياً، وأتته الشيعة، فأخذ بيعتهم، وكتب إلى حسين بن عليٍّ: إنِّي قدِمت الكوفة فبايعني منهم إلى أنْ كتبت إليك ثمانية عشر ألفاً، فعجِّل القدوم أنَّه ليس دونها مانع، فلـمَّا أتاه كتاب مسلم أخذ في السير حتى انتهى إلى زبالة[1]، فجاءت رسل أهل الكوفة إليه بديوان فيه أسماء مائة ألف)[2].

(١) زبالة: وهي قرية عامرة بالأسواق وتكثر فيها المياه على طريق الكوفة إلى مكة يتخذها الحجيج محطة استراحة لهم، فيها حصن وجامع لبني غاضرة من بني أسد. ينظر: اليعقوبي، كتاب البلدان: ١٥٧. ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٣/ ١٢٩-١٣٠.

(٢) الطبقات الكبير: ٦/ ٤٣١-٤٣٢.

على الرغم من أنَّ أغلب المصادر التاريخيَّة[1] أشارت إلى كتب ووفود أهل الكوفة التي وصلت إلى مكة، حيث كانت سبباً مباشراً في قيام الإمام باستدعاء مسلم بن عقيل وإرساله إلى الكوفة ليتبين له موقفهم، وإذا كان منهج ابن سعد الاختصار في بعض الروايات فمن غير المعقول أنْ لا يتطرق إلى الكتب والوفود الكثيرة التي وفدت على الإمام الحسين عليه السَّلام وهو في مكة، وهي غاية في الأهميَّة، حيث كانت الحجة قد لزمت الإمام حين استنصرته الأُمَّة للتخلص من حكم وجور بني أُميَّة، وهو ما بينه قوله عليه السَّلام في يوم عاشوراء: «**تباً لكم أَيَّتها الجماعة وترحاً، أحين استصرختمونا ولهين فأصرخناكم موجفين**»[2]، وقد أوضح الإمام عليه السَّلام ذلك من خلال كتابه مع مسلم بن عقيل الذي تضمن جواباً لكلِّ كتبهم ورسلهم فقال: «**بسم الله الرحمن الرحيم، من حسين بن عليٍّ إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين، أمَّا بعد.. قد فهمت كلَّ الذي قد أقصصتم وذكرتم، ومقالة جُلّكم: إنَّه ليس علينا إمام، فأقبل لعلَّ الله يجمعنا بك على الهدى والحقِّ، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمِّي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، وأمرته أنْ يكتب إليَّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإنْ كتب إليَّ أنَّه قد أجمع رأي ملأكم وذوي الفضل والحِجَى منكم على مثل ما قدِمت عليَّ به رسلكم، وقرأت في كتبكم أُقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله؛ فلعمري ما الإمام إلَّا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحقِّ، والحابس نفسه على ذات الله والسَّلام**»[3].

لكنَّ ابن سعد انفرد بقوله إنَّ الإمام عليه السَّلام أمر مسلم بن عقيل بالنزول

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ٣٧٠. أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال: ٢٢٩-٢٣٠. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ٥/ ٢٣٧-٢٣٨. ابن أعثم الكوفي، الفتوح: ٥/ ٢٧-٣٠.

(٢) ابن نما الحلي، مثير الأحزان: ٨٤.

(٣) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ٥/ ٢٣٨. ابن أعثم الكوفي، الفتوح: ٥/ ٣٠ -٣١.

على هاني بن عروة المرادي، في حين أشارت أغلب المصادر التاريخية[(١)] إلى نزول مسلم بن عقيل في دار المختار بن أبي عبيد الثقفي، فيما ذكر المسعودي أنَّه نزل على دار رجل اسمه عوسجة[(٢)(٣)].

ويبدو أنَّ أرجح الروايات هي نزول مسلم بن عقيل في دار المختار الثقفي؛ وذلك لشبه إجماع بين المصادر التاريخيَّة على ذلك، وكون المختار متزوجاً ابنة والي الكوفة، ممَّا يجعله بعيداً عن مراقبة السُّلطة الأُمويَّة.

وعلى الرغم ممَّا عند هاني بن عروة من الولاء لأهل البيت عليهم السَّلام والنفوذ أكثر ممَّا عند غيره، لكنَّنا لم نجد في المصادر التي اطلعنا عليها أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام قد أمر مسلم بن عقيل بالنزول في مكان معين ما عدا إشارة ذكرها ابن أعثم الكوفي «**إنِّي موجهك إلى أهل الكوفة وهذه كتبهم إليَّ، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها وادعُ الناس إلى طاعتي وأخذلهم عن آل أبي سفيان**»[(٤)].

وجاءت رواية ابن سعد بشأن وصول مسلم للكوفة وبيعة أهلها له وكتابه للإمام الحسين عليه السَّلام متطابقة نوعاً ما مع ما ذكرته المصادر التاريخيَّة[(٥)]، إلاَّ أنَّ تلك المصادر كانت أكثر تفصيلاً ووصفاً لها، فذكر الطبري (وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فكلَّما

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٢/ ٣٣٤. أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال: ٢٣١. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ٥/ ٢٣٩. ابن أعثم الكوفي، الفتوح: ٥/ ٣٣. ابن حبان، الثقات: ٢/ ٣٠٧. المفيد، الإرشاد: ١٩٥. الطبرسي، إعلام الورى: ٢٣٠.

(٢) ربما وقع تصحيف وأنَّ المقصود به هو مسلم بن عوسجة وهو من خُلَّص الشيعة في الكوفة ومن المستشهدين بين يدي الحسين عليه السَّلام يوم الطف.

(٣) المسعودي، مروج الذهب: ٣/ ٦٨.

(٤) الفتوح: ٥/ ٣١.

(٥) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة: ٢٣١. اليعقوبي، التاريخ: ٢/ ١٦٩. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ٥/ ٢٣٩. ابن أعثم الكوفي، الفتوح: ٥/ ٣٤.

اجتمع عليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب حسين، فأخذوا يبكون)[١].

أَمّا قول ابن سعد إنَّ هناك رسلاً من أهل الكوفة وصلت الإمام عليه السَّلام في منطقة زبالة تحمل له ديواناً بمائة ألف بايعوا الإمام، فهذا لا يمكن قبوله لأنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام علم باستشهاد مسلم بن عقيل في موضع زرود[٢]، وعلى قول آخر في الثعلبية[٣][٤]، وهما موضعان في طريق الإمام عليه السَّلام قبل وصوله موضع زبالة[٥]، وهذا يعني أنَّ الأوضاع انقلبت في الكوفة لصالح حزب بني أُميَّة قبل استشهاد مسلم وهاني يوم خروج الإمام من مكَّة، وربما ما وصله في زبالة أنَّه تيقّن من استشهادهما[٦].

تولية عبيد الله بن زياد الكوفة:

تناول ابن سعد تولية عبيد الله بن زياد وتغير الموقف السياسي والعسكري في الكوفة فقال: (وكان النعمان بن بشير الأنصاري[٧] على الكوفة في آخر خلافة معاوية، فهلك وهو عليها، فخاف يزيد أنْ لا يقدم النعمان على الحسين، فكتب إلى عبيد الله بن زياد بن

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٢٣٩.

(٢) وهي موضع في طريق الحجيج من الكوفة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٣/ ١٣٩.

(٣) وهي مدينة عامرة تقع في طريق الكوفة إلى مكة، وهي ثلث الطريق وذات حمامات وسوق ومسجد جامع. ينظر: ابن رستة، الأعلاق النفيسة: ١٧٥. اليعقوبي، البلدان: ٧٥.

(٤) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ٥/ ٢٦٨. ينظر أبو حنيفة الدينوري، الأخبار: ٢٤٧.

(٥) للمزيد عن مسيرة الإمام الحسين عليه السَّلام إلى كربلاء ينظر: صاحب أحمد عليوي، مسيرة الإمام الحسين عليه السَّلام إلى كربلاء: ١٠٨-١١٦.

(٦) الأخبار الطوال: ٢٤٧. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ٥/ ٢٥٩.

(٧) هو النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري، من الموالين لبني أُميَّة ولاَّه معاوية قضاء دمشق، وولي الكوفة له حتى وفاته فأقرَّه يزيد بن معاوية عليها ثمَّ عزله عنها لَمَّا قدم مسلم بن عقيل وولَّاها عبيد الله بن زياد، ثمَّ ولي حمص ليزيد بن معاوية حتى وفاته، فبايع عبد الله بن الزبير وقتل بعد وقعة مرج راهط عام (٦٤هـ). ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٦٢/ ١١١-١٢٧. المزي، تهذيب الكمال: ٢٩/ ٤١١-٤١٧.

أبي سفيان وهو على البصرة، فضمَّ إليه الكوفة، وكتب إليه بإقبال الحسين إليها، فإنْ كان لك جناحان فطر حتى تسبق إليها، فأقبل عبيد الله بن زياد على الظهر سريعاً حتى قدم الكوفة، فأقبل متعمماً متنكراً حتى دخل السوق، فلمّا رأته السفلة وأهل السوق خرجوا يشتدون بين يديه وهم يظنون أنَّه حسين؛ وذلك أنَّهم كانوا يتوقعونه، فجعلوا يقولون لعبيد الله: يا بن رسول الله، الحمد لله الذي أراناك، وجعلوا يقبِّلون يديه ورجله، فقال: عبيد الله: لشدَّ ما فسد هؤلاء، ثمَّ مضى حتى دخل المسجد فصلى ركعتين ثمَّ صعد المنبر وكشف عن وجهه، فلمّا رآه الناس مال بعضهم على بعض وأقشعوا عنه)[١].

أشار أبو حنيفة الدينوري لتولية عبيد الله بن زياد فذكر أنَّ عيون يزيد وجواسيسه كتبوا له أنَّ مسلم بن عقيل قدم الكوفة داعياً للإمام الحسين عليه السَّلام (وأنَّه أفسد قلوب أهلها عليه، فإنْ يكن لك في سلطانك حاجة فبادر إليه من يقوم بأمرك، ويعمل مثل عملك في عدوك، فإنَّ النعمان رجل ضعيف أو متضاعف، والسَّلام.

فلما ورد الكتاب على يزيد أمر بعهد، فكتب لعبيد الله بن زياد إلى الكوفة)[٢]، في حين ذكر البلاذري ذلك لكنَّه اختلف مع البعض في أسماء من كتبوا ليزيد فقال: (فكتب وجوه أهل الكوفة: عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري، ومحمَّد بن الأشعث الكندي[٣]، وغيرهما إلى يزيد بن معاوية بخبر مسلم بن عقيل، وتقديم الحسين إياه إلى الكوفة أمامه،

(١) الطبقات الكبير: ٦/ ٤٣٢.

(٢) الأخبار الطوال: ٢٤٧.

(٣) هو محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، وكنيته أبو القاسم، عداده في الكوفيين، وكان ممَّن اشترك بقتل الإمام الحسين عليه السَّلام، فلمَّا أراد أنْ يقتص المختار منهم هرب لمصعب بن الزبير وقتل في إحدى معاركه مع المختار عام (٦٧هـ)، ومحمَّد بن الأشعث هو والد عبد الرحمن بن محمَّد الذي قاتل الحجاج فقتله. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٥٢/ ١٢٤-١٣٣. ابن الأثير، أسد الغابة: ٤/ ٢٢٦. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٢/ ٤٢.

وبما ظهر من ضعف النعمان بن بشير، وعجزه ووهن أمره)[١].

بينما جاءت رواية بعض المؤرخين[٢] أكثر تفصيلًا، فذكروا نصَّ الكتاب الذي كتبه عبد الله بن مسلم[٣]، والذي وصفه بأنَّه حليف بني أُميَّة وأنَّه أَوَّل من كتب إلى يزيد، وقال في كتابه: إنَّ الشيعة بايعت للحسين، ويحثه على تولية رجلٍ قويٍّ على الكوفة بدلاً من النعمان، وأضاف (ثمَّ كتب إليه عمارة بن عقبة[٤] بنحوٍ من كتابه، ثمَّ كتب إليه عمر بن سعد بن أبي وقاص بمثل ذلك)[٥].

تبيَّن من الروايات التاريخيَّة أنَّ هناك أكثر من أربعة أشخاص على الأقل قد كتبوا ليزيد بشأن بيعة أهلها للحسين عليه السَّلام، وضرورة استبدال والي الكوفة برجلٍ قويٍّ مخلصٍ لبني أُميَّة مفرط في العداء لأهل البيت، وهؤلاء هم عبد الله بن مسلم، الذي وصفه الطبري بأنَّه حليف بني أُميَّة، وكذلك وصفهم الدينوري[٦] بأنهَّم عيون وجواسيس يزيد في الكوفة، في حين أضاف البلاذري كلًّا من محمَّد بن الأشعث الكندي، وعمر بن سعد

---

(١) أنساب الأشراف: ٢/ ٣٣٥.

(٢) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ٥/ ٣٤٠. ابن أعثم الكوفي، الفتوح: ٥/ ٣٥-٣٦. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٧٧.

(٣) هو عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي حليف بني أُميَّة، روي أنَّه أَوَّل من كتب ليزيد بأنَّ مسلم بن عقيل نزل الكوفة وأخذ بيعتها للإمام الحسين عليه السَّلام. ينظر: الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ٥/ ٣٤٠. ابن أعثم الكوفي، الفتوح: ٥/ ٣٦.

(٤) هو عمارة بن عقبة بن أبي معيط الأُموي، وأبوه هو من قتله رسول الله صلىَّ الله عليه وآله يوم بدر صبراً، أسلم يوم فتح مكة، ونزل الكوفة وأقام بها. ينظر: ابن قتيبة، المعارف: ٣٢٠. ابن الأثير، أسد الغابة: ٤/ ٥١. المزي، تهذيب الكمال: ٣١/ ٥٤-٥٥. ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ٤/ ٤٨١-٤٨٢.

(٥) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ٥/ ٣٤٠. ابن أعثم الكوفي، الفتوح: ٥/ ٣٦.

(٦) ورد اسمه عند أبي حنيفة الدينوري مسلم بن سعيد الحضرمي، في حين ذكرته المصادر الأُخرى باسم عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي. ينظر: أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال: ٢٤٧. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ٥/ ٣٤٠. ابن أعثم الكوفي، الفتوح: ٥/ ٣٥-٣٦. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٧٧.

بن أبي وقاص، وغيرهما واصفاً إياهم بوجوه أهل الكوفة[١].

وعلى ما يبدو أنَّ ابن سعد أغفل موقف وكُتب هؤلاء ودورهم في تنصيب عبيد الله بن زياد، لأنَّه أراد أنْ يصوِّر يزيد بن معاوية بأنَّه ذو رؤية سياسيَّة وعسكريَّة وأنَّه استقرأ أوضاع الكوفة المستقبليَّة وعرف أنَّ النعمان ليس أهلاً لهذه المهمَّة، فقرر أنْ يعزله ويولي عبيد الله بن زياد على الرغم من أنَّه لم يكن على وئام معه[٢]، فكان ذلك من حدسه وحنكته، فجعل ابن سعد هذا الأمر ميزة ليزيد وتحجيماً لدور جواسيس الأُمويين وعيونهم بالكوفة بتنصيب عبيد الله بن زياد، أو هو أراد أنْ يصور الكوفة كلَّها شيعة للإمام الحسين عليه السَّلام وبايعته وانقلبت عليه ونقضت عهودها ومواثيقها له، ولم يكن في المجتمع الكوفي من هو موالٍ وشيعة لبني أُميَّة، وهو ما أشار إليه يزيد في كتابه لتولية عبيد الله بن زياد فقال: (أمَّا بعد فإنَّه كتب إليَّ شيعتي من أهل الكوفة، يخبرونني أنَّ ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشقِّ عصا المسلمين...)[٣]، وكذلك خاطب الإمام عليه السَّلام عسكر عمر بن سعد: «**يا شيعة آل أبي سفيان**»[٤].

ونحن إذ نرى ابن سعد يسهب في العديد من الأُمور التي ربما تعدُّ أقلَّ أهميَّة من هذه الحوادث المفصليَّة، نستغرب سبب إغفاله هذه الحقائق التاريخيَّة، والإيجاز في منهجه، ونرى أنَّه أراد أنْ يضفي صبغة القوة والحنكة السياسية والعسكرية ليزيد بن معاوية، حيث نجده يؤكد ذلك بالقول، فإنْ كان لك جناحان فطر بهما، ومن جهة أُخرى أراد أنْ يصور أهل الكوفة كلَّهم شيعة للإمام الحسين عليه السَّلام وأنَّهم نكثوا وغدروا بيعتهم

(١) أنساب الأشراف: ٢/ ٣٣٥.

(٢) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ٥/ ٢٤٠.

(٣) م.ن، ابن أعثم الكوفي، الفتوح: ٥/ ٣٦.

(٤) ابن طاووس، الملهوف: ١٧١.

بمحض إرادتهم، ولم يكن هناك معسكر قويٌّ متنفذ من أهل الكوفة هواه مع بني أُميَّة وهم كما وصفهم الإمام شيعة آل أبي سفيان، وربما هم وجوه أهل الكوفة وأشرافهم وأهل السطوة والنفوذ في قبائلهم الذين هم في غنى عن الوصف، حيث وصفهم الفرزدق حين لقي الإمام الحسين عليه السَّلام، أمَّا أشراف الكوفة فقد عظمت رشوتهم[١].

والإشكال الوارد في رواية ابن سعد هو أنَّ العديد من المؤرخين حين ذكروا تولية عبيد الله بن زياد الكوفة أشاروا مباشرة لكتاب الإمام الحسين عليه السَّلام لأهل البصرة، فذكروا[٢] أنَّه كتب لشيعته من أهل البصرة يستنهضهم لنصرته، وبعث كتابه بنسخة واحدة إلى رؤساء الأخماس في البصرة[٣]، وأنَّه كتب إليهم: «... **وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيِّه صلَّى الله عليه - وآله - وسلَّم، فإنَّ السُّنَّة قد أُميتت، وإنَّ البدعة قد أُحييت، وإنْ تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أُهدكم سبيل الرشاد، والسَّلام عليكم ورحمة الله**»[٤].

والباحث يرى أنَّ إغفال ابن سعد كتاب الإمام الحسين عليه السَّلام لأهل البصرة أنَّه ربما أراد أنْ يظهره بأنَّه لم يمهد لنهضته ولم يتخذ الخطوات التي كان المفروض اتخاذها، فأظهر النهضة بمظهر عاطفي آني، أو أراد إغفال دور البصرة متعمداً معتقداً أنَّ دورها كان سلبياً من الثورة، فانتصر لمدينته لاسيما أنَّ هناك صراعاً ومفاخرةً بين الكوفة

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ٥/ ٢٧٣. مسكويه، تجارب الأُمم: ٢/ ٦٥.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ٣٣٥. أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال: ٢٣١. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ٥/ ٢٤٠. ابن أعثم الكوفي، الفتوح: ٥/ ٣٦. ابن طاووس، الملهوف: ١١٠. للمزيد من التفاصيل ينظر: الهلالي، الثورة الحسينية دراسة في كتاب مقتل الحسين للخوارزمي: ١٩١-١٩٩.

(٣) وهم مالك بن مسمع البكري والأحنف بن قيس والمنذر بن الجارود ومسعود بن عمرو وقيس بن الهيثم وعمر بن عبيد الله بن معمر ويزيد بن مسعود. ينظر: الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ٥/ ٢٤٠. ابن أعثم الكوفي، الفتوح: ٥/ ٣٦.

(٤) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ٥/ ٢٤٠. ابن أعثم الكوفي، الفتوح: ٥/ ٣٦.

والبصرة، أو أنَّ العكس صحيح أنَّ دورها كان إيجابياً من نهضة الإمام الحسين عليه السَّلام تمثَّل بمواقف البعض من أهلها، ولم يفضل ذلك كونه يحابي العباسيين وشيخه الواقدي الموظف في البلاط العباسي، ولم يرد إخراج البصرة بمظهر الموالاة للعلويين كما هي الكوفة في نظر العباسيين، أو أنَّه اعتقد بعدم أهميَّة هذه الرواية وطعن في صحة الكتاب كما يرى ابن كثير بقوله: (وعندي في صحة هذا عن الحسين نظرٌ، والظاهر أنَّه مطرز بكلام مَزيدٍ من بعض رواة الشيعة)[١].

ولا يمكن الجزم بما أراده ابن سعد من خلال إغفاله لهذا الكتاب المهم والمحوري، لكنَّه يستبعد أنَّه شكَّ بصحته مثل ابن كثير؛ وذلك لأنَّ الكتاب ترتبت عليه عدَّة مواقف كان من بينها قيام المنذر بن الجارود[٢] بتسليم رسول الإمام عليه السَّلام، ممَّا أدَّى إلى استشهاده ظناً منه أنَّه عينٌ من ابن زياد، كذلك على أثر الكتاب جمع يزيد بن مسعود النهشلي قبيلته وألقى خطبة فيهم وكتب كتاباً للإمام يستجيب فيه لنصرته[٣]، فضلًا عن أنَّ الكتاب قد تواتر ذكره عند المؤرخين، ونحن لا نستبعد أنَّ ابن سعد أراد أنْ لا يظهر البصرة بمظهر الموالاة لبني هاشم، فقد أشارت بعض المصادر التاريخيَّة[٤] إلى أنَّ الشيعة من أهل البصرة كانوا يجتمعون في منزل امرأة من عبد القيس[٥]، وأنَّ خبرهم وصل

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية: ١١/ ٤٩٢.

(٢) هو المنذر بن الجارود بن المعلى العبدي، من زعماء قبيلة عبد القيس، شهد الجمل مع الإمام عليٍّ عليه السَّلام وولاَّه إصطخر ثمَّ عزله، ولَّاه عبيد الله بن زياد على ثغر الهند، توفي عام (٦٢هـ) وقيل بعدها. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٦٠/ ٢٨١- ٢٨٦. ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ٦/ ٢٠٩.

(٣) ابن طاووس، الملهوف: ١١٠-١١٣. شمس الدين، أنصار الحسين عليه السلام: ٨١-١٣٠.

(٤) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ٥/ ٢٣٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٧٥-٤٧٦.

(٥) مارية بنت منقذ أو سعيد العبدية وهي إحدى نساء قبيلة عبد القيس كان بيتها مألفاً للشيعة يجتمعون فيه ويتذاكرون حب آل محمّد، ولمَّا وصلت كتب الإمام الحسين عليه السَّلام اجتمع وجوه الناس في بيتها من أجل نصرته. ينظر: الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ٥/ ٢٣٨. ابن الأثير، الكامل: ٣/ ٤٧٥. التستري، قاموس الرجال: ١٢/ ٣٤٣. الربيعي، قبيلة بني عبد القيس: ٣/ ٩٢.

عبيد الله بن زياد فكتب لعامله على البصرة أنْ يضيِّق عليهم ويأخذ عليهم الطريق، وعلى الرغم من ذلك استطاع البعض منهم الالتحاق به والاستشهاد معه[١]، لكنَّنا نرى أنَّ ابن سعد أراد إظهار النهضة الحسينيَّة والتهيئة لها بشكل آنيٍّ عاطفيٍّ تحمل في طياتها أهدافاً شخصيَّة، خصوصاً وأنَّ مفردات كتاب الإمام عليه السَّلام تحتوي على أسباب الثورة: «وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسُنَّة نبيِّه صلَّى الله عليه – وآله – وسلَّم فإنَّ السُّنَّة قد أُميتت، وأنَّ البدعة قد أُحييت، وإنْ تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أَهدكم سبيل الرشاد، والسَّلام عليكم ورحمة الله»[٢].

وممَّا يؤخذ على رواية ابن سعد كذلك أنَّه وصف دخول عبيد الله بن زياد الكوفة وكيفيَّة استقبال الناس له ظناً منهم أنَّه الإمام الحسين عليه السَّلام، فوصفت رواية ابن سعد أولئك المستقبلين أنَّهم السفلة وأهل السوق، وهو ما انفرد به ابن سعد عن غيره من المؤرخين به فقالوا: (فسار حتى وافى الكوفة، فدخلها، وهو متلثم، وقد كان الناس بالكوفة يتوقعون الحسين بن عليٍّ عليهما السَّلام، وقدومه، فكان لا يمرُّ ابن زياد بجماعة إلَّا ظنوا أنَّه الحسين فيقومون له، ويدعون ويقولون: مرحباً بابن رسول الله قدمت خير مقدم، فنظر ابن زياد من تباشيرهم بالحسين إلى ما ساءه)[٣]، كذلك وصف الطبري حال الناس وحزنهم لَّما علموا أنَّه عبيد الله بن زياد بقوله: (فلمَّا دخل القصر وعلم الناس أنَّه عبيد الله بن زياد دخلهم من ذلك كآبة وحزن شديد، وغاض عبيد الله ما سمع

---

(١) ينظر: الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ٥/ ٢٣٨. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٧٦. شمس الدين، أنصار الحسين: ١٣٠. الشاكري، شهداء أهل البيت عليهم السَّلام: ١٧.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٢/ ٣٣٥-٣٣٦. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ٥/ ٢٤٠. ابن أعثم الكوفي، الفتوح: ٥/ ٣٦.

(٣) أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال: ٢٣٢. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ٥/ ٢٤١. ابن أعثم الكوفي، الفتوح: ٥/ ٣٩.

منهم...)[١]، ويبدو أنَّ ابن أعثم الكوفي أجاب عن السؤال الذي يرد حول كيفيَّة عدم تمييز أهل الكوفة بين الإمام عليه السَّلام وعبيد الله بن زياد، فقال: (وأقبل حتى دخل الكوفة من طريق البادية، وذلك في ليلة مقمرة والناس متوقعون قدوم الحسين...)[٢]، كذلك وصف المسعودي دخول عبيد الله بن زياد فقال: (فدخلها في أهله وحشمه وعليه عمامة سوداء قد تلثَّم بها، وهو راكب بغلة والناس يتوقعون قدوم الحسين، فجعل ابن زياد يسلِّم على الناس فيقولون: وعليك السَّلام يا بن رسول الله! قدمت خير مقدم...)[٣]، ويظهر ممَّا تقدَّم أنَّ عبيد الله بن زياد دخل الكوفة ليلاً، فضلاً عن أنَّه متلثم فالتبس الأمر على أهل الكوفة في معرفته.

ونحن نرى أنَّ ابن سعد أجحف في وصفه لهؤلاء الذين خدعهم عبيد الله بن زياد في دخوله الكوفة متلثماً، وهو ما يتضح ممَّا نعتهم به، فضلاً عن أنَّ هذا الوصف لا نجد أحداً من المؤرخين قد ذكره.

ثالثاً: رسل الإمام الحسين عليه السَّلام إلى الكوفة:

لم يكتفِ الإمام عليه السَّلام بإرسال سفيره مسلم بن عقيل للكوفة، وإنَّما انتظر جوابه ورأيه في المهمَّة التي أرسله بها، وإذا كان المسعودي[٤] قد حدد وصول مسلم بن عقيل إلى الكوفة في يوم الخامس من شوال عام ستين للهجرة، وكذلك حدد يوم استشهاده وهو اليوم الثامن من ذي الحجة في السَّنة نفسها، بمعنى أنَّه بقي في الكوفة لأكثر من ستين

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٥/ ٢٤٠.

(٢) الفتوح: ٥/ ٣٨-٣٩. وينظر: الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ٢/ ٢٨٩-٢٩٠.

(٣) مروج الذهب: ٣/ ٧١.

(٤) مروج الذهب: ٣/ ٦٨-٧٥.

يوماً، وهذا يعني أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام انتظر لأكثر من ستين يوماً بعد إرساله مسلم بن عقيل، حيث إنَّه خرج في أغلب الروايات من مكَّة يوم الثامن من ذي الحجة، وهو يوم استشهاد مسلم بن عقيل في الكوفة، وهذا يعني أنَّ الإمام عليه السَّلام لم يكن على عجلة من أمره، بل إنَّه اتخذ كلَّ الاحتياطات لثورته، والظاهر أنَّ الإمام لم يغادر مكَّة حتى وصول كتاب مسلم بن عقيل الذي كتبه على قول الطبري[1] قبل استشهاده بسبعة وعشرين يوماً، وهي مدَّة كافية لوصول الكتاب من الكوفة، فقرر الإمام الحسين عليه السَّلام المسير إلى الكوفة.

تناول ابن سعد رُسِل الإمام عليه السَّلام إلى الكوفة في ثلاث روايات، الرواية الأُولى وردت في أثناء حديثه عن وصول عبيد الله بن زياد إلى الكوفة، فقال: (وأُتي تلك الليلة - يقصد ليلة وصول عبيد الله بن زياد إلى الكوفة - برسول الحسين بن عليٍّ كان قد أرسله إلى مسلم بن عقيل يقال له: عبد الله بن يقطر[2]، فقتله)[3]، والرواية الثانية التي جاء فيها ذكر عبد الله بن يقطر في أثناء حديثه عن الذين استشهدوا مع الإمام عليه السَّلام، فقال: (وعبد الله بن يقطر رضيع الحسين[4]، قتل بالكوفة، رُمي به من فوق القصر، فمات وهو الذي قيل فيه: وآخر يَهْوى من طَمَارِ قتيل)[5]، الرواية الثالثة: ذكرها أثناء كلامه عن الإجراءات التي اتخذها عبيد الله بن زياد في الكوفة، ثمَّ قال: (وكان حسين قد وجه قيس

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٥ / ٢٦٦.

(٢) هو عبد الله بن يقطر الحميري رضيع الحسين عليه السَّلام كانت أُمُّه حاضنة للحسين عليه السَّلام ولم يكن رضع عندها، ولكنَّه سمي رضيعاً له لحضانة أُمِّه له. ينظر: ابن داوود الحلي، رجال ابن داوود: ١٢٥. السماوي، إبصار العين: ٩٣.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبير: ٦/ ٤٣٢.

(٤) أخوه من الرضاعة.

(٥) م.ن: ٦/ ٤٤٣.

بن مسهر الصيداوي[١] إلى مسلم بن عقيل قبل أنْ يبلغه قتله، فأخذه حصين فوجَّه به إلى عبيد الله، فقال له عبيد الله: قد قتل الله مسلماً فأقم في الناس فاشتم الكذاب بن الكذاب، فصعد المنبر فقال: أيُّها الناس إنِّي تركت الحسين بن عليٍّ بالحاجر، وأنا رسوله إليكم وهو يستنصركم، فأمر به عبيد الله فطرح من فوق القصر فمات)[٢].

جاءت روايات بعض المؤرخين بشأن رسل الإمام عليه السَّلام إلى الكوفة مضطربة ومتداخلة في بعض الأحيان، فلم تحدد الروايات التاريخيَّة هل أنَّ الإمام عليه السَّلام بعث رسولين أَم رسولاً واحداً؟ ومتى بعثهما؟ وكيف استشهدا؟ ولذلك اضطررنا أنْ نذكر تلك الروايات على الرغم من بعض التكرار لبعضها؛ لأنَّ هناك مشكلة جاءت في رواية ابن سعد حين حدد استشهاد عبد الله بن يقطر رسول الإمام في أَوَّل يوم وصل فيه عبيد الله بن زياد إلى الكوفة، ولا بُدَّ لنا من التحري عن ذلك في روايات المؤرخين لمعرفة الصواب في ذلك.

فقد روى أبو حنيفة الدينوري رواية مفصلة بشأن رسول الإمام قيس بن مسهر فقال: (ومضى الحسين عليه السَّلام حتى صار ببطن الرمة[٣]، كتب إلى أهل الكوفة «**بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن عليٍّ إلى إخوانه من المؤمنين بالكوفة، سلام عليكم، أمَّا بعد فإنَّ كتاب مسلم بن عقيل ورد عليَّ باجتماعكم لي، وتشوقكم إلى قدومي، وما أنتم عليه منطوون من نصرنا، والطلب بحقِّنا، فأحسن الله لنا ولكم الصنيع، وأثابكم على**

(١) هو قيس بن مسهر الصيداوي من أهل الكوفة وأحد رسلهم إلى الإمام الحسين عليه السَّلام لمبايعته، بعثه عليه السَّلام بكتاب إلى مسلم بن عقيل قبل استشهاده، فأُلقي القبض عليه في طريقه إليها ومزق الكتاب كي لا يعرف عبيد الله بن زياد ما فيه فقتله صبراً. ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ٣٧٨. السماوي، إبصار العين: ١١٢-١١٤.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبير: ٦/ ٤٣٥.

(٣) بطن الرمة وهو أحد منازل الطريق لأهل البصرة في طريقهم للمدينة المنورة، وفيه يجتمع أهل الكوفة والبصرة، وهو قاع عظيم بنجد. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٣/ ٧٢.

ذلك بأفضل الذخر، وكتابي إليكم من بطن الرمة، وأنا قادم عليكم، حثيث السير إليكم، والسَّلام». ثمَّ بعث الكتاب مع قيس بن مسهر فسار حتى وافى القادسية، فأخذه حصين بن نمير، وبعث به إلى ابن زياد، فلمَّا أُدخل عليه أغلظ لعبيد الله، فأمر به أنْ يطرح من أعلى سور القصر إلى الرحبة فطرح، فمات)[١].

ثمَّ ذكر أبو حنيفة الدينوري في موضع آخر أنَّ الإمام عليه السَّلام لَمَّا وصل موضع زبالة استيقن باستشهاد مسلم بن عقيل وهاني بن عروة واستشهاد رسوله قيس بن مسهر الصيداوي الذي بعثه من بطن الرمة[٢]، بينما ذكر البلاذري بهذا الشأن روايتين الرواية الأُولى جاء فيها: إنَّ الإمام عليه السَّلام قد كتب لأهل الكوفة كتاباً حين بلغ بطن الحاجر مع قيس بن مسهر الصيداوي، جواباً على كتاب مسلم بن عقيل الذي كتبه قبل أنْ يستشهد ببضع وعشرين ليلة وأُلقي القبض عليه قبل وصوله الكوفة وأمروه أنْ يسبَّ الإمام ويكذبه، فقال: (أيُّها الناس، إنَّ الحسين بن عليٍّ خير خلق الله وقد فارقته بالحاجر فأجيبوه وانصروه، ثمَّ لعن زياداً وابنه واستغفر الله لعليٍّ، فأمر ابن زياد فرُمي به من فوق القصر، فتقطع ومات رحمه الله)[٣].

بينما ذكر في الثانية: (ثمَّ سار - يقصد الإمام الحسين عليه السَّلام - إلى زبالة وقد استكثر من الماء... وبعث الحسين أخاه من الرضاعة وهو عبد الله بن يقطر إلى مسلم بن عقيل قبل أنْ يُقتل، فأخذه الحصين بن تميم وبعث به إلى ابن زياد، فأمر أنْ يعلى القصر ليلعن الحسين وينسبه وأباه إلى الكذب، فلمَّا علا القصر قال: إنِّي رسول الحسين ابن بنت رسول الله إليكم لتنصروه وتؤازروه على ابن مرجانة وابن سميَّة الدعي وابن الدعي

(١) الأخبار الطوال: ٢٤٥ -٢٤٦.

(٢) الأخبار الطوال: ٢٤٧-٢٤٨.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ٣٧٨.

لعنه الله، فأُمر به فأُلقي من فوق القصر إلى الأرض فتكسرت عظامه وبقي به رمق فأتاه رجل فذبحه، فقيل له ويحك ما صنعت؟ فقال: أحببت أنْ أُريحه، فلمّا بلغ الحسين قتل ابن يقطر خطب الناس فقال: أيُّها الناس قد خذلتنا شيعتنا وقتل مسلم وهانئ وقيس بن مسهر وابن يقطر، فمن أراد الانصراف فلينصرف...)[١].

في حين ذكر الطبري بسنده عن أبي مخنف روايتين ذكر في روايته الأُولى كيفيَّة إرساله لقيس بن مسهر الصيداوي وكيفيَّة استشهاده، وأشارت الرواية بدقَّة إلى يوم خروج الإمام عليه السَّلام من مكَّة فذكر: (وقد شخصت إليكم من مكَّة يوم الثلاثاء لثمانٍ مضين من ذي الحجة يوم التروية، فإذا قدم عليكم رسولي، فاكمشوا أمركم، وجدوا فإنِّي قادم عليكم في أيامي هذه إنْ شاء الله...)[٢]، في حين أشار في الثانية إلى استشهاد عبد الله بن يقطر: (بسم الله الرحمن الرحيم، أَمَّا بعد، فإنَّه قد أتانا خبر فظيعٌ، قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبد الله بن يقطر، وقد خذلتنا شيعتنا فمن أحبَّ منكم الانصراف فلينصرف، ليس عليه منَّا ذمامٌ)[٣].

يتضح ممَّا تقدَّم أنَّ الإمام عليه السَّلام أرسل رسولين إلى أهل الكوفة، كان كتاب قيس بن مسهر الصيداوي واضحاً، فهو جواب لكتاب مسلم بن عقيل عندما استوسقت له أُمور الكوفة وبيعتهم له، وكتبه مسلم بن عقيل قبل استشهاده بسبعة وعشرين يوماً.

فذكرت المصادر التاريخيَّة كتاب الإمام إلى أهل الكوفة، كذلك ذكرت كيفيَّة استشهاده، لكنَّ تلك المصادر التاريخيَّة التي اطلعنا عليها لم تذكر متى بعث رسوله عبد الله بن يقطر

(١) م.ن: ٣/ ٣٧٩-٣٨٠.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٥/ ٢٦٦. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٩٤-٤٩٥. الشيخ المفيد، الإرشاد: ٢١٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٩٦. تاريخ الأُمم والملوك: ٥/ ٢٦٩. الشيخ المفيد، الإرشاد: ٢١٢.

وما هو نصُّ الكتاب الذي يحمله، ويظهر أنَّ هناك تداخلاً بين كيفيَّة استشهاد عبد الله بن يقطر وقيس بن مسهر الصيداوي، بحيث أشارت تلك الروايات إلى أنَّهما استشهدا بطريقة واحدة عندما أُلقي القبض عليهما في الطريق إلى الكوفة من قبل الحصين بن نمير وأرسلهما إلى ابن زياد، وطلب منهما أنْ يسبَّا الإمام وعُليا فوق القصر ثمَّ قتلا بعد سبِّهما لابن زياد.

وهذا لا يمكن الأخذ به، فمن غير المعقول أنَّ رُسل الإمام عليه السَّلام قد أُرسلوا في وقت واحد، بحيث تمَّ إلقاء القبض عليهما من قبل الحصين بن نمير وتكررت الآليَّة نفسها لقتلهم، ويزداد الأمر اضطراباً حين ينفرد ابن أعثم الكوفي بأنَّ الإمام عليه السَّلام أَرسل قيس بن مسهر الصيداوي بعد استشهاد مسلم بن عقيل إلى أهل الكوفة، يذكرهم عهودهم ومواثيقهم فتمَّ أخذه من قبل مراصد عبيد الله بن زياد[1]، كذلك ذكر ابن شهر آشوب رواية تختلف عمَّا ذكره باقي المؤرخين، وهي أنَّه بعد فشل محاولة قتل عبيد الله بن زياد أُلقي القبض على عبد الله بن يقطر وجيء بكتاب أُخذ منه ورد فيه: (للحسين بن عليٍّ، أمَّا بعد، فإنِّي أخبرك أنَّه بايعك من أهل الكوفة كذا، فإذا أتاك كتابي هذا فالعجل العجل، فإنَّ الناس معك وليس لهم في يزيد رأي ولا هوى، فأمر ابن زياد فقتله...)[2]، وهذه الرواية التي ذكرها ابن شهر آشوب من دون سند تقترب في أحد مفاصلها من رواية ابن سعد، في الاستشهاد المبكر لرسول الإمام عليه السَّلام عبد الله بن يقطر قبل استشهاد مسلم بن عقيل، لكنَّها توقعنا في أَمر آخر، وهو أنَّ عبد الله بن يقطر رجع برسالة من مسلم إلى الإمام عليه السَّلام، وهذا لا يمكن الأخذ به حسب ما ذكرته المصادر التاريخيَّة التي أشرنا إليها.

(١) الفتوح: ٥/ ٨١-٨٢. ينظر: جاسم عبد الواحد حسن، الإمام الحسين عليه السلام في كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي: ١٥٣-١٥٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٢٤٣.

من خلال ما تقدَّم يمكننا القول:

١- إِنَّ الإمام عليه السَّلام قد بعث رسولين إلى مسلم بن عقيل وهما عبد الله بن يقطر وقيس بن مسهر الصيداوي، ويبدو أنَّ عبد الله بن يقطر أُرسل قبل قيس بن مسهر الصيداوي، أي قبل وصول كتاب مسلم بن عقيل إلى الإمام الحسين عليه السَّلام.

٢- لم تذكر لنا المصادر التاريخيَّة التي اطلعنا عليها المهمَّة التي أُرسل فيها عبد الله بن يقطر، لكنَّها تأتي ضمن مهام الإمام في التحشيد للثورة، ولم يكن رُسل الإمام للكوفة رجالاً عاديين، وإنَّما تمَّ اختيارهم بعناية خاصة، والدليل على ذلك ما تعرضوا له، وكيف أنَّهم تحمَّلوا كلَّ المخاطر فمزقوا الكتب التي يحملونها لكي لا يطلع عبيد الله بن زياد على مضمونها وإلى مَن أُرسلت.

٣- يتضح من رواية ابن سعد أنَّ عبد الله بن يقطر استشهد قبل استشهاد مسلم بن عقيل، لكنَّ ما ذكره بأنَّه قُتل في الليلة نفسها التي وصل عبيد الله بن زياد للكوفة يؤخذ بها على حذر؛ ذلك أنَّ الكوفة لم تكن فيها إجراءات عسكريَّة قبل وصول عبيد الله، وربما قُبض عليه بعد يوم أو يومين من ذلك؛ لأنَّ عبيد الله أخذ العرفاء والشرط بالشدَّة، وأخرج المراصد منذ اليوم الأَوَّل من وصوله.

٤- جاءت رواية ابن سعد عن قيس بن مسهر الصيداوي متطابقة بشكل عام مع ما ذكره المؤرخون بهذا الشأن، وأنَّ ما ذكره ابن أعثم الكوفي بإرساله بعد استشهاد مسلم بن عقيل هو ما انفرد به من دون غيره[1]، وحسب المعطيات التاريخيَّة التي ذكرناها بهذا الشأن لا ترتقي رواية ابن أعثم الكوفي إلى مستوى الدِّقَّة، وكونه اعتمد على الإسناد الجمعي الذي لا يمكن لنا التأكد من سند روايته.

---

(١) جاسم عبد الواحد، الإمام الحسين عليه السَّلام في كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي: ١٥٤.

المبحث الثاني: خطوات الإمام الحسين عليه السَّلام في مواجهة ولاة الأُمويين في المدينة ومكَّة

سبق وأنْ أشرنا إلى أنَّ النهضة الحسينيَّة لم تكن وليدة اللحظة والحدث وإنَّما هي ثورة شاملة وإصلاح متكامل، استنفد الإمام عليه السَّلام له كلَّ المتطلبات الموضوعيَّة والمنطقيَّة من أجل القيام به، وسوف نبيِّن كيف واجه الإمام عليه السَّلام العديد من العراقيل والضغوطات وإجراءات ولاة يزيد، والتي تطرق ابن سعد لها بشكل واضح، ومن مقارنتها مع ما ذكرته روايات المؤرخين المعاصرة والقريبة من عصره يتضح لنا الكيفيَّة التي تناول بها هذا الجانب من النهضة الحسينيَّة.

أَوَّلاً: مواجهته لنظريَّة الحقِّ الإلهيِّ للأُمويين وتنصلهم من المسؤوليَّة

حاول الأُمويون التمويه على الناس وخداعهم بشتى الوسائل والطرق المشروعة وغير المشروعة؛ وذلك من خلال الترويج إلى أنَّ مسؤوليَّة قتل الإمام الحسين عليه السَّلام تقع على عاتقه تارة وعلى عاتق شيعته تارة أُخرى، وزعموا أنَّهم أرادوا الحفاظ عليه وعدم سفك دمه، وأنَّ حقَّهم الإلهيَّ على المسلمين يبرر لهم كلَّ ما يتخذونه من تحوطات للحفاظ على سلطان الله الذي يمثلونه في الأرض، ويمكن أن نستشف ذلك من وصيَّة معاوية وهو يحتضر لخليفته في الحكم والتي رسم خلالها الخطوط العامَّة له وما يؤول إليه مصير الأُمَّة وما سوف يواجهه في أغلب المدن والأمصار.

فقد ذكر ابن سعد: (أنَّ معاوية حين حُضر دعا ابنه يزيد فأَوصاه بتقوى الله، ثمَّ قال: إنِّي قد أحكمت هذا الأمر فعليك بالجدِّ في أمرك والرفق بالناس، فإنَّك إذا رفقت بهم أخذت ثمرة قلوبهم ما لم يكن رفقك ضعفاً تركب فيجترئ عليك، وقد خلفت بعدي

ثلاثة هم أخوف من أخاف عليك أنْ يسفه عليك ما بين يديك: حسين بن عليٍّ ابن فاطمة بنت رسول صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم أحبُّ الناس إلى الناس، فصلْ رحمه وأرفق به يصلح لك أمره)[١].

وروى ابن سعد كذلك في رواية أُخرى: (ولَّما حُضر معاوية، دعا يزيد بن معاوية فأوصاه بما أوصاه به، وقال: انظر حسين بن عليٍّ ابن فاطمة بنت رسول الله صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم، فإنَّه أحبُّ الناس إلى الناس فصلْ رحمه، وأرفق به يصلح لك أمره، فإنْ يك منه شيء فإنِّي أرجو أنْ يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه)[٢].

وروايتا ابن سعد اللتان تقدَّم ذكرهما لا تختلفان من حيث المضمون فيما بينهما إلَّا في مفردة (فإنِّي أرجو أنْ يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه)[٣].

وبالرجوع إلى بعض روايات المؤرخين الذين كتبوا عن ثورة الإمام الحسين عليه السَّلام، فقد أورد البلاذري ذلك في روايتين قال في الأُولى: (فأمَّا الحسين فإنَّ له رحماً ماسَّة وحقاً عظيماً وقرابةً بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه عليك)[٤]، في حين جاء في الثانية: (فأمَّا حسين فلست أشكُّ في وثوبه عليك، فسيكفيكه مَن قتل أباه وجرح أخاه...)[٥]، بينما ذكر أبو حنيفة الدينوري وصيَّة معاوية بقوله: (فأمَّا الحسين بن عليٍّ فأحسب أهل العراق غير تاركيه حتى يخرجوه، فإنْ فعل،

---

(١) الطبقات، ٦/ ٢٨.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٣.

(٣) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٣.

(٤) أنساب الأشراف، ٥/ ١٥٢.

(٥) أنساب الأشراف، ٥/ ١٥٣.

فظفرت به، فاصفح عنه...)[١]، أمَّا الطبري فقد ذكر أنَّ معاوية بعد أنْ قال لابنه يزيد كفيتك الرحلة والترحال، وأنَّه يتخوف عليه من أربعة من قريش أحدهم الإمام الحسين عليه السَّلام: (فإنَّ أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه، فإنْ خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه، فإنَّ له رحماً ماسّةً وحقّاً عظيماً...)[٢].

لكنَّ الطبري جاء برواية ثانية ذكر فيها: (وأمَّا الحسين بن عليٍّ فإنَّه رجل خفيف، وأرجو أنْ يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه، وإنَّ له رحماً ماسّةً، وحقّاً عظيماً، وقرابة من محمَّد صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه، فإنْ قدرت عليه فاصفح عنه، فإنِّي لو أنِّي صاحبه عفوت عنه...)[٣]، ورواية الطبري الأخيرة التي أوردها بسنده عن عوانة بن الحكم المعروف بهواه الأُموي[٤]، جاءت متناغمة مع رواية ابن سعد الثانية، والتي أدخلت العناية الإلهيَّة للحفاظ على حكم الأُمويين.

ومن الجدير بالقول إنَّ الأُمويين وأنصارهم لطالما عوَّلوا على العناية الإلهيَّة وزعموا أنَّها سببٌ في حفظ حكمهم ودولتهم والدفاع عن سيرتهم؛ وذلك من أجل شرعنة دولتهم، تلك الشرعيَّة التي تقض مضاجعهم بين الحين والآخر بأنَّهم اغتصبوا هذا الأمر من أهله، وليس من باب المصادفة أنْ يقول عبيد الله بن زياد لقيس بن مسهر الصيداوي رسول الإمام الحسين عليه السَّلام لَّما أُلقي القبض عليه: (قد قتل الله مسلماً فأقم في الناس فاشتم الكذاب بن الكذاب....)[٥]، وخاطب عمر بن سعد جنوده يحثُّهم على

(١) الأخبار الطوال، ص ٢٢٦.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢١٧.

(٣) تاريخ الأمم والملوك، ٥/ ٢١٧-٢١٨.

(٤) شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخين، ص١٨٠.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٥.

قتال الإمام عليه السَّلام بالقول: يا خيل الله اركبي وبالجنة أبشري[١]، وكذلك حرَّض أحد قادة جيش ابن زياد[٢] الناس على قتال الإمام عليه السَّلام بقوله: قاتلوا مَن مرق من الدين وفارق الجماعة[٣]، وقال عبيد الله بن زياد للإمام زين العابدين عليه السَّلام: أو لم يقتل الله عليَّ بن الحسين؟ فلمَّا قال له الإمام زين العابدين عليه السَّلام: «**كان لي أَخ اسمه عليٌّ قتله الناس**»، أصرَّ ابن زياد على القول: بل قتله الله، فردَّ الإمام زين العابدين عليه السَّلام بالقول: «﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا... ﴾[٤]»[٥]، وكذلك خاطب ابن زياد زينب عقيلة الطالبيين عليها السَّلام بقوله: (الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم! فقالت له: «**الحمد لله الذي أكرمنا بمحمَّد صلَّى الله عليه وآله وطهرنا تطهيراً، لا كما تقول أنت، إنَّما يُفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر**»، قال: فكيف رأيتِ صنع الله بأهلكِ! قالت: «**كُتب عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاجون إليه، وتخاصمون عنده**»)[٦].

ويبدو أنَّ ابن سعد كان انتقائياً في بعض رواياته عن مقتل الإمام الحسين عليه السَّلام، والتي استقاها من مصادر عددها في بداية مقتل الإمام عليه السَّلام، ثمَّ قال: (وغير هؤلاء أيضاً قد حدَّثني في هذا الحديث بطائفة، فكتبت جوامع حديثهم في مقتل الحسين

---

(١) أنساب الأشراف، ٥/ ٣٩١.

(٢) هو عمرو بن الحجاج الزبيدي، كان على ميمنة جيش عمر بن سعد يوم واقعة الطف، وهو الذي منع الماء عن الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السَّلام، ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ١٨١-١٨٢.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ١٩٧.

(٤) الزمر، ٣٩-٤٢.

(٥) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٣٠٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٥٣٤؛ ابن طاووس، الملهوف، ص٢٠٢.

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ٥/ ٣٠٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٥٣٣-٥٣٤.

رحمة الله عليه ورضوانه وصلواته وبركاته)[١]، لكنَّه انتقى روايته التي أشارت إلى العناية الإلهيَّة من بين كلِّ الروايات التي تطرقت لوصيَّة معاوية، في حين أنَّ الروايات الأُخرى والتي ذكرناها لم تشر إلى ذلك.

والظاهر أنَّ هناك تهويلاً وتعظيماً لتنبؤات معاوية في العديد من القضايا المستقبليَّة، فقد صُور معاوية على أنَّه قد قرأ المستقبل وتنبأ بما يحدث، ولا يُستبعد أنَّ كثيراً من هذه الأُمور قد أُضيفت من قبل الرواة والمؤرخين لتضفي صبغة العظمة على معاوية، بل نجد أنَّ ابن سعد نفسه ينقل روايات تُظهر تنبؤ معاوية بأنَّه سيتولى أمر الأُمَّة، زاعماً ذلك استنباطاً من حديث سمعه من رسول الله: (إنْ وليت من أُمور المؤمنين شيئاً فاتقِ الله واعدل، فقال معاوية: فما زلت أظنُّ أنِّي مُبتلى حتى وليت لقول رسول الله صلَّى الله عليه -وآله- وسلم)[٢]، وكذلك ذكر ابن سعد محاورة جرت بين هند وأبي سفيان، وأنَّ هنداً رفضت قول أبي سفيان: إنَّ ابني هذا يسود قومه فقالت: (قومه فقط؟! ثكلته! إنْ لم يسد العرب قاطبة...)[٣].

ويتضح ممَّا تقدَّم أنَّ هناك العديد من المزاعم والروايات أَسست للحقِّ الإلهيِّ، حاول الأُمويون من خلاله، وفي مقدمتهم معاوية إشاعته في تثبيت حكمهم وسلطتهم مقابل الحقِّ الطبيعي لآل محمَّد في ولاية الأُمَّة، فكان رفض الإمام الحسين عليه السَّلام تلك البيعة من أُولى البوادر التي أجهضت مزاعمهم بهذا الحقِّ.

---

(١) الطبقات، ٦/ ٤٢٢.

(٢) الطبقات، ٦/ ١٧.

(٣) الطبقات، ٦/ ٢٣.

ثانياً: محاولة إضعاف الدور المحوريّ للإمام الحسين عليه السَّلام في رفضه بيعة يزيد

أدَّى الإمام الحسين عليه السَّلام دوراً محورياً ورئيساً في مواجهة بيعة يزيد منذ أن ابتدعها الأُمويون، وجهدوا في الوقت نفسه بمحاولة إضعاف هذا الدور بالتمويه عليه وإيجاد قرائن له ومساواته معهم من أجل خلط الأوراق، والتنصل من إعطاء أهل البيت حقوقهم المشروعة وشروط الصلح المبرم بين الإمام الحسن عليه السَّلام ومعاوية، فأورد ابن سعد بهذا الشأن روايتين جاء في الأُولى: (ثمَّ اعتمر معاوية في رجب سنة ست وخمسين، وقدم المدينة، فكان بينه وبين الحسين بن عليٍّ وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير ما كان من الكلام في البيعة ليزيد، وقال: إنِّي أتكلَّم بكلام فلا تردُّوا عليَّ شيئاً فأقتلكم، فخطب الناس فأظهر أنَّهم قد بايعوا، وسكت القوم فلم يُقرّوا ولم ينكروا خوفاً منه، ورحل معاوية من المدينة على هذا)[١].

وأمَّا روايته الثانية والتي جاءت أكثر تفصيلاً ذكر فيها: (وتوفي معاوية ليلة النصف من رجب سنة ستين للهجرة، وبايع الناس ليزيد، فكتب يزيد مع عبد الله بن عمرو بن أويس العامري[٢] -عامر بن لؤي- إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو على المدينة، أن ادعُ الناس فبايعهم، وابدأ بوجوه قريش وليكن أَوَّل مَن تبدأ به الحسين بن عليٍّ، فإنَّ أمير المؤمنين عهد إليَّ في أمره والرفق به واستصلاحه، فبعث الوليد بن عتبة من ساعته نصف الليل إلى الحسين بن عليٍّ وعبد الله بن الزبير فأخبرهما بوفاة معاوية ودعاهما إلى البيعة ليزيد، فقالا: نصبح وننظر ما يصنع الناس، ووثب الحسين فخرج وخرج معه ابن الزبير وهو يقول: هو يزيد الذي تعرف، ووالله ما حدث له حزم ولا مروءة، وقد كان

(١) الطبقات، ٦/ ٢٧.

(٢) عبد الله بن عمرو بن أويس الأكبر بن سعد، كان رسول يزيد إلى الوليد بن عتبة أمير المدينة بموت معاوية وأخذ بيعة أهل المدينة ليزيد. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٣١/ ٢٣٥

الوليد أغلظ للحسين فشتمه الحسين، وأخذ بعمامته فنزعها من رأسه، فقال الوليد: إنْ هجنا بأبي عبد الله إلَّا أسداً، فقال له مروان أو بعض جلسائه: اقتله، قال: إنَّ ذاك لدم مضنون في بني عبد مناف، فلمَّا صار الوليد إلى منزله، قالت له امرأته أسماء ابنة عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام: أسببت حسيناً؟ قال: هو بدأ فسبَّني، قالت: وإنْ سبَّك حسين تسبُّه؟ وإنْ سبَّ أباك تسبُّ أباه؟!! قال: لا، وخرج الحسين وعبد الله بن الزبير من ليلتهما إلى مكَّة، فأصبح الناس فغدوا على البيعة ليزيد، وطلب الحسين وابن الزبير فلم يوجدا...)[(١)].

أشار ابن قتيبة إلى رواية ابن سعد الأُولى لكنْ بشكل مفصّل، ففي حين ذكر ابن سعد أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام آثر السكوت خشية من القتل، ذكر ابن قتيبة أنَّ هذا اللقاء الذي كان بين معاوية والإمام الحسين عليه السَّلام وبعض أبناء الصحابة، لكنَّ دور الإمام عليه السَّلام كان واضحاً جلياً، فمن بين ردِّه على معاوية: «... **تريد أنْ توهم الناس في يزيد، كأنَّك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تخبر عمَّا كان ممَّا احتويته بعلم خاص، وقد دلَّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ فيه...**»[(٢)]، وذكر أنَّ هناك جدالاً حدث بين الإمام الحسين عليه السَّلام ومعاوية أمام أهل المدينة المجتمعين في المسجد النبويِّ، حتى قال معاوية له: كأنك تريد نفسك للخلافة؟ ثمَّ ذكر أفضليَّة يزيد على الإمام، فأجابه عليه السَّلام بقوله: «**هذا هو الإفك والزور، يزيد شارب الخمر، ومشتري اللهو خير منِّي؟**»[(٣)].

ومن مقارنة روايتي ابن سعد وابن قتيبة نجد أنَّ رواية الأخير جاءت لتؤكد صحة

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٤.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ١/ ٢٠٩.

(٣) الإمامة والسياسة، ١/ ٢١١.

رواية ابن سعد في اللقاء الحاصل بين الإمام عليه السَّلام ومعاوية عام (٥٦ هـ)، من أجل أخذ البيعة ليزيد، لكنَّ معاوية أخفق في تحقيق هدفه بالحصول على موافقة الإمام عليه السَّلام على بيعة يزيد، فاستعمل أُسلوب الترغيب والتهديد والوعيد دون جدوى.

وممَّا يؤخذ على رواية ابن سعد أنَّها كانت مختصرة وصوَّرت سكوت الإمام عليه السَّلام لمجرد أنَّ معاوية هدده هو ومن معه بالقتل، في حين نجد ابن قتيبة ذكر ردَّ الإمام عليه السَّلام بشجاعة منقطعة النظير على معاوية، ممَّا أثار حفيظته وغيظه فقال له ابن عباس: (إنَّها لذرية الرسول، وأحد أصحاب الكساء، وفي البيت المطهر...)[1].

أمَّا رواية ابن سعد الثانية فقد جاءت وهي تحمل العديد من المآخذ والمغالطات، والتي لا يمكن الأخذ بها بهذه العموميَّة من مؤرخ شُهد له أنَّه يتحرى الرواية متبعاً منهج المحدثين في الرواية التاريخية؛ وذلك أنَّه يتتبع سند روايته، بل إنَّه حتى في الأُمور التي ألزم نفسه بها بالإسناد الجمعي مثل مقتل الإمام عليه السَّلام نجده كثيراً ما يعود خلالها لمنهجه، لكنَّنا نجده في هذه الرواية قد جانب الصواب وكان انتقائياً بشكل واضح.

وقد تناول العديد من المؤرخين موقف الإمام عليه السَّلام من بيعة يزيد بعد موت معاوية بشكل واضح ومفصل، وعلى الرغم من الإطار العام لروايات المؤرخين المتفق مع رواية ابن سعد، فقد ذكروا ولو بشكل متفاوت وكلٌّ حسب منهجه ورؤيته لهذا الحدث، فذكروا أنَّه لمَّا توفي معاوية وتولى الأمر بعده يزيد بعث لوالي المدينة بأخذ البيعة من أهل المدينة وبالأخص من الشخصيات التي رفضت بيعته في حياة معاوية، وكان على رأسهم الإمام الحسين عليه السَّلام وعبد الله بن الزبير، وبالفعل قام الوالي باستشارة مروان بن الحكم في هذا الأمر فاستدعاهم وحدث فيما بينهم مشادات، وعلى إثر ذلك

(١) الإمامة والسياسة، ١/ ٢٠٩.

خرج كلٌّ من الإمام الحسين عليه السَّلام وعبد الله بن الزبير إلى مكة[١].

ولا بُدَّ من مقارنة رواية ابن سعد الثانية مع الروايات التاريخيَّة ليتسنى لنا بيان مدى صحتها ارتأينا تقسيمها على شقين:

الشق الأوَّل: كتاب يزيد بن معاوية وموقف مروان بن الحكم

الشق الثّاني: دخول الإمام الحسين عليه السَّلام لمجلس الوليد وخروجه من مكّة

الشق الأوَّل: كتاب يزيد بن معاوية وموقف مروان بن الحكم

ففي الشق الأوَّل: اختلف خليفة بن خياط في روايته مع ابن سعد في تسمية رسول يزيد بن معاوية إلى والي المدينة الوليد بن عتبة، ففي حين ذكر كلٌّ من ابن سعد والبلاذري أنَّ رسول يزيد للوليد هو عبد الله بن عمرو بن أويس من بني عامر بن لؤي، ذكر خليفة بن خياط أنَّ رسوله كان أحد مواليه، في حين أحجم باقي المؤرخين عن اسمه واكتفوا بالقول: فكتب يزيد إلى والي المدينة، ويبدو أنَّ رواية ابن سعد أقرب للقبول، كونه ذكر اسمه واسم قبيلته، وكذلك حين ترجم ابن عساكر لعبد الله بن عمرو قال: كان رسول يزيد إلى الوليد بن عتبة لنعي معاوية وأخذ البيعة له من أهل المدينة[٢].

وممَّا يؤخذ على رواية ابن سعد أنَّه اختلف مع أغلب المؤرخين في أمر غاية في الأهمية، وهو نوعيَّة الكتاب الذي بعثه يزيد إلى والي المدينة، فالكتاب ينبئ عن غطرسة وعنجهيَّة يزيد بن معاوية، حتى أدَّى ذلك الكتاب إلى جزع الوليد الذي عرف خطورة الموقف

(١) ينظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص٢٣٢-٢٣٣؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ٢/ ٢٢٥-٢٢٦؛؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/ ٣١٣-٣١٨؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٢٧-٢٢٨؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٦٨-١٦٩؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٢٧-٢٢٩؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٩-١٧؛ الشيخ المفيد، الإرشاد، ص١٩١-١٩٣.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ٣١/ ٢٣٥.

وخشي الفتنة[١]، ممَّا اضطره إلى استدعاء مروان بن الحكم بالرغم من خلافه معه ليستشيره، ويتضح أنَّ الأمر لم يقتصر على استدعائه لمروان فقط، وإنَّما استنجد بعدد من الأُمويين الذين لهم مكانة في البيت الأُموي، وهو ما تبيَّن من سير الروايات التي وردت في هذا الشأن[٢].

والمأخذ الذي أشرنا إليه على رواية ابن سعد قوله في كتابه للوليد بن عتبة: (وليكن أَوَّل مَن تبدأ به الحسين بن عليٍّ، فإنَّ أمير المؤمنين عهد إليَّ في أمره والرفق به واستصلاحه)[٣]، يتضح من النصِّ المتقدِّم أنَّ يزيد كان حريصاً على الهدوء والرفق واللين في التعامل مع الإمام الحسين عليه السَّلام، وهو خلاف ما أوردته أغلب الروايات التاريخيَّة من أنَّ يزيد بعث كتابين مع رسوله للوليد بن عتبة، الأَوَّل نعى فيه معاوية ثمَّ ذكروا (وكتب إليه في صحيفة كأنَّها أُذن فأرة: أمَّا بعد فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً، ليست فيه رخصةٌ ولا هوادة، حتى يبايعوا والسَّلام)[٤]، وهذا ما أوضحه أبو حنيفة الدينوري بقوله: (فلم تكن ليزيد همَّة إلَّا بيعة هؤلاء الأربعة نفر، فكتب إلى الوليد بن عتبة يأمره أنْ يأخذهم بالبيعة أخذاً شديداً لا رخصة فيه)[٥].

وجاءت رواية اليعقوبي صريحةً واضحةً تُظهر حقيقة يزيد بن معاوية، فذكر كتابه إلى الوليد بن عتبة فقال: (إذا أتاك كتابي هذا، فأحضر الحسين بن عليٍّ وعبد الله بن الزبير، فخذهما بالبيعة لي، فإن امتنعا فاضرب أعناقهما، وابعث إليَّ برؤوسهما، وخذ الناس

(١) ينظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص٢٣٢؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٢٧.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص٢٣٢.

(٣) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٤.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/ ٣١٣؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٢٧-٢٢٨؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٩-١٠.

(٥) الأخبار الطوال، ص٢٢٧.

بالبيعة، فمن امتنع فأنفذ فيه الحكم، وفي الحسين بن عليٍّ وعبد الله بن الزبير والسَّلام)[١].

والظاهر أنَّ يزيد بعث كتاباً آخر، فقد ذكر ذلك ابن أعثم الكوفي: (وليكن مع جوابك إليَّ رأس الحسين بن عليٍّ، فإنْ فعلت ذلك فقد جعلتُ لك أعنَّة الخيل، ولك عندي جائزة والحظ الأوفر والنعمة واحدة والسَّلام)[٢]، ويبدو أنَّ هذا الكتاب ورد بعد الأخبار التي وصلته برفض الإمام لبيعته؛ لأنَّه أبلغه في الكتاب نفسه بترك بيعة ابن الزبير وتوكيد بيعة أهل المدينة مرَّة أُخرى.

وذكر ابن سعد أنَّ مروان أو بعض جلسائه أشاروا على الوليد بقتل الإمام الحسين عليه السَّلام، في الوقت الذي أجمع فيه معظم المؤرخين على أنَّ مروان هو من أشار على الوليد بذلك، وكأنَّ ابن سعد أراد التلميح إلى أنَّ المسؤول في تأجيج الأُمور ومضايقة الإمام لا تقع على عاتق مروان، بل يتحملها الوليد وبعض جلسائه، وفي ذلك مجانبة للصواب كما سيتضح فيما سيأتي من روايات. وهو ما ذكره خليفة بن خياط فقال: (وكتب بموت معاوية، وأن يبعث إلى هؤلاء الرهط فيأمرهم بالبيعة له... ثمَّ بعث إلى مروان... فترحَّم مروان على معاوية ودعا له بخير وقال: ابعث إلى هؤلاء الرهط الساعة فادعهم إلى البيعة فإنْ بايعوا وإلَّا فاضرب أعناقهم، قال: سبحان الله أقتلُ الحسين بن عليٍّ وابن الزبير! قال: هو ما أقول لك)[٣]، وفي موضع آخر قال خليفة بن خياط: (... قال مروان: ابعث الساعة إلى الحسين وابن الزبير فإنْ بايعا وإلَّا فاضرب أعناقهما،...)[٤]، وعلى هذا المنوال جاءت أغلب روايات المؤرخين فذكروا: أنَّ مروان أشار عليه أنْ يبعث إليهم فإنْ بايعوا

(١) تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٦٨.

(٢) الفتوح، ٥/ ١٨.

(٣) تاريخ خليفة، ص ٢٣٢.

(٤) تاريخ خليفة، ص٢٣٢.

قبلت ذلك، وإلَّا قدَّمتهم فضربت أعناقهم قبل أنْ يعلموا بوفاة معاوية[1].

بعد أن استعرضنا العديد من الروايات التاريخيَّة بشأن كتاب يزيد بن معاوية لوالي المدينة، يمكننا ملاحظة العديد من الأُمور:

١- انفراد ابن سعد بأنَّ يزيد أراد الرفق بالإمام الحسين عليه السَّلام، بينما نجد العكس تماماً كان كتابه مستعجلاً ولم تكن همَّة ليزيد سوى أخذ البيعة من الإمام الحسين عليه السَّلام وبأسرع وقت ممكن، كذلك لم يكن كتاب يزيد يقبل التأويل فهو صريحٌ واضحٌ لا لبس فيه، إمَّا مبايعة يزيد أو القتل ولم يكن فيه رخصة لوالي المدينة في التفاوض واللين في أمر البيعة.

٢- شككت رواية ابن سعد في موقف مروان في مشورته بقتل الإمام الحسين عليه السَّلام، فنسبت ذلك إمَّا له أو لبعض جلسائه، في حين أجمعت أغلب روايات المؤرخين على أنَّ المشورة بقتل الإمام الحسين عليه السَّلام كانت لمروان بن الحكم، وقد جانب ابن سعد الحقيقة في ذلك، حيث اتفقت الروايات التاريخيَّة التي تطرقنا لها على مشورة مروان، فضلاً عن مواقفه المشينة مع آل محمَّد الذي لا يستبعد منه مثل تلك المواقف.

٣- مهدت رواية ابن سعد إلى فرضيَّة استعجال الإمام الحسين عليه السَّلام بالخروج من المدينة، وفيما بعد من مكَّة إلى العراق وكأنَّ ذلك لرغبة منه من دون أيِّ مضايقة أو خطر على حياته.

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/ ٣١٣؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٦٨؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٢٧-٢٢٨؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٩-١٠.

الشق الثاني: دخول الإمام الحسين عليه السَّلام لمجلس الوليد وخروجه من مكَّة

أَمَّا الشق الثاني من رواية ابن سعد في كيفيَّة دخول الإمام الحسين عليه السَّلام لمجلس الوليد وخروجه من مكَّة، جاء أكثر غموضاً، فقد اختلف المؤرخون في ذلك، فجعل خليفة بن خياط دخول ابن الزبير على الوليد قبل دخول الإمام الحسين عليه السَّلام، وأنَّ المشاجرة التي وقعت مع مروان كانت بينه وبين ابن الزبير فقال: (فأتاه ابن الزبير فنعى له معاوية وترحَّم عليه، وجزاه خيراً، فقال له: بايع، قال: ما هذه ساعة مبايعة ولا مثلي يبايعك ها هنا، فترقى المنبر فأُبايعك ويبايعك الناس علانيةً غير سرٍّ، فوثب مروان فقال: اضرب عنقه فإنَّه صاحب فتنة وشرٍّ، قال: إنَّك هتّاك يا بن الزرقاء واستبَّا... فجاء الحسين بن عليٍّ على تلك الحال فلم يُكَلّم في شيء حتى رجعا جميعاً... ثمَّ توجه من ليلته - يقصد ابن الزبير - وخرج الحسين من ليلته، فالتقيا بمكة...)[1].

بينما ذكر أغلب المؤرخين أنَّ الذي دخل على الوليد هو الإمام الحسين عليه السَّلام، وأنَّه رفض بيعة يزيد والمشادَّة وقعت بينه وبين مروان، وأنَّه جاء للوليد وهو متمكن من ذلك، حيث اصطحب أهل بيته وفتيانه وأمرهم أنْ يقفوا في باب مجلس الوليد، فإذا سمعوا صوته علا أو سمعوا ما يريبهم اقتحموا المجلس عليه، وكان آخر ما قاله لهم في مجلس الوليد: «**يا بن الزرقاء - مخاطباً مروان - كذبت والله ولؤمت، لا تقدر ولا هو على ضرب عنقي**»[2].

فيما جاءت رواية ابن أعثم الكوفي أكثر وضوحاً وتفصيلاً، فذكر أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام أقبل على الوليد بعد كلامه لمروان فقال: «**أيّها الأمير إنَّا أهل بيت النبوّة**

(١) تاريخ خليفة، ص٢٣٢-٢٣٣.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/ ٣١٦-٣١٧؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٢٨-٢٢٩؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ١٢-١٤.

ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومحلّ الرحمة، وبنا الله فتح وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب خمر وقاتل النفس المحرمة معلن بالفسق، مثلي لا يبايع لمثله، ولكن نصبح وتصبحون وننتظر وتنتظرون أيُّنا أحقُّ بالخلافة والبيعة»، قال: وسمع من في الباب الحسين فهموا بفتح الباب وإشهار السيوف، فخرج إليهم الحسين سريعاً فأمرهم بالانصراف إلى منازلهم، وأقبل الحسين إلى منزله)[١]، كذلك أشارت الروايات التاريخيَّة إلى خروج الإمام الحسين عليه السَّلام وبصحبته إخوته وبنوه وجُلُّ أهل بيته بعد ليلة من خروج ابن الزبير[٢].

ومن خلال ما تقدَّم يمكننا القول:

١- إنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام هو من دخل أَوَّلاً على مجلس الوليد، وأنَّ ما ذكره خليفة بأنَّ الداخل كان ابن الزبير لم يكن دقيقاً، كذلك هناك غموض في رواية ابن سعد التي جعلت من عبد الله بن الزبير ملازماً له في الدخول لمجلس الوليد، وهذا غير صحيح طبقاً للمعطيات التاريخيَّة التي ذكرها المؤرخون كما أشرنا في حينها، وكأنَّه أراد القول إنَّ الاثنين أبناء صحابة وأصحاب تمرد وهو إيحاء للمقارنة بينهما.

٢- يؤخذ على رواية ابن سعد جعل الإمام الحسين عليه السَّلام سبَّاباً، ويبدو أنَّ ابن سعد قد تعمَّد تبرئة مروان؛ وذلك أَوَّلاً: بتشكيكه بمشورة مروان، هل هو مَن أشار بقتل الإمام أَم جلساء الوليد، وثانياً: جعل كلام الإمام الحسين عليه السَّلام موجهاً للوليد وليس لمروان، وهو خلاف ما ذكرته الروايات التاريخيَّة التي أشرنا إليها.

---

(١) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ١٤.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/ ٣١٦-٣١٧؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٢٨؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٢٨-٢٢٩؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ١٢-١٤.

٣- انفرد ابن سعد بذكره موقف زوجة الوليد أسماء بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، والتي يتضح أنَّ لها موقفاً مشرفاً من أهل البيت، فاستغربت ممَّا قام به زوجها في مضايقة الإمام عليه السَّلام، وإنْ كان الباحث يرى في استغرابها سبَّ الإمام عليٍّ عليه السَّلام مسألة فيها نظر، كون أنَّ الأُمويين يسبّون الإمام عليّاً عليه السَّلام على المنابر ولم يرعوا حرمة ولا ديناً في ذلك[١]، وربما أنَّ تلك المرأة قد حكّمت عقلها وتعاملت في ضوئه مع أهل البيت عليهم السَّلام.

٤- وقع ابن سعد في لبس آخر وهو قوله بخروج الإمام عليه السَّلام من ليلته، في حين أشارت أغلب الروايات بخروجه في اليوم الثاني، ويتضح من رواية أوردها ابن أعثم الكوفي أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام قد تأخر في الخروج من المدينة أكثر من ليلة واحدة[٢]، لكنْ من المُسلَّم به أنَّه خرج بعد ابن الزبير بيوم على أقلِّ تقدير، ففي حين خرج ابن الزبير متخفياً خرج الإمام الحسين عليه السَّلام متخذاً الطريق الأعظم.

٥- الظاهر أنَّ التحدي والشجاعة اللتين أظهرهما الإمام الحسين عليه السَّلام ومكانته وقدرته جعلت والي المدينة يحجم عن ملاحقته والتعرض له، في حين اتخذ العديد من الإجراءات العسكريَّة ضدَّ عبد الله بن الزبير الذي اضطر إلى السير في الطرق الفرعيَّة تجنباً للطلب الذي بعثه خلفه والي المدينة، أمَّا الإمام الحسين عليه السَّلام فقد ذهب لزيارة قبر جدِّه رسول الله صلَّى الله عليه وآله، وخرج في موكب مهيب ببنيه وأُسرته الشريفة وبنات الرسالة ومواليه، متخذاً الطريق الأعظم، وهذا الأمر لا يخفى على والي المدينة وشرطته التي لاحقت ابن الزبير، ربما أنَّ والي المدينة خشي ملاقاة الإمام الحسين

(١) للمزيد عن ذلك ينظر: أبو الهيل، السياسة الأُموية المضادَّة للإمام عليٍّ عليه السَّلام دراسة في سياسة السبِّ، ص٤٤- ٥٦.

(٢) ينظر: الفتوح، ٥/ ١٨-١٩.

عليه السَّلام والتعرض له إنْ لم يكن يتمنى أنْ تكون تلك المواجهة خارج ولايته لعدم معرفته بنتائجها وعواقبها، أو ربما كان يدرك عواقبها؛ لذا أحجم عن مواجهتها.

ثالثاً: موقفه عليه السَّلام من والي مكَّة عمرو بن سعيد الأشدق[١]

تطرَّق ابن سعد إلى موقف والي مكَّة من الإمام الحسين عليه السَّلام قبيل خروجه منها، فذكر ابن سعد أنَّ الأخير كتب له: (إنِّي أسال الله أنْ يلهمك رُشدك، وأْن يصرفك عمَّا يُردِيك، بلغني أنَّك قد اعتزمت على الشخوص إلى العراق، فإنِّي أُعيذك بالله من الشقاق، فإنْ كنت خائفاً، فأقبل إليَّ، فلك عندي الأمان والبرُّ والصلة)[٢]، وعمرو بن سعيد الأشدق هو والي يزيد على مكة[٣] والمدينة[٤]، وهو من الشخصيات الأُمويَّة القويَّة المشهورة مشهود له بالغطرسة والكِبَر[٥].

وذكرت أغلب المصادر التاريخيَّة هذه الرواية لكنْ بشكل مختلف وأكثر تفصيلاً، فذكر الطبري أنَّ والي مكَّة بعث شرطته لمنع الإمام الحسين عليه السَّلام من الخروج من مكَّة (فأبى عليهم ومضى، وتدافع الفريقان، فاضطربوا بالسياط، ثمَّ إنَّ الحسين وأصحابه امتنعوا منهم امتناعاً قويّاً، ومضى الحسين عليه السَّلام على وجهه، فنادوه: يا حسين،

(١) هو عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد المعروف بالأشدق، في الطبقة الثانية من تابعي المدينة، ولي مكَّة والمدينة ليزيد بن معاوية، طلب الخلافة في حكم عبد الملك بن مروان وغلب على دمشق، فأعطاه عبد الملك الأمان ثمَّ غدر به وقتله عام (٧٠هـ)... ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٧/ ٢٣٤، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٤٦/ ٢٩-٤٥؛ المزي، تهذيب الكمال، ٢٢/ ٣٥-٤٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦ / ٤٢٦.

(٣) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٦١ -٢٦٢.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٤٩٧.

(٥) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٣١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٤٧٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١١/ ٤٧٠.

ألا تتقي الله! تخرج من الجماعة، وتفرِّق بين هذه الأُمَّة...)[١]، هذه الرواية المفصلة لدى الطبري جاءت بشكل أدقّ وأوضح عند أبي حنيفة الدينوري فقال: (ولَمَّا خرج الحسين من مكَّة اعترضه صاحب شرطة أميرها عمرو بن سعيد بن العاص في جماعة من الجند، فقال: إنَّ الأمير يأمرك بالانصراف، فانصرف، وإلَّا منعتك، فامتنع عليه الحسين وتدافع الفريقان، واضطربوا بالسياط، وبلغ ذلك عمرو بن سعيد، فخاف أنْ يتفاقم الأمر، فأرسل إلى صاحب شرطته، يأمره بالانصراف)[٢].

ثمَّ أورد الطبري رواية أُخرى بسنده عن أبي مخنف عن الإمام عليٍّ بن الحسين عليهما السَّلام، ذكر فيها أنَّ عبد الله بن جعفر كلَّم عمرو بن سعيد الأشدق في أنْ يكتب كتاباً للإمام عليه السَّلام، ويبدو أنَّ هذا اللقاء بين الاثنين قد حدث بعد هذا التصادم مع جند والي مكَّة فقال: (وقال- أي عبد الله بن جعفر- اكتب إلى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان، وتمنِّيه فيه البرِّ والصِّلة، وتوثق له في كتابك، وتسأله فيه الرجوع لعلَّه يطمئن إلى ذلك فيرجع، فقال له عمرو بن سعيد: اكتب ما شئت وائتني به حتى أختمه، فكتب عبد الله بن جعفر الكتاب، ثمَّ أَتى به عمرو بن سعيد الأشدق فقال له: اختمه، وابعث به أخيك يحيى بن سعيد[٣]، فإنَّه أحرى أنْ يطمئن نفسه إليه، ويعلم أنَّه الجدُّ منك...)[٤]، ثمَّ ذكر نصَّ الكتاب فقال: (من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن عليٍّ، أمَّا بعد، فإنِّي أسال

(١) تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٦١؛ ينظر البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٣٧٥.

(٢) الأخبار الطوال، ص٢٤٤.

(٣) هو يحيى بن سعيد بن العاص بن أُميَّة، وكنيته أبو أيوب، في الطبقة الثانية من التابعين، كان على شرطة مكَّة حين خرج الإمام الحسين عليه السَّلام منها، وهو أخو عمرو بن سعيد الأشدق، وحضر مقتله على يد عبد الملك بن مروان، فسيره إلى المدينة ثمَّ عفا عنه.. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٧/ ٢٣٥؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٦٤/ ٢٣٢-٢٣٦؛ المزي، تهذيب الكمال، ٣١/ ٣٢٦-٣٢٩.

(٤) تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٦١.

الله أنْ يصرفك عمَّا يوبقك، وأنْ يهديك لما يرشدك؛ بلغني أنَّك توجهت إلى العراق، وإنِّي أُعيذك بالله من الشقاق، فإنِّي أخاف عليك من الهلاك، وقد بعثت إليك عبد الله بن جعفر ويحيى بن سعيد فأقبل إليَّ معهما، فإنَّ لك عندي الأمان والصِّلة والبرَّ وحسن الجوار لك، الله عليَّ بذلك شهيد وكفيل، ومراعٍ ووكيل والسَّلام عليك)[١]، هذا الكتاب الأخير سبق وأنْ أشرنا إليه في رواية ابن سعد من دون أنْ يشير إلى حامله، كذلك لم يتطرق ابن سعد إلى كلِّ ما ذكره أولئك المؤرخون في قيام والي مكَّة باعتراض الركب الحسيني بقوّة عسكريَّة يقودها صاحب شرطته، لكنَّ ابن سعد أشار إلى وجود كتابين منفصلين أحدهما من عبد لله بن جعفر الطيار، والثاني هو من عمرو بن سعيد، ونحن الآن بصدد كتاب الأخير كون أنَّ كتاب عبد الله بن جعفر سوف نتطرق له ضمن ناصحي الإمام عليه السَّلام، وأشار ابن سعد لجواب الإمام عليه السَّلام على الكتاب المرسل إليه فقال: (فكتب إليه الحسين: إنْ كنت أردت بكتابك إلى بري وصلتي فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة، وأنَّه لم يشاقق مَن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنَّني من المسلمين، وخير الأمان أمان الله، ولم يؤمن بالله من لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أمان الآخرة عنده)[٢]، ورد هذا الكتاب عند الطبري بالألفاظ نفسها ولكنَّه قدَّم بعضها وأخَّر، وهي لا تغير من المضمون شيئاً.

وهكذا نجد ابن سعد اختلف مع الطبري بشكل جوهري بأنْ جعل موقف عمرو بن سعيد الأشدق والي مكَّة ذا شقين، الأوَّل: قيامه بإرسال الجند بقيادة أخيه الذي كان صاحب شرطته فاعترضوا ركب الإمام عليه السَّلام وأرادوا منعه من التوجه نحو

(١) تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٦١-٢٦٢.
(٢) الطبقات الكبير، ٦ / ٤٢٦-٤٢٧.

العراق؛ ممَّا اضطر الإمام عليه السَّلام إلى اتخاذ أُسلوب جديد في مواجهة هذا التحدي، الذي سبق وأنْ هدد باتخاذه عند دخوله مجلس الوليد بن عتبة وهو بالمدينة، حين قال: «**لا أدخل عليه إلَّا وأنا متمكن منه**»، وفعلاً كان الإمام عليه السَّلام متمكناً، كذلك هذه المرَّة فامتنع امتناعاً شديداً وتضارب الفريقان بالسياط واضطر والي مكَّة إلى إصدار أوامره بالانسحاب، ثمَّ استرسل الطبري فأدخل عنصراً جديداً وهو قيام عبد الله بن جعفر للذهاب إلى والي مكَّة لجلب أمان للإمام عليه السَّلام فوافق والي مكَّة على ذلك بسهولة.

لكنَّ رواية الطبري هذه تشوبها بعض الشبهات، منها: أنَّ الذي كتب الكتاب عبد الله بن جعفر ولغة الكتاب توحي أنَّها لغة السُّلطة الأُموية، فليس من المعقول ولا نعتقد أنَّ عبد الله بن جعفر يستطيع أنْ يتجرأ ويقول للإمام الحسين عليه السَّلام: أُعيذك من الشقاق، والشبهة الثانية: هي جعل عبد الله بن جعفر رسول والي مكَّة، وهذا ما أشار إليه الطبرسي ضمناً من دون ذكر دور عبد الله بن جعفر في كتابة الكتاب، فقال: (فلحقه عبد الله بن جعفر بكتاب عمرو بن سعيد بن العاص والي مكَّة مع أخيه يحيى بن سعيد يؤمنه على نفسه، فدعا إليه الكتاب وجهدا به الرجوع)(١)، فمن غير المعقول ورود الكتاب للإمام الحسين عليه السَّلام بيد عبد الله بن جعفر لأنَّه سوف يثير شكوك الإمام عليه السَّلام بأنَّ هذا الكتاب جاء بوساطة عبد الله بن جعفر، وهم يعلمون أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام يأبى ويأنف من ذلك، فضلاً عن ذلك فمن غير المنطقي أنْ يكون عبد لله بن جعفر قد قابل الإمام الحسين عليه السَّلام وسلَّمه كتاباً ثانياً كتبه هو بنفسه للإمام، وربما جاءت هذه الروايات عن دور عبد الله بن جعفر لتقلل من حدَّة خذلان البعض للإمام الحسين عليه السَّلام، وهو ما نقرأه لدى الطبرسي بقوله: (فلمَّا يئس عبد الله بن جعفر

---

(١) إعلام الورى، ص٢٣٦.

أمر ابنيه عونا ومحمَّداً بلزومه والمسير معه والجهاد دونه...)[١]، كلُّ هذا الشقَّ من رواية الطبري لم يرد لدى ابن سعد، لكنَّ الأخير ذكر كتابين منفصلين أحدهما من عبد الله بن جعفر والثاني من والي مكَّة.

وممَّا يؤخذ على رواية ابن سعد إغفاله هذا الحدث المهم بين الإمام عليه السَّلام وجند الأُمويين، في حين أورده البلاذري وأبو حنيفة الدينوري والطبري، وبذلك جعلت رواية ابن سعد من والي مكَّة ناصحاً مشفقاً على الإمام الحسين عليه السَّلام، في حين أنَّ الأمر مختلف تماماً، حيث كان هذا الوالي يمثل سياسة الأُمويين ونهجهم ضدَّ الثورة الحسينية، ومحاولة إجهاضها في مهدها، فاتخذ كلَّ الأساليب التي يستطيع القيام بها، وحاول جرَّ الإمام لمواجهته، لكنَّه فشل في ذلك وخشي من عواقب الأُمور فأمر جنده بالانسحاب من المواجهة، وأمَّا كتابه فجاء بوساطةٍ وإلحاحٍ من عبد الله بن جعفر وهو ما أشارت إليه رواية الطبري.

أمَّا جواب الإمام الحسين عليه السَّلام هذه المرَّة اختلف اختلافاً جذرياً في الردِّ على هذا النوع من طغاة الأُمويين، فقد أجاب عن كتاب والي مكَّة جواباً يتطلبه الموقف؛ ذلك أنَّ الأخير يمثل السُّلطة الأُمويَّة بكلِّ جبروتها، كون هذا الوالي خاصةً من متعصبي بني أُميَّة، فكان جوابه له ذا شقين، انطلق الإمام عليه السَّلام في الشقِّ الأَوَّل من أخلاقه النبويَّة بحسن الظن بالآخرين وإنْ كان على معرفة تامَّة بسريرتهم وحقيقتهم المنحرفة عن مبادئ الإسلام المحمَّدي، فأجابه «**إنْ كنت أردت بكتابك إليَّ برِّي وصلتي فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة**»[٢]، وهنا ربط عليه السَّلام شكره وجزاه خيراً بصدق نية عمرو

(١) إعلام الورى، ص٢٣٦.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٦.

بن سعيد والتي هي نية أُمويَّة، بل إنَّ عمرو بن سعيد ولَّاه يزيد مكان الوليد بن عتبة والي المدينة؛ لأنَّ الأخير رفض الأخذ بنصيحة مروان بن الحكم بقتل الإمام الحسين عليه السَّلام في المدينة فتمَّ عزله على أثر ذلك وتوليته[1]، ومن البديهي أنْ يكون عمرو هو أشدّ ولاءً وحباً ورغبةً في تنفيذ ما يريده من يزيد بن معاوية.

ولا يستبعد أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام فوَّت الفرصة على والي الأُمويين في مكَّة في تنفيذ أوامر يزيد باغتياله في موسم الحج، وقلب الموازين عليهم، وإلَّا فكيف يُفسَّر خروجه عليه السَّلام قبل إتمام مراسيم الحج؟ وما الذي جعل عمرو بن سعيد الأشدق يفقد صوابه بإرسال الجند بقيادة أخيه يحيى ومحاولة ثنيه عليه السَّلام من الخروج من مكة؟ ثمَّ كتب كتاب أمان له ظناً منه أنَّ دسائس الأُمويين ومكرهم تنطلي على الإمام الحسين عليه السَّلام، ولم تمر الأيام والسنين حتى غدر به بنو أُميَّة وبكتاب أمان من حاكمهم عبد الملك بن مروان شخصياً ثمَّ قتله عام (٧٠هـ) بعد أنْ حلف له بالأيمان المغلظة وأعطاه العهود والمواثيق[2].

وقد جانب الصواب أحد الكتاب المعاصرين حين جعل الذي جرى بين جند عمرو بن سعيد الأشدق والركب الحسيني مواجهة صوريَّة أُريد بها إبعاد الإمام الحسين عليه السَّلام من مكَّة ليسهل القضاء عليه في الصحراء[3]، ونحن نتفق مع القول إنَّ العكس هو الصحيح، فإبعاده عليه السَّلام للصحراء لم يكن مضمون العواقب للأُمويين، ولم تكن السُّلطة العسكريَّة في مكَّة قويَّة بحيث تستطيع مواجهة التحديات التي تواجهها[4].

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٣١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٤٧٢.
(٢) المسعودي، مروج الذهب، ٣/ ١٢٠- ١٢٢.
(٣) ماجد عبد المنعم، التاريخ السياسي، ٢/ ٧٢-٧٣.
(٤) التميمي، ثورة الإمام الحسين، ص٢٢٤.

أمَّا الشقُّ الثاني من جواب الإمام عليه السَّلام فكان جواباً لكلِّ مَن عُرف بموالاته لحكم بني أُميَّة، فقد ظن هؤلاء أنَّ الإمام عليه السَّلام شقَّ عصا الأُمَّة وخالف الجماعة وخرج على الشرعية؛ ولذلك نرى جنود عمرو بن سعيد الذين أغفل ذكرهم ابن سعد في حين ذكرهم غيره هتفوا وهم يجرون أذيال الخيبة والهزيمة ينادونه (يا حسين، ألا تتقي الله! وتخرج من الجماعة، وتفرق بين هذه الأُمَّة؟)[1]، وهؤلاء أجابهم عليه السَّلام في حينها حين تلا قوله تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2]، كلُّ هؤلاء أجابهم عليه السَّلام في جواب عمرو بن سعيد الأشدق بقوله: «**ولم يشاقق مَن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنِّي من المسلمين**».

وهنا أوضح الإمام عليه السَّلام لكلِّ من سار في ركب بني أُميَّة أنَّ مَن ينهض ويدعو إلى الله ويعمل صالحاً وقال إنِّي من المسلمين لم يخرج من الجماعة، بل العكس يدعو إليها وإلى الدين الحقِّ والرجوع إلى السُّنَّة النبويَّة والوقوف ضدَّ الانحراف الذي حلَّ بالأُمَّة، وهو ما صدحت به عقيلة الهاشميين زينب بنت عليٍّ عليهما السَّلام، وهي تخاطب طاغية عصرها يزيد بن معاوية حينما قالت: (إنَّما خرج من الإسلام أنت وأبوك)، ثمَّ انتقل الإمام عليه السَّلام في جوابه إلى الأمان الذي عُرضَ عليه من قبل والي مكَّة فقال: «**وخير الأمان أمان الله، ولم يؤمن بالله من لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أمان الآخرة عنده**»[3]، أوضح عليه السَّلام من خلاله للأُمويين وأعوانهم من جهة، وللأُمَّة من جهة أُخرى أنَّ مَن لم يخش الله في الدنيا لم يؤمن بالله، وأنَّ الأمان هو أمان الله،

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٦٠.
(٢) سورة يونس، الآية: ٤١.
(٣) ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٧.

والخوف من الله في الدنيا يوجب أمان الآخرة، وهو خير من أمان بني أُميَّة ومن أمان الظالمين على مرِّ العصور، وجوابه عليه السَّلام هذا يدحض بعض الروايات التي زعمت أنَّ الإمام عليه السَّلام عرض على أعدائه يوم الطف إرساله ليزيد بن معاوية ليضع يده بيده، فقد رفض الإمام عليه السَّلام في العديد من المواقف أنْ يهادن الأُمويين ويقبل بيعة يزيد، حين قال: «**ومثلي لا يبايع مثله**».

وعلى الرغم من كلِّ الإجراءات التي اتخذوها سواء بمحاولة حبسه أَم قتله أَم ثنيه من القيام بنهضته، فقد استطاع الإمام الحسين عليه السَّلام بقدرته وحكمته وشجاعته لا لأجل الحفاظ على حياته، أو أنَّه مؤمن بالنصر العسكري الظاهري في الكوفة أو غيرها، وإنَّما كان يسعى لتحقيق أهداف نهضته، وتلك الغايات العظيمة التي لا يمكن الوصول إليها إلَّا باستشهاده في الزمان والمكان المُعدَّين لهذا الحدث الجلل من أجل الرجوع بالإسلام إلى وضعه الطبيعي وزرع روح الثورة في الأُمَّة، والخروج بها من سُباتها والقضاء على استخفاف بني أُميَّة بالدين والرعية؛ ولذلك نجد على سبيل المثال لا الحصر أنَّه نأى بنفسه عن القيام بثورته في الحجاز على الرغم من مكانته العظيمة فيهما ومكانة مكَّة والمدينة ودورهما في الإسلام، لكن استقرأ ببصيرته النافذة أوضاع المجتمع المنهارة فيهما وتيقن أنَّ قيامه بنهضته لا تحقق ما يصبوا إليه، لكنْ بعد استشهاده عليه السَّلام سرعان ما نجد مجتمع المدينة ومكَّة يقود أكبر ثورتين ضدَّ الحكم الأُموي، وهو نتيجة طبيعية لما زرعته تلك النهضة من روح التمرد والثورة في المجتمع على الجبروت والطغيان.

المبحث الثالث: منهج الإمام الحسين عليه السَّلام في الردِّ على الناصحين:

أسهب ابن سعد في ذكر أقوال الناصحين للإمام الحسين عليه السَّلام الذين حاولوا إجهاض نهضته والنيل من عزيمته بشكل مباشر أو غير مباشر، ومن المُسلَّم به أنَّ بعض الناصحين كانوا مخلصين للإمام الحسين عليه السَّلام في آرائهم ومشورتهم، لكنَّهم لا يرون ما يراه من مصلحة الأُمَّة وتكليفه الشرعي، وإنَّما نظروا إلى الأمر نظرة عاطفيَّة وأُخرى آنيَّة خالية من كلِّ الأبعاد المستقبليَّة لهذه النهضة التي تبلورت على أثرها جميع الحركات السياسيَّة التي قضت في نهاية المطاف على الحكم الأُموي[١]، والتي كانت حاضرة لدى الإمام الحسين عليه السَّلام، كذلك كان هؤلاء الناصحون - بمختلف نواياهم وأهدافهم - قاصرو النظر عن فلسفة وعلم الإمام عليه السَّلام بمعرفته بنتائج نهضته في إصلاح الأُمَّة وما تؤول إليه الأُمور على المستوى القريب والبعيد، ولكنَّه اتخذ كلَّ الأُمور الموضوعيَّة والطبيعيَّة في الوصول لتحقيق أهدافها، فهو لم يكن بعيداً عن واقع هذه الأُمَّة، بل عايش كلَّ المتغيرات والأحداث التي حصلت فيها، ونظرة عامة لهؤلاء الناصحين نجدهم ركزوا على أَمرين مهمين:

الأمر الأَوَّل: تحذيرهم من أهل الكوفة بشكل خاص وأهل العراق بشكل عام.

الأمر الثاني: والذي تكمن الخطورة فيه هو عدم شرعيَّة خروج الإمام الحسين عليه

(١) نبيلة عبد المنعم، نشأة الشيعة الإمامية، ص٧٦.

السَّلام على السُّلطة الحاكمة، وعدُّوا ذلك خروجاً على إمام زمانه حسب قول بعضهم وشقّ عصا الأُمَّة والجماعة، وهذه هي التي دعت بعض المؤرخين الذين تغافلوا عن الحقيقة أمثال ابن العربي إلى تبرير ما فعله يزيد بقتل الإمام الحسين عليه السَّلام فقال: (وما خرج إليه إلَّا بتأويل، ولا قاتلوه إلَّا بما سمعوا من جدِّه المهيمن على الرسل، المخبر بفساد الحال، المحذر من دخول الفتن)[1]، بل الأكثر من هذا نجد أنَّ ابن خلدون حين انتقد ابن العربي وجد له مخرجاً لذلك وهو الغفلة فقال: (وقد غلط القاضي أبو بكر ابن العربي المالكي في هذا، فقال في كتابه العواصم والقواصم ما معناه: إنَّ الحسين قتل بشرع جدِّه، وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الإمام العادل، ومن أعدل من الحسين في زمانه في إمامته وعدالته في قتال أهل الآراء)[2]، بينما تغافل ابن العربي واتبع هواه فطعن في سُنَّة النبيِّ وأَوَّلها حسب ما يوافق مبتغاه وعداءه للإمام الحسين عليه السَّلام.

وقبل أن نصنف غايات وأهداف هؤلاء الناصحين يتبادر إلى ذهن الباحث سؤالين في إيراد ابن سعد لآراء كلِّ هؤلاء الناصحين الذين يتجاوز عددهم خمسة عشر ناصحاً، هل أراد ابن سعد أنْ يصوِّر مدى تصميم وإصرار الإمام عليه السَّلام على المضي قُدماً في نهضته وإنقاذ الأُمَّة من الضلال والانحراف عن الإسلام الحقيقي برفضه آراء هؤلاء الناصحين؟ أَم أنَّه أراد أنْ يصوِّره برفضه نصح الناصحين قد أخطأ في توقيت نهضته والقيام بها، فكان عليه قبول نصائحهم وآرائهم؟ وهو بذلك يرى عدم أَحقيته بالخروج على خلافة بني أُميَّة والخروج على الجماعة، وقبل الإجابة عن تلك التساؤلات يمكننا أن نبين منهجه في الردِّ على هؤلاء الناصحين إلى:

(١) العواصم والقواصم، ص٢٣٣-٢٣٤.

(٢) تاريخ ابن خلدون، ١/ ٢٧١.

أَوَّلاً: منهج الإمام الحسين عليه السَّلام في الردِّ على ناصحيه الذين لا يجوِّزون الخروج على الحاكم:

وهم الذين لا يجوّزون الخروج على حكم بني أُميَّة والجماعة لعدم إيمانهم بأحقية أهل البيت في إمامة الأُمَّة، ومنهم من هواه مع بني أُميَّة يسايرونهم سواء بالترغيب أَم بالترهيب، وهم حسب رواية ابن سعد عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأبو سعيد الخدري، وأبو واقد الليثي[١]، وسعيد بن المسيب[٢]، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وعمرة بنت عبد الرحمن الأنصاري[٣].

فقد ذكر ابن سعد قول ابن عمر للإمام عليه السَّلام فقال: (ولقيهما - أي الإمام عليه السَّلام وعبد الله بن الزبير-... بالأبواء[٤] منصرفين من العمرة، فقال لهما ابن عمر: الله أُذكركما، إلَّا رجعتما فدخلتما في صالح ما يدخل فيه الناس، وتنظرا، فإن اجتمع الناس لم

(١) هو أبو واقد الليثي اختلف في اسمه فقيل الحارث بن مالك وقيل الحارث بن عوف وقيل عوف بن الحارث بن أسيد بن جابر، أسلم قديماً، وكان يحمل لواء بني ليث وضمرة وسعد بن أبي بكر، بعثه رسول الله إلى بني ليث يحثهم على الخروج معه إلى غزوة تبوك، روى عن رسول الله، توفي عام (٦٨هـ) ودفن بمكة في مقبرة المهاجرين بفخ... ينظر: ابن سعد، الطبقات، ٥/ ١٢٠-١٢١؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ١/ ٢٩٦ و٤/ ١٧٧؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ١/ ٣٤٢؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ٧/ ٣٧٠-٣٧١.

(٢) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب من بني مخزوم، يكنى أبا محمد، من كبار التابعين في المدينة، وثقه البعض، ولد في حكم عمر بن الخطاب توفي عام (٩٣هـ) وقيل(٩٤هـ). ينظر: ابن سعد، الطبقات، ٢/ ٣٢٥-٣٣٠؛ ٧/ ١١٩-١٤٣؛ خليفة بن خياط، الطبقات، ص٢٤٤؛ ابن حبان، معرفة الثقات، ١/ ٤٠٥؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢/ ٣٧٥-٣٧٨؛ المزي، تهذيب الكمال، ١١/ ٦٦-٧٥.

(٣) هي عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة من بني النجار، أُمُّها سالمة بنت حكيم، روى عنها الزهري وعبد الله بن أبي بكر ويحيى بن سعيد الأنصاري، وروت هي عن عائشة وأُمِّ سلمة، كانت عمرة وأخواتها في بيت عائشة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٢/ ٣٣٢-٣٣٣ و١٠/ ٤٤٥؛ الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواية، ٢/ ٥١٤ وتاريخ الإسلام، ٦/ ٤٤٢-٤٤٣؛ ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ٢/ ٦٥٢.

(٤) وهي قرية تقع في الطريق إلى مكة تبعد عن المدينة (٢٣) ميلًا... ينظر: البكري، معجم ما استعجم، ١/ ١٠٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١/ ٧٩.

تشذا، وإن افترق عليه كان الذي تريدان)[١]، ثمَّ روى ابن سعد: (وقال ابن عمر للحسين: لا تخرج فإنَّ رسول الله صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم خيره الله بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة، وإنَّك بضعة منه ولا تنالها -يعني الدنيا- فاعتنقه وبكى وودعه، فكان ابن عمر يقول: غلبنا حسين بن عليٍّ بالخروج، ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة، ورأى من الفتنة وخذلان الناس لهم ما كان ينبغي له أنْ لا يتحرك ما عاش، وأنْ يدخل في صالح ما دخل فيه الناس فإنَّ الجماعة خير)[٢].

واستمر ابن سعد في ذكر الناصحين فقال: (وقال أبو سعيد الخدري: غلبني الحسين على الخروج، وقد قلت له: اتقِ الله في نفسك والزم بيتك فلا تخرج على إمامك)[٣]، وذكر ابن سعد نصاً آخر لأبي سعيد الخدري بقوله: (فجاءه أبو سعيد الخدري فقال: يا أبا عبد الله، إنِّي لكم ناصح وإنِّي عليكم مشفق، وقد بلغني أنَّه كاتبك قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك إلى الخروج إليهم، فلا تخرج فإنِّي سمعت أباك رحمه الله يقول بالكوفة: والله لقد مللتهم وأبغضتهم، وملوني وأبغضوني وما بلوت منهم وفاءً، ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخيب، والله ما لهم نيات، ولا صبر على السيف)[٤].

ثمَّ ذكر ابن سعد (وقال أبو واقد الليثي: بلغني خروج الحسين فأدركته بملل[٥]، فناشدته الله أن لا يخرج، فإنَّه يخرج في غير وجه خروج، إنَّما يقتل نفسه، فقال: لا أرجع)[٦]، وهكذا استمر ابن سعد في ذكر الناصحين فقال: (وقال جابر

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٥.
(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٥.
(٣) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٥.
(٤) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٢.
(٥) وهو موضع بين مكَّة والمدينة يبعد عن المدينة (٢٨) ميلًا... ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/ ١٩٤.
(٦) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٥.

بـن عبـد الله: كلَّمـت حسـيناً فقلـت: اتـقِ الله ولا تـضرب النـاس بعضهـم ببعض، فو الله مـا حُمدتـم ما صنعتـم فعصـاني)[١]، ثمَّ نقل قول سـعيد بن المسـيب: (لو أنَّ حسـيناً لم يخـرج لـكان خيراً لـه)[٢].

ولم يغفل ابن سعد دور النساء في ذلك فقال: (وكتبت إليه عمرةُ بنت عبد الرحمن، تعظم عليه ما يريد أن يصنع، وتأمره بالطاعة ولزوم الجماعة، وتخبره إنَّما يساق إلى مصرعه وتقول: أشهد لحدثتني عائشة أنَّها سمعت رسول الله صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم يقول: يقتل حسين بأرض بابل، فلمَّا قرأ كتابها قال: فلا بُدَّ لي إذاً من مصرعي ومضى)[٣].

وعلى الرغم من أنَّنا غير مطمئنين على توثيق كلِّ الروايات المتقدِّمة الذكر كون أنَّ ابن سعد اتبع منهج الإسناد الجمعي في هذه الروايات، الذي ألزم نفسه به في مقتل الحسين عليه السَّلام، وإنْ خرج في بعضها إلَّا أنَّه لم يخرج في هذه الجزئيَّة، وانفراد ابن سعد في بعضها يجعل مهمَّة توثيقها بالغة الصعوبة من دون علم رواتها، فمن غير المعقول أن نتقبل قول جابر بن عبد الله الأنصاري للإمام الحسين عليه السَّلام: (اتقِ الله ولا تضرب الناس بعضهم ببعض، فو الله ما حُمدتم ما صنعتم فعصاني)[٤]، هذا الصحابي المعروف بمواقفه المشرِّفة تجاه أهل البيت وله عندهم مكانة خاصة[٥]، إنَّنا نستبعد أنْ يكون جابر بن عبد الله كلَّمه بهذا الشكل، فلا يمكن قبول قوله للإمام الحسين عليه السَّلام: اتقِ الله ولا تضرب الناس بعضهم ببعض؛ لأنَّه أعرف من غيره بحقِّ آل البيت وبتكليفهم

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٥.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٥.

(٣) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٦.

(٤) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٥.

(٥) ينظر، الخزرجي، جابر الأنصاري، ص١٨٩-١٩٩.

الشرعي، وابن سعد نفسه يشير في ترجمته لعليِّ بن الحسين السجاد عليهما السَّلام للقاء جابر بن عبد الله بالإمام الباقر عليه السَّلام في إشارة ضمنيَّة لوصيَّة الرسول صلَّى الله عليه وآله لجابر بأنَّه سوف يدرك الإمام الباقر عليه السَّلام(١)، كذلك نحن نتفق مع رأي أحد الباحثين الذي رفض اتهام الصحابي أبي سعيد الخدري بقوله للإمام الحسين عليه السَّلام لا تخرج على إمامك وعدها افتراءً عليه(٢).

أمَّا سعيد بن المسيب الذي وصف سني يزيد بالشؤم(٣)، وعلى الرغم من هذا الكلام الذي يبدو أنَّه قيل بعد وفاة يزيد، توقف السيد الخوئي في أمره بسبب روايات القدح والمدح(٤).

وعلى الرغم من أنَّ الذهبي معروف بعدائه لآل البيت وشيعتهم نجده يختصر قول جابر بن عبد الله وأبي واقد الليثي بالقول: (وكلَّمه جابر، وأبو واقد الليثي)(٥) من دون أنْ يفصح عن ذلك الكلام، في حين ذكر قول ابن المسيب وقول عمرة بنت عبد الرحمن وكأنَّ الذهبي غير مطمئن لقول جابر وأبي واقد الليثي للإمام عليه السَّلام.

وأحجم السيوطي كذلك عن تفصيل كلام هؤلاء الثلاثة كلِّهم فقال: (وكلَّمه في ذلك أيضاً جابر بن عبد الله وأبو سعيد الخدري وأبو واقد الليثي)(٦) من دون ذكر كلامهم، في حين ذكر كلام ابن عباس وابن عمر، لكنَّ ابن سعد لمَّا ترجم لسعيد بن المسيب ذكر

(١) الطبقات الكبير، ٧/ ٢١٩.

(٢) النقوي، خلاصة عقبات الأنوار، ص٢٤٤.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٧٧.

(٤) معجم رجال الحديث، ٩/ ١٤٠.

(٥) سير أعلام النبلاء، ٣/ ٢٩٦.

(٦) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٠٣.

معاناته زمن عبد الملك بن مروان وكيف أنَّه جُلد وطيف به وأُدخل السجن وأثنى عليه بقوله: إنَّه من أهل الجماعة والسُّنَّة وأنَّه ممَّن لا تخاف غوائله(١)، في إشارة ضمنيَّة لموالاته للحكم الأُمويِّ على الرغم من مواقفهم السلبيَّة معه، كذلك روى ابن سعد في ترجمته للإمام زين العابدين عليه السَّلام أنَّ سعيد بن المسيب رفض أنْ يشهد الصلاة على جنازة عليِّ بن الحسين عليه السَّلام والتي تهافت الناس على حضورها(٢).

والظاهر أنَّ هناك شكوكاً في قبول قول أبي سعيد الخدري وسعيد بن المسيب وأبي واقد الليثي، إلَّا أنَّنا لا يمكننا نفي قول عبد الله بن عمر بن الخطاب وقول عمرة بنت عبد الرحمن التي كانت ملازمة لعائشة والتي يصفها ابن سعد نفسه بأنَّها عالمة(٣)، ونحن نتفق مع رأي أحد الباحثين الذي يرى أنَّ كتابها المتقدم الذكر كُتب بإيعاز من السُّلطة الأُمويَّة(٤)، معللًا ذلك بلغة الكتاب التي تأمر الإمام بالطاعة ولزوم الجماعة وهي لغة دولة بني أُميَّة ورجالاتها، فضلاً عن ذلك أورد بعض المؤرخين أنَّ يزيد بن معاوية كتب إلى عبد الله بن العباس كتاباً يخبره بخروج الحسين إلى مكَّة، وأنَّ هناك من يمنِّيه بالحكم على حدِّ زعمه، طالباً من ابن عباس التدخل وكفَّه عن مبتغاه وضمَّن ذلك أبياتاً من الشعر تتضمن ترغيباً وترهيباً، فردَّ عليه عبد الله بن العباس بأنَّه سوف لن يدع النصيحة في ذلك راجياً أنْ يكون خروج الإمام لأمر لا يكرهه يزيد(٥).

وكتاب يزيد المتقدِّم الذكر يعضد الرأي القائل إنَّ عمرة كتبت كتابها بإيعاز من

(١) الطبقات الكبير، ٧/ ١٢٦-١٢٧.

(٢) الطبقات الكبير، ٧/ ٢١٩.

(٣) الطبقات الكبير، ١٠/ ٤٤٥

(٤) الجلالي، الإمام الحسين، ص٢٠٢.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦ / ٤٢٧.

الأُمويين، حيث إنَّهم كتبوا لغيرها كما ذكرنا، لكنْ لماذا جند الأُمويون كلَّ قدراتهم لمنع الإمام عليه السَّلام من التوجه نحو العراق؟ هل أرادوا أنْ يغتالوا الإمام عليه السَّلام داخل الحرم أو يكيدوا له؟ وهو ما أشار إليه الطبرسي بقوله: (لم يتمكن من إتمام الحج مخافة أنْ يقبض عليه بمكَّة فينفذ إلى يزيد بن معاوية)[١]، وممَّا تخوَّف منه عليه السَّلام محاولة الأُمويين جرَّه للقتال في مكَّة، فقال لابن الزبير: (إنَّ أبي حدثني أنَّ بها كبشاً يستحل حرمتها، فما أحبّ أنْ أكون ذلك الكبش)[٢]، وفي رواية أُخرى أنَّه قال: (والله لأنْ أُقتل خارجاً منها - يقصد مكَّة- بشبر أحبُّ إليَّ أنْ أُقتل داخلاً منها بشبرٍ)[٣]، أَم أنَّ الأُمويين كانوا يخشون خروج الإمام عليه السَّلام إلى الكوفة والاتصال بأنصاره وشيعته والذي سوف نتطرق له في موضعه.

ولم يشر ابن سعد لجواب الإمام الحسين عليه السَّلام على هؤلاء الناصحين ما عدا في موضعين، أوَّلهما جواباً مختصراً لأبي واقد الليثي بقوله عليه السَّلام: (لا أرجع)[٤]، والثاني جوابه على كتاب عمرة بنت عبد الرحمن (فلا بُدَّ لي إذاً من مصرعي)[٥].

ويمكننا القول إنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام تغافل عن جواب هؤلاء الناصحين أو أجابهم إجابة مختصرة، لمعرفته المسبقة بنواياهم، فعبد الله بن عمر بن الخطاب تخاذل عن بيعة ونصرة الإمام عليٍّ عليه السَّلام حين بويع بالحكم، فوصفه بسوء الخلق صغيراً وكبيراً[٦]؛ ولذلك نجده تجاهل الردَّ عليه، ويرى أحد الباحثين أنَّه لم يجب أبا سعيد

(١) إعلام الورى، ص٢٣٥.
(٢) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٥٩.
(٣) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٥٩.
(٤) ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٥.
(٥) ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٦.
(٦) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٤/ ٣٠٤.

الخدري، إمَّا لكبر سنِّه أو تعجباً منه لعدم تعمقه في الأُمور وعدم تفكيره في ما أصاب الإسلام وما يهدده من أخطار[1]، فيما كان ردُّه حاسمًا لأبي واقد الليثي بعدم الرجوع من دون الخوض معه في أيِّ كلام آخر، أمَّا كتاب عمرة وما ذكرته فيه ولمعرفته بهواها وميولها لبني أُميَّة ألزمها بحديثها عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله إنْ صدق قولها فلا بُدَّ أنْ يؤول إليه مصيره.

ثانياً: منهج الإمام الحسين عليه السَّلام في الردِّ على المتخوفين والمشفقين عليه:

وأمَّا المشفقون والمتخوفون على الإمام عليه السَّلام من أنْ يصيبه مكروه في خروجه هذا، وهم اللذين ركزت نصائحهم على عدم ثقتهم بأهل الكوفة، وأنَّهم قوم قتلوا أباه وغدروا بأخيه، وهكذا نجد أغلبهم يتوقعون بأنَّه عليه السَّلام سوف يسير إلى أهل الكوفة منذ الوهلة الأُولى بعد موت معاوية، لكنَّ هؤلاء لم يصفوا شيئاً إلَّا وهو يعلمه ويعيه أفضل منهم، فهم يصفون له أهل الكوفة الذين خبرهم وعرفهم، فهو عاصر جميع الأحداث بدءاً من حرب الجمل وصفين والنهروان واستشهاد الإمام عليٍّ عليه السَّلام وكلَّ الأحداث التي جرت بعدها في الكوفة.

ويبدو وصفهم الكوفة بهذه الأوصاف كان مبرراً للبعض منهم لكي لا يلتحقوا بنصرته على الرغم من أنَّ البعض منهم قد شهدت له الحروب ببطولاته لكنَّه لم يوفق في الالتحاق بالركب الحسيني أمثال عبد الله بن مطيع[2] وغيره، ويمكن تصنيفهم على

---

(١) الجلالي، الإمام الحسين عليه السَّلام سيرته وسماته، ١٢٩-١٣٠.

(٢) هو عبد الله بن مطيع بن الأسود، ولد في حياة الرسول صلىَّ الله عليه وآله، وكان أحد قادة أهل المدينة يوم الحرة، بايع عبد الله بن الزبير وولَّاه الكوفة فأخرجه المختار الثقفي منها، قاتل الأُمويين مع ابن الزبير في حصار الحجاج بن يوسف لمكة وقتل معه عام (٧٣هـ).. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٧/ ١٤٣-١٤٨؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ٣/ ٣٩٠-٣٩١؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٧/ ٣٣٢/ ٣٣٣.

النحو الآتي:

١- الناصحون له في طريقه إلى مكَّة وقبل خروجه منها:

وقد ذكر ابن سعد هؤلاء ونصائحهم للإمام عليه السَّلام فقال: (وقال له عبد الله بن مطيع: إي فداك أبي وأُمِّي متعنا بنفسك ولا تسر إلى العراق، فوالله لئن قتلك هؤلاء القوم ليتخذنا خولاً وعبيداً)[١]، جاءت رواية ابن سعد المتقدِّمة الذكر مختصرة، وهو يوردها من دون ذكرٍ لسندها، لكنَّه حين ترجم لعبد الله بن مطيع ترجمة واسعة لأكثر من ست صفحات ذكر موقفه من الإمام الحسين عليه السَّلام بروايتين بسنده عن الواقدي من طريقين مختلفين، فقال في الأُولى: (لمَّا خرج حسين بن عليٍّ من المدينة يريد مكَّة مرَّ بابن مطيع وهو يحفر بئره، فقال له: أين فداك أبي وأُمِّي؟ قال: أردت الكوفة، وذكر له أنَّه كتب إليه شيعته بها فقال له ابن مطيع: أَنَّى فداك أبي وأُمِّي، متعنا بنفسك ولا تسر إليهم، فأبى حسين، فقال له ابن مطيع: إنَّ بئري هذه قد رشحتها وهذا اليوم أوان ما خرج إلينا في الدلو شيء من ماء، فلو دعوت الله لنا فيها بالبركة، قال: هات من مائها، فأتى من مائها في الدلو فشرب منه ثمَّ مضمض ثمَّ ردَّه في البئر فأعذب وأمهى)[٢].

وبسنده عن الواقدي كذلك قال: (مرَّ حسين بن عليٍّ وهو ببئره قد أنبطها، فنزل حسين عن راحلته فاحتمله ابن مطيع احتمالاً حتى وضعه على سريره، ثمَّ قال: بأبي وأُمِّي أمسك علينا نفسك، فو الله لئن قتلوك ليتخذنا هؤلاء القوم عبيداً)[٣]، وموقف عبد الله بن مطيع مشهور لدى أغلب المصادر التاريخيَّة مع بعض الاختلافات التي لا تغير من المضمون

(١) ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٧.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبير، ٧/ ١٤٤.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبير، ٧/ ١٤٤-١٤٥.

شيئاً، فذكر الطبري روايته بسنده عن أبي مخنف فقال: (جعلت فداك! أين تريد؟ قال: أمَّا الآن فإنِّي أُريد مكة، وأمَّا بعدها فإنِّي أستخير الله، قال: خار الله لك، وجعلنا فداك؛ فإذا أنت أتيت مكَّة فإياك أنْ تقرب الكوفة، فإنَّها بلدة مشؤومة، بها قُتل أُبوك، وخُذل أَخوك، واغتيل بطعنةٍ كادت تأتي على نفسه؛ الزم الحرم، فإنَّك سيد العرب، لا يعدل بك والله أهل الحجاز أحداً، ويتداعى إليك الناس من كلِّ جانب؛ لا تفارق الحرم فِداك عمِّي وخالي، فو الله لئن هلكت لنسترقنَّ بعدك)[١].

من خلال قراءتنا لروايات موقف عبد الله بن مطيع المتقدِّمة الذكر:

١- تتضح مكانته عليه السَّلام عند ابن مطيع وذلك من خلال كيفيَّة استقباله وكلماته التي تنمُّ عن تعظيمه للإمام عليه السَّلام، وفي رواية ابن سعد أنَّه حمل الإمام وأجلسه على سريره، وقطعاً ابن مطيع من هذا الصنف من الناصحين الذين يختلف عن الصنف الأوَّل الذي ذكرناه، فهذا الرجل لا يؤمن بحكم بني أُميَّة ولا يُعَدُّ الإمام عليه السَّلام في نظره قد شقَّ عصا الطاعة وخالف الجماعة، وله تاريخ حافل في قتاله للأُمويين، فقد أَمَّرته قريش يوم الحرَّة عليها عام (٦٣هـ)، وقاتل ببسالة منقطعة النظير جيش يزيد بن معاوية[٢]، وعلى الرغم من خسارتهم تلك الوقعة الرهيبة نجا ابن مطيع منها والتحق بابن الزبير وبقي يقارع الحكم الأُموي حتى قتل على أيديهم وهو تحت راية ابن الزبير[٣].

ومن المستغرب أنَّه خفي على ابن مطيع وأمثاله نصرة الإمام الحسين عليه السَّلام وهو بهذه الحنكة والشجاعة، فليس بالأمر الهين أن يتنبأ عبد الله بن مطيع بمصير الأُمَّة

(١) تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٣٦؛ ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٣٦٨؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٢٨-٢٢٩؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٢٢-٢٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٤٧٤.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٢٣٧.

(٣) البخاري، التاريخ الكبير، ٥/ ١٩٩.

بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام فقال: (فو الله لئن قتلك هؤلاء القوم ليتخذنا خولاً وعبيداً)[١]، وفعلًا تحقق ما تنبأ به بأن اشترط مسلم بن عقبة قائد جيش يزيد الذي استباح مدينة الرسول صلَّى الله عليه وآله للجند أنْ يبايعوا أهلها على أنَّهم عبيد وخول ليزيد أو تقطع رؤوسهم[٢]، وقد قُتل من أهل المدينة الكثير من أبناء الأنصار والصحابة الذين كان بإمكانهم النهوض مع الإمام عليه السَّلام في مواجهة طغيان بني أُميَّة، وقد خصص خليفة بن خياط على الرغم من منهجه في الاختصار عشر صفحات تحت عنوان تسمية مَن قُتل يوم الحرة[٣]، وهكذا نجد كيف أنَّ تخاذل الأُمَّة عن نصرته عليه السَّلام كانت عاقبتها كما وصفها ابن مطيع عبيداً وخولاً ليزيد وبني أُميَّة.

٢- على الرغم من أنَّ أغلب المصادر التاريخيَّة ذكرت موقف ابن مطيع من الإمام الحسين عليه السَّلام إلَّا أنَّنا نجد أنَّ هناك اختلافاً بين رواية ابن سعد والروايات التي ذكرها البلاذري وأبو حنيفة الدينوري والطبري وابن أعثم الكوفي ومن اعتمد عليهم مثل ابن الأثير وغيره في أمرين:

الأمر الأوَّل: إنَّ ابن سعد ذكر أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام أجاب ابن مطيع لما سأله أين تذهب، قال له، الكوفة، وأنَّه كتبت إليه شيعته بالقدوم عليها، في حين ذكر هؤلاء المؤرخون أنَّه قال عليه السَّلام: أمَّا الآن فمكَّة، وبعدها فإنِّي أستخير الله في ذلك.

ورواية ابن سعد بهذا الشأن تفتقر إلى الدقَّة في ذلك، فمن المشهور أنَّ رسل أهل الكوفة قد وردت بعد وفاة معاوية عندما سمعوا برفضه البيعة وخروجه نحو مكَّة وليس

(١) ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٧.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص٢٣٧؛ المسعودي، مروج الذهب، ٣/ ٨٥؛ مسكويه، تجارب الأُمم، ٢/ ٨٩، الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥/ ٢٩.

(٣) تاريخ خليفة، ص٢٤٠-٢٥٠.

في المدينة، فضلاً عن ذلك أنَّه عليه السَّلام كان يتّبع السريَّة التامَّة في تحركاته وكلامه عن أنصاره وشيعته، خوفاً عليهم من عيون وبطش عمال بني أُميَّة الذين يتربصون بهم؛ ولذلك فإنَّه عليه السَّلام لم يفصح عن وجهته بشكل مباشر إلَّا بعد أن استقر لأكثر من أربعة أشهر في مكَّة، ونحن نتكلّم عن يوم أو يومين أو ثلاثة على فرضيَّة مسيرته بعد وفاة معاوية من المدينة إلى مكَّة ومروره بأرض زراعيَّة لعبد الله بن مطيع، وفي حين جاء كلام ابن مطيع حسب رواية ابن سعد تعقيباً على قوله عليه السَّلام إنَّه متجه إلى الكوفة، بينما كان كلام ابن مطيع وكأنَّه توقع منه بخروجه بعد مكَّة إلى الكوفة فقال: (فإذا أنت أتيت مكَّة فإياك أن تقرب الكوفة)[١]، وهذا الأمر ينساق على أغلب الناصحين في التخوِّف من موقف أهل الكوفة.

ويبدو أنَّ رواية أبي مخنف التي اعتمدها أغلب هؤلاء المؤرخين هي أدقُّ من رواية الواقدي التي اعتمدها ابن سعد، وفي حين لم تغفل رواية ابن سعد جوابه عليه السَّلام لابن مطيع بأنَّه أبى نصيحته بعدم الخروج من مكَّة إلى الكوفة، وهي في الواقع سابقة لأوانها ولا يمكن القبول بها، لكنَّ البلاذري الذي ذكر رواية لا تختلف من حيث المضمون مع ما ذكره أبو حنيفة الدينوري والطبري وابن أعثم الكوفي ذكر رواية أُخرى شكك فيها وكأنَّه لم يطمئن لها، جاء فيها: (ويقال إنَّه كان لقيه على ماء في طريقه حين توجه إلى الكوفة من مكَّة، فقال له: إنِّي أرى أنْ ترجع إلى الحرم فتلزمه، ولا تأتي الكوفة)[٢]، هذه الرواية ذكرها أبو حنيفة الدينوري بشيء من التفصيل وحدد موضع التقائه به في بطن الرمة[٣]، ثمَّ ذكر جوابه عليه السَّلام: (فقال الحسين عليه السَّلام: «**لن يصيبنا إلاَّ ما كتب**

---

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٣٦

(٢) أنساب الأشراف، ٣/ ٣٦٨.

(٣) الأخبار الطوال، ص٢٤٦؛ ينظر كذلك ابن الصباغ، الفصول المهمة، ص٢٨٣.

الله لنا»، ثمَّ ودّعه ومضى)[١].

وكذلك انفرد الخوارزمي برواية أُخرى تظهر أنَّ نصيحة ابن مطيع كانت عند خروج الإمام عليه السَّلام من مكَّة، لكن ممَّا يؤخذ عليها قول ابن مطيع للحسين عليه السَّلام وهو يحذره من أهل الكوفة أنَّهم قتلوا ابن عمِّك يقصد مسلم بن عقيل[٢]، في حين أنَّ من المُسلَّم به أنَّ الحسين عليه السَّلام علم بمقتل مسلم في طريقه إلى العراق، وقد أشرنا إلى ذلك في موضعه.

ويبدو ممَّا تقدم أنَّ عبد الله بن مطيع التقى بالإمام الحسين عليه السَّلام مرتين، الأُولى حين خروجه من المدينة، والثانية حين خروجه من مكَّة.

وربما أنَّ هذا الاختلاف في رواية ابن سعد وهو قول الإمام الحسين عليه السَّلام أردت الكوفة سببه التصحيف والنقل، فقد ذكر ابن عساكر تلك الرواية بسنده عن ابن سعد، لكنَّه ذكر قوله عليه السَّلام أنَّه أراد مكة، وأشار البعض بوجود بياض (أي فراغ) بعد كلمة مكَّة[٣]، وهو يعني اختفاء بعض الكلمات، علاوة على ذلك نقل ابن النديم الرواية نفسها نقلاً عن ابن سعد ولم يقل الكوفة وإنَّما قال مكَّة[٤]، وهكذا نجد أنَّ هذه الجزئيَّة من رواية ابن سعد لا يمكن الأخذ بها لوجود تصحيف فيها.

الأمر الثاني: ذكر ابن سعد في روايته عن موقف عبد الله بن مطيع كرامة من كرامات أبي عبد الله الحسين عليه السَّلام، وهو ما لم يذكره بعض المؤرخين في رواياتهم المتقدِّمة

(١) الأخبار الطوال، ص٢٤٦.

(٢) ينظر: مقتل الحسين، ص٣١١.

(٣) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١٨٢.

(٤) تاريخ حلب، ٦/ ٢٥٩٢؛ كذلك ينظر هامش المحقق لكتاب الطبقات الكبير، فإنَّه ذكر أنَّه ورد في أحد الأُصول أردت مكَّة، وكذلك أشار إلى سقوط بعض الكلمات من الأصل.

الذكر، وهي كيفيَّة انبثاق الماء من بئر عبد الله بن مطيع ببركة الإمام الحسين عليه السَّلام وإغفال هذه الكرامة، هو مأخذ عليهم، فلم يكن هذا الأمر اعتباطياً وإنَّما هو كرامة من الله لأحد أوليائه، ويُحسب لابن سعد في عدم إغفال وضياع تلك الكرامة مع ما ضاع من مناقب أهل البيت عليهم السَّلام بسبب التعصّب الأعمى لدى بعض المؤرخين من أعداء آل البيت.

وأشار ابن سعد لثلاث شخصيات أُخرى من الناصحين يظهر أنَّ الأَوَّل كتب له كتاباً، فيما أنَّ الثاني قد أبدى رأيه من دون أنْ يلتقي به أو يكتب له، في حين أنَّ الثالث قد التقى بالإمام عليه السَّلام شخصياً، وهم المسور بن مخرمة[١]، وأبو سلمة بن عبد الرحمن[٢]، وأبو بكر بن عبد الرحمن[٣]، فذكر ابن سعد قول المسور بن مخرمة فقال: (عَجِلَ أبو عبد الله، وابن الزبير الآن يلفته ويزجيه إلى العراق ليخلوا بمكَّة)[٤]، ثمَّ ذكر رواية أُخرى جاء فيها: (وكتب إليه المسور بن مخرمة: إياك أنْ تغتر بكتب أهل العراق، ويقول لك

(١) المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب، ويكنى أبا عبد الرحمن، توفي رسول الله صلىَّ الله عليه وآله وعمره ثماني سنوات، وهو ابن أُخت عبد الرحمن بن عوف، بعثه عثمان بن عفان إلى معاوية يستنصره على قتال الثوار فلم ينصره وتخاذل عنه، قاتل الأُمويين إلى جنب عبد الله بن الزبير في الحصار الأَوَّل ورميت الكعبة بالمنجنيق فأصابه حجر ومات على أثره عام (٦٤هـ). ينظر: ابن قتيبة، المعارف، ص٤٢٨؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٥٨/ ١٦١-١٧٨؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ٦/ ٩٥.

(٢) أبو سلمة عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف، عدَّه من عبَّاد قريش وفقهائهم، كان قاضياً على المدينة زمن معاوية بن أبي سفيان، شكك في فقهه سعيد بن المسيب فقال: كان فقهه وهو صغير أفضل منه وهو كبير، اختلف في وفاته فمنهم من ذكر أنَّه توفي عام (١٠٤هـ)، وقيل: إنَّه توفي سنة (٩٤هـ) في حكم الوليد بن عبد الملك. ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص١٠٦؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٢٩/ ٢٩٠-٣١٠.

(٣) هو أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة من بني مخزوم، ولد في زمن عمر بن الخطاب، يقال: إنَّه كان يسمَّى راهب قريش لكثرة صلاته وفضله، خرج مع طلحة وعائشة يوم الجمل فاستُصغر ورُدَّ ولم يشترك فيها، مدني تابعي ثقة كان فقيهاً كثير الحديث عالماً عاقلاً عالياً سخياً... ينظر: العجلي، معرفة الثقات، ٢/ ٣٨٩؛ ابن حبان، الثقات، ٥/ ٥٦٠؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/ ٦٣.

(٤) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٤.

ابن الزبير: الحق بهم فإنَّهم ناصروك، إياك أنْ تبرح الحرم، فإنَّهم إنْ كانت لهم بك حاجة فسيضربون آباط الإبل حتى يوافوك، فتخرج في قوّة وعدّة، فجزاه خيراً وقال: أستخير الله في ذلك)[١]، في حين أورد قول أبي سلمة بن عبد الرحمن فقال: (قد كان ينبغي لحسين أنْ يعرف أهل العراق ولا يخرج إليهم، ولكنْ شجعه على ذلك ابن الزبير)[٢]، وتطرَّق ابن سعد إلى ناصحٍ آخر فقال: (وأتاه أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فقال: يا بن عم، إنَّ الرحم تظأرني عليك، وما أدري كيف أنا عندك في النصيحة لك؟ قال: يا أبا بكر ما أنت ممَّن يُستغش ولا يُتهم، فقل، فقال: قد رأيتَ ما صنع أهل العراق بأبيك وأخيك وأنت تريد أن تسير إليهم وهم عبيد الدنيا، فيقاتلك مَن قد وعدك أن ينصرك، ويخذلك من أنت أحبُّ إليه ممَّن ينصره، فأذكرك الله في نفسك، فقال: جزآك الله يا بن عم خيراً، فلقد اجتهدت رأيك، ومهما يقضِ الله من أمر يكن، فقال أبو بكر، إنَّا لله، عند الله نحتسب أبا عبد الله)[٣].

هذه الرواية أوردها الطبري وهي لا تختلف من حيث المضمون مع رواية ابن سعد، إلَّا أنَّها كانت أكثر تفصيلاً، إلَّا أنَّه ذكر أنَّ اسمه عمر بن عبد الرحمن ولم يذكر كنيته (أبو بكر)، وأضاف الطبري قول الحسين عليه السَّلام، بعد أن جزاه خيراً: (فقد والله علمت أنَّك مشيت بنصح، وتكلَّمت بعقل، ومهما يقضِ من أمرٍ يكن، فأنت عندي أحمد مشيرٍ، وأنصح ناصحٍ)[٤]، ثمَّ ذكر الطبري ما قيل في تلك النصيحة: (أمَا وربِّ البنية إنَّ الرأي

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٦.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٥.

(٣) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٦.

(٤) تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٥٧- ٢٥٨؛ ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ٣ / ٧٠-٧١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٤٩٠.

لَمَا رأيته، قَبله أو تركَه...)[١].

ومن خلال قراءتنا لنصائح هؤلاء الثلاثة نرى الآتي:

١- إنَّ أبا بكر بن عبد الرحمن قبل أن يبدي نصيحته سأل الإمام عليه السَّلام مستفسراً عن رأيه به، وهو بهذا كان مؤدباً في طرحه ونصيحته، ويستشف كذلك من هذه الرواية أنَّ هناك من لم يكن صادقاً في رأيه ونصحه؛ وذلك لقوله عليه السَّلام: «**يا أبا بكر ما أنت ممَّن يُستغش ولا يُتهُم**»، وهذا يعني أنَّ هناك بعض الناصحين من يُستغش ويُتهم في أمره، الأمر الآخر أنَّه عليه السَّلام أثنى عليه وخصه بالقول: «**جزآك الله يا بن عم خيراً، فلقد اجتهدت رأيك، ومهما يقضِ الله من أمر يكن**»، وهكذا نجده عليه السَّلام استعمل منهجاً جديداً مع هذا الناصح، ففضلاً عن أنَّه يسأل الله أنْ يجزيه خيراً، أخبره أنَّه اجتهد في رأيه ونصح له، فهو يعلم أنَّ هذا الناصح المشفق عرف أُموراً وغابت عنه أُمورٌ كثيرة يجهلها، وأنَّ غاية ما يقلقه هو سلامته والحفاظ على حياته، في حين هو العكس تماماً، لم يكن عند الإمام عليه السَّلام شيء أهون من التضحية بحياته في سبيل الله وإصلاح الأُمَّة، وإنَّما جُلُّ اهتمامه أنْ يختار المكان والزمان المناسبين للنهوض بواقع الأُمَّة والرجوع بها إلى الإسلام الحقيقي الذي أفرغه الأُمويون من محتواه؛ ولذلك نجده يقول كلمته المدوية: «**لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنَّما خرجت لطلب الإصلاح والنجاح في أُمَّة جدِّي محمَّد صلَّى الله عليه وآله، أُريد أنْ آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر**»[٢].

٢- أمَّا المسور بن مخرمة وأبو سلمة بن عبد الرحمن فقد أدخلا عاملاً آخر غير رُسل

(١) أورد الطبري قول الحارث بن خالد بن العاص بن هشام حين سأل أبا بكر عن لقياه الحسين عليه السَّلام وكيف كان كلامه معه، فقال له خالد: نصحته وربِّ المروة الشهباء أمَّا وربِّ البنية.... ينظر: تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٥٨.

(٢) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ١٩.

أهل الكوفة، بل جعلا من عبد الله بن الزبير سبباً لخروجه من مكَّة إلى الكوفة، ومن الغريب أنْ يتصورا أنَّهما أكثر دراية وعلماً منه بأوضاع الأُمَّة ومعرفةً بشخصياتها، والمسور بن مخرمة الذي نصح الإمام الحسين عليه السَّلام بالبقاء داخل الحرم بقي تحت راية آل الزبير فقتله الأُمويون داخل الحرم، لكنَّ هاتين الشخصيتين كان توقعهما في محلِّه في جزئيَّة أنَّ ابن الزبير لا تقوم له قائمة ما دام الإمام الحسين عليه السَّلام في مكَّة، فهما يعلمان علم اليقين أنَّه لا يعدله الناس بالحسين عليه السَّلام ولا يقيمون له وزناً وشأناً، وأمَّا قولهم إنَّه عليه السَّلام سوف يدفعه ابن الزبير بالخروج نحو الكوفة، ربما جاء بسبب موقف ابن الزبير في تحريضه للإمام عليه السَّلام بالخروج من مكَّة، ولعلَّهما يريدان الطعن في ابن الزبير، لكنَّ قراره عليه السَّلام بالتوجه إلى الكوفة كان ضمن معطيات وأهداف غابت عن عقول كلِّ من عاصره عليه السَّلام، اللهم إلَّا تلك الثلة القليلة التي حباها الله بنصرته والوقوف معه والاستشهاد بين يديه؛ ولذلك نجد أنَّ بعض الناصحين أخلصوا في نصائحهم، ودليلنا على ذلك هو أقواله عليه السَّلام بحقِّهم، فشكر بعضهم وجزى البعض منهم خيراً وكتب للبعض منهم جواباً على كتبهم.

٢- منهجه عليه السَّلام في دحض الموقف التبريري للناصحين من بني هاشم:

لم يكتفِ ابن سعد بما أورده من الناصحين من قريش وغيرهم، فذكر كذلك ثلاثة آخرين تجمعهم صلة الرحم والقرابة القريبة من الإمام الحسين عليه السَّلام وهم في غنى عن التعريف، وأَوَّلهم أخوه من أبيه محمَّد بن عليٍّ المعروف بابن الحنفيَّة، والثاني هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ابن عمِّه عليه السَّلام وزوج أُخته عقيلة الطالبين زينب بنت عليٍّ (عليهما السَّلام)، والثالث هو عبد الله بن العباس، ومن المستغرب أنَّ هؤلاء لم يشتركوا ولم يخرجوا معه عليه السَّلام، وإذا استثنينا أولاد عبد الله بن جعفر فلم تشرِ

المصادر التاريخيَّة لأيٍّ من أبنائهم شارك في النهضة الحسينيَّة، ويمكننا أن نقرأ مواقفهم من خلال روايات ابن سعد وغيره من المؤرخين:

فقد أورد ابن سعد موقف عبد الله بن جعفر من الإمام الحسين عليه السَّلام بقوله: (وكتب عبد الله بن جعفر بن أبي طالب إليه كتاباً يحذِّره أهل الكوفة، ويناشده الله أنْ يشخص إليهم، فكتب إليه الحسين: إنِّي رأيت رؤيا، ورأيت فيها رسول الله (صلَّى الله عليه وآله)، وأمرني بأمر أنا ماضٍ له، ولست بمخبر بها أحداً حتى أُلاقي عملي)[١].

وسبق أنْ تناولنا موقف عبد الله بن جعفر ووالي المدينة عمرو بن سعيد الأشدق من خروج الإمام الحسين عليه السَّلام من مكَّة متوجهاً إلى الكوفة، والذي بيَّنّا من خلاله أنَّه عليه السَّلام أخبر عبد الله بن جعفر بالرؤيا التي رآها[٢]، وهنا نجد أنَّ الإمام عليه السَّلام استعمل أُسلوباً جديداً في الردِّ على أحد الناصحين، فذكر أمراً غيبياً، بينما كان يتّبع الأُسلوب الموضوعيَّ الواقعيَّ في كسب مؤيديه وأنصاره أو في الردِّ على ناصحيه، وربما أراد عليه السَّلام أنْ يوصل رسالة واضحة وجليَّة لبني هاشم من المتخلفين عنه وغيرهم، أنَّه يسير بأمر من رسول الله صلَّى الله عليه وآله، ولقطع أيِّ مبرر عليهم في عدم نصرته؛ ولذلك حاول الطبرسي إيجاد مبرِّرٍ له فقال: (فلمَّا يئس عبد الله بن جعفر أمر ابنيه عوناً ومحمَّداً بلزومه والمسير معه والجهاد دونه...)[٣].

وإذا سلَّمنا بصحّة الروايات التي ذكرت أنَّ عبد الله بن جعفر كان وسيطاً بين أهل المدينة ويزيد بن معاوية[٤]، فهذا يعني أنَّه قد وفد عليه بعد مدَّة وجيزة من استشهاد الإمام

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٦.

(٢) ينظر الكتاب: ص ٢٠٠ - ٢٠٦.

(٣) إعلام الورى، ص٢٣٦.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٨٦.

الحسين عليه السَّلام، يتضح من خلال ذلك مدى تخاذل البعض في نصرته عليه السَّلام وسعيهم وراء المكاسب الشخصيَّة، وتفويتهم فرصة الجهاد معه عليه السَّلام، وإنْ كان موقفه بشكل عام أفضل من غيره إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار موقف أبنائه واستشهادهما مع الإمام الحسين عليه السَّلام، وربما كان كبر سنِّه عائقاً في التحاقه بنصرة الإمامٍ الحسين عليه السَّلام، فقد ناهز السبعين سنة[١] يوم خروج الإمام عليه السَّلام من مكَّة.

أمَّا محمَّد ابن الحنفيَّة، صاحب الإرث العظيم والمواقف المشهودة، ذلك البطل الذي شهدت له حروب الجمل وصفين والنهروان[٢]، نجد أمره مختلفاً في النهضة الحسينيَّة، وموقفه منها والخوض في غماره أمرٌ في غاية الصعوبة والتعقيد، بل نرى أنَّ العديد من القدامى والمتأخرين ربما تجنبوا الخوض فيه.

أورد ابن سعد موقف محمَّد ابن الحنفيَّة في روايتين جاءت الرواية الأُولى: وهي رواية مختصرة جداً في أثناء ترجمته له، وهي ترجمة واسعة قاربت خمساً وعشرين صفحة[٣]، فذكر (لَمَّا جاء نعي معاوية بن أبي سفيان إلى المدينة كان بها يومئذٍ الحسين بن عليٍّ ومحمَّد ابن الحنفيَّة وابن الزبير، وكان ابن عباس بمكَّة، فخرج الحسين بن عليٍّ وابن الزبير إلى مكَّة، وأقام ابن الحنفيَّة بالمدينة حتى سمع بدنو جيش مُسرِف وأيام الحرَّة فرحل إلى مكَّة فأقام مع ابن عباس)[٤]، ومن المحتمل أنَّ قصد ابن سعد بإقامة ابن الحنفيَّة مستقرّه الدائم، ولا يعني بالضرورة أنَّه لم يغادر المدينة من خروج الإمام الحسين عليه السَّلام وحتى واقعة الحرَّة، وهو ما أشار إليه في روايته الأُخرى بقوله: (وتبعهم محمَّد ابن الحنفيَّة

---

(١) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٧٠.

(٢) للتفاصيل ينظر: العكيدي، محمد ابن الحنفية، ص٢٥ وما بعدها.

(٣) الطبقات الكبير، ٧/ ٩٣-١١٧.

(٤) الطبقات الكبير، ٧/ ١٠٢

فأَدرك حسيناً بمكَّة، فحبس محمَّد بن عليٍّ ولده فلم يبعث معه أحداً منهم، حتى وجد الحسين في نفسه على محمَّد، وقال: ترغب بولدك عن موضع أُصابُ فيه؟! فقال محمَّد: وما حاجتي أنْ تصاب ويُصابون معك، وإنْ كانت مصيبتك أعظم عندنا منهم...)[١].

وأشارت المصادر التاريخيَّة إلى موقف محمَّد ابن الحنفيَّة من خروج الإمام الحسين عليه السَّلام إلى مكَّة، وهي لا تختلف من حيث المضمون والمعنى فيما بينها، فذكر البلاذري[٢]: (وخرج الحسين إلى مكَّة في بنيه وإخوته وبني أَخيه وجُلِّ أهل بيت غير محمَّد ابن الحنفيَّة فإنَّه قال له: يا أخي أنت أعزُّ الناس عليَّ، تنحَ عن يزيد[٣] ببيعتك وعن الأمصار، وابعث رسلك إلى الناس، فإنْ أجمعوا عليك حمدت الله على ذلك، وإنْ أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله دينك ومروءتك وفضلك، إنِّي أخاف أنْ تدخل بعض الأمصار ويختلف الناس فيك ويقتتلون فتكون لأَوَّل الأسنّة، فإذا خير الناس نفساً وأُمَّاً وأباً قد ضاع دمه وذُلَّ أهله، قال: وأين أذهب يا أخي؟ قال: تنزل مكَّة فإن اطمأنت بك وإلَّا لحقت باليمن، فإن اطمأنت بك وإلَّا لحقت بشغف الجبال، حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس ويفرق لك الرأي...)، وأضاف ابن أعثم الكوفي والخوارزمي أمراً في غاية الأهميَّة وهو قوله عليه السَّلام لمحمَّد ابن الحنفيَّة: (وأمَّا أنت يا أخي فلا عليك أنْ تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً عليهم ولا تخفِ عليَّ شيئاً من أُمورهم)[٤]، ثمَّ ذكر ابن أَعثم الكوفي أنَّه كتب كتاباً لمحمَّد ابن الحنفيَّة وهو وصيته له، ذاكراً فيه كلمته المشهورة «**إنِّي لم أخرج أشراً ولا بطراً**

(١) الطبقات، ٦/ ٤٢٨-٤٢٩.

(٢) أنساب الأشراف، ٥/ ٣١٧-٣١٨؛ ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السَّلام، ص٨؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٣٠؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٢٠-٢١؛ الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السَّلام، ٢/ ٢٧١-٢٧٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٤٧١.

(٣) وردت عند البلاذري (مروان) يبدو أنهَّا تصحيف.

(٤) ينظر: الفتوح، ٥/ ٢٠-٢١؛ مقتل الحسين، ٢/ ٢٧١-٢٧٣.

وإنَّما خرجت للإصلاح في أُمَّة جدِّي محمَّد رسول الله صلَّى الله عليه وآله»[١].

وعلى الرغم من الترجمة الواسعة لمحمَّد ابن الحنفيَّة عند ابن سعد وغيره فترجمته عند ابن سعد ومثلها تقريباً عند البلاذري[٢]، كما وصفه الإربلي، (كان واحد دهره ورجل عصره، وكان أتمَّ الناس تماماً وكمالاً)[٣]، لكنَّ تلك المصادر تشحُ علينا بموقفه من النهضة الحسينيَّة في حين نجدها تتطرق لكلِّ شاردة وواردة في شخصيته من ولادته وحتى وفاته، بل نجد أنَّ أغلبها ركَّز على مواقفه من عبد الله بن الزبير وكيفيَّة مواجهته؛ لذلك نرى ربما هناك حلقات مفقودة في مواقف هذه الشخصيَّة من تلك النهضة، فمن غير المعقول والمنطقي نتقبل رواية البلاذري بأنَّ محمَّد ابن الحنفيَّة قد وفد على يزيد بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام وقبل واقعة الحرَّة بطلب من يزيد بن معاوية، بل والأكثر من ذلك أنَّ قادة المدينة في واقعة الحرَّة حين كلموا محمَّد ابن الحنفيَّة بالخروج معهم في الثورة على يزيد استغرب ابن الحنفيَّة قولهم في يزيد بأنَّه يشرب الخمر ويلاعب القرود والكلاب وغيرها[٤]، في حين لم يكن غريباً عدم اشتراك كبار بني هاشم في واقعة الحرة فقد نأى بنفسه عنها الإمام زين العابدين عليه السَّلام، لكنَّ هذا لا يعني مطلقاً أنَّهم راضون بشرعيَّة يزيد وحكمه.

ولا نستبعد أنَّ هناك بعض الرواة ربما أضافوا أو حذفوا أو أغفلوا بعض الحقائق التي تغير بعض المفاهيم في موقف محمَّد ابن الحنفيَّة كون الأُمويين وأعوانهم، حاولوا تصوير الأُمور حسب رغباتهم وأهوائهم، وكذلك العباسيين وإنْ كانوا أعداء للأُمويين إلَّا أنَّهم

(١) ينظر: ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٢٠-٢١؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ٢/ ٢٧١-٢٧٣.

(٢) أنساب الأشراف، ٣/ ٤٦٣-٤٨٨.

(٣) كشف الغمة في معرفة الأئمة، ١/ ٣٢؛ القندوزي، ينابيع المودة، ١/ ٤٦٢.

(٤) الأنساب، ٣/ ٤٦٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٥/ ٣٢٥-٣٢٦.

جيروا العديد من الأُمور لصالحهم، فبدءاً من نهضة الإمام الحسين عليه السَّلام التي لم يشترك فيها عباسيٌّ واحد، إضافة إلى أخذ شرعيتهم عبر الوصيَّة المزعومة التي حصلوا عليها عن طريق أبي هاشم بن محمَّد ابن الحنفيَّة[١].

والظاهر أنَّ ابن الحنفيَّة التقى الإمام عليه السَّلام مرتين الأُولى أثناء خروجه من المدينة إلى مكَّة، والمرَّة الأُخرى حين توجه إلى الكوفة، فبينما أشارت المصادر التاريخيَّة إلى لقائه الأوَّل والذي أشرنا إليه فقدَّم فيه نصيحته للإمام عليه السَّلام حين خروجه من المدينة، في حين ذُكر بشأن لقائه الثاني روايتان الأُولى هي رواية ابن سعد التي أشرنا إليها، والرواية الثانية والتي جاءت متناغمة مع ما ذكره ابن سعد في بعض فقراتها هي رواية ابن طاووس وفيها: (جاء محمَّد ابن الحنفيَّة إلى الحسين عليه السَّلام في الليلة التي أراد الحسين الخروج صبيحتها من مكَّة، فقال له: يا أخي، إنَّ أهل الكوفة مَن قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفتُ أنْ يكون حالك كحال مَن مضى، فإنْ رأيت أنْ تقيم فإنَّك أعزُّ من بالحرم، وأمنعه، فقال: «**يا أخي قد خفت أنْ يغتالني يزيد بن معاوية بالحرم، فأكون الذي يُستباح به حرمة هذا البيت**»، فقال له ابن الحنفيَّة: فإنْ خفتَ ذلك فصر إلى اليمن أو بعض نواحي البر، فإنَّك أمنع الناس به، ولا يقدر عليك أحد، فقال: «**أنظر فيما قلت**»، فلمَّا كان السحر ارتحل الحسين عليه السَّلام، فبلغ ذلك ابن الحنفيَّة، فأتاه، فأخذ زمام ناقته وقد ركبها، فقال: يا أخي، ألم تعدني النظر فيما سألتك؟ قال: «**بلى**»، قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟ فقال: «**أتاني رسول الله صلَّى الله عليه واله بعدما فارقتك، فقال: يا حسين، اخرج، فإنَّ الله قد شاء أنْ يراك قتيلاً**»، فقال محمَّد ابن الحنفيَّة: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟ قال:

(١) مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص١٦٥؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ص١٤٨؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٢/ ٩-١٠.

فقال له: «**قد قال لي: إنَّ الله قد شاء أنْ يراهن سبايا**»، وسلَّم عليه ومضى)[١].

يظهر ممَّا تقدَّم أنَّ موقف محمَّد ابن الحنفيَّة تمثل في نصيحتين متشابهتين قدَّمهما للإمام الحسين عليه السَّلام، إحداهما في المدينة والأُخرى في مكَّة، وهي لا تختلف من حيث المضمون عن نصائح الصنف الثاني من الناصحين، إلَّا في بعض التفاصيل، ونحن الآن لسنا بصدد مناقشة النصيحة ومدى صوابها من عدمها، فسبق وأنْ أشرنا إلى أنَّ هؤلاء الناصحين على الرغم من إخلاص البعض منهم للإمام الحسين عليه السَّلام وصدقهم في نصائحهم، إلَّا أنَّهم قاصرون في فهمهم لغايات وأهداف النهضة الحسينيَّة وجُلُّ فعلهم أنَّهم ينبهونه ويشيرون عليه في أُمور هو خبير بها عارف بعواقبها، ويمكن لنا دحضها من خلال الاستشهاد ببعض مقولاته عليه السَّلام: «**خُطَّ الموت على ولد آدم مخطَّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى اشتياق أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخُيِّرَ لي مصرع أنا لاقيه، كأنِّي بأوصالي تقطعها ذئاب الفلوات بين النواويس وكربلاء**»[٢]، كلُّ هؤلاء الناصحين وغيرهم يتوقعون مصير الإمام الحسين عليه السَّلام في الكوفة، وأنَّهم سوف يغدرون به ويقتلونه والأفضل له البقاء في الحرم أو الخروج لليمن أو الهروب من بني أُميَّة في الصحاري والشعاب، وهي فرضيّات ونصائح ذكرها أغلب الناصحين، ولم يكن عليه السَّلام مُخيراً في البقاء بمكَّة مخافة أن تنتهك به حرمتها، كذلك فوَّت الفرصة على الأُمويين بتدبير محاولة اغتياله في الحرم، وهذا تفسير خروجه قبل إتمام مناسك الحج، وليس أرض اليمن بالمأمن الذي يبحث عنه، فقد استطاع بنو أُميَّة من اختراقها وقتل شيعة الإمام عليٍّ عليه السَّلام فيها، ولم يكن يومها الأُمويون أصحاب سلطة كما هم إبان

(١) الملهوف على قتلى الطفوف، ص١٢٧-١٢٨.

(٢) الملهوف على قتلى الطفوف، ص١٢٦.

الثورة الحسينية، وأمَّا الشعاب والصحاري فمن المنطقي أنْ يأنف ويأبى ابن الرسالة والوحي أنْ يكون طريد أولاد الطلقاء، وهو ما أثبتته سيرته وحياته ومقولته الشهيرة: «**هيهات منَّا الذلة**».

ومن المستغرب أنَّ هؤلاء الناصحين بما فيهم محمَّد ابن الحنفيَّة وابن عباس يتوقعون كلَّ هذه الأُمور وهو عليه السَّلام لا يعلمها، بينما أثبتت كلُّ مراحل نهضته بأنَّه عليه السَّلام على علم ويقين بحوادثها لكنَّه اتخذ الطريق الطبيعيَّ الموضوعيَّ في كلِّ مفرداتها إلا ما ندر ومتى اقتضت الحاجة لذلك، فجُلُّ همِّهم هو النأي بنفسه عن القتل، في حين هو مَن أراد تلك الشهادة كي تكون صرخة مدويَّة في مواجهة كلِّ طغاة الأرض من يوم استشهاده عليه السَّلام وحتى تملأ عدلاً كما ملئت جوراً، ففي حين كان يبحث هو بنفسه اختيار الزمان والمكان المناسبين لاستشهاده والقيام بنهضته كان أفضل ناصحيه يبحثون له عن مأمن لحياته؛ ولذلك اشترط على من يخرج معه لمَّا عزم على الخروج نحو العراق فقال: «**مَن كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإنِّي راحلٌ مصبحاً إنْ شاء الله**»[1].

ومن خلال قراءتنا لرواية ابن سعد بشأن ابن الحنفيَّة يمكننا القول:

١- لا يمكن رفضها كلياً فهي أكثر دقَّة وموضوعيَّة من رواية الطبري بسنده عن أبي مخنف، بأنَّ محمَّد ابن الحنفيَّة كان في المدينة حين خرج الإمام الحسين عليه السَّلام من مكَّة لجهالة أحد رجال سندها فهو ينقل الرواية (عمَّن شهد ذلك)[2]، ولذلك فإنَّ هذه الرواية غير معتبرة ولا يمكن الأخذ بها، ولمح البلاذري إلى ذلك بقوله: (وبلغ ابن

(١) ابن طاووس، الملهوف، ص١٢٦-١٢٧.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٦٦؛ سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص، ٢/ ١٣٩.

الحنفيَّة شخوص الحسين وهو يتوضأ فبكى حتى سُمِعَ وقع دموعه في الطست)[١] وكأنَّه يشير إلى عدم حصول لقاء بين الإمام الحسين عليه السَّلام وابن الحنفيَّة في مكَّة، وكذلك نرى ابن أعثم الكوفي اكتفى بذكر نصيحة محمَّد ابن الحنفيَّة في المدينة وذكر وصيته عليه السَّلام له[٢] من دون التطرق لأيِّ موقف له في مكَّة.

فالمدَّة التي قضاها الإمام الحسين عليه السَّلام في مكَّة مدَّة ليست بالقصيرة، ومن غير المنطقي والمقبول بقاء محمَّد ابن الحنفيَّة كلَّ هذه المدَّة في المدينة دون الاتصال بالإمام الحسين عليه السَّلام في ظل تلك التطورات المتسارعة والظروف غير الطبيعية والمخاطر التي يتعرض إليها آل بيت النبوة، متمثلاً بالحسين عليه السَّلام وجُلِّ أهل بيته، ومن البديهي أنَّ الأخبار تصل إلى محمَّد ابن الحنفيَّة بعد عزمه عليه السَّلام على الخروج إلى الكوفة، فضلاً عن توقع محمَّد ابن الحنفيَّة بخروج الإمام عليه السَّلام منذ الوهلة الأُولى حين خروجه من المدينة بالتوجه نحو العراق فيما بعد، وربما كان مجيء ابن الحنفيَّة كذلك لأداء مناسك الحجِّ في ذلك العام عاملاً آخراً على الأقل في التخفي عن عيون الأُمويين وجواسيسهم، فيظهر أنَّ عامل يزيد اتخذ العديد من الإجراءات التعسفيَّة بحقِّ الموالين للإمام عليه السَّلام وضيَّق الخناق عليهم؛ وهذا ما نستنتجه من قيامه بسجن عبد الله بن مطيع كونه موالياً لعبد الله بن الزبير، فضلاً عن ضربه وجلده كلَّ مَن كان في هوى ابن الزبير[٣]، فلا يستبعد أنْ يكون محمَّد ابن الحنفيَّة تحت رقابة السُّلطة الأُمويَّة في المدينة، وعلى أيِّ حال فقد ذكر كلٌّ من ابن سعد وابن طاووس لقاءه بالإمام الحسين عليه السَّلام في مكَّة، وحسب رواية ابن طاووس خرج الإمام الحسين عليه السَّلام من اتّباع الطريق

(١) أنساب الأشراف، ٣/ ٣٧٧.

(٢) ينظر: الفتوح، ٥/ ٢٠-٢١.

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ٥/ ٢٣١.

الطبيعيِّ والموضوعيِّ الذي دأب عليه في كلِّ مفاصل نهضته في جوابه على ابن الحنفيَّة؛ ليذكر له الرؤيا التي رأى فيها رسول الله صلَّى الله عليه وآله فقال: «**أتاني رسول الله صلَّى الله عليه وآله بعدما فارقتك، فقال: يا حسين، اخرج، فإنَّ الله قد شاء أنْ يراك قتيلاً**»، فقال محمَّد ابن الحنفيَّة: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟ قال: فقال له: «**قد قال لي إنْ الله قد شاء أنْ يراهن سبايا**»)[١]، وتعدُّ الرؤيا من العقائد الإسلاميَّة الراسخة عند المسلمين بشرطها وشروطها وهي قطعاً تنطبق على الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فكان الأمر الذي كلَّف به الإمام الحسين عليه السَّلام من قبل النبيِّ صلَّى الله عليه واله أمراً حقيقياً لأنَّه صادر من رؤيا حقيقيَّة للنبيِّ فجسَّد ذلك عليه السَّلام فعلياً[٢].

٢- إنَّ تخلُّف محمَّد ابن الحنفيَّة عن نصرة الإمام الحسين عليه السَّلام قد شكَّل نقطة قلق وتساؤل منذ القدم؛ ولذلك نجد أبا حمزة الثمالي[٣] سأل الصادق عليه السَّلام فأجابه بالقول: «**أقول لك ما يغنيك عن سؤالك، إنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام لَمَّا انصرف من مكة كتب: بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن عليٍّ إلى بني هاشم، أمَّا بعد فإنَّه من لحق بي منكم استشهد ومن تخلف لم يدرك الفتح والسَّلام**»[٤]، يُستشف من تساؤل أبي

(١) الملهوف على قتلى الطفوف، ص١٢٧-١٢٨.

(٢) مطر، آل بيت النبوة عند الطبري، ص٤٢٦.

(٣) هو أبو حمزة الثمالي واسمه ثابت بن أبي صفية الأزدي الكوفي، استشهد ثلاثة من أولاده وهم نوح ومنصور وحمزة مع زيد الشهيد، وكان ثقة من أصحاب الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام)، له كتاب تفسير القرآن، وكتاب النوادر، اختلف في وفاته فقيل: توفي عام (١٤٨هـ) وقيل (١٥٠هـ).. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٨/ ٤٨٤؛ البخاري، التاريخ الكبير، ٢/ ١٦٥؛ النجاشي، رجال النجاشي، ١١٤؛ الطوسي، رجال الطوسي، ص١٢٩، ٣٣٣؛ ابن داوود، رجال ابن داوود، ص٥٩؛ المزي، تهذيب الكمال، ٣٣/ ٢٦١؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ١/ ٢٨٤.

(٤) ابن شهر آشوب، المناقب، ٣/ ٢٣٠؛ ابن نما الحلي، ذوب النضار، ص٢٩، مثير الأحزان، ص٦٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٤/ ٣٣٠.

حمزة الثمالي أنَّ هناك العديد من التساؤلات في هذا الشأن، وبسبب مكانة وعلو محمَّد ابن الحنفيَّة ومكانته الدينيَّة أوقع العديد من المتصدِّين لهذا الشأن في إيجاد مخرج لهذه القضيَّة وعدم الخوض في غمارها؛ ولذلك نجد المجلسي يقول: (بيان قوله عليه السَّلام «**لم يبلغ الفتح**» أي لم يبلغ ما يتمناه من فتوح الدنيا والتمتع بها، وظاهر هذا الجواب ذمّه، ويحتمل أنْ يكون المعنى أنَّه عليه السَّلام خيَّرهم في ذلك فلا إثم على من تخلَّف)[١]، وقول المجلسي (يحتمل) فهو يبقي الباب مفتوحاً للاحتمالات الأُخرى، وفي حال التسليم بفرضيَّة رواية ابن أعثم الكوفي ببقاء محمَّد ابن الحنفيَّة عيناً له في المدينة، فيكون بخروجه من مكَّة انتفت الحاجة من ذلك، أمَّا الرواية التي ذكرت أنَّ محمَّد ابن الحنفيَّة كان مريضاً مرضاً شديداً حين خروج الإمام الحسين عليه السَّلام من المدينة ومنها إلى العراق، بحيث إنَّه لم يكن يقوى على السيف أو الرمح[٢]، وبما رواه المجلسي: (وأمَّا تخلّفه عن نصرة الحسين عليه السَّلام فقد نقل أنَّه كان مريضاً، ويحتمل في غيره عدم العلم بما وقع على مولانا الحسين عليه السَّلام من القتل وغيره، وبنوا على ما وصل من كتب الغدرة إليه وتوهموا نصرتهم له)[٣].

وممَّا يؤخذ على هذه الرواية أنَّه لم يرد في جواب الإمام عليه السَّلام لمحمَّد ابن الحنفيَّة أيُّ تلميح أو تصريح بأنَّه كان مريضاً، فما نقل من كونه مريضاً إنْ صحَّ فإنَّما هو عند رجوع أهل البيت إلى المدينة لا عند ذهاب الإمام الحسين عليه السَّلام[٤]، أمَّا أنَّه توهّم نصرة مَن كاتبوه فهذا الأمر لا يمكن أنْ يؤخذ به كون محمَّد ابن الحنفيَّة نفسه شكك هو

---

(١) بحار الأنوار، ٤٢/ ٨١؛ الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، ٩/ ٤٦.

(٢) لجنة التأليف، تاريخ النهضة الحسينيَّة، ص٧٤.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ٤٢/ ١٠٩-١١٠.

(٤) المامقاني، تنقيح المقال، ٣/ ١١٢.

وغيره بموقف أهل الكوفة، وهو ما أشار إليه في نصيحته للإمام الحسين عليه السَّلام، بل إنَّ أغلب الناصحين ركَّزوا على موقف أهل الكوفة وحذروا الإمام الحسين عليه السَّلام من خذلانهم وعدم نصرتهم له.

والظاهر أنَّ قضيتي مرض محمَّد ابن الحنفيَّة أو عدم توقعه أنْ تبلغ الأُمور ما بلغت من الإمام الحسين عليه السَّلام لا يمكن الأخذ بها في ظلِّ المعطيات التاريخيَّة التي تناولت موقفه من الالتحاق به، والتي لم تتعد الاجتهاد والاستنتاج والتي لا يمكن الجزم بمصداقيتها.

وبعد أن تطرقنا لأغلب ما ذُكر حول موقف محمَّد ابن الحنفيَّة من النهضة الحسينية، فمن نافلة القول إنَّ محمَّد ابن الحنفيَّة لم يكن في يومٍ من الأيام خارج منظومة الإمامة بعد استشهاد والده وتولي كلٍّ من الإمام الحسن والحسين عليهما السَّلام لتكليفهما الشرعي، وعملاً بالنص الإلهي بإمامتهما، وابن الحنفيَّة عاصر الأحداث أَوَّلاً بأَوَّل ولم تغب عن عينه صغيرة ولا كبيرة، وأمَّا ما أُثير حول الخلاف بينه وبين الإمام السجاد عليه السَّلام في القضيَّة المشهورة والاحتكام للحجر الأسود وشهادته بإمامة السجاد عليٍّ بن الحسين عليهما السَّلام، هو من أجل قطع الشكِّ باليقين لبعض المرجفين أو من اختلطت عليهم الأُمور، كون ابن الحنفيَّة أسنَّ من السجاد عليه السَّلام وأنَّه ابن عليٍّ عليه السَّلام وصاحب رايته يوم الجمل والمقدَّم في الحروب زمن أبيه؛ وللظروف التي أحاطت بالأُمَّة بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام جاءت قضيَّة الحجر الأسود من أجل تعزيز دور إمامة السجاد عليه السَّلام أمام من جهل حقَّه أو شكَّ في ذلك، وابن الحنفيَّة منزّهٌ عن ذلك عارف بحقِّ أهلها، وأنَّه أجلُّ وأعظم شأناً من اعتقاده خلاف الحقِّ وخروجه

عليه[١]، وأمَّا أولاده، فقضيَّة أبي هاشم والكيسانيَّة ونقل الوصيَّة للعباسيين فأمر فيه نظر، ولا يستبعد أنَّ العباسيين وأقلامهم المأجورة أَدوّا دوراً محورياً وأساسياً في خلق هذا الأمر، فقد استندت سلطتهم وشرعيتهم على تلك الوصيَّة، ويظهر أنَّ أولاد ابن الحنفيَّة لم يوفقوا لهذا الأمر العظيم، وهو نصرتهم لعمِّهم الإمام الحسين عليه السَّلام، شأنهم بذلك شأن العديد من بني هاشم وغيرهم.

ومن المُسلَّم به أنَّ النهضة الحسينيَّة لم تكن يوماً من الأيام هي ضربة سيف أو طعنة رمح، وإنَّما هي نهضة متكاملة شاملة منذ أنْ مهَّد لها الإمام عليه السَّلام ولا تنتهي حتى تُملأ الأرض عدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، وهذه الأدوار وإنْ كان مركزها ومحورها الرئيسي الإمام الحسين عليه السَّلام، إلَّا أنَّها اعتمدت على عظماء من أهل بيته، فلا نستغرب نصح الناصحين بعدم استصحاب النساء والأطفال والتي كان من بينهم عقيلة الطالبيين؛ لأنَّهم جهلوا ما يعلمه الإمام الحسين عليه السَّلام من دورها الأساسي الذي بدأ لحظة استشهاده عليه السَّلام، كذلك لو كانت النهضة الحسينيَّة ضربة سيف وطعنة الرمح لَمَا استخدم عليه السَّلام رضيعه عبد الله في المعركة ليجعله قبالة العدو شهيداً ناصراً له، وكثيرةٌ هي الشواهد على ذلك.

وهكذا فلا نستبعد أنْ يكون بقاء محمَّد ابن الحنفيَّة في الحجاز ممَّا أراده الإمام الحسين عليه السَّلام لإكمال تلك النهضة والمحافظة على أهدافها؛ ولذلك نجد الدور الريادي الذي قام به محمَّد ابن الحنفيَّة أمام ما أصاب الأُمَّة من ذهول وحيرة عقب استشهاده عليه السَّلام، وظهور العديد من الثورات مثل ثورة المختار الثقفي وغيرها من الزعامات أمثال آل الزبير، فضلاً عن سلطة الأُمويين التي تتطلب وجود شخصيَّة مثل شخصية

(١) ينظر: الأردكاني، ثورة المختار، ص١٢٠-١٢٢.

محمَّد ابن الحنفيَّة، وما قامت به في ظلِّ تلك الظروف التي أحاطت بالأُمَّة، لقد كان ابن الحنفيَّة أكثر مرونة في التعامل مع الأحداث بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام وتعرض للكثير من المخاطر بسبب ذلك، في حين نأى الإمام زين العابدين عليه السَّلام عنها بشكل مباشر وإنْ كان هو المحرِّك الفعلي والأساسي لها في محاربة بني أُميَّة وآل الزبير من خلال الثورات والحركات التي قامت أمثال ثورة المختار الثقفي وغيرها فيما بعد.

أمَّا عبد الله بن عباس الشخصيَّة الثالثة من بني هاشم والذي اضطررنا أن نتطرق لموقف عبد الله بن الزبير من ضمنه، كونه تداخل معه، وإنْ كان ابن الزبير في حقيقته خارج منظومة الناصحين كونه غاش فيها، وله فيها مقصد بخلو الحجاز له، علاوة على ذلك نجد ابن سعد كأنَّه أغفل موقفه نوعاً ما وذكره مقتضباً، فذكر ابن سعد نصيحة عبد الله بن عباس في ثلاث روايات ذكر في الأُولى: (وكان عبد الله بن عباس ينهاه عن ذلك -أي الخروج إلى الكوفة- ويقول لا تفعل)[1].

أمَّا الرواية الثانية: (وكتب يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن عباس يخبره بخروج الحسين إلى مكَّة، ونحسبه جاءه رجال من أهل هذا المشرق فمنّوه الخلافة، وعندك منهم خبرة وتجربة، فإنْ كان فعل فقد قطع واشج القرابة، وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه، فاكففه عن السعي في الفرقة، وكتب بهذه الأبيات إليه وإلى من بمكَّة والمدينة من قريش:

يا أيُّها الراكب الغادي لطيتة ... على عذافرة في سيرها قحم

أبلغ قريشاً على نأي المزار بها ... بيني وبين حسين الله والرحم

وموقف بفناء البيت أنشده ... عهد الإله وما توفي به الذمم

غنيتم قومكم فخراً بأُمِّكم ... أُمٌّ لعمري حصانٌ عفة كرم

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٤.

هي التي لا يداني فضلها أحد	بنت الرسول وخيرُ الناس قد علموا
وفضلها لكم فضلٌ وغيركم	من قومكم لهم في فضلها قسمُ
إنِّي لأعلم أو ظناً كعالمه	والظن يصدق أحياناً فينتظم
أنْ سوف يترككم ما تدعون بها	قتلى تهاداكم العقبان والرخم
يا قومنا لا تشبوا الحرب إذ سكنت	ومسكوا بحال السلم واعتصموا
قد غرَّت الحرب من كان قبلكم	من القرون وقد بادت بها الأُمم
فأنصفوا قومكم لا تهلكوا بذخاً	فربَّ ذي بذخٍ زلت به القدم[1]

قال: فكتب إليه عبد الله بن عباس: إنِّي لأرجو أنْ لا يكون خروج الحسين لأمرٍ تكرهه، ولست أدع النصيحة له فيما يجمع الله به الأُلفة ويطفئ به النائرة)[2].

الرواية الثالثة: (ودخل عبد الله بن عباس على الحسين: فكلَّمه ليلاً طويلاً وقال: أُنشدك الله أنْ تهلك غداً بحال مضيعة، لا تأتِ العراق، وإنْ كنت فاعلاً فأقم حتى ينقضي الموسم، وتلقى الناس، تعلم على ما يصدرون، ثمَّ ترى رأيك، وذلك في عشرة ذي الحجة سنة ستين، فأبى الحسين إلَّا أن يمضي، فقال له ابن عباس: والله إنِّي لأظنك ستقتل غداً بين نسائك وبناتك كما قتل عثمان بين نسائه وبناته، والله إنِّي لأخاف عليك أنْ تكون الذي يقاد به عثمان، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فقال الحسين: أبا العباس، إنَّك شيخ قد كبرت، فقال ابن عباس: لولا أنْ يُزرِي ذلك بي أو بك لنشبت يدي في رأسك، ولو أعلم أنا إذا تناصينا أقمت، لفعلت، ولكنْ لا أخال ذلك نافعي، فقال له الحسين: لأنْ أُقتل بمكان كذا وكذا أحبُّ إليَّ أنْ تستحل بي -يعني مكَّة- قال: فبكى ابن عباس

(١) أوردها ياقوت الحموي في معجم الأدباء ونسبها إلى يزيد، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ١٦/ ١٥٨.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٧.

وقال: أقررت عين ابن الزبير فلذلك الذي بنفسي عنه، ثمَّ خرج عبد الله بن عباس من عنده وهو مغضب، وابن الزبير على الباب، فلمَّا رآه قال: يا بن الزبير قد أتى ما أحببت، قرّت عينك، هذا أبو عبد الله يخرج ويتركك والحجاز.

يـا لـك مـن قُـنـبرةٍ بمـعـمرِ   خلا لـكِ الجـو فبيضي وأصـفـري

ونـقـري مـا شئت أن تنقـري[1]

ومن خلال قراءتنا لرواية ابن سعد الأخيرة ومقارنتها مع بقيَّة الروايات نجد الآتي:

١- أشارت المصادر التاريخيَّة[2] إلى ما ذكره ابن سعد فجاءت متفقة معها بشكل عام، فتناولت نصيحة ابن عباس البقاء في مكَّة وعدم الخروج منها حتى انقضاء الموسم في أقلِّ تقدير، محذرةً من أهل الكوفة، كذلك بينت الرواية المكاسب التي يجنيها ابن الزبير بخروج الإمام عليه السَّلام من مكَّة ممَّا حدا بابن عباس أنْ يقول: إنَّك أقررت عين ابن الزبير، وهو تصريح بأنَّ خروجه عليه السَّلام كان بدفع ومشورة ابن الزبير، وهذا الاعتقاد تطرَّق له كذلك بعض الناصحين ممَّن ذكرناهم مثل المسور بن مخرمة وأَبي سلمة بن عبد الرحمن، وكأنَّ الإمام عليه السَّلام ربط نهضته في إصلاح الأُمَّة ببعض المكاسب الآنيَّة الضيقة لبعض الأشخاص أمثال عبد الله بن الزبير وغيره.

٢- لم يتطرق ابن سعد إلى اللقاء الذي تخلل نصيحة ابن عباس وهو دخول ابن الزبير على الإمام عليه السَّلام، فذكر أنَّ عبد الله بن عباس كلَّمه طويلاً في أثناء الليل وعند خروجه وجد ابن الزبير في الباب فكلَّمه ووبخه، بينما أشارت بعض المصادر التاريخيَّة أنَّ

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٧-٤٢٨.

(٢) ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٣٧٣؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٤٣-٢٤٤؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٥٨-٢٥٩؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٦٥-٦٦؛ المسعودي، مروج الذهب، ٣/ ٦٩؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١١٠-١١١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٤٩٠-٤٩٣؛ سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص، ٢/ ١٣٦-١٣٨.

ابن عباس التقى بالإمام عليه السَّلام مرتين تخللهما مجيء ابن الزبير للإمام الحسين عليه السَّلام، (فخرج ابن عباس من عنده، وأتاه ابن الزبير فحدَّثه ساعة، ثمَّ قال: ما أدري ما تركنا هؤلاء القوم وكفنا عنهم، ونحن أبناء المهاجرين، وولاة هذا الأمر دونهم خبرني ما تريد أنْ تصنع؟ فقال الحسين: والله لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتبت إليَّ شيعتي بها وأشراف أهلها، وأستخير الله، فقال له ابن الزبير: أمَا لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت بها، قال: ثمَّ خشي أنْ يتهمه فقال: أمَا إنَّك لو أقمت بالحجاز ثمَّ أردت هذا الأمر ها هنا ما خولف عليك إنْ شاء الله، ثمَّ قام فخرج من عنده، فقال الحسين: ها إنَّ هذا ليس شيء يؤتيه من الدنيا أحبّ إليه من أنْ أخرج من الحجاز إلى العراق، وقد علم أنَّه ليس له من الأمر معي شيء، وأنَّ الناس لم يعدلوه بي، فودَّ أنِّي خرجت منها لتخلو له)[١]، ولذلك خشي ابن عباس أنْ يكون ابن الزبير قد غَرَّرَ بالإمام عليه السَّلام في الخروج إلى العراق، لكنَّ جوابه خفّف من الوطأة على ابن الزبير حين قال له: «**لأنْ أُقتل بمكان كذا وكذا أحبُّ أنْ تُستحل بي**» -يعني مكَّة-، فقال ابن عباس بعد أن بكى: (فذلك الذي سلى بنفسي عنه)، وكأنَّ المهم لدى عبد الله بن عباس هو أنَّ المقصود من كلام الإمام عليه السَّلام هو ابن الزبير وما سوف ما يؤول إليه أمره.

٣- أغفلت رواية ابن سعد ذكر اليمن في نصيحة ابن عباس، وهو ما ركَّز عليه ابن عباس وذكرته المصادر التاريخيَّة: (وإلَّا فإنَّ في اليمن جبالاً وشعاباً ليس بشيء من العراق مثلها، واليمن أرض طويلة عريضة ولأبيك فيها شيعة، فائتها ثم ابثث دعاتك وكتبك يأتك الناس)[٢].

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٥٨.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٣٧٤؛الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٤٤؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٥٨؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٦٦؛ المسعودي، مروج الذهب، ٣/ ٦٩.

٤- تضمنت نصيحة عبد الله بن عباس أمراً مختلفاً عن باقي الناصحين، وهو ربط مقتل عثمان بن عفان باستشهاد الإمام عليه السَّلام، في حين أنَّ الأمر مُختلف تماماً، ففي حين أنَّ مقتل عثمان قضيَّة مشهورة بقيام الثوار من الأمصار المختلفة مصر والبصرة والكوفة بمحاصرته في المدينة احتجاجاً على سياسته وجور وظلم ولاته، وغيرها من الأُمور التي لم تكن خافية على أحد، بينما الإمام عليه السَّلام خرج على حاكم ظالم غاشم لطلب الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

علاوة على ذلك أشار ابن سعد في روايته المتقدِّمة الذكر إلى قول عبد الله بن عباس: (والله إنِّي لأَخاف أنْ تكون الذي يُقاد به عثمان... فقال الحسين: أبا العباس إنَّك شيخ قد كبرت)، بينما تطرَّق المؤرخون إلى قول ابن عباس فذكروا (فإنْ كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك، فو الله إنِّي لخائف أنْ تقتل كما قُتل عثمان ونساؤه ينظرن إليه)[1].

وانفراد ابن سعد بهذه الجزئيَّة أمرٌ لا يمكن قبوله والأخذ به؛ فهذا القول أنَّه يقاد بعثمان، يُفهم منه وفق الادِّعاء الأُموي أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام من المشتركين بقتل عثمان، أو على أقل تقدير من المتهمين بقتله، في حين العكس هو الصحيح[2]، كذلك صوَّرت رواية ابن سعد جوابه لابن عباس بما لا يليق وأخلاق الإمام الحسين عليه السَّلام في الردِّ حتى على ألدِّ أعدائه، فقوله: (إنَّك شيخ قد كبرت) حسب زعم رواية ابن سعد إنَّما هو ذمٌّ واضح، واتهام له بأنَّه غير مؤهل للنصيحة، في حين كان جوابه عليه السَّلام له في المرَّة الأُولى: (وأنِّي أستخير الله وأنظر ما يكون)[3]، ولمَّا عاد له مرَّة أُخرى قال له: (يا

(١) ينظر: البلاذري، الأنساب، ٣/ ٣٧٤؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٤٤؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٥٩؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٦٦؛ المسعودي، مروج الذهب، ٣/ ٦٩؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١١٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٤٩٣؛ سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص، ٢/ ١٣٧.

(٢) نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين، ص٢٣-٢٤.

(٣) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٥٨.

بن عم، إنّي والله لأعلم أنَّك ناصح مشفق، ولكنّي قد أزمعتُ وأجمعت على المسير)[١]، بينما أضاف ابن الصباغ على ذلك: (ولا أتركهم خلفي)[٢]، يقصد نساءه وأطفاله.

يتبين من ذلك أنَّ ابن سعد جانب الصواب في هذه الجزئيَّة من روايته، ففضلاً عن أنَّه لم يذكر ممَّن استقى معلوماته المتقدِّمة الذكر رغم حرصه على أسانيده واعتماده منهج المحدثين في أغلب رواياته، وكونه انفرد في ذلك فهي لا تصمد أمام المعطيات التاريخيَّة، وربما كان الهدف منها إظهار ابن عباس على درجة كبيرة من النصح والخوف على الإمام الحسين عليه السَّلام.

أمَّا الرواية الثانية لابن سعد والتي تشير بصراحة إلى المراسلات التي جرت بين يزيد بن معاوية وابن عباس، وكأنَّ نصيحته جاءت تنفيذاً لما تعهد به ابن عباس ليزيد في جوابه على كتابه الذي عنونه إلى ابن عباس، بل نجد ابن سعد خفَّف من وطأة كتاب يزيد بالقول: (وكتب بهذه الأبيات -التي ذكرناها في الرواية الثانية- إليه وإلى مَن بمكَّة والمدينة من قريش)، في حين ذكر سبط ابن الجوزي كتاب يزيد لابن عباس كاملاً، مبيناً فيه أنَّه يريد إلقاء الحجّة على أهل البيت في قتاله الإمام الحسين عليه السَّلام، خاتماً كتابه بالقول عجّل بجواب كتابي وبكلِّ حاجة إليَّ، ثمَّ كتب في أسفل الكتاب أبيات الشعر التي ذكرناها، فأجابه ابن عباس في كتاب مطوَّل بيَّن له فيه أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام ترك المدينة بسبب المعاملة السيئة من قبل ولاة يزيد ومضايقتهم إياه، كذلك ضمَّن كتابه العديد من النصائح ليزيد، وذكر له أنَّه لن يدّخر وسعاً في نصح الإمام الحسين عليه السَّلام بما يطفئ الحرب ويخمد الفتنة[٣].

---

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥ / ٢٥٨- ٢٥٩.

(٢) الفصول المهمَّة، ص٢٨٢.

(٣) تذكرة الخواص، ٢/ ١٣٧.

وقد نقل أبو الفرج الأصفهاني رواية تُظهر مدى قوة نصيحة ابن عباس وحنكته بقوله: (فذكر من حضره يوم قتل وهو يلتفت إلى حرمه وأخواته وهن يخرجن من أخبيتهن جزعاً لقتل من يقتل معه وما يرينه به، وقول لله درُّ ابن عباس فيما أشار عليَّ به)[١]، يتضح ممَّا تقدَّم مدى مجانبة هذه الرواية للصواب، وجُل غايتها إضفاء العظمة لابن عباس؛ لأنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام يوم عاشوراء شغلته المصائب ومصير الأُمَّة عن تقريض ابن عباس والإطراء عليه.

وعدَّ سبط ابن الجوزي قول ابن عباس بعدم حمل نساءه وأطفاله هو مصداق قول الإمام عليٍّ عليه السَّلام بحقِّه يوم صفين: لله درُّ ابن عباس، إنَّه ينظر من ستر رقيق[٢]، في حين شكك أحد الباحثين بصحَّة هذا الحديث عن الإمام عليٍّ عليه السَّلام فقال: (والظاهر أنَّه من اختلاق وعاظ السلاطين في زمن الدولة العباسيَّة)[٣].

وربما تحرك ابن عباس وإصراره في نصيحته علاوة على حرصه على حياة الإمام عليه السَّلام قد يكون بدوافع وتكليف من بني أُميَّة، خاصة وأنَّ هناك مراسلات بينه وبين يزيد بن معاوية شخصياً، حيث نعته يزيد بقوله: (وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه)[٤]، وعلى قول آخر خاطبه: (وأنت زعيم أهل بيتك وسيد أهل بلادك)[٥] في إشارة واضحة من يزيد على علو عبد الله بن عباس ومكانته ومحاولة منهم في خلق زعامات تقف نداً

(١) مقاتل الطالبيين، ص١١٠.

(٢) روي أنَّ عبد الله بن عباس قال للإمام عليٍّ عليه السَّلام لَمَّا قال: «والله لأُعطين معاوية السيف حتى يغلب الحقَّ على الباطل»، قال له ابن عباس وغير هذا فقال: «كيف؟»، فقال: إنَّ معاوية يطاع ولا يعصى وعن قليل تعصى ولا تطاع، فلمَّا اختلف جيشه عليه السَّلام، فغضب الإمام عليه السَّلام وقال: «يا عجباً، أيطاع معاوية وأعصى أنا؟ لله در ابن عباس إنَّه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق». ينظر: تذكرة الخواص، ١/ ٤٢٤-٤٢٥؛ ٢/ ١٣٧.

(٣) ينظر: سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص، ١/ ٤٢٥ هامش المحقق حسين تقي زادة.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٧.

(٥) سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص، ٢/ ١٣٤.

لزعامة أهل البيت.

وهذه المقارنة وخلق الزعامات ليس بجديدة على قريش وأعوانها، فحين يجدون شرعيتهم وحجتهم ضعيفة في حقيقتها وواقعها، يختلقون أموراً تؤسس لما بعدها، فسبق أنْ وضع الإمام عليٌّ عليه السَّلام ضمن ستة أشخاص أو ما يسمى بالشورى، وهو ما جلب الويلات على الأُمَّة فيما بعد، بأن اشرأبت أعناق بعضهم للخلافة، ممَّا حدا بهم لنقض بيعتهم له فيما بعد مثل طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام.

٣- منهجه عليه السَّلام مع الناصحين بعد حتميَّة مواجهته الأعداء:

سبق وأنْ أشرنا إلى أنَّ الإمام عليه السَّلام اتبع في نهضته الأُسلوب الموضوعي من دون ذكره الأُمور الغيبيَّة، ولم يدَّخر وسعاً في حشد كلِّ ما يمكنه في سبيل الانتصار في المواجهة مع أعدائه، وبعد أنْ ذكرنا أجوبته على ناصحيه نجد أنَّ هناك عاملاً جديداً دخل على هؤلاء الناصحين، وهو ما جرى بينه وبين الفرزدق الشاعر المعروف، وهو أنَّه عليه السَّلام بادر بنفسه بسؤاله عن أوضاع الكوفة وما ترك الناس عليه، فذكر ابن سعد أكثر من رواية، جاء في الأُولى قول الفرزدق: (خرجنا حُجاجاً، فلمَّا كنَّا بالصفاح[(١)] إذا نحن بركب عليهم اليلامق[(٢)] ومعهم الدرق، فلماَّ دنوت منهم إذا أنا بحسين بن عليٍّ، أي أبو عبد الله، قال: فرزدق ما وراؤك، قال: أنت أحبُّ الناس والقضاء في السماء، والسيوف مع بني أُميَّة)[(٣)].

---

(١) الصفاح: هو موضع بين حنين وأنصاب الحرم على ميسرة الداخل إلى مكَّة، وقيل ثنية من وراء بستان بن معمر. ينظر: البكري، معجم ما استعجم، ٣/ ٨٣٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣/ ٤١٢.

(٢) اليلامق وهي جمع يلمق، وهو القباء المحشو يجُعل فوق الثياب وهي كلمة فارسية معربة... ينظر: الجوهري، الصحاح، ص١٥٧١؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ٣/ ٢١٨.

(٣) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٩.

الرواية الثانية: جاء فيها نقلاً عن عليِّ بن محمَّد المدائني: (أنَّ الفرزدق قال: لقيت حسيناً فقلت: بأبي أنت، لو أَقمت حتى يصدر الناس لرجوت أنْ يتقصف أهل الموسم معك، فقال: لا آمنهم يا أبا فراس)[١].

أشار المؤرخون[٢] إلى نصيحة الفرزدق للإمام الحسين عليه السَّلام، فجاءت متفقة بشكل عام مع ما ذكره ابن سعد، لكنَّ الأخير اختزل جواب الإمام عليه السَّلام في الرواية الأُولى والذي قال فيه: (صدقت لله الأمر، والله يفعل ما يشاء، وكلُّ يوم ربّنا في شأن، إنْ نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإنْ حال القضاء دون الرجاء، فلم يعتد من كان الحقُّ نيته، والتقوى سريرته، ثمَّ حرك راحلته فقال: السَّلام عليك...)[٣]، أوضح عليه السَّلام جوابه بشكل قطعي على ما قاله الفرزدق وهو الرضا بقضاء الله ونعمائه، وأنَّ الأمر لله وحده، مبيناً أنَّ من كان الحقُّ نيته والتقوى سريرته رضي بقضاء الله وقدره، وإنْ حال دون تحقيق الرجاء، ونصيحة الفرزدق يمكن إجمالها في ثلاث نقاط:

١- بيَّن للإمام عليه السَّلام موقف أهل الكوفة بشكل واضح وجلي بقوله: (على الخبير سقطت)[٤]، وكونه قَدِمَ من العراق، فقال له بأُسلوب الشاعر المهذب: (أنت أحبُّ الناس والقضاء في السماء والسيوف مع بني أُميَّة)، وفي رواية أُخرى: (قلوب

---

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٠.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٣٦٧-٣٧٧؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٤٥؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٦٠؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٧١-٧٢؛ المفيد، الإرشاد، ص٢٣٥-٢٣٦؛ الطبرسي، إعلام الورى، ٢٠٨-٢٠٩؛ ابن الصباغ، الفصول المهمة، ٢٨٣.

(٣) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٦٠؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٧١.

(٤) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٦٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٤٩٣-٤٩٤؛ ابن الصباغ، الفصول المهمة، ص٢٨٣.

الناس معك، وسيوفهم مع بني أُميَّة، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء)[١]، وهو وصف في غاية الدِّقَّة لمجتمع الكوفة آنذاك، فتحدث عن بُعد عقائديٍّ كان سائداً في المجتمع الكوفي يسير ضمن اتجاهات مخالفة لاتجاه الإمام عليه السَّلام.

وربما أُخذت الأُمَّة بسياسة الترهيب والترغيب التي اعتاد الأُمويون على اتباعها طيلة مدَّة حكمهم وضرب الرعية بعضهم ببعض وقطع العطاء ومحاربتهم اقتصادياً وعسكرياً، فضلاً عن شيعتهم وأنصارهم ودورهم المنقطع النظير في إرهاب الناس وتخويفهم، ولذلك حدثه الفرزدق بانقلاب المجتمع الكوفي وسوء الأوضاع فيها.

٢- اقترح على الإمام عليه السَّلام البقاء في مكَّة حتى انقضاء موسم الحج، ظناً من الفرزدق بأنَّ الناس سوف تلتحق بالإمام الحسين عليه السَّلام بعد انقضاء مراسيم الحج، فكان جوابه عليه السَّلام واضحاً جلياً «**لم آمنهم يا أبا فراس**»، وفي رواية أُخرى: «**لو لم أعجل لأُخذت**»[٢]، وهنا بينَّ الإمام عليه السَّلام الخطر الذي كان يواجهه وكيف أنَّه فوَّت الفرصة على بني أُميَّة باغتياله في الحرم والترويج بعد ذلك أنَّه بسببه انتهكت حرمة البيت من جهة، والقضاء على النهضة الحسينية في مهدها وإجهاض الثورة من دون تحقيق غاياتها المرجوة منها.

وهنا ربما أراد الإمام عليه السَّلام بهذه الصراحة إيصال رده إلى الأُمَّة عن طريق وسيلة إعلاميَّة وهو الفرزدق الشاعر المعروف، ولم يصرَّح بهذا السبب إلَّا ضمنياً بقوله لابن عباس: إنَّني لا أُريد أنْ أكون الكبش الذي تنتهك به حرمة الكعبة، لكنَّه هذه المرَّة أوضح أنَّ هناك مؤامرة تحاك ضدَّه باغتياله في موسم الحج، وهذا الأمر من الأساليب المتبعة عند

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٦٠.

(٢) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٦٠.

بني أُميَّة وتنتشر جواسيسهم وعيونهم في أغلب أمصار الدولة.

٣- تبيَّن من جوابه عليه السَّلام على الفرزدق قوَّته وإصراره على المضي قدماً في طريقه الذي رسمه لنفسه، على الرغم من الحقائق الجديدة التي ذكرها الفرزدق له، فهو ليس كباقي الناصحين وإنَّما هو شاهد عيان قَدِمَ من وسط المجتمع الكوفي، فضلاً عن قوله: (على الخبير سقطت) يوضح مدى معرفته بالواقع، لكنَّ جواب الإمام عليه السَّلام أخذ بنظر الاعتبار عدم تحقيق الانتصار العسكري الآني الذي لا يعني له شيئاً مادام محقاً في نيته وسريرته مجاهداً في سبيل نصرة الإسلام، وهو ما أشارت إليه عقيلة الهاشميين عليها السَّلام في خطبتها في مجلس يزيد بالقول: (أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء.. أنَّ بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة...)[1]، وبذلك وضَّح الإمام عليه السَّلام أنَّ النصر الحقيقي هو اتباع الحقِّ والدفاع دونه والموت لأجله، بغض النظر عن المكاسب الآنيَّة الضيقة، فالنصر الحقيقي هو تحقيق الأهداف السامية عالية الشأن في إرجاع الأُمَّة إلى الإسلام المحمَّدي الذي حُرِّف عن مساره الصحيح وأصبح بعيداً كلَّ البُعد عمَّا جاءت به الشريعة المحمَّديَّة.

ومن الملاحظ على رواية ابن سعد باقتطاعه جواب الإمام الحسين عليه السَّلام أنَّه كان انتقائياً في رواياته، بينما كان جوابه نقلة نوعيَّة في إصرار الإمام عليه السَّلام على المسير إلى الكوفة، وهو على علم بتغير الموقف فيها بعد أنْ أخبره الفرزدق أنَّ السيوف عليه والقلوب معه، وهذا الإصرار على مسيرته يؤكد أنَّ النصر العسكري لم يكن مبتغى الإمام عليه السَّلام وغايته، بقدر ما كان هناك نصرٌ آخر يبحث عنه ويسعى لتحقيقه، فأنصاره في الكوفة حسب قول الفرزدق لم يكونوا بمستوى تحقيق النصر العسكري وإنَّما

(١) ابن نما الحلي، مثير الأحزان، ص١٥٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٥/ ١٣٣-١٣٤.

عامتهم مع أعدائه، ولو كان يسعى للنجاة بنفسه مثل ما أراد منه الناصحون كان له متسع كبير من الوقت بعد قول الفرزدق هذا، ولكانت اليمن وغيرها خياراً طبيعياً له.

استمر ابن سعد في ذكره ناصحي الإمام عليه السَّلام في الطريق فعند موضع الثعلبية أورد بسنده عن المدائني عن بحير بن شداد الأسدي قال: (مرَّ بنا الحسين بالثعلبيَّة فخرجت إليه مع أخي، فإذا عليه جُبة صفراء لها جيب في صدرها، فقال له أخي: إنِّي أخاف عليك، فضرب بالسوط على عيبة قد حَقَبَها وقال: هذه كتب وجوه أهل المصر)[١]، وردت هذه الرواية في بعض المصادر التاريخيَّة باختلاف بعض الألفاظ التي لا تغير من المضمون شيئاً[٢].

ويبدو أنَّ هذا اللقاء كان قصيراً جداً بين هذا الناصح والإمام الحسين عليه السَّلام، فلم تشر المصادر إلى أيِّ حوار جرى بينهما، فقد اكتفى بالإجابة عن سؤاله عن قلَّة أنصاره بالإشارة إلى الكتب التي معه من أهل الكوفة وبيعتهم له، وربما أراد أنْ يوضح له بأنَّه لزمته الحجة بالنهوض بالأُمَّة من خلال تلك الكتب التي أُرسلت إليه.

كذلك أورد ابن سعد ناصحاً مجهولاً بسنده عن يزيد الرشك[٣] بالقول: (حدثني مَن شافه الحسين، قال: رأيت أبنية مضروبة بفلاة من الأرض فقلت: لمن هذه؟ قالوا: هذه لحسين، قال: فأتيته فإذا شيخ يقرأ القرآن، والدموع تسيل على خذيه ولحيته، قال: قلت: بأبي وأُمِّي يا بن رسول الله، ما أنزلك هذه البلاد والفلاة

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣١.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ٢١٥؛ ابن العديم، بغية الطلب، ٦/ ٢٦١٤.

(٣) هو يزيد بن أبي يزيد الضبعي يسميه أهل البصرة القسام لأنَّه كان يقسم الدور، وصفه البعض بأنَّه ثقة مشهور، في حين ضعّفه غيرهم، توفي (١٣٠هـ). ينظر: ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل، ٩/ ٢٩٧-٢٨٩؛ ابن حبان، الثقات، ٧/ ٦٣١؛ ومشاهير علماء الأمصار، ص٢٤١؛ المزي، تهذيب الكمال، ٣٢/ ٢٨٠؛ الذهبي، المغني في الضعفاء، ٢/ ٥٤٦.

التـي ليـس بها أحـد؟ قال: هذه كتـب أهل الكوفـة إليَّ ولا أراهـم إلَّا قاتلي، فـإذا فعلوا ذلـك لم يدعـوا لله حرمـة إلَّا انتهكوهـا فيسـلط الله عليهم مـن يذلهم حتـى يكونوا أذل مـن فَـرَمِ الأَمَـة -يعنـي مقنعتهـا-)[١]، هـذه الروايـة أوردها البعـض[٢] بسـندهم عن يزيـد الرشـك عـن راوٍ مجهـول، لكنَّها تختلـف في أمرين:

الأَمر الأَوَّل: أغفل المؤرخون ما نقله ابن سعد (والدموع تسيل على خديه ولحيته)، والثاني: لم يذكر ابن سعد قوله عليه السَّلام: (إنَّ هؤلاء -يعني السلطان- أخافوني، وهذه كتب أهل الكوفة...)[٣]، وهكذا نجد رواية ابن سعد أظهرت خشوع الإمام الحسين عليه السَّلام وهو يقرأ القرآن، وهو أمر أغفل ذكره غيره من المؤرخين، لكن ممَّا يؤخذ على رواية ابن سعد عدم ذكره السبب الذي عجَّل خروج الإمام الحسين عليه السَّلام، وهو مضايقة الأُمويين وعمالهم له، في حين حمَّل مسؤولية خروجه على كتب ورسائل أهل الكوفة وهذا ما أشار إليه غيره من المؤرخين.

ومن الملاحظ على أجوبة الإمام الحسين عليه السَّلام على هذين الناصحين أنَّه بيَّن سبب خروجه للناصح الأَوَّل بقوله له: إنَّ القوم يطاردونه وأنَّه اضطر للخروج، وأنَّ كتب أنصاره معه، فيما بين للناصح الثاني أنَّهم في حال خذلانه سوف يسلط الله عليهم من يذلهّم، ومرَّة أُخرى يتبيَّن له عليه السَّلام أنَّ الأحداث في الكوفة تسير ليس بصالحه، وأنَّ النصر العسكري يبتعد يوماً بعد آخر.

وخلاصة أجوبته للناصحين أنَّها كانت واضحة وكلٌّ حسب ما يقتضيه الردُّ المناسب

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣١.

(٢) ابن العديم، بغية الطلب، ٦/ ٢٦١٤؛ العاملي، الدر النظيم، ص٥٤٧؛ الزرندي، نظم درر السبطين، ص٢١٤.

(٣) ابن العديم، بغية الطلب، ٦/ ٢٦١٤.

عليه بقوله لعبد الله بن مطيع: إنِّي متوجه إلى مكَّة ثمَّ أستخير الله في ذلك، وجزى المسور بن مخرمة خيراً وأخبره أنَّه يستخير الله في ذلك، بينما كان جوابه لأبي بكر بن عبد الرحمن مختلفاً عن كلِّ هؤلاء وغيرهم، فبعد أنْ قال له (يا أبا بكر ما أنت ممَّن يستغشّ ولا يُتَّهُم)[١]، أثنى عليه بقوله: (جزاك الله يا بن عم خيراً، فلقد اجتهدت رأيك، ومهما يقضِ الله من أمر يكن)[٢]، وكتب إلى عبد الله بن جعفر جواباً على كتابه: (إنِّي رأيت رؤيا، ورأيت فيها رسول الله (صلَّى الله عليه وآله)، وأمرني بأمر أنا ماضٍ له، ولست بمخبر بها أحداً حتى أُلاقي عملي)[٣].

بينما كان جوابه لعبد الله بن العباس لَمَّا أشار عليه بالبقاء بمكة (لأنْ أُقتل بمكان كذا وكذا أحبُّ إليَّ أنْ تستحل بي يعني مكة)[٤]، وأجاب الفرزدق على المشورة نفسها وهو البقاء بمكَّة حتى ينتهي موسم الحج بقوله: (لا آمنهم يا أبا فراس)[٥]، ولَمَّا عتب على أخيه محمَّد ابن الحنفيَّة بعدم إرسال أبنائه معه أجابه (ترغب بولدك عن موضع أُصاب فيه)[٦]، وهكذا كانت أجوبته عليه السَّلام حسب ما يتطلبه الموقف ونوعيَّة الناصح وبما يصب في تحقيق أهدافه التي يسعى لتحقيقها في إصلاح الأُمَّة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويمكننا أن نستنتج من كلِّ ما طرحه ابن سعد حول روايات الناصحين الأُمور التالية:

١- على الرغم من أنَّ ابن سعد لم يكن المؤرخ الوحيد الذي تطرَّق للناصحين، فقد

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٦.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٦.

(٣) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٦.

(٤) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٨.

(٥) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٠.

(٦) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٨.

ذكر ذلك كلٌّ من البلاذري وأبي حنيفة الدينوري والطبري وابن أعثم الكوفي والمسعودي وأبي الفرج الأصفهاني وسبط ابن الجوزي وغيرهم، لكنَّ كلَّ هؤلاء ذكروا الناصحين بشكل متفاوت إنْ لم نقل بشكل مقنن، فعلى الرغم من أنَّ الطبري وابن أعثم الكوفي أسهبا في ثورة الإمام الحسين عليه السَّلام، فلم يحظ موضوع في تاريخ الطبري بمثل ما حظي به موضوع قيام الإمام الحسين عليه السَّلام وثورته ضدَّ الحكم الأموي، حيث خصص لها زهاء مائة وستاً وثلاثين صفحة، وهي ليست بالقليلة مقارنة ببقيَّة الأحداث التي وردت في تاريخه[١]، في حين توازي مادة ابن أعثم الكوفي مادة الطبري سعةً وغزارةً وتنوعاً[٢]، لكنَّنا نجد أنهَّما لم يتناولا الناصحين بمثل ما تناولهم ابن سعد، فهو قد اشترك معهم فيما ذكروه بينما انفرد من جهة أُخرى بذكر ما لم يذكروه.

٢- ساق ابن سعد الناصحين بأُسلوب سلس أدبي متماسك من دون ذكره السند إلَّا في حالتين، فجاء موضوع الناصحين غير مثقل بالأسانيد وكأنَّه موضوع واحد مترابط، في حين كان في حقيقته في أماكن وأوقات متباينة ممَّا أدَّى إلى نتيجتين:

الأُولى: عدم إمكانيَّة التحقق من سند الرواية لعدم ذكر رواتها، فتعذر توثيق رواياته في أغلب ذكره للناصحين.

النتيجة الثانية: حاول ابن سعد من خلال سوقه رواياته بهذا الشكل المترابط أنْ يبيّن للقارئ خطأ الإمام الحسين عليه السَّلام وتحمله تبعات ومسؤوليَّة خروجه، وفي أقل تقدير تحمُّل أهل الكوفة بشكل خاص وأهل العراق بشكل عام سبب استشهاده؛

---

(١) رحيم عباس مطر، آل بيت النبوة في كتاب تاريخ الرسل والملوك، ص٤١٥.

(٢) رحيم عباس مطر، آل بيت النبوة في كتاب تاريخ الرسل والملوك، ص٤١٨؛ ينظر جاسم، الإمام الحسين عليه السَّلام في كتاب الفتوح، ص١-٢.

ولذلك نجده ركز بشكل لافت للنظر في موقفه من أهل الكوفة، ومن الطبيعي أنْ يتحمّل المجتمع الكوفي وشيعة الأُمويين في الكوفة قتل الإمام الحسين عليه السَّلام، لكنَّ ابن سعد بتركيزه بهذا الشكل على الناصحين الذين كانت جُلُّ نصائحهم منعه من السفر إلى العراق والهروب لليمن أو للشعاب والجبال والصحاري ناسين أو بالأَحرى متناسين حقَّه الشرعيَّ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح الأُمَّة، فلم نجد من بينهم مَن حاول النيل من يزيد وحكم الأُمويين أو حمَّلهم مسؤوليَّة ماعدا البعض منهم وعلى استحياء، وكان الأجدر بهؤلاء الناصحين الخروج معه ضدَّ الظلم والطغيان والانحراف الذي أصاب الأُمَّة، والذي ما لبث أنْ ذاقوا مرارته، فلم تمضِ سوى مدَّة قصيرة حتى انتُهكت مدينة رسول الله وأُبيحت للجند في واقعة الحرَّة ثمَّ أُحرقت الكعبة؛ لذلك نجد بعض المؤرخين يرى أقوال الناصحين كانت عين الصواب، فقال الذهبي: (وأبى الحسين على كلِّ من أشار عليه إلَّا المسير إلى العراق)[1]، وقال ابن الصباغ: (فلم يكترث بما قيل له ولم يلتفت إلى ما كُتب إليه...)[2]، ويرى الخضري أنَّ رمي الإمام الحسين عليه السَّلام بقول مشيريه عرض الحائط هو ما أدَّى إلى نهاية الثورة بهذا الشكل المحزن[3].

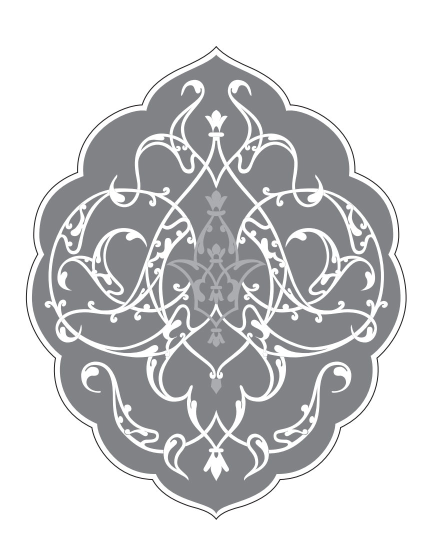
٣- المتمعن في روايات ابن سعد عن الناصحين يرى أنَّه أراد إظهار أغلب الناصحين إنْ لم يكن جميعهم على قدر من المسؤوليَّة والحنكة السياسيَّة وبُعد النظر، فمنهم من جزم بأنَّ أهل الكوفة سوف يقتلونه وآخر يحذره من الخروج على الجماعة وشقّ عصا الأُمَّة، وغيره ينصحه بالبقاء في الحرم وغيره ينصحه بالهروب في البراري والجبال والشعاب، بل نجد في قائمة الناصحين من هو أدنى وأوهى من أنْ ينصح الإمام الحسين عليه السَّلام.

(١) سير أعلام النبلاء، ٣/ ٢٩٧.

(٢) الفصول المهمَّة، ص٢٨٢-٢٨٣.

(٣) الدولة الأُمويَّة، ص٣٥٩.

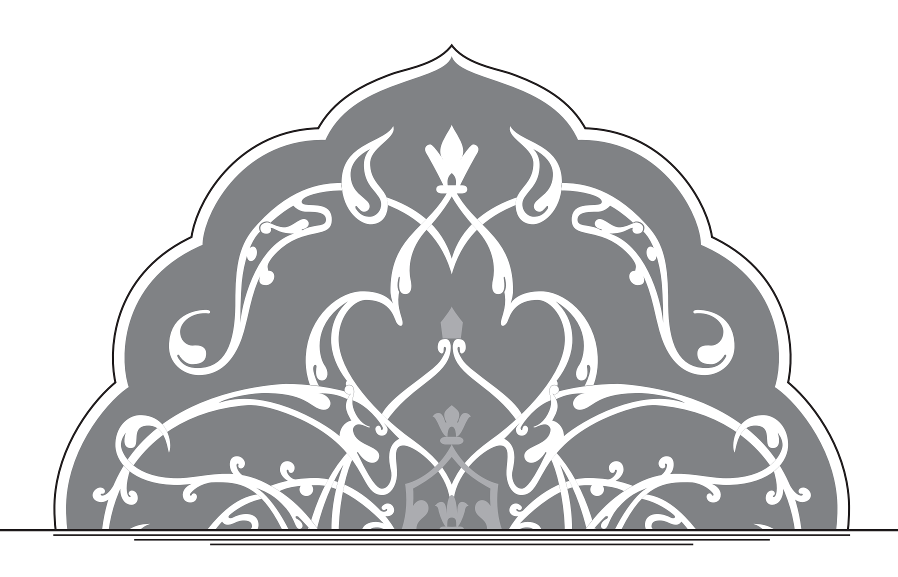
٤ – لم يعقب ابن سعد على أيٍّ من روايات الناصحين ولم يحاول الردَّ على الشاذ منها بالرفض أو الموافقة أو تأكيده أو نفيه لبعضها، وهو أُسلوب استعمله في بعض الأحيان في منهجيته، فوصفه أحد الباحثين بقوله: (تحرى ابن سعد الصدق فيما دون الصدق كلِّه والحقِّ كلِّه)[١]، وغابت في الناصحين أقواله على بعض الروايات وهذا الثبت عندنا أو هو وهل منه وغير ذلك، ناهيك عن تحريه الصحيح في بعض رواياته، فعلى سبيل المثال لا الحصر قال في إحداها: (فذكرت هذا الحديث لمحمَّد بن عمر –الواقدي– فقال: هذا غلط بيّن)[٢]، فكان الأجدر بابن سعد أنْ يكون منصفاً في سوقه لبعض روايات الناصحين بهذا الشكل الذي أظهر فيها صدق آرائهم بمنهجيته التي اتبعها من دون التحري عنها، أو على أقل تقدير ذكر رواتها وهو منهجه الذي اتبعه في أغلب طبقاته باتباعه منهج المحدثين، فمن غير المعقول تقبل رواياته بشأن بعض الناصحين أمثال جابر الأنصاري وأبي سعيد الخدري وغيرهما.



(١) عطار، غزوات الرسول، ص١.

(٢) ينظر: الطبقات الكبير، ٦/ ٤٧٤.





الفصل الثالث:

الخيار المسلح وتداعياته في النهضة الحسينيَّة

المبحث الأَوَّل: الإجراءات الأَمنيَّة للسُّلطة الأُمويَّة ومناورة مسلم بن عقيل عليه السَّلام:

المبحث الثاني: مجريات واقعة الطف:

المبحث الثالث: شهداء أهل البيت والناجون منهم:



المبحث الأَوَّل: الإجراءات الأَمنيَّة للسُّلطة الأُمويَّة ومناورة مسلم بن عقيل عليه السَّلام:

كنَّا قد بيَّنَا أَنَّ مسلم بن عقيل مهَّد للنهضة الحسينيَّة بعد إرساله من قبل الإمام الحسين عليه السَّلام إلى أهل الكوفة، كذلك تناولنا التدابير التي اتخذتها السُّلطة الأُمويَّة لمواجهة هذه النهضة، والتي كان من أهمّها تنحية الوالي السابق النعمان بن بشير وتعيين عبيد الله بن زياد والياً جديداً على الكوفة، الأمر الذي أدَّى إلى تغير الأُمور لصالح بني أُميَّة، والتي أفضت إلى استشهاد مسلم بن عقيل، وقد أشار ابن سعد إلى ذلك بقوله: (وجمع عبيد الله المقاتلة وأمر لهم بالعطاء، وأعطى الشرط، ووجه حصين بن تميم الطهوي[1] إلى القادسية، وقال له: أقم بها فمن أنكرته فخذه)[2].

أسهب بعض المؤرخين في ذلك بقولهم إنَّ ابن زياد أعلن برنامجه وخطته منذ اليوم الأوَّل لوصوله، حيث نودي للصلاة جامعة فأبلغهم: (أنَّ أمير المؤمنين أصلحه الله ولَّاني مصركم وثغركم، وأمرني بإنصاف مظلومكم.. وبالشدَّة على مريبكم وعاصيكم، وأنا متبع أمره فيكم، ومنفذ فيكم عهده.. وسوطي وسيفي على من ترك أَمري، وخالف عهدي، فليبقِ امرؤ على نفسه، الصدق ينبئ عنك لا الوعيدُ، ثمَّ نزل).

فأخذ العرفاء أخذاً شديداً، فقال: (اكتبوا لي الغرباء، ومن فيكم من طِلبة أمير المؤمنين، ومن فيكم من الحروريَّة وأهل الريب الذين رأيهم الخلافُ والشقاقُ، فمن كتبهم لنا برئ،

---

(١) هو الحصين بن تميم بن أُسامة بن زهير بن يزيد الطهوي، كان على شرطة عبيد الله بن زياد، وهو الذي بعثه في أربعة آلاف مدداً لعمر بن سعد لقتال الإمام الحسين عليه السَّلام، وبارز الحصين حبيب بن مظاهر الأسدي، وهو الذي رمى الإمام الحسين عليه السلام بسهم لَّما توجه نحو الفرات يوم العاشر من المحرم. ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ١٢/ ١٤٢؛ السمعاني، الأنساب، ٢/ ٦٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/ ٣٠٢.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٥.

ومن لم يكتب لنا أحداً، فيضمن لنا ما في عرافته أنْ لا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغي علينا منهم باغٍ، فمن لم يفعل برئت منه الذمَّة، وحلال لنا ماله وسفك دمه، وأيما عريف وُجد في عرافته من بُغية أمير المؤمنين أحدٌ لم يرفعه إلينا صُلب على باب داره...)[١].

وفي رواية ابن أعثم الكوفي ذكر (فلمَّا كان اليوم الثاني خرج إلى الناس بزيٍّ خلاف ما خرج به أمس، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: أمَّا بعد فإنَّه لا يصلح هذا الأمر إلَّا في شدَّة من غير عنف، ولين في غير ضعف، وأنْ آخذ منكم البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، والولي بالمولى...)[٢]، وذكر ابن كثير أنَّ يزيد بن معاوية هو مَن كتب له: (احبس على الظنَّة وخذ على التهمة)[٣]، وقال ابن الصباغ: (إنَّه لمَّا أصبح ابن زياد، بعد قدومه إلى الكوفة، فصال وجال، وأرعد وأبرق، وأمسك جماعة من أهل الكوفة فقتلهم في الساعة)[٤].

من خلال ما تقدَّم يمكننا أنْ نرى الآتي:

١- تضمنت رواية ابن سعد أربعة محاور أساسيَّة بيَّنت حجم الإجراءات الأمنيَّة التي اتخذتها السُّلطة، وأعلنت عن حالة الرعب والخوف الذي أصابها عقب التحرك الحسيني، وهذه المحاور هي:

أ- إعلان النفير العام.

ب- توزيع الأموال على الجيش.

---

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٤٢؛ وينظر: أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص١٠٠؛ المفيد، الإرشاد، ص١٩٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٤٧٨-٤٧٩.

(٢) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٣٩-٤٠.

(٣) البداية والنهاية، ٨/ ١٧٨.

(٤) الفصول المهمة، ص٢٧٩.

ج- توجيه قوات عسكريَّة على مدخل الكوفة من جهة الحجاز.

د- إعلان ما يصطلح عليه حالياً بالأحكام العرفيَّة.

فعلى إثر إعلان أمر توليته على أهل الكوفة بيَّن لهم أوامر الحاكم في دمشق، وكيف أنَّه متّبع أمره فيهم، محذراً مهدداً متوعداً بالسوط والسيف كلَّ من يخالف أوامره وتعليمات (الخليفة)، خاتماً كلامه بقوله: (الصدق ينبئ عنك لا الوعيدُ)، وهو بهذا يتّبع سياسة والده زياد ابن أبيه في البصرة حين قال في خطبته البتراء سيئة الصيت: (وإنَّ كذبة المنبر بلقاء مشهورة؛ سوف آخذ البريء منهم بالسقيم والشاهد بالغائب)[١].

وعلى هذا المنوال أشار عبيد الله بن زياد إشارةً واضحةً صريحةً على تنفيذ ما يقوله، وأنَّها ليست مجرد أقوالٍ قيلت على المنابر، وإنَّما ترجم كلامه حرفياً بالقتل على الظنَّة والشبهة، فقتل من قتل وملأ السجون بكلِّ مَن شكَّ بعدم ولائه لحكم بني أُميَّة[٢]، وأخذ العرفاء بالشدَّة والحزم والتهديد، مبيناً لهم وبشكل جلي وواضح واجباتهم، وعواقب عدم التزامهم بتلك الواجبات هي استحلال أموالهم وسفك دمائهم، بل ومن يوجد في عرافته من يبغي يزيد وحكمه يصلب على باب داره، واتهام المعارضين بأنَّهم حروريَّة -أي خوارج- وهي إحدى الذرائع التي يقتلون فيها الناس ويزجونهم بالسجون، وكثيراً ما تلفق تلك التهم لأيِّ شخص ليس على هوى السلطان.

والظاهر أنَّ السجن والقتل لا يطال أيَّ شخص في المجتمع الكوفي، وإنَّما هناك فئة معلومة لدى جهاز شرطة ابن زياد وعيونه وجواسيسه يتم التركيز عليها وهي الفئة المعروفة بولائها لفكر أهل البيت عليهم السَّلام؛ ولذلك نجد أنَّ أغلب من أُودع السجن

(١) ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ص٢٤٢-٢٤٤؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٠/ ٣١٠-٣١١.

(٢) ينظر: ابن الصباغ، الفصول المهمَّة، ص٢٧٩.

هم من الموالين للإمام للحسين عليه السَّلام، وربما أنَّ هؤلاء جرى اعتقالهم من دون أنْ يقْدِموا على أيِّ تحرّك ولكنَّهم معروفون سلفاً لدى السُّلطة وعيونها وجواسيسها.

٢- وربما حاول ابن سعد التغاضي عن تفاصيل تلك الإجراءات التي قام بها ابن زياد في الكوفة، وذلك بعدم التركيز عليها على العكس من بعض المؤرخين، وهو بذلك أزال عاملاً رئيساً وسبباً جوهرياً من أسباب تخاذل أهل الكوفة في نصرة مسلم بن عقيل، وتلك الإجراءات من الطبيعي أنْ تكون قد ازدادت وتيرتها وشدّتها وقسوتها بعد استشهاد مسلم بن عقيل وفي أثناء قدوم الإمام الحسين عليه السَّلام.

أولا: محاولة قتل عبيد الله بن زياد في الكوفة:

كان لوصول عبيد الله بن زياد إلى الكوفة والإجراءات التي اتخذها الأثر الكبير في تغيير الأوضاع السياسيَّة فيها، فقد بدأ أنصار مسلم بن عقيل في التناقص، بل إنَّه استشعر بالخطر؛ لذلك لجأ إلى بيت هاني بن عروة[١]، وهناك وضعت خطة للتخلُّص من عبيد الله بن زياد وبتدبير شريك بن الأعور الحارثي من كبار الشيعة في البصرة[٢]، ومن المتشددين في تشيعه[٣]، شهد الجمل وصفين مع الإمام عليٍّ عليه السَّلام[٤]، واصطحبه ابن زياد هو وبعض وجوه أهل البصرة حين توجه إلى الكوفة.

ونحن نعتقد أنَّ ابن زياد اصطحب معه كبار الشيعة في البصرة للأسباب الآتية:

١- إمَّا خوفاً منهم أنْ يثيروا البصرة عليه في أثناء مغادرته عنها.

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٤٤؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٠٠؛ مسكويه، تجارب الأُمم، ٢/ ٤٣.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٢؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٣٣.

(٣) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك،٥/ ٢٤٤؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٠١

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ٢/ ٣٣٧.

٢- أو لأنَّه أراد قطع الإمدادات عن الإمام الحسين عليه السَّلام باصطحابه زعماء القوم.

٣- أو هو أراد أنْ يقوّي مركزه في الكوفة بإحاطته بكبار الشيعة المعروفين في الكوفة من أهل البصرة.

وحاول شريك تأخير وصول ابن زياد للكوفة عسى أنْ يسبقه الإمام الحسين عليه السَّلام إليها، فتمارض في الطريق، لكنَّ ابن زياد لم يلتفت له واستمر في طريقه للكوفة تاركاً شريكاً ومن معه في الطريق[1]، ونحن لا نعتقد أنَّ شريكاً تصنَّع المرض كونه توفي بعد ذلك بمدَّة قصيرة من وصوله الكوفة، وكون الرواية يتبيّن منها صيغة المبالغة في رسم صورة خاصة لابن زياد، بحيث لم يصل من الذين صحبوه إلى الكوفة سواهُ وسقط الجميع في الطريق وهم خمسمائة شخص انتخبهم ابن زياد من البصرة على حدِّ زعم بعض الروايات[2]، في حين يرى ابن كثير أنَّ عددهم لا يتجاوز أكثر من سبعة عشر راكباً[3]، وربما أراد شريك أنْ يستفيد من سوء حالته الصحيَّة في تأخير ابن زياد عن الكوفة، فلمَّا فشل في ذلك استمر في مسيره إلى الكوفة.

أورد ابن سعد ذلك بقوله: (وكان قَدِمَ مع عبيد الله من البصرة شريك بن الأعور الحارثي وكان شيعة لعليٍّ، فنزل أيضاً على هاني بن عروة، فاشتكى شريك، فكان عبيد الله يَعوده في منزل هاني، ومُسلم بن عقيل هناك لا يعلم به، فهيئوا لعبيد الله ثلاثين رجلاً يقتلونه إذا دخل عليهم، وأقبل عبيد الله فدخل على شريك يسأل به، فجعل شريك يقول: ما تنظرون بسلمى أنْ تحيّوها أسقوني ولو كانت فيها نفسي. فقال عبيد الله: ما يقول؟

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٤٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١١/ ٤٨٤.

(٢) ينظر: ابن شبة النميري، كتاب أخبار البصرة، ص٢٩٣؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٤٢.

(٣) البداية والنهاية، ١١/ ٤٨٤.

قالوا: يهجر، وتحشحش القوم في البيت، فأنكر عبيد الله منهم فوثب فخرج...)[١].

تطرق المؤرخون إلى تفاصيل محاولة قتل ابن زياد فذكروها كلٌّ حسب منهجه بين المسهب فيها والمختصر، ومحور تلك الرواية هو قيام ابن زياد بعيادة شريك بن الأعور في بيت هاني بن عروة، وهناك أُعدَّت محاولة لقتله وكُلِّف مسلم بن عقيل بتنفيذ هذه المهمَّة، ولكنَّ تلك المحاولة لم يُكتب لها النجاح وأُجهضت في مهدها[٢].

ومن خلال مقارنة رواية ابن سعد مع ما ذكرته المصادر التاريخيَّة نجد الآتي:

١ - اختلفت رواية ابن سعد في بعض تفاصيلها المهمَّة عمَّا ذكره بعض المؤرخين، من أنَّ عبيد الله بن زياد قَدمَ لعيادة هاني بن عروة[٣] أوَّلًا ثمَّ لعيادة شريك بن الأعور ثانياً، كونه هو الآخر مريضاً في بيت هاني، وأنَّه طُلبَ من مسلم بن عقيل في المرَّة الأُولى قتله فلم يقبل هاني بن عروة بذلك[٤]، وشكك ابن كثير بهذه الرواية فاستهلها بقوله: (وزعم بعضهم)[٥].

ويبدو أنَّ مرض هاني بن عروة تداخل مع مرض شريك كون ذلك حصل في بيت هاني، وأنَّ ما ذَهب إليه البعض[٦] لا يمكن قبوله بجعلهم خطة الاغتيال برمتها من

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٢.

(٢) ابن شبة النميري، كتاب أخبار البصرة، ص٢٩٣- ٢٩٧؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ٢/ ٨-١٠؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٢/ ٣٣٧؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٣٤ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٦٩؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٤٢؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ص ٤٢؛ الطبرسي، إعلام الورى، ص٢٣١.

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ٢/ ٨-١٠؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٢/ ٣٣٧؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٦٩

(٤) أنساب الأشراف، ٢/ ٣٣٧؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٤٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٤٨٠.

(٥) البداية والنهاية، ١١/ ٤٨٢.

(٦) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ٢/ ٨-١٠؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٢/ ٣٣٧؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٦٩.

تدبير هاني بن عروة، فالرواية الأجدر بالقبول هو مرض شريك في بيت هاني لشبه إجماع المؤرخين عليها، علاوة على أنَّها أكثر موضوعيَّة من غيرها من الروايات.

٢- أغفل ابن سعد السبب الحقيقي في عدم تنفيذ خطة الاغتيال وساق سبباً اختلف مع ما ذكره أغلب المؤرخين، فذكر البلاذري قول شريك لمسلم: (إنَّ هذا الرجل يأتيني عائداً فاخرج إليه فاقتله، فلم يفعل لكراهة هاني ذلك)[١]، وأسهب البعض الآخر من المؤرخين في ذلك بالقول: (قال شريك لمسلم بن عقيل: إنَّما غايتك وغاية شيعتك هلاك هذا الطاغية، وقد أمكنك الله منه، هو صائر إليَّ ليعودني، فقم فادخل الخزانة، حتى إذا أطمأن عندي، فاخرج إليه، فاقتله، ثمَّ صر إلى قصر الإمارة، فاجلس فيه، فإنَّه لا ينازعك فيه أحد من الناس، وإنْ رزقني الله العافية صرت إلى البصرة فكفيتك أمرها، وأُبايع لك أهلها، فقال هاني بن عروة: ما أحبُّ أنْ يقتل في داري ابن زياد، فقال له شريك: ولمَ فو الله إنَّ قتله قربان إلى الله، ثمَّ قال شريك لمسلم: لا تقصر في ذلك)[٢].

وهكذا نجد العديد من المؤرخين فصلوا خطة شريك في قتل ابن زياد وهي خطة محكمة، ووصفها مسكويه بأنَّها مكيدة بليغة[٣]، استوفت شروطها الواقعيَّة من وجهة نظر شريك بن الأعور على أقل تقدير، فقد حدد المكان الذي يختبئ به مسلم بن عقيل وحدد وقت خروجه وقتله له، وبعد ذلك السيطرة على قصر الإمارة من دون أيِّ منازع، وهي إشارة صريحة وواضحة برجحان كفَّة أنصار مسلم بن عقيل في الكوفة على العناصر المؤيدة للأُمويين في حالة قتل ابن زياد، ولم يكتفِ شريك بالوقوف عند هذا الحدِّ، فتعهد

---

(١) أنساب الأشراف، ٢/ ٣٣٧.

(٢) أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٣٤؛ ينظر: الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٤٣؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ص٤٢؛ الطبرسي، إعلام الورى، ص٢٣١.

(٣) تجارب الأُمم، ٢/ ٤٣.

لمسلم بأخذ البيعة من أهل البصرة وضمانه لولائها وبيعتها، وأنَّه سوف يكفيه أمرها، يتضح من ذلك رجحان كفَّة المؤيدين للنهضة الحسينيَّة في البصرة وضعف قاعدة الحكم الأُموي هناك.

لم يُكتب النجاح لمحاولة قتل ابن زياد وأُجهضت في مهدها لأسباب عدَّة، منها هو عدم تقبّل مسلم بن عقيل تلك الخطة أساساً، لحديث رسول الله صلَّى الله عليه وآله): «**الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن**»[(١)(٢)].

والسبب الثاني كراهية هاني بن عروة أنْ يقتل ابن زياد في بيته وتحفظه على ذلك، ربما لأنَّ ذلك يتنافى مع القيم الإسلاميَّة وكرم الضيافة حسب رأيه، وكون هاني بن عروة من الشخصيّات المرموقة في المجتمع وزعيم قومه، فتصور الأمر فيه نوع من الغدر، وهو ما أشار إليه البعض بالقول: (كأنَّه استقبح ذلك)[(٣)].

وليس غريباً على مسلم بن عقيل ذلك، كونه تربَّى في بيت النبوّة مهما كانت العواقب التي تنتظره، فمن المعلوم أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام وأهل بيته وأصحابه التزموا بقيم ومبادئ للدين الإسلامي الحنيف في كلِّ مفاصل النهضة الحسينيَّة؛ لتكون نبراساً وسنةً يُهتدى بها على مرِّ العصور والأجيال وهو سرُّ ديمومتها عبر التاريخ.

وعلى الرغم من ذلك حاول بعض المؤرخين أمثال ابن كثير ترك الأسباب الموضوعيَّة في فشل محاولة الاغتيال بقوله: (فتجبن مسلم عن قتله)[(٤)]، متجاهلًا شجاعة بني هاشم

(١) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ١/ ١٦٦؛ ابن عبد البر، التمهيد، ٩/ ٢٥٦؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ١/ ٩٦.

(٢) أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٣٤؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٤٤-٢٤٥؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٤٢-٤٣؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ١٠١-١٠٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٤٨٠-٤٨١.

(٣) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٤٥؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص١٠١

(٤) البداية والنهاية، ٨/ ١٦٥.

وما أثبتته الوقائع التاريخيَّة عن شجاعة مسلم الذي وصفه ابن قتيبة بالقول: (وكان من أشجع الناس)(١).

٣- انفرد ابن سعد في روايته التي أشار فيها إلى تهيئة ثلاثين شخصاً لقتل ابن زياد، فلم نجد في المصادر التاريخيَّة التي اطلعنا عليها ما يشير لذلك، فضلاً عن أنَّ الرواية لا تصمد أمام المعطيات التاريخيَّة التي ذكرناها، وهي أنَّ المحاولة اقتصرت على أشخاص معدودين منهم صاحب الفكرة والمشورة برمتها هو شريك بن الأعور، ومن المنطقي أن يكون العدد محدوداً جداً في الحفاظ على سريَّة تلك المحاولة، وكون الأمر لا يحتمل وجود كلِّ هذا العدد من الرجال في المكان الذي أُعدَّ لمحاولة الاغتيال وهي خزانة البيت الذي اختبأ فيه مسلم بن عقيل، وكذلك لعدم وجود الوقت الكافي لتدبير أمر بهذا الشكل، فلم يعلموا بعيادة ابن زياد لشريك إلَّا من خلال مبعوث له بعثه لإخبارهم بذلك، ولم يكتمل حديثهم حتى قيل لهم إنَّ الأمير على الباب، وهذا العدد الكبير من الرجال من الصعوبة اتفاقهم على رأي واحد في تنفيذ الأمر أو تركه، ولو كان عددهم مثل ما ذكر ابن سعد لربما نجحت خطة الاغتيال، بمجرد اختلافهم في الرأي لانبرى الفريق المؤيد للاغتيال بتنفيذ المهمَّة من دون أيِّ عائق، والدليل الآخر على عدم دقَّة رواية ابن سعد أنَّ الكلام اقتصر مع مسلم بن عقيل في عدم تنفيذه خطة الاغتيال، ولو كان معه أشخاص آخرون لجرى الحديث معهم في ذلك، على ما يبدو أنَّ تلك المهمَّة كُلِّف بها مسلم بن عقيل ولم ينفذها للأسباب المتقدِّمة الذكر.

٤- وبخصوص كشف ابن زياد لمحاولة قتله فإنَّ ما ذكره ابن سعد في روايته (فأنكر منهم ذلك)، هو كذلك لا يصمد أمام المعطيات التاريخيَّة التي أشارت إلى تنبه أحد

(١) الإمامة والسياسة، ٢/ ٩؛ المعارف، ص٢٠٤.

مرافقي ابن زياد إلى الأمر، فغمز لابن زياد بالخروج، والدليل على صحَّة ذلك المحاورة التي جرت بينه وبين أحد مرافقيه الذي بيَّن له أنَّ هناك محاولة لقتله، فقال له: وكيف مع إكرامي له وفي بيت هاني بن عروة[١]، وهو أقرب للواقع من تنبه ابن زياد لذلك لأنَّه استمر يسأل شريكاً عن علَّته، ولمَّا رآه يكرر الشعر لم ينتبه إلى أيِّ شيء، بل استفسر عن ذلك، ممَّا اضطر هاني للقول إنَّه يهجر، وهذا ما أشار إليه أبو الفرج الأصفهاني صراحة بقوله: (فقال عبيد الله وهو لا يفطن ما شأنه، أترونه يهجر...)[٢].

ومرَّة أُخرى نجد ابن سعد يحاول أنْ يضفي صيغة المبالغة بقدرات ابن زياد من أجل التمهيد له بأنْ يتحمَّل المسؤوليَّة كاملةً في استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام من دون يزيد بن معاوية.

ثانياً: تداعيات محاولة قتل ابن زياد:

ذيَّل ابن سعد روايته السابقة في كيفيَّة معرفة ابن زياد بمحاولة قتله واختفاء مسلم بن عقيل في بيت هاني بن عروة، فأوردها أكثر غموضاً وارتباكاً فقال: (ودعا -أي ابن زياد- مولى لهاني بن عروة كان في الشرطة فسأله فأخبره الخبر.. ثمَّ مضى ودخل القصر وأرسل إلى هاني بن عروة، وهو يومئذ ابن بضع وتسعين سنة فقال: ما حملك على أنْ تُجير عدوِّي وتنطوي عليه؟ فقال: يا بن أخي إنَّه جاء حقٌّ، هو أحق من حقِّك، وحقِّ أهل بيتك، فوثب عبيد الله وفي يده عنزة فضرب بها رأس هاني حتى خرج الزُج واغترز في الحائط ونثر دماغ الشيخ فقتله مكانه)[٣].

(١) ابن شبة النميري، كتاب أخبار البصرة، ص٢٩٥؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٤٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ١٦٥.

(٢) مقاتل الطالبيين، ص١٠١-١٠٢.

(٣) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٣.

يتضح ممَّا تقدَّم أنَّ ابن زياد عرف بتفاصيل محاولة اغتياله من خلال أحد موالي هاني بن عروة كان في شرطة الكوفة، وأخبره كذلك بوجود مسلم بن عقيل في بيت هاني بن عروة في اليوم نفسه وقبل دخوله قصر الإمارة.

أشارت المصادر التاريخيَّة إلى رواية أُخرى هي أقرب إلى الواقع من رواية ابن سعد وأكثر دقَّة وتفصيلاً منها، فقد ذُكر أنَّ ابن زياد حين وصوله الكوفة استدعى أحد مواليه واسمه معقل وأعطاه مبلغاً من المال وقال له: تصنَّعْ أنَّك شيعة لعليٍّ وأطل الجلوس في المسجد وتقرب لهم، ويبدو أنَّه أجاد تنفيذ مهمته، فركن إليه مسلم بن عوسجة فأخبرهُ بحبِّه وموالاته لأهل البيت وأنَّ لديه أموالاً يروم تسليمها إلى من يمثل الإمام الحسين عليه السَّلام، وبعد أنْ أخذ ابن عوسجة عليه الأيمان المغلظة والمواثيق أوصلهُ إلى بيت هاني بن عروة، وهناك التقى بمسلم بن عقيل واستطاع التجسس عليهم ونقل أخبارهم إلى ابن زياد، فعلم بمكان مسلم بن عقيل وتيقن من موقف هاني بن عروة، وعلى أثر ذلك تمَّ استدعاؤه لقصر الإمارة[1]، ووصف المسعودي ذلك بقوله: فوضع ابن زياد العيون والجواسيس حتى علم بموضعه[2].

ممَّا تقدَّم نستطيع القول إِنَّ هذه الرواية هي أقرب للقبول من رواية ابن سعد وذلك للمعطيات الآتية:

١- شبه إجماع بين المؤرخين في ذكرها وهي أقرب منطقياً من رواية ابن سعد طبقاً

(١) ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٢/ ٣٣٦-٣٣٧؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٣٥؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٤٤-٢٤٥؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٤١-٤٤؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٠٠-١٠١؛ المفيد، الإرشاد، ص١٩٧-٢٠٠؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٢/ ١٤٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٤٧٩-٤٨٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١١/ ٤٨١.

(٢) مروج الذهب، ٣/ ٧١.

للمعطيات التاريخيَّة التي أشرنا إليها، فأُسلوب التجسس والمكر والخديعة من الأساليب التي طالما اعتمد عليها الأُمويون وولاتهم أمثال ابن زياد وغيره، وهي من الوسائل التي اعتمدوها في أكثر من مناسبة، وليس غريباً عليهم مثل هذه المكائد فليس مكيدة رفع المصاحف في صفين وقضيَّة التحكيم وترديدهم إنَّ لله جنوداً من عسل وغيرها منفصلة عن النهج الأُموي في القضاء على خصومهم والوصول إلى غاياتهم، بغض النظر عن الوسائل المتبعة في ذلك.

٣- القَسَم الذي أقسمه عبيد الله بن زياد بأنَّه لا يصلِّي على جنازة عراقيٍّ بعد صلاته على شريك[١] الذي توفي بعد ثلاثة أيام من محاولة قتل ابن زياد[٢]، دليلٌ على أنَّه اكتشف محاولة قتله بعد مرور تلك الأيام الثلاثة، ولم تكن معرفته حال وصوله قصر الإمارة حسب رواية ابن سعد، فلو كشفها قبل موت شريك لَّما صلَّى على جنازته.

٤- المحاورة التي جرت بين هاني بن عروة وابن زياد والتي حاول فيها هاني نفي وجود مسلم في بيته، حيث قال له: (ما فعلت وما مسلم عندي، قال: بلى، قد فعلت، قال: ما فعلت، قال: بلى، فلمَّا كثر ذلك بينهما وأبى إلَّا مُجاحدته ومُناكرته، دعا ابن زياد معقلاً ذلك العين، فجاء حتى وقف بين يديه فقال: أتعرف هذا؟ قال: نعم، وعلم هاني عند ذلك أنَّه عين عليهم...)[٣]، تدلُّ هذه المحاورة على قوَّة الدليل الذي حصل عليه ابن زياد من خلال عينه الذي جعله عليهم، ممَّا اضطر هاني بن عروة لتغيير نوعيَّة خطابه لابن زياد.

---

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٤٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٣٨١.

(٢) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٤٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٣٨١.

(٣) ينظر: الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٤٦.

القضيَّة الثانية التي أثارتها رواية ابن سعد هي قوله باستشهاد هاني بن عروة قبل استشهاد مسلم بن عقيل، ولم يتفق معه من المؤرخين في ذلك سوى ابن قتيبة[١] وأبو حنيفة الدينوري[٢]، في حين أشارت المصادر التاريخيَّة الأُخرى إلى أنَّ ما حدث في قصر الإمارة هو تعرض هاني بن عروة للضرب بقضيب أدَّى إلى جرحه جرحاً بليغاً ثم أُودع السجن، ولمَّا عرفت مذحج بذلك أحاطوا بالقصر بقيادة عمرو بن الحجاج في محاولة لإنقاذه، فأَرسل شريحاً القاضي يطمئنهم وأَنَّه حيٌّ لم يقتل كما أُشيع[٣]، وجرت محاولات في شفاعته من قبل محمَّد بن الأشعث كونه هو من أتى به لعبيد الله بن زياد، وأَنَّه يخشى عداوة قومه له ولمكانته بين قومه فوعده في ذلك، فلمَّا استشهد مسلم بن عقيل أمر بإخراجه للسوق وقتله[٤].

بيد أنَّ أرجح الروايات هي استشهاد مسلم بن عقيل أوَّلاً ثمَّ استشهاد هاني بن عروة؛ وذلك لأنَّ الأمر برمَّته يتعلق بمسلم بن عقيل وهو المطلوب الأوَّل من قبل ابن زياد، علاوة على خشية ابن زياد من موقف مذحج في بادئ الأمر، حيث كانت أوضاع الكوفة مضطربة حينها ولم تتضح المواقف لابن زياد بشكل جلي، لكنَّ استشهاد مسلم وتغير الموقف لصالح حزب بني أُميَّة رجَّحت كفتهم على الثوار من خلال تدخل أشراف الكوفة، والدعاية الأُمويَّة والظروف التي أحاطت بهم كلُّ ذلك مجتمعاً رجَّح كفَّة ابن زياد وجعلته أكثر جرأة على سفك الدماء وتنكر لشفاعة محمَّد بن الأشعث في هاني بن عروة، فقرر قتله بعد قتل مسلم بن عقيل عليه السَّلام.

(١) ينظر: الإمامة والسياسة، ٢/ ٩.

(٢) ينظر: الأخبار الطوال، ص ٢٣٨.

(٣) ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٢/ ٣٣٧-٣٣٨؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٤٦-٢٤٨؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٠٢؛ الطبرسي، إعلام الورى، ص٢٣٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٤٨٣.

(٤) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٥٥.

ثالثاً: استشهاد مسلم بن عقيل عليه السَّلام:

ذكرنا فيما سبق ما حصل لهاني بن عروة مع ابن زياد والذي كان له الأثر الكبير على موقف مسلم رضوان الله عليه في الكوفة، فقد خسر المناصر القويَّ له الأمر الذي أضعف موقفه كثيراً، وقد أشار ابن سعد إلى ذلك بقوله: (وبلغ الخبر -أي خبر هاني بن عروة- مُسلم بن عقيل، فخرج في نحو من أربعمائة من الشيعة، فما بلغ القصر إلَّا وهو في نحو ستين رجلاً، فغربت الشمس واقتتلوا قريباً من الرحبة، ثمَّ دخلوا المسجد وكثرهم أصحاب عبيد الله بن زياد، وجاء الليل فهرب مسلم حتى دخل على امرأة من كِندة يقال لها طوعة، فاستجار بها، وعلم بذلك محمَّد بن الأشعث بن قيس فأخبر به عبيد الله بن زياد فبعث إلى مسلم فجيء به فأنَّبه وبكته وأمر بقتله...)[١].

ولا بُدَّ لنا من الوقوف على رواية بهذا الشأن ذكرها كلٌّ من ابن قتيبة واليعقوبي، مفادها أنَّه بعدما علم ابن زياد بوجود مسلم بن عقيل في بيت هاني بن عروة بعد محاولة قتله على فرضيَّة أنَّ محاولة القتل بتدبير من هاني بن عروة وليس شريك بن الأعور، فاستدعاه للقصر وبعث شرطته لبيت هاني فقاتلهم مسلم بن عقيل هو وأصحابه ثمَّ أُثخن بالجراح وتمَّ أَسره[٢].

ويبدو أنَّ هذه الرواية لا تصمد أمام المعطيات التاريخيَّة، فلو كان ابن زياد بإمكانه اقتحام بيت هاني بن عروة لكان فعل ذلك حينما أبلغه معقل بوجود مسلم بن عقيل عند هاني، ولم يكن بحاجة لجلب هاني بن عروة والتفاوض معه على تسليم مسلم، إذ لم يكن ابن زياد مطمئناً لما تؤول إليه الأُمور ولم تكن الأوضاع مستقرةً في الكوفة فتسمح له بذلك.

---

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٣.

(٢) الإمامة والسياسة، ٢/ ٩-١٠؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٦٩.

جاءت رواية ابن سعد وهي تتفق بشكل عام مع ما ذكرته المصادر التاريخيَّة إلَّا أنَّها اختلفت في العديد من التفاصيل، ومنها أنَّ مسلم بن عقيل كان على اطلاع بما يحصل في الكوفة من خلال رجال جنَّدهم لهذا الغرض، فذكر الطبري بسنده عن عبد الله بن حازم[1] قال: (أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر إلى ما صار إليه أمر هاني، قال: فلمَّا ضُرب وحُبس ركبت فرسي وكنت أَوَّل أهل الدار دخل على مسلم بن عقيل بالخبر)[2].

لم يتضح من رواية ابن سعد كيف اجتمع أنصار مسلم بن عقيل وكيف عبّأهم وحاصر قصر ابن زياد، ربما أراد بذلك الاختصار وعدم إعطاء أهميَّة لذلك، كون النتائج المترتبة على تلك التعبئة لم تأتِ بثمارها، في حين أشار بعض المؤرخين إلى أنَّ مسلم بن عقيل أمر منادياً ينادي بشعار حدده مسبقاً (يا منصور أمت)، فاجتمع حوله أربعة آلاف من أنصاره فعبَّأهم وتوجه بهم إلى محاصرة ابن زياد، وكادت الكفة تميل إلى أصحاب مسلم بن عقيل لولا الدور السلبي الذي لعبه بعض أشراف الكوفة من أنصار بني أُميَّة، فثبطوا الناس وأبلغوهم أنَّ جنود يزيد قد أقبلت من الشام وأنَّهم سوف يحرمونهم من العطاء وسوف يؤخذ البريء بالسقيم والشاهد بالغائب وغير ذلك، فبدأ الناس يتفرقون[3]، وقد وصف البعض موقف ابن زياد بالقول: (فلمَّا بلغ عبيد الله إقباله تحرز في القصر، وغلق الأبواب، وأقبل مسلم حتى أحاط بالقصر.. فضاق بعبيد الله أمره)[4]، وكان جُلُّ

(١) لم نجد له ترجمة إلاَّ عبارات بسيطة ذكرها الشاهرودي بقوله: إنَّه خرج لطلب دم الحسين عليه السَّلام مع التوابين، الشاهرودي، مستدركات علم الرجال، ٤/ ٥٠٩.

(٢) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٤٨.

(٣) ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٢/ ٣٣٨؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٣٨-٢٣٩؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٤٨-٢٤٩؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٤٩-٥٠.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٠٣.

أمره أنْ يتمسك بباب قصره[(١)]، وهذا يدلُّ على حجم المعركة من جهة وإلى رجحان كفَّة أصحاب مسلم بن عقيل من جهة أُخرى.

جاءت رواية ابن سعد متفقة مع المصادر التاريخيَّة بحدوث معركة قُرب قصر الإمارة انتهت بتغلب أصحاب ابن زياد على أصحاب مسلم بن عقيل، ولم يشر إلى المعركة في بدايتها ولا إلى أسباب الهزيمة، ولم يتطرق إلى دور أشراف الكوفة والدعاية الأُمويَّة التي لطالما استخدمها أنصارهم في مثل تلك المواقف، ممَّا اضطر مسلم بن عقيل أنْ ينسحب من الساحة، فضلاً عن ذلك استخدم ابن سعد مفردة الهروب من دون غيرها فقال: (وجاء الليل فهرب مسلم)، في حين نجد الأمر مختلفاً عند غيره، فذكر بعض المؤرخين[(٢)] أنَّ مسلم بن عقيل صلَّى المغرب في المسجد، ولمَّا رأى قلَّة أنصاره وخذلان الناس خرج متوجهاً نحو أبواب كندة في ثلاثين رجلاً من أصحابه.

ويبدو أنَّ مسلم بن عقيل قد جُرح في تلك المعركة جراحة ثقيلة وقُتل بعض أصحابه[(٣)]، ممَّا اضطره إلى الانسحاب أمام كثرة أصحاب ابن زياد وتخاذل أصحابه وتناقصهم.

الأمر الثاني الذي أغفله ابن سعد في روايته هو كيفيَّة مواجهة مسلم بن عقيل لشرطة ابن زياد حين حاصروه في بيت السيدة طوعة، فقال: (فبعث إلى مسلم فجيء به فأنَّبه وبكته وأمر بقتله)، وبذلك أغفل ابن سعد ما أشار المؤرخون إليه أنَّه لَّما علم ابن زياد بمكان مسلم بن عقيل بعث قوَّة قوامها أكثر من ستين رجلاً إلى الدار التي فيها مسلم بن عقيل، فاقتحموها فخرج إليهم مسلم وقاتلهم قتالاً

---

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٤٨.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ٢/ ٣٣٨؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٣٩؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٥٠؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٥٠؛ المسعودي، مروج الذهب، ٣/ ٧٢.

(٣) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٦٤.

شـديداً وردَّهـم مرتـين، واسـتمر القتـال بينه وبينهـم في السـكك القريبة من الـدار ولَّما عرضـوا عليـه الأمـان قاتلهـم وهو يرتجـز ويقول:

أقـسـمـت لا أُقـتـل إلَّا حـرا ... وإنْ رأيـت المـوت شيئاً نكرا

كـلُّ أمـرئ يـومـاً مـلاقٍ شرا ... ويُخلـط الـبـارد سُـخـنـاً مُـرّا

رُدّ شُـعـاع الـشَـمـس فاستقرا ... أخـافُ أن أُكـذب أو أُغـرا

ولَّما أثخن بالجراح وتكاثر عليه القوم وهم يعرضون عليه الأمان قَبلَ به[1].

لكنَّنا في الوقت نفسه نجد أنَّ ابن سعد ذيَّل روايته بوصيَّة مسلم بن عقيل وما جرى من حوار بينه وبين عمر بن سعد فقال: (دعني أوصي، قال: نعم، فنظر إلى عمر بن سعد فقام إليه فقال: يا هذا، إنَّه ليس ها هنا رجل من قريش غيرك، وهذا الحسين بن عليٍّ قد أظلك فأرسل إليه رسولاً فلينصرف، فإنَّ القوم غرّوه وخدعوه وكذبوه، وإنَّه إنْ قُتل لم يكن لبني هاشم بعده نظام، وعليَّ دين أخذته منذ قدمت الكوفة فاقضه عنّي، واطلب جثتي من ابن زياد فوارها، فقال له ابن زياد: ما قال لك؟ فأخبره بما قال، فقال: قل له: أمَّا مالك فهو لك لا نمنعه منك، وأمَّا حسين، فإنْ تركنا لم نُرِدْه، وأمَّا جثته، فإذا قتلناه لم نبال ما صُنع به، ثمَّ أمر به فقتل)[2].

فجاءت روايته متطابقة من حيث المضمون مع ما ذكره المؤرخون[3]، لكنْ يمكننا ملاحظة الآتي:

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٥١-٢٥٢؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٥٢-٥٥.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٣.

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ٢/ ١٠؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٢/ ٣٣٩؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٤١؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٥٤؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٥٧؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٠٨.

١- انفرد ابن سعد بالقول إنْ قُتل -الحسين عليه السَّلام- لم يكن لبني هاشم بعده نظام، وهذه الرواية صوَّرت خروج الإمام الحسين عليه السَّلام ونهضته هو خلاف بين بني هاشم وبني أُميَّة، وأنَّ استشهاده عليه السَّلام هو خسارة لبني هاشم ليس إلَّا، وكأنَّه لم يكن يحمل هموم الأُمَّة كلِّها وجُلُّ همِّه بنو هاشم وهو خلاف ذلك، وهذا القول لم يذكره أيٌّ من المؤرخين الذين أسهبوا في تفصيل المحاورة التي جرت في قصر الإمارة، مثل الطبري وابن أعثم الكوفي.

٢- أمَّا قوله إنَّ ابن زياد وهب جثة مسلم بن عقيل لعمر بن سعد فهو لا يصمد أمام ما ذكرته المصادر التاريخيَّة، فقد شكك أبو مخنف في ذلك بقوله: (زعموا أنَّه قال: أمَّا جُثته فإنَّا لا نبالي إذا ما قتلناه ما صُنع بها)[١]، وقول أبي مخنف زعموا هو أقرب للقبول، فيتبيّن من الشعر الذي قيل بعد استشهاد مسلم بن عقيل أنَّه لم يراعِ حرمة لميت أو حي (ترى جسداً غيَّر الموت لونه ونضح دم قد سال كلَّ مسيل)[٢]، وهو ما أشار إليه أبو الفرج الأصفهاني صراحة بذكر قول ابن زياد: (وأمَّا جثته فإنَّنا لا نشفعك فيها، فإنَّه ليس لذلك منَّا بأهل، وقد خالفنا وحرص على هلاكنا)[٣]، فقد عزم ابن زياد التمثيل بالجسد الطاهر للتشفي به وليتخذ منه وسيلة لإرهاب الناس وتخويفهم[٤].

ولم يكن مسلم بن عقيل غافلاً عمَّا يريده ابن زياد فقال له: (أمَا إنَّك لم تدع سوء القتلة، وقبح المثلة، وخبث السيرة، ولؤم الغيلة، لمن هو أحقُّ به منك)[٥]، ومن الأدلَّة على نقض رواية ابن سعد بأنَّ عبيد الله وهب جثة مسلم بن عقيل لعمر بن سعد، هو ما

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٥٤.

(٢) أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٤٢.

(٣) مقاتل الطالبيين، ص١٠٨.

(٤) باقر القرشي، حياة الإمام الحسين عليه السَّلام، ٢/ ٤٠٦.

(٥) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ١٠٩؛ الزمخشري، ربيع الأبرار، ٣/ ١٥٧.

قاله ابن سعد نفسه في موضع آخر فذكر: (فأخذ عبيد الله بن زياد مسلم بن عقيل وهاني بن عروة فقتلهما جميعاً وصلبهما فلذلك قول الشاعر:

(فإنْ كنتِ لا تدرين ما الموت فانظري   إلى هانئ في السوق وابن عقيل
ترى جسداً قد غيَّر الموت لونه   ونضح دم قد سال كلَّ مسيل)[١].

والتمثيل بالجثث وقطع الرؤوس لم يكن غريباً على مبتدعيه من بني أُميَّة وأعوانهم، فهو سنة أُمويَّة توارثوها منذ القدم حين جنَّدوا أنفسهم لزعامة الحرب ضدَّ الرسول صلَّى الله عليه وآله في بواكير الدعوة الإسلاميَّة حين مَثَّلَ أسلافهم بالحمزة بن عبد المطلب.

٣- أغفل ابن سعد الحوار الذي دار بين مسلم بن عقيل وابن زياد في قصر الإمارة، والتي رفض فيها مسلم أنْ يسلم على ابن زياد بالإمرة، ولمَّا قال له ابن زياد: (كأنَّك تظن أنَّ لكم في الأمر شيئاً؟ قال: والله ما هو بالظن، ولكنَّه اليقين)[٢]، بل ذكر بعض المؤرخين أنَّه قال له: إنَّما أنا في طاعة أمير المؤمنين الحسين بن عليٍّ ونحن أَولى بالخلافة من معاوية وابنه وآل زياد[٣]، ووصف المسعودي تلك المحاورة بالقول: (فلماَّ انقضى كلامه ومسلم يغلظ له في الجواب أمر به فأُصعد إلى أعلى القصر...)[٤].

يتبيَّن ممَّا تقدَّم أنَّ ابن سعد أغفل تلك المحاورة على الرغم من أهميتها، كونها تبيّن حقيقة الصراع بين سلطة بني أُميَّة وبين النهضة الحسينيَّة وأهدافها، وليس كما صُوّر في نطاق ضيق وكأنَّه خلاف بين أبناء عمومة حول السُّلطة أو الحكم.

---

(١) الطبقات الكبير، ٤/ ٣٩.

(٢) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٥٤.

(٣) ينظر: ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٥٦؛ ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٢/ ٣٣٩-٣٤٠؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٣٥٤.

(٤) مروج الذهب، ٣/ ٧٣-٧٤.

٤- أشار ابن سعد إلى قول الشاعر عبد الله بن الزبير الأسدي[١] في رثاء مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة:

وإنْ كنتِ لا تدرين ما الموت فانظُري إلى هانئ في السوق وابن عقيل

ترى جسداً قد غيَّر الموت لَونه ونضح دمٍ قد سال كلَّ مسيل

أصابهما أمرُ الإمام فأصبحا أحاديث من يهوى بكلِّ سبيل

ترى بطلاً قد هشم السيف رأسه وآخر يهوى من طَمار قتيل

أيركب أسماء الهماليجَ آمناً وقد طلبته مذحجٌ بقتيلِ

فإنْ أنتم لم تثأروا بأخيكم فكونوا بغايا أُرضيت بقليلِ[٢]

لم ينسَ ابن سعد أنْ أوضح المقصود في بعض الشعر فقال: (يعني أسماء بن خارجة الفزاري، كان عبيد الله بن زياد بعثه وعمرو بن الحجاج الزبيدي إلى هانئ بن عروة، فأعطياه العهود والمواثيق، فأقبل معهما حتى دخل على عبيد الله بن زياد فقتله)[٣].

وأشارت إلى تلك الأبيات أغلب المصادر التاريخيَّة[٤] باختلاف بعض الكلمات بزيادة أو نقصان، وإنْ نسبها البعض للفرزدق[٥]، في حين اكتفى المسعودي بالقول: (فقال الشاعر)[٦].

(١) هو عبد الله بن الزبير بن الأشيم من بني أسد، يكنى أبا سعد، وهو كوفي حجة، من شعراء بني أسد ونبلائهم... ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٢٨/ ٢٥٩؛ البغدادي، خزانة الأدب، ٢/ ٢٣٢.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٤.

(٣) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٤.

(٤) البلاذري، الأنساب، ٢/ ٣٤١؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٤٢، الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٥٦؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٦٢؛ المسعودي، مروج الذهب، ٥/ ٦٢؛ ص٣٥٦؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٠٩؛ المفيد، الإرشاد، ص٢٠٧.

(٥) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٥٦؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٢/ ٣٤١.

(٦) مروج الذهب، ٣/ ٧٤.

ومن الملاحظ على ما ذكره ابن سعد بهذا الشأن أنَّه أوضح الأسماء التي قصدها الشاعر في أبياته، لكنَّه لم يكتفِ بذلك، بل تبنى رأي الشاعر في تحميل هذين الشخصين الذين أعطوا العهود والمواثيق لهاني بن عروة، فكانا السبب الرئيس والمباشر في قتله، وهو بذلك يمهد بالدليل والبرهان سبب استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام، وهي عهود ومواثيق وكتب أهل الكوفة له، ولا يستطيع أحد نكران هذا الأمر، ومن المستغرب أن تُبَرَّأَ ساحة ابن زياد ويزيد بن معاوية أو يتم اتهامهم على استحياء في تحمِّلهم ما وقع على آل البيت، أليس من المنطقي أنْ يُطالب بدم هانئ بن عروة عبيد الله بن زياد الذي أمر بقتله بدلاً من أسماء بن خارجة وعمرو بن الحجاج، ومَن يكون هؤلاء سوى أدوات وشَرطة بيد ابن زياد وسادته في دمشق.

وربما حاولت رواية ابن سعد أن تُحسن صورة ابن زياد وبعض قادته من المحسوبين على الخط الأُموي بذكره: (وقضى عمر بن سعد دَين مُسلم بن عقيل، وأخذ جثته فكفنه ودفنه، وأرسل رجلاً إلى الحسين فحمله على ناقةٍ وأعطاه نفقة، وأمره أن يبلغه ما قال له مُسلم بن عقيل، فلقيه على أربع مراحل فأخبره)[١].

لكنَّنا نجد ابن سعد ناقض نفسه بذكر الشعر الذي سبقت الإشارة إليه بالتمثيل بجثث هؤلاء الشهداء وسحبهم في الأسواق وقطع رؤوسهم وإرسالها إلى يزيد بن معاوية، ولم تكن سنة قطع الرؤوس معروفة عند المسلمين ولم يبتدعها إلَّا الأمويون حين قطعوا رأس عمرو بن الحمق الخزاعي[٢] رضوان الله عليه إبان حكم معاوية من قبل والي الموصل،

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٤.

(٢) هو عمرو بن الحمق بن الكاهن الخزاعي، من صحابة رسول الله صلىَّ الله عليه وآله ومن خُلَّص أصحاب الإمام عليٍّ عليه السَّلام، وهو من الثائرين على عثمان بن عفان، استشهد على يد والي الموصل عبد الرحمن بن عثمان الثقفي عام (٥١هـ)، وحُمل رأسه إلى معاوية في دمشق. ينظر: خليفة بن خياط، الطبقات، ص١٠٦؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٤٥/ ٤٩٠-٥٠٤؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ٤/ ١٠٠-١٠١.

فكان أَوَّل رأس حُمل على الرماح وطيف به في الإسلام[١].

والمتمعن في رواية ابن سعد في تنفيذ وصيَّة مسلم بن عقيل يُخيل إليه بأنَّ عمر بن سعد شخص يمتاز بكلِّ الصفات الحميدة، فوفى بكلِّ ما وعد به مسلم بن عقيل على عكس باقي الكوفيين، وإنْ كان ابن سعد حاول إخراجه في رواية سابقة من دائرة الكوفيين وألحقه بقريش بزعمه قول مسلم: (ليس ها هنا رجل من قريش غيرك)، في حين جُلُّ المجتمع الكوفي متكون من أولئك الفاتحين الذين تدفقوا من الحجاز واليمن وغيرهما منذ أنْ تأسست الكوفة عام ١٧هـ.

بينما نجد عمر بن سعد اتُهم بالخيانة منذ اليوم الأوَّل ومن قبل عبيد الله بن زياد نفسه، حين امتنع من تقبّل الوصيَّة أوَّلاً إلَّا بعد أنْ أوعز إليه عبيد الله، وثانياً هو ليس صاحب أمانة ووصيَّة حين أفشى الوصيَّة لأميره من دون أنْ يقدم على سؤاله، فاستهجن ذلك ابن زياد وقال له: لا يخونك الأمين وإنَّما يؤتمن الخائن[٢]، فمن أين جاءت كلُّ هذه البطولة والصفات الحميدة لعمر بن سعد فوفى بكلِّ شيء ولم يكن له همٌّ غير الفوز برضا ابن زياد للحصول على ولاية الري؟

ونحن نستبعد إرسال عمر بن سعد رسولاً إلى الإمام الحسين عليه السَّلام حسب وصيَّة مسلم بن عقيل، على الرغم من ذكر أبي حنيفة الدينوري ذلك: (فلمَّا وافى -أي الحسين عليه السَّلام- زبالة وافاه بها رسول محمَّد بن الأشعث، وعمر بن سعد بما كان سأله مسلم أنْ يكتب به إليه من أمره...)[٣]، لكنَّ أبا حنيفة الدينوري كأنَّه لمح أنَّ

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٦١.

(٢) أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٤١؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك،٥/ ٢٥٤؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٠/ ٤٠٢؛ ابن الأثير، الكامل، ٣/ ٤٨٨؛ العاملي، الدر النظيم، ص٥٤٥.

(٣) أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٤٧-٢٤٨.

الرسول كان من قبل محمَّد بن الأشعث وأنَّه رسول واحد وليس رسولين، فقد ذيَّل روايته بالقول: (وقد كان مسلم سأل محمَّد بن الأشعث ذلك، فلمَّا قرأ الكتاب استيقن بصحَّة الخبر، وأفظعه مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة، ثمَّ أخبره الرسول بقتل قيس بن مسهر رسوله الذي وجهه من بطن الرمة)(١)، ويبدو من رواية ذكرها أبو مخنف أنَّه كان رسول محمَّد بن الأشعث فذكر: (دعا محمَّد بن الأشعث إياس بن العثل الطائي من بني مالك بن عمرو بن ثُمامة، وكان شاعراً وكان لمحمَّد زواراً، فقال له: القَ حسيناً فأبلغه هذا الكتاب، وكتب فيه الذي أمره ابن عقيل، وقال له: هذا زادك وجهازُك، ومتعةٌ لعيالك، فقال: من أين لي براحلة، فإنَّ راحلتي قد أنضيتُها؟ قال: هذه راحلة فاركبها برحلها، ثمَّ خرج فاستقبله بزُبالة لأربع ليالٍ، فأخبره الخبر، وبلغه الرسالة، فقال الحسين: كلُّ ما حُم نازلٌ، وعند الله نحتسب أنفسنا وفساد أُمتنا)(٢)، كذلك أشار البلاذري إلى رواية مختصرة مفادها أنَّ محمَّد بن الأشعث بعث رسولاً إلى الحسين عليه السَّلام أبلغه فيها باستشهاد مسلم بن عقيل طالباً منه الانصراف عن الكوفة(٣).

ومن مقارنة رواية ابن سعد مع رواية أبي مخنف نجد رواية الأخير أكثر وثاقة ودقَّة بسبب قوله: إنَّ رسوله كان شاعراً وتربطه صداقة خاصة مع ابن الأشعث، فذكر اسمه واسم قبيلته، فضلاً عن الحوار الذي جرى بينهما وكيفيَّة تجهيزه للمسير، في حين جاءت رواية ابن سعد التي ذكرها بإسناده الجمعي من دون ذكر اسم رسول عمر بن سعد، ومن البديهي أنْ لا يكون مَن كُلِّف بمهمَّة من هذا النوع شخصاً مجهولاً فقال: (وأرسل رجلاً)، وليس من المنطقي أنْ يكونا رسولين والتقيا مع الحسين عليه السَّلام في المكان

(١) أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٤٧-٢٤٨.

(٢) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٥٢.

(٣) أنساب الأشراف، ٢/ ٣٤٢.

نفسه وهو موضع زبالة وتكررت لهم الظروف نفسها، وعمر بن سعد رفض منذ البداية قبول وصيَّة مسلم بن عقيل إلَّا بعد أنْ أمره ابن زياد، ولَّما أوصاه أفشى وصيته لابن زياد فاستهجن ذلك منه، ومُن المسلَّم به قد مُثل بجثث الشهداء وتمَّ سحبهم في أزقة الكوفة، وهو خلاف ما ذكره ابن سعد في روايته، فضلاً عن أنَّ ابن سعد لم يشر إلى رسول ابن الأشعث.

حاول ابن سعد أنْ يُظهر عمر بن سعد كونه قرشياً ومن قادة الأُمويين في العديد من المواقف بمظهر الفارس النبيل الذي يتمتع بالعديد من المزايا والخصال الحميدة، في حين أنَّ أغلب مواقفه تنمُّ عن عبوديَّة وطاعة منقطعة النظير، حتى قال له عبد الله بن مطيع: قتلت ابن عمِّك من أجل حكم الري[1]، فكان حبُّه للسُّلطة والجاه قد طغت على كلِّ أعماله.

من خلال قراءتنا لكلِّ الروايات السابقة التي أوردها ابن سعد وغيره من المؤرخين في طريقة وأسباب إجهاض ثورة مسلم بن عقيل وكيفيَّة مقتله، يثيرنا تساؤل حول تلك الروايات، فأين ذهب الخُلَّص من أصحابه وقت انسحابه؟ ومن البديهي أنْ يقال إنَّهم تخلوا عن مسلم مثل ما تخلى غيرهم ظناً وحفاظاً على أنفسهم وحياتهم، لكنَّنا نصطدم بحقيقة لا لبس فيها أنَّ البعض[2] منهم لم يبخل بنفسه والتحق بالحسين عليه السَّلام واستشهد بين يديه، وهل من المنطقي أنْ يتخلى كلُّ من خرج معه إلى محاصرة القصر؟ وتشير بعض الروايات إلى أنَّ مسلماً صلَّى المغرب قرب القصر، ولَّما انقضت الصلاة لم يبقَ معه سوى ثلاثين رجلاً، فوجد من الأفضل له الانسحاب، وهذا يعني أنَّ مسلم بن عقيل كان لديه نوع من الاطمئنان أو على الأقل متكافئ مع عدوه حين أقام الصلاة في المسجد المجاور، بل والمتداخل مع قصر الإمارة، وحين قرر الانسحاب كان برفقته

(١) ابن سعد، الطبقات الكبير، ٧/ ١٤٧.

(٢) التحق بالإمام الحسين عليه السَّلام العديد من الكوفيين واستشهدوا بين يديه منهم حبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة ونافع بن هلال وغيرهما.

هؤلاء الثلاثون، وقطعاً هم من خيرة أصحابه والمخلصين له فأين ذهب هؤلاء؟ ألم يحاول أحدهم اصطحابه إلى مكان معيَّن في هذه المدينة المترامية الأطراف.

والأغرب من ذلك كلِّه هو قيام ابن زياد في رواية بقتل هاني بن عروة في السوق، وفي رواية أُخرى قتل في القصر، ثمَّ أُخرج وسُحبت جثته الطاهرة في الأسواق في مجتمع لم تغادر فيه العصبيَّة القبليَّة بعيداً، وهو ما تجلى في بعض المواقف مثل موقف قبيلة الحر الرياحي حين حاول عمر بن سعد أنْ تطأ الخيل جسده الطاهر فاضطر إلى التراجع عن قراره.

ونحن نعتقد أنَّ هناك حلقات مفقودة من ثورة مسلم بن عقيل، فالمنطق يبيِّن أنَّ هناك قتال وقتلى من أصحاب مسلم بن عقيل غير هاني بن عروة، وهذا ما ذكره بعض المؤرخين من استشهاد عبد الأعلى الكلبي وعمارة بن صلخب الأزدي[1]، ولعلَّ هذا يوضح لنا حجم المعركة التي دارت بين الجانبين، وهو ما يؤكد أنَّ هناك غير هؤلاء الشهداء في ثورة مسلم بن عقيل في الكوفة، ومن الطبيعي أنَّ ابن زياد زَجَّ في السجن مجموعة كبيرة بعد استشهاد مسلم بن عقيل.

رابعاً: موقف الإمام الحسين عليه السَّلام من استشهاد مسلم بن عقيل عليه السَّلام:

أشار ابن سعد إلى موقف الإمام الحسين عليه السَّلام حين بلغه استشهاد مسلم بن عقيل بقوله: (وبلغ الحسين قتلُ مسلم وهاني فقال له ابنه علي الأكبر: يا أبه، ارجع فإنَّهم أهل العراق وغدرهم، وقلَّة وفائهم، ولا يفون لك بشيء. فقالت بنو عقيل لحسين: ليس هذا بحين رجوع، وحرَّضوه على المضي، فقال حسين لأصحابه: قد ترون ما يأتينا، وما أرى القوم إلَّا سيخذلوننا، فمن أحبَّ منكم أنْ يرجع فليرجع، فانصرف عنه الذين صاروا إليه في طريقه...)[2].

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ٢/ ٣٤٢؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٥٥-٢٥٦.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٤.

وقبل مناقشة رواية ابن سعد لا بُدَّ لنا من مقارنتها ببعض الروايات التي ذكرتها المصادر التاريخيَّة، فذكر ابن قتيبة (وقد جاء الحسين الخبر، فهمَّ أنْ يرجع ومعه خمسة من بني عقيل فقالوا له: أترجع وقد قتل أخونا، وقد جاءك من الكتب ما نثق به؟ فقال لبعض أصحابه: والله ما لي عن هؤلاء من صبر، يعني بني عقيل...)[١]، في حين اكتفى اليعقوبي وحسب منهجه في اختصار الحوادث بالقول: (وسار الحسين يريد العراق، فلمَّا بلغ القُطقُطانة[٢] أتاه الخبر بقتل مسلم بن عقيل)[٣].

بينما ذهب بعض المؤرخين إلى أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام لمَّا وصل زبالة تيقن من استشهاد مسلم بن عقيل، فأبلغ الناس من أحبَّ الانصراف فلينصرف فإِنَّه ليس عليه منَّا ذمام، فتفرقوا عنه يميناً وشمالاً وبقي في أصحابه الذين وطنوا أنفسهم على مواساته والموت دونه[٤]، في حين ذكر البعض أنَّ الذي أخبره بمقتل مسلم بن عقيل هو الحرُّ بن يزيد التميمي حين بلغ القادسية، فهمَّ بالرجوع فلم يقبل إخوة مسلم وأَصروا على الأخذ بثأر أخيهم، فقال الحسين لا خير في الحياة بعدهم[٥].

من خلال ما تقدَّم يمكننا القول:

١- لم يشر ابن سعد إلى المكان الذي وصل فيه خبر استشهاد مسلم بن عقيل إلى الإمام الحسين عليه السَّلام، بينما ذكر أغلب المؤرخين أنَّه علم باستشهاده في الطريق وهو

(١) الإمامة والسياسة، ٢/ ١١.

(٢) القطقطانة: موضع قرب الكوفة من جهة الصحراء كان فيه سجن النعمان بن المنذر، وهو قريب لموضع قصر بني مقاتل ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤/ ٢٧٤.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٦٩.

(٤) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٦٩؛ ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٣٨١-٣٨٢؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٤٧-٢٤٨.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ٣/ ٧٥؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٢/ ١٤٩؛ المزي، تهذيب الكمال، ٦/ ٤٢٧.

على مقربة من العراق، لكنَّهم اختلفوا في تحديد المكان بعينه، هل هو الثعلبية أَم زبالة أم القطقطانة أم القادسية، بيد أنَّ أرجح الروايات تؤكد أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام علم بخبر استشهاد مسلم في الثعلبيَّة، وهي مدينة تقع في ثلث الطريق من مكَّة إلى الكوفة، لكنَّه استيقن استشهاده في موضع زبالة وفيها خطب أصحابه عليه السَّلام فتفرق عنه بعض من صحبه في الطريق من الأعراب[١].

٢- تطرَّق ابن سعد وغيره من المؤرخين إلى موقف آل عقيل حين علموا باستشهاد مسلم، ومن البديهي والمنطقي أنْ يكونوا أكثر حماساً وإصراراً في مسيرتهم في الركب الحسيني وقد يكونون أعلنوا ذلك صراحةً، في الوقت نفسه طُرحت بعض الآراء التي أرادت من الإمام الحسين عليه السَّلام الرجوع، على اعتبار أنَّ الموقف قد تغيَّر في الكوفة، وأنَّ الأُمور جاءت بغير ما خُطَطَ لها، وهو ما فعله الإمام الحسين عليه السَّلام نفسه حين أُبلغ من صحبه بالطريق بما حصل في الكوفة فتفرق هؤلاء عنه، في ظل تلك الآراء والتي استمع لها الإمام الحسين عليه السَّلام استمر في مسيرته بقوله: «**لا خير في الحياة بعد هؤلاء**».

ويرى أغلب المؤرخين -وكما أشرنا- أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام استمر في مسيرته للكوفة مواساة لآل عقيل، وهذا الأمر لا يمكن قبوله والأخذ به، فلم تكن النهضة الحسينيَّة منذ أنْ خُطَطَ لها هي قضيَّة ثأر أو خلاف على السُّلطة أو الحكم كما حاول الأُمويون وأنصارهم وضعها في إطارٍ ضيّق بدلاً من مفهومها الواسع الشامل، ولعلَّ ما يؤيد رأينا أنَّ البلاذري ذكر جواب الإمام الحسين عليه السَّلام لرسول ابن الأشعث حين سأله الانصراف عن الكوفة بقوله: (فلم يلتفت إلى قوله وأبى إلَّا القدوم إلى العراق)[٢]،

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٤٩٥-٤٩٦.

(٢) الأنساب، ٢/ ٣٤٢.

وهكذا لم نجد في رواية البلاذري أيَّ إشارة إلى موقف آل عقيل، في حين أوضحت الرواية إصرار الإمام الحسين عليه السَّلام في المضي قُدماً في نهضته الإصلاحيَّة، واضعاً نصب عينيه مصلحة الدين والأُمَّة أَوَّلاً وأخيراً، وكانت أهدافه واضحة جليَّة صرَّح فيها بأكثر من مناسبة، فبعد قوله: «**والله لم أخرج أشراً ولا بطراً وإنَّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمَّة جدِّي**»، وقوله عليه السَّلام للفرزدق: «**يا فرزدق، إنَّ هؤلاء، قوم لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد في الأرض، وشربوا الخمور، وأبطلوا الحدود، واستأثروا بأموال الفقراء، والمساكين، وأنا أَولى من قام بنصرة دين الله، وإعزاز شرعه والجهاد في سبيله، لتكون كلمة الله هي العليا**»[1].

وخطب أصحابه وأصحاب الحرِّ حين التقى به: «**أيُّها الناس إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله قال: من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسُنَّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيِّر عليه بفعل ولا قول، كان حقّاً على الله أنْ يدخله مدخله**»[2].

والظاهر من رواية ابن سعد وغيره من المؤرخين في شأن إعطاء النهضة الحسينيَّة أبعاداً ثأريَّة عاطفيَّة لا من أجل سلامة الدين وإحقاق الحقِّ وإبطال الباطل، كان وراء ذلك الدعاية الأُمويَّة المضادَّة للنهضة، ومصداق كلامنا ما أشار إليه ابن الطقطقي بقوله: (فلمَّا قرب من الكوفة علم بالحال ولقيه ناس فأخبروه الخبر -استشهاد مسلم بن عقيل- وحذَّروه فلم يرجع، وصمم على الوصول إلى الكوفة لأمر هو أعلم به من الناس)[3]، وهو بذلك لا يرى أيَّ دورٍ لآل عقيل في حثِّ الإمام الحسين عليه السَّلام على المسير إلى

(١) تذكرة الخواص، ٢/ ١٤٠.

(٢) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٧٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٥٠٢.

(٣) الفخري، ص١١٤.

الكوفة أو منعه من الرجوع، ويرى أحد الباحثين (أنَّ منطق الحسين عليه السَّلام مع اختلاف الظروف، وتباين الأحداث بقي على حاله لم يتغير مطلقاً)(١).

٣- أمَّا ما أورده ابن سعد من قول عليٍّ الأكبر عليه السَّلام: (... فقال له ابنه عليٌّ الأكبر: يا أبه، ارجع فإنَّهم أهل العراق وغدرهم، وقلَّة وفائهم، ولا يفون لك بشيء...)(٢).

أشار المؤرخون إلى هذه الرواية فذكروا: (خفق الحسين برأسه خفقة، ثمَّ انتبه وهو يقول: «**إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، والحمد لله ربِّ العالمين**»، قال: ففعل ذلك مرتين أو ثلاثاً، قال: فأقبل إليه ابنه عليُّ بن الحسين على فرس له فقال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، والحمد لله ربِّ العالمين، يا أبت، جُعلت فداك، ممَّ حمدت الله واسترجعت؟ قال: «**يا بني، إنِّي خفقت برأسي خفقة فعنَّ لي فارس على فرس فقال: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم، فعلمت أنَّها أنفسنا نُعيت إلينا**»، قال له: يا أبت، لا أراك الله سوءًا أبداً، ألسنا على الحقِّ؟ قال: «**بلى، والذي يرجع إليه مرجع العباد**»، قال: يا أبت، إذاً لا نبالي، نموت محقِّين، فقال له: «**جزاك الله من ولد خير ما جزى والداً عن ولده**»)(٣)، فيما وردت هذه الرواية عند ابن سعد بالشكل الآتي: (فنزل - الحسين - قصر أبي مقاتل، فَخَفَقَ خَفْقَة ثمَّ انتبه يسترجع، وقال إنِّي رأيت في المنام آنفاً فارساً يسايرنا ويقول: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم، فعلمتُ أنَّه نُعي إلينا أنفسنا، ثمَّ سار حتى نزل بكربلاء)(٤).

ومن مقارنة رواية ابن سعد مع ما ذكره المؤرخون نجده اقتطع الحوار الذي دار

(١) الفرحي، النهضة الحسينيَّة، ص٣٢٠.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٤.

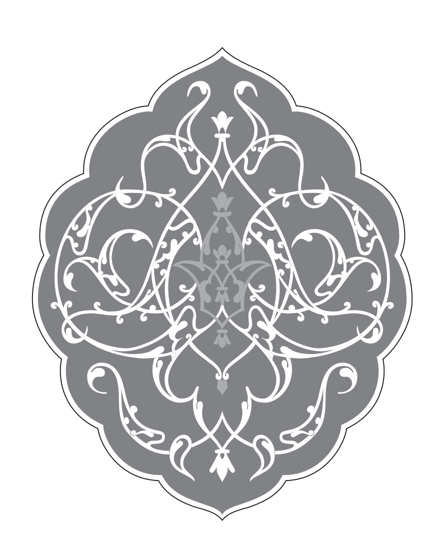
(٣) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٧٥؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٧٠-٧١؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١١٢؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ١/ ٣٢٤؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٣/ ٢٤٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٥٠٤-٥٠٥.

(٤) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٥.

بـين الإمام الحسـين وولـده عليٍّ الأكـبر عليهما السَّـلام فأغفـل موقفه البطـولي والمبدئي بهذا الشـأن.

ويبدو أنَّ ابن سعد تقصَّد إغفال ذلك؛ لكي لا يناقض نفسه حين ساق روايته السابقة بقوله على لسان عليٍّ الأكبر عليه السَّلام حين علم باستشهاد مسلم بن عقيل أنَّه أشار على والده بالرجوع، معللاً ذلك بغدر أهل العراق وقلة وفائهم.

ومن الجدير بالقول إنَّ تساؤل عليٍّ الأكبر عليه السَّلام هذا هو ما يصنف على أساس سؤال العارفين وليس السؤال الاستفهامي، فعليٌّ الأكبر عليه السَّلام كان متيقناً بأحقيَّة القضيَّة التي خرج من أجلها والده الحسين عليه السَّلام، لكنْ أراد من هذا السؤال ليكون بداية حوار مع أبيه ليشدَّ من أزره ويبيِّن له الرغبة في الدفاع عن الحقِّ وعدم المبالاة بالموت.



المبحث الثاني: مجريات واقعة الطف:

بعد أنْ تناولنا كيف أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام مهَّد لنهضته وما آل إليه مصير سفيره مسلم بن عقيل وعلمه بمصرع رسله، سارت الأُمور بشكل متسارع للخيار المسلح الذي كان الإمام يتوقع حدوثه، وأفصح عن ذلك في مناسبات عدَّة منذ خروجه من مكَّة وحتى يوم العاشر من المحرم، وارتأينا أنْ نجمل تلك الأحداث حسب رواية ابن سعد بالنقاط الآتية:

أَوَّلاً: التقاء الركب الحسيني بالحرِّ ووصوله إلى كربلاء:

يُعدُّ اقتراب الركب الحسيني من الكوفة ثمَّ نزوله في كربلاء من القضايا المفصليَّة في النهضة الحسينيَّة، كون الأثر الذي ترتب على ذلك من أهم وأكبر الأحداث التي وقعت في الإسلام على مرِّ العصور، وهو استشهاد الإمام عليه السَّلام مع ثلة من أهل بيته وصحبه بعد أنْ تفانوا في القتال حتى الرمق الأخير أمام جيش جرار يفوقهم عدَّة وعدداً، فضلاً عمَّا حدث بعد استشهادهم من سلبهم وسبي نسائهم وما جرى على الأُمَّة من ويلات بعدها، وكذلك الثورات والحركات التي كانت النهضة الحسينيَّة سبباً مباشراً أو غير مباشر لها.

تطرَّق ابن سعد إلى كيفيَّة محاصرة الجيش الأُموي بقيادة الحرِّ بن يزيد للإمام الحسين عليه السَّلام وكيفيَّة نزوله في كربلاء فقال: (ووجه الحصين بن تميم الحرَّ بن يزيد اليربوعي من بني رياح في ألف إلى الحسين وقال: سايره ولا تدعه يرجع حتى يدخل الكوفة وجَعْجِعْ به، ففعل ذلك الحرّ بن يزيد، فأخذ الحسين طريق العُذيب حتى نزل الجوف مسقط النجف، ممَّا يلي المائتين، فنزل قصر أبي مقاتل، فَخَفَقَ خَفْقَة ثمَّ انتبه يسترجع،

وقال: إنِّي رأيت في المنام آنفاً فارساً يسايرنا ويقول: القوم يسرون والمنايا تسري إليهم، فعلمت أنَّه نُعي إلينا أنفسنا، ثمَّ سار حتى نزل بكربلاء فاضطرب فيه، ثمَّ قال: أي منزل نحن به؟ قالوا: بكربلاء فقال: يوم كربٍ وبلاء...)[١]، وأورد ابن سعد رواية ثانية ذكر فيها لقاء الإمام الحسين عليه السَّلام بابن الحر الجعفي فقال: (ولقي عبيد الله بن الحرِّ الجُعفي، حسين بن عليٍّ فدعاه إلى نصرته والقتال معه فأبى، وقال: قد أعييت أباك قبلك، قال: فإذا أبيت أنْ تفعل فلا تسمع الصيحة علينا، فو الله لا يسمعها أحد ثمَّ لا ينصرنا فيرى بعدها خيراً، قال عبيد الله: فو الله لَهِبْتُ كلمته تلك، فخرجت هارباً من عبيد الله بن زياد مخافة أنْ يوجهني إليه، فلم أَزل في الخوف حتى انقضى الأمر، فندم عبيد الله على تركه نصرة حسين رضي الله عنه...)[٢].

فصَّل المؤرخون رواياتهم في موضوعة وصول الإمام الحسين عليه السَّلام إلى كربلاء وما صاحبها من حوادث مثل لقائه بالحرِّ الرياحي، وما دار من حديث بينهما، ومن ثمَّ مسيرته حتى نزوله أرض كربلاء، ويمكننا أنْ نجمل أهم الأُمور التي ذكرها المؤرخون بالقول:

الأمر الأَوَّل: إنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام لَمَّا تأكد من قدوم جيش الحرِّ قد أقبل على أصحابه فقال: (أمَا لنا ملجأ نلجأ إليه، نجعله في ظهورنا، ونستقبل القوم من وجه واحد؟ فقلنا له: بلى، هذا ذو حسم إلى جنبك، تميل إليه عن يسارك، فإنْ سبقت القوم إليه فهو كما تريد، قالا: فأخذ ذات اليسار، قالا: وملنا معه... فاستبقنا إلى ذي حسم فسبقناهم إليه، فنزل الحسين فأمر بأبنيته فضربت)[٣].

---

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٥.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٧-٤٥٨.

(٣) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٧٠؛ ينظر: أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٤٨؛ المفيد، الإرشاد، ص٢١٣.

الأمر الثاني: أشارت الروايات التاريخيَّة إلى صلاة الحرِّ وأصحابه خلف صلاة الإمام الحسين عليه السَّلام، بعد أنْ ذكروا كيفيَّة قيامه عليه السَّلام بإرواء الجيش وخيولهم فقالوا: (فقال الحسين لفتيانه: اسقوا القوم وارووهم من الماء ورشفوا الخيل ترشيفاً)[١]، ثمَّ ذكروا قول الإمام الحسين عليه السَّلام للحر: (أتريد أنْ تصلِّي بأصحابك؟ قال: لا، بل تصلِّي أنت ونصِّلي بصلاتك، قال: فصلَّى بهم الحسين)[٢].

الأمر الثالث: ذكرت المصادر التاريخيَّة المحاورات التي جرت بين الإمام الحسين عليه السَّلام والحرِّ، والتي كان من بينها خطبة قالها عليه السَّلام جاء فيها: (... إنِّي لم آتكم حتى أتتني كتبكم، وقدمت عليَّ رسلكم، أنْ أقدم علينا، فإنَّه ليس لنا إمام، لعلَّ الله يجمعنا على الهدى، فإنْ كنتم على ذلك فقد جئتكم،... وإنْ لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين؛ انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه إليكم)[٣].

وذكر أبو الفرج الأصفهاني قول الحرِّ للإمام الحسين عليه السَّلام: (أُمرنا أنْ نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد، فقال الحسين: الموت أدنى لك من ذلك)[٤]، ثمَّ ذكر قول الإمام الحسين عليه السَّلام للحرَّ: (ثكلتك أُمُّك، ما تريد؟ فقال الحر: والله لو غيرك يقولها ما تركت ذكر أُمِّه، ولكنَّه والله ما لي إلى ذكر أُمِّك من سبيل إلَّا بأحسن ما أقدر عليه)[٥].

(١) الطبري، تاريخ الُأمم والملوك، ٥/ ٢٧٠؛ ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٣٨٠؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٤٨؛؛ المفيد، الإرشاد، ص٢١٣.

(٢) الطبري، تاريخ الُأمم والملوك، ٥/ ٢٧١؛ ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٣٨٠؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٤٨؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٧٦؛ المفيد، الإرشاد، ص٢١٣.

(٣) الطبري، تاريخ الُأمم والملوك، ٥/ ٢٧١؛ ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٣٨٠؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٤٨؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٧٦؛ المفيد، الإرشاد، ص٢١٣.

(٤) مقاتل الطالبيين، ص١١١.

(٥) مقاتل الطالبيين، ص١١١.

وذكر البلاذري قول الحر للإمام الحسين عليه السَّلام: (فخذ طريقاً لا يدخلك الكوفة ولا يردُّك إلى المدينة، يكون بيني وبينك نصفاً.... فتياسر الحسين إلى طريق العذيب.. والحر بن يزيد يسايره)[١]، واسترسل البلاذري في روايته فذكر كتاب ابن زياد إلى الحر (أمَّا بعد فجعجع بحسين حيث يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي، ولا تنزله إلَّا في العراء في غير حصن وعلى غير ماء)[٢]، ففعل الحرُّ ذلك، ولم يقبل الإمام الحسين عليه السَّلام بمشورة زهير بن القين بمقاتلة القوم، لكي يختاروا مكاناً آخر لنزولهم، لأنَّه لا يريد أنْ يبدأهم بقتال[٣].

في حين ذكر أبو حنيفة الدينوري أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام رجع إلى الحجاز فحال الحرُّ بينه وبين ذلك (ثمَّ ولَّى وجهه منصرفاً نحو الحجاز، فحال القوم بينه وبين ذلك)[٤]، بل ذهب أحد المؤرخين إلى أبعد من ذلك فقال: (فسلك الحسين طريقاً غير الجادة راجعاً إلى الحجاز، وسار هو وأصحابه طول ليلتهم، فلمَّا أصبحوا فإذا بالحرِّ بن يزيد قد طلع عليهم في جيشه وهو معهم، فقال له الحسين عليه السَّلام: ما جاء بك يا بن يزيد؟ قال: وافاني كتاب ابن زياد يؤنبني في أمرك تأنيباً كبيراً ومعي من هو عين من جهته)[٥].

الأمر الرابع: ذكرت المصادر التاريخيَّة لقاء الإمام الحسين عليه السَّلام بعبيد الله بن الحرِّ الجعفي، فذكروا أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام لَّما وصل قصر بني مقاتل، نزل به، فرأى فسطاطاً فسأل عنه فقيل: إِنَّه للحرِّ الجعفي، فبعث له رسولاً، فقال: والله ما

(١) أنساب الأشراف، ٣/ ٣٨١.

(٢) أنساب الأشراف، ٣/ ٣٨٥.

(٣) أنساب الأشراف، ٣/ ٣٨٠-٣٨٥.

(٤) أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٥٠.

(٥) ابن الصباغ، الفصول المهمَّة، ص٢٨٦.

خرجت من الكوفة إلَّا كراهة أنْ يدخلها الحسين وأنا بها (والله ما أُريد أن أراه ولا يراني، فأتاه الرسول فأخبره، فأخذ الحسين نعليه فانتعل، ثمَّ قام فجاءه حتى دخل عليه، فسلَّم وجلس، ثمَّ دعاه إلى الخروج معه، فأعاد إليه ابن الحرِّ تلك المقالة، فقال: فإلَّا تنصرنا فاتقِ الله أنْ تكون ممَّن يقاتلنا، فو الله لا يسمع واعيتنا أحد ثمَّ لا ينصرنا إلَّا هلك، قال: أمَّا هذه فلا يكون أبداً إنْ شاء الله...)[١].

الأمر الخامس: أشارت المصادر التاريخيَّة إلى التحاق بعض أنصار الإمام الحسين عليه السَّلام[٢] به وهو في الطريق، فحاول الحرُّ حبسهم أو ردَّهم، لكنَّ إصرار الإمام الحسين عليه السَّلام على مقاتلته في حالة عدم السماح لهم بالالتحاق به حال دون ذلك.

ومن خلال قراءة النصوص المتقدِّمة ومقارنتها مع روايات ابن سعد نرى الآتي:

١- لم تختلف رواية ابن سعد عمّا ذكره المؤرخون من حيث المضمون بأنَّ الحرَّ بن يزيد هو مقدِّمة وجهها الحصين بن نمير الذي أمره ابن زياد بالسير إلى القادسية والإقامة فيها؛ وذلك لمسك كلِّ الطرق ما بين الكوفة والحجاز، ويظهر أنَّ تلك القوَّة كانت منتشرة على مسافة واسعة من الصحراء، بحيث استطاع هذا الجيش إلقاء القبض على كلِّ رُسل الإمام إلى الكوفة، ومن ثمَّ قتلهم، وكما أشرنا لذلك في موضعه[٣]، ويتضح من سياق تلك الروايات أنَّ الحصين كان يتمتع ببعض الصلاحيات الاستثنائيَّة، إضافة إلى كثرة جيشه من حيث العدَّة والعدد؛ وذلك بإرساله ألف فارس بقيادة الحرِّ بن يزيد لمحاصرة الركب الحسيني.

---

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٧٤-٢٧٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٥٠٤.

(٢) وهم نافع بن هلال المرادي، وعمرو بن خالد الصيداوي، وسعد مولاه، ومجمع بن عبد الله العائذي، ودليلهم الطرماح بن عدي. ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٣٨٢؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٧٣.

(٣) ينظر الكتاب: ص ١٧٧ - ١٨٣.

٢- اختزل ابن سعد لقاء جيش الحرِّ وجيشه بالركب الحسيني بكلمات مبهمة غير واضحة، وذلك بقوله: (ولا تدعه يرجع حتى يدخل الكوفة)، من دون أنْ يوضح كيفيَّة الدخول الذي يروم إليه جيش الحرِّ للركب الحسيني، وهو النزول على حكم ابن زياد الذي رفضه الإمام الحسين عليه السَّلام جملة وتفصيلاً بقوله للحر: «**الموت أدنى لك من ذلك**»، وهذا يعني أنَّ الجيش الأُموي حال بين دخول الإمام الحسين عليه السَّلام والكوفة إلَّا وهو مستسلم تحت حكم بن زياد، في حين كانت غاية الإمام الحسين عليه السَّلام الوصول إلى الكوفة وليس كربلاء، وكانت مهمَّة جيش الحرِّ في واقع الأمر هي الحيلولة دون وصوله الكوفة، ولو فرضنا عدم التقاء ذلك الجيش بالركب الحسيني في طريقه نحو الكوفة على الرغم من كلِّ الأحداث التي وقعت فيها، من وصول عبيد الله بن زياد كوالٍ عليها واستشهاد مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وغيرهما، بدليل أنَّ كلَّ تلك الأحداث علم بها الإمام الحسين عليه السَّلام قبل التقائه بالحرِّ، لكنَّه واصل مسيرته إلى الكوفة، وربما كانت خطة الإمام الحسين عليه السَّلام -التي أُجهضت من الناحية العسكرية أو النصر العسكري- نجحت في قلب الأُمور على الحزب الأُموي في الكوفة، لكنَّ الأُمويين وأعوانهم استشعروا مدى الخطورة التي تكمن في وصوله عليه السَّلام إليها، فاحتاطوا لهذا الأمر بكلِّ ما يمتلكونه من عدَّة وعدد وحالوا دون وصوله إلى غايته.

٣- أغفل ابن سعد حنكة الإمام الحسين عليه السَّلام العسكريَّة وكرمه حين جابه أعداءهُ، فقد استطاع إنقاذ أعدائه من العطش بإرواء الجيش كلِّه، وهذا دليل على أنَّ الإمام عليه السَّلام كان حريصاً على تنفيذ مبادئ وقيم الإسلام حتى مع ألد أعدائه، بل

أشار بعض المؤرخين إلى أنَّه تولى إِرواءهم بنفسه[١]، وشبيه بهذا الأمر ما حدث في معركة صفين حين استطاع معاوية السيطرة على الفرات فمنع جيش الإمام عليٍّ عليه السَّلام من الوصول إلى الماء، فلمّا استطاع جيش الإمام عليٍّ عليه السَّلام السيطرة على مصدر المياه سمح مباشرة للجيش الأموي بالوصول إليه عملاً بالشريعة المحمَّديَّة السمحاء[٢].

ويبدو أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام اتخذ كلَّ الاحتياطات الواجبة لاجتياز الصحراء، ويتضح ذلك من قدرته على إرواء جيش الحرّ، ومن جهة أُخرى طلب المشورة من أصحابه باللجوء إلى مكان يكون مأمناً لهم من العدو ويجعل قتالهم في حال حصوله من جهة واحدة، وفعلاً التجأ إلى جبل ذي حسم بمشورة زهير بن القين دليلاً آخر على حنكته العسكريَّة.

٤- أغفل ابن سعد المحاورة التي جرت بين الإمام الحسين عليه السَّلام والحرِّ بن يزيد الرياحي، وموقف الحرِّ من ثكل فاطمة الزهراء عليها السَّلام، ومن ثَمَّ صلاة الإمام بالمعسكرين، ممَّا يدلُّ على اعتراف الأعداء الضمني بأحقيته في الإمامة دون غيره، وهي تدخل في صلب الخلاف الحقيقي بين الجانبين، جانب يمثله الحزب الأُموي والذي خُيل للبعض من أهل الشام وأنصار الأُمويين والمنتفعين من السلطة بأنَّ الشرعيَّة أو ما يسمى بالخلافة هي من حقِّ بني أُميَّة، متمثلة بمعاوية ومن بعده يزيد، وجانب ثانٍ تمثل بأهل البيت وثلة من الأُمَّة التي تؤمن بأحقيتهم في قيادة الأُمَّة وإنقاذها من براثن الحكم الأُموي المتمثل بيزيد بن معاوية؛ ولذلك نجد الحرَّ بن يزيد الرياحي على الرغم من أنَّه كان من قادة الأُمويين ومُكلَّف بمهمَّة أُمويَّة صرفة أقرَّ بوجوب الصلاة خلف الإمام هو

---

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٧٠.

(٢) نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين، ص١٦٢.

وجنده، والمتأمل في هذا الموقف يجده من المفارقات أنْ يقوم جيش مكون من ألف فارس مع قادته بالصلاة خلف رجل كُلِّفوا بمحاصرته والتضييق عليه ومنعه من الوصول إلى غايته ومبتغاه، وفي هذا الموقف دليل على أنَّ هناك مَن يؤمن بأحقية أهل البيت بقيادة الأُمَّة لكنَّهم غُلبوا على أمرهم، ومن الطبيعي أنَّهم لا يملكون شجاعة الحرِّ وجرأته حين وجد الأُمور قد تخطَّت الحدود فالتحق بالركب الحسيني، وإغفال ابن سعد لأمر صلاة الحرِّ وجيشه خلف الإمام الحسين عليه السلام من المآخذ عليه، كونه ذكر مواقف عدَّة زعم فيها صلاة الإمامين الحسن والحسين عليهما السَّلام خلف والٍ من ولاة الأُمويين أو حاكم من حكامهم[1]، ويبدو أنَّ هناك قصديَّة واضحة في إغفاله مثل هذا الأمر المهم ومحاولة منه لرفع القدسيَّة عن الإمام عليه السَّلام ومساواته مع أيِّ ثائر أو مصلح ضدَّ بني أُميَّة مثل ابن الزبير وغيره.

٥- لم يشر ابن سعد إلى منع جيش الحرِّ للركب الحسيني الرجوع إلى الحجاز، ليمهِّد لرواية غاية في الخطورة وهي زعم بعض المؤرخين أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام خيَّرهم في خصال ثلاث، كان من بينها أنْ يضع يده في يد يزيد بن معاوية، سوف تتم مناقشتها في موضعها[2].

٦- على الرغم من أنَّ رواية ابن سعد عن لقاء الإمام الحسين عليه السَّلام بابن الحرِّ الجعفي لا تختلف عمَّا ذكرته المصادر التاريخيَّة في إطارها العام، لكنَّ ابن سعد جعل من كلمة الإمام الحسين عليه السَّلام لابن الجعفي سبباً في خروجه من الكوفة، في حين ذكرت المصادر التي أشرنا إليها أنَّ ابن الحر خرج أساساً من الكوفة وضرب فسطاطه في

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٣٧٢.

(٢) ينظر الكتاب: ص ٣٠٨ - ٣١٤.

قصر بني مقاتل خوفاً أنْ يقاتل الإمام الحسين عليه السلام، ويبدو أنَّ ابن سعد جانب الصواب في روايته هذه؛ وذلك كون اللقاء بالإمام الحسين عليه السَّلام كان خارج الكوفة.

٧- وممَّا يؤخذ على رواية ابن سعد كذلك أنَّه لم يحدد المكان الذي التقى فيه الإمام الحسين عليه السَّلام بابن الحر الجعفي، فيما بين أغلب المؤرخين ذكروا أنَّ لقاءه كان في قصر بني مقاتل.

ثانياً: تولية عمر بن سعد:

حرص حكام بني أُميَّة على تولية قيادة الجيش على أُسس بعيدة عن قيم الحكمة والعقل، بل كان الأَساس في ذلك هو الولاء المطلق لسياستهم الغاشمة والهادفة إلى توطيد أركان حكمهم وبكل الوسائل التي لا تمت إلى الإسلام بصلة؛ ولذا نجد عبيد الله بن زياد أناط مهمَّة قيادة معسكره لمقاتلة الإمام الحسين عليه السَّلام إلى عمر بن سعد؛ كونه من المخلصين لبني أُميَّة ومن الذين لهم مآرب شخصيَّة+ فهو من الطامعين بولاية الري.

وفي هذا الشأن أورد ابن سعد روايتين جاء في الأُولى: (وجَّه إليه عبيد الله بن زياد عمر بن سعد بن أبي وقاص في أربعة آلاف، وكان قد استعمله قبل ذلك على الري وهمدان، وقطع ذلك البعث معه، فلمَّا أمره بالمسير إلى حسين تأبَّى ذلك وكرهه واستعفى منه، فقال له ابن زياد: أُعطي الله عهداً لئن لم تسر إليه وتُقدم عليه، لأعزلنك عن عملك، وأهدم دارك، وأضرب عنقك، فقال: إذاً أفعل، فجاءت بنو زهرة، قالوا: ننشدك الله أنْ تكون أنت الذي تلي هذا من حسين، فتبقى عداوة بيننا وبين بني هاشم، فرجع إلى عبيد الله

فاستعفاه فأبى أنْ يعفيه، فصمم وسار إليه...)[١].

أمَّا الرواية الثانية: (فكان عمر بن سعد في الكوفة قد استعمله عبيد الله بن زياد على الري وهمذان وقطع معه بعثاً، فلمَّا قدم الحسين بن عليٍّ العراق أمر عبيد الله بن زياد عمر بن سعد أنْ يسير إليه وبعث معه أربعة آلاف من جنده، وقال له: إنْ هو خرج إليَّ ووضع يده في يدي وإلَّا فقاتله، فأبى عمر عليه، فقال: إنْ لم تفعل عزلتك عن عملك وهدمت دارك، فأطاع بالخروج إلى الحسين فقاتله حتى قُتل الحسين...)[٢].

وقد أشار أغلب المؤرخين إلى مسألة تولية عمر بن سعد لقيادة الجيش الأُموي وهي لا تختلف في المضمون عمَّا ذكره ابن سعد، فأشاروا لامتناع عمر بن سعد لقيادة الجيش وتردده، إلَّا أنَّ ابن زياد خيَّره بين إعفائه من ولاية الري أو المسير إلى قتال الحسين فأذعن لذلك[٣].

ومن خلال مقارنة روايتي ابن سعد مع روايات المؤرخين نجد التالي:

١- انفردت رواية ابن سعد بقول عبيد الله بن زياد لعمر بن سعد: (وأهدم دارك وأضرب عنقك)، ولم يوافقه في ذلك إلَّا الخوارزمي[٤] في حين ذكر أغلب المؤرخين[٥]

---

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٥-٤٣٦.

(٢) الطبقات الكبير، ٧/ ١٦٦-١٦٧.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٣٨٦؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٥٣؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٧٦-٢٧٧؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٨٥؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١١٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ١٨٧-١٨٩.

(٤) مقتل الحسين عليه السَّلام، ١/ ٣٤١

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٣٨٦؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٥٣؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٧٦-٢٧٧؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٨٥؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١١٢؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ١/ ٣٤١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ١٨٩؛ ابن الصباغ، الفصول المهمَّة، ص٢٨٦.

قول ابن زياد: اردد علينا عهدنا، وفي رواية أُخرى اردد عهدنا واجلس في بيتك[١].

نجد ابن سعد حاول التركيز على موقف عمر بن سعد، وذلك بذكره العديد من التبريرات التي ذُكرت غير حبِّه الحكم والسُّلطة، وهي في الواقع لا أساس لها من الصحة، بدليل تصريح عمر بن سعد نفسه، وقوله الشعر في ذلك أنَّه خُيِّر بين قتل الإمام الحسين عليه السَّلام وملك الري، فغلبه حبُّ الدنيا والرياسة وباع الرشد بالغي[٢] واختار ولاية الري على قتل الحسين[٣] فقال:

أأترك ملك الري والري رغبة ... أم أرجع مذموماً بثأر حسين

وفي قتله النار التي ليس دونها ... حجاب وملك الري قرة عين[٤].

بل نجد عبد الله بن مطيع حين ولي الكوفة لابن الزبير أنَّب وعنَّف عمر بن سعد فقال له: اخترت الري وهمدان على قتل الحسين ولم ينكر عمر ذلك[٥].

والظاهر أنَّ أمر ولاية عمر بن سعد على الري لا يتعدى مكيدة من مكائد الأُمويين وابن زياد، وهي جزء من سياسة الترغيب والترهيب التي انتهجوها في الوصول إلى غاياتهم وأهدافهم، فسال لعاب شيعة الأُمويين وأعوانهم في الكوفة إليها؛ ولذلك نجدهم لا يفون لعمر بن سعد بما وعدوه به.

---

(١) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٨٥؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ١/ ٣٤١.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣/ ١١٨؛ الإربلي، كشف الغمة، ٢/ ٢٥٩، العلامة الحلي، منهاج الكرامة، ص٣٥؛ اليافعي، مرآة الجنان، ١/ ١٠٧.

(٣) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٢/ ١٥٠.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ٢٠/ ٤٢٦؛ ينظر: ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٩٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٥٠٦.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبير، ٧/ ١٤٧.

ويبدو ممَّا تقدم أنَّ ابن سعد حاول أنْ يبرر موقف عمر بن سعد في قيادة الجيش الذي قاتل الإمام الحسين عليه السَّلام بذكره تهديد ابن زياد بالقتل وهدم داره، في حين ذكرت أغلب الروايات التاريخيَّة خلاف ذلك، بل إنَّ عمر بن سعد ومن خلال ما ذكره من الشعر يؤكد رغبته في قتال الإمام الحسين عليه السَّلام، فضلاً عمَّا فعله في أثناء المعركة من أُمور تبيّن عنها موالاته وغطرسته وحبَّه لبني أُميَّة وبغضه لآل الرسول.

٢- انفرد ابن سعد بذكر محاولة بني زهرة قبيلة عمر بن سعد بثنيه عن قيادة الجيش لقتال الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنَّه يؤدّي إلى العداوة بين بني هاشم وبني زهرة، وهذا أمر طبيعي في ظلِّ النظام القبليِّ السائد في تلك الحقبة آنذاك، لكنَّ هذا الموقف صوَّر ما قام به الإمام الحسين عليه السَّلام لا يتعدى كونه أمراً دنيوياً لا يتجاوز حاجز القبيلة، وهذا خلاف ما ذكره المؤرخون بأنَّ نُصحاء عمر بن سعد أشاروا عليه بعدم الخروج لقتال الإمام الحسين عليه السَّلام، ومن بينهم ابن أخته حمزة بن المغيرة[1] فقال: (أُنشدك الله يا خال أنْ تسير إلى الحسين، فتأثم بربِّك، وتقطع رحمك، فو الله لأنْ تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض، لو كان لك، خير لك من أنْ تلقى الله بدم الحسين)[2]، بل إنَّ عمر بن سعد نفسه أشار إلى ذلك من خلال شعره الذي أنشده وهو يخيِّر نفسه بين ملك الري وبين النار التي ليس دونها حجاب.

---

(١) هو حمزة بن المغيرة بن شعبة الثقفي روى عن أبيه المغيرة وعدَّه ابن حبان من ثقاته، ينظر: ابن حبان، الثقات، ٤/ ١٦٩.

(٢) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٧٦؛ ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٣٨٥-٣٨٦؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٨٥؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٤٥/ ٥٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٥٠٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ١٨١؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٠/ ٤٢٥.

ثالثاً: أوضاع الكوفة قبيل واقعة الطف وأثناءها:

تُعدُّ الكوفة من الأمصار الإسلاميَّة المهمَّة التي أدَّت دوراً محورياً ومؤثراً في سير الأحداث، وقد اتخذها الإمام عليٌّ عليه السَّلام عاصمة لدولته، لَّما تتمتع به من مزايا مهمَّة؛ ولذا أصبحت معقلاً مهمّاً لشيعة آل البيت والعارفين بحقِّهم ومكانتهم على الرغم من وجود فئات أُخرى تناصر بني أُميَّة؛ لذلك نلاحظ أنَّ الأُمويين ركزوا كثيراً على الكوفة في إجراءاتهم الأمنيَّة المشددة، وقد استعملوا سياسة الترهيب والترغيب ولا سيما قبيل وفي أثناء مقدم الإمام الحسين عليه السَّلام إلى الكوفة للقيام بنهضته، لكنَّ المصادر التاريخيَّة شحَّت في إعطاء صورة واضحة لتلك الإجراءات والأوضاع الداخليَّة في الكوفة.

ومن الواضح أنَّ السُّلطة الحاكمة قد فرضت طوقاً أمنياً محكماً يصعب اختراقه للحيلولة دون تمكن أتباع وشيعة الإمام الحسين عليه السَّلام من نصرته والالتحاق به، ولم يستطع اللحاق به سوى أفراد معدودين من خُلَّص أصحابه أمثال حبيب بن مظاهر الأسدي وهلال بن نافع البجلي وغيرهما، في الوقت ذاته وقع رسل الإمام الحسين عليه السَّلام في يد قوات ابن زياد بسبب ذلك الطوق الأمني الذي فرض على الدخول والخروج من الكوفة، ويمكننا تصوّر ذلك الطوق من خلال قول بعض الأعراب للإمام الحسين عليه السَّلام وهو في طريقه إلى الكوفة: إنَّنا لا نستطيع الدخول أو الخروج من الكوفة[١].

بينما نجد معظم المصادر التاريخيَّة قد سلَّطت الأضواء على موقف أهل الكوفة الذين دعوا الإمام الحسين عليه السَّلام لنصرته، ومن ثمَّ التخلي عنه دون الرجوع

(١) ابن الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص١٧٨.

إلى الأسباب القاهرة التي أدَّت إلى ذلك، ومنها الطوق الأمني المشدد الذي أسلفنا ذكره وزجّ الكثير من كبار الشيعة في السجون أمثال ميثم التمار والمختار الثقفي وغيرهم، وعلاوة على ذلك يستشف من إحدى الروايات أنَّ الذين تسموا فيما بعد التوابين ناهز عددهم أربعة آلاف رجل لم يشهد أحدٌ منهم قتال الإمام الحسين عليه السَّلام لكنَّهم تخاذلوا عنه ومُنعوا من نصرته[١].

وقد أشار ابن سعد إلى الذين تمكنوا من الإفلات والالتحاق بمعسكر الإمام الحسين عليه السَّلام فقال: (وجعل الرجل والرجلان والثلاثة يتسللون إلى حسين من الكوفة، فبلغ ذلك عبيد الله فخرج فعسكر بالنخيلة[٢]، واستعمل على الكوفة عمرو بن حريث[٣]، وأخذ الناس بالخروج إلى النخيلة وضبط الجسر، فلم يترك أحداً يجوزه)[٤].

وأضاف معاصرو ابن سعد من المؤرخين الذين كانوا أكثر وضوحاً منه بهذا الشأن، فذكروا أكثر من رواية تنمُّ عن حجم التدابير وقسوتها التي اتخذها والي الأُمويين ابن زياد، والتي كان لها القول الفصل في إجهاض أيِّ محاولة لنصرة الإمام الحسين عليه السَّلام، فذكر أَنَّ ابن زياد بعد أنْ بعث عمر بن سعد إلى قتال الإمام الحسين عليه السَّلام: (أمر الناس فعسكروا بالنخيلة، وأمر أنْ لا يتخلف أحد منهم... وقال: إنَّ يزيد... قد زادكم مائة مائة في أُعطياتكم، فلا يبقين رجل من العرفاء والمناكب والتجار والسكان إلَّا خرج

(١) ينظر: الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٦/ ٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ٢٧٧.

(٢) النخيلة: موضع قرب الكوفة على لفظ التصغير، يتخذ معسكراً لجند الكوفة يستعدون فيه للحرب. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/ ٢٧٨؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٧٦.

(٣) هو عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان المخزومي، يكنى أبا سعيد، توفي رسول الله صلىَّ الله عليه وآله وعمره اثنتا عشرة سنة، نزل الكوفة وابتنى فيها داراً إلى جانب المسجد وهي كبيرة مشهورة وسكنها، وكان زياد ابن أبيه إذا غادر الكوفة للبصرة يستخلفه عليها، توفي عام ٨٥هـ. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٥٣٤-٥٣٥؛ ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص٧٩؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣/ ١١٧٢.

(٤) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٦.

فعسكر معي، فأيما رجل وجدناه بعد يومنا هذا متخلفاً عن العسكر برئت منه الذمَّة.

ثمَّ خرج ابن زياد فعسكروا وبعث إلى الحصين بن تميم وكان بالقادسية في أربعة آلاف فقدم النخيلة في جميع من معه)[١]، ودعا بعض قادته[٢] وأمرهم أنْ يطوفوا في الكوفة ويحذِّروا الناس ويأمروهم بالجماعة ويخذلوهم عن الحسين، وأنَّهم وجدوا (رجلاً من همدان قدم يطلب ميراثاً له بالكوفة، فأتى به ابن زياد فقتله فلم يبقَ بالكوفة محتلم إلَّا خرج إلى العسكر بالنخيلة)[٣]، وذكر البلاذري كذلك (ووضع ابن زياد المناظر على الكوفة لئلا يجوز أحد من العسكر مخافة أنْ يلحق الحسين مغيثاً له، ورتب المسالح حولها...)[٤].

وذكر كذلك أنَّ عمار بن أبي سلامة[٥] حاول (أنْ يفتك بعبيد الله بن زياد في عسكره بالنخيلة فلم يمكنه ذلك، فلطف حتى يلتحق بالحسين فقتل معه)[٦]، ثمَّ ذكروا (وكان الرجل يبعث في ألف فلا يصل إلَّا في ثلاثمائة أو أربعمائة وأقل من ذلك كراهة منهم لهذا الوجه)[٧]، وهذه الإشارات توحي إلى أنَّ الوضع منفلت من يد ابن زياد بصورة عامة،

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف،٣/ ٣٨٧؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٥٤.

(٢) منهم كثير بن شهاب الحارثي ومحمد بن الأشعث بن قيس والقعقاع بن سويد بن عبد الرحمن المنقري وأسماء بن خارجة الفزاري، وكان أشدّهم في الدفاع عن بني أُميَّة كثير بن شهاب، ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف،٣/ ٣٨٧؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٥٤.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٣٨٧؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٥٤-٢٥٥.

(٤) أنساب الأشراف، ٣/ ٣٨٨؛ الأخبار الطوال، ص٢٥٤.

(٥) هو عمار بن أبي سلامة بن عبد الله بن عمران بن راس بن دالان الهمداني، يعدُّ من الصحابة، شهد مع الإمام علي عليه السَّلام مشاهده كلَّها، استشهد مع الإمام الحسين عليه السَّلام في الحملة الأُولى يوم الطف. ينظر: ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ٢/ ٤٠؛ ابن حجر، الإصابة، ٥/ ١٠٧؛ السماوي، إبصار العين، ص١٣٣؛ شمس الدين، أنصار الحسين، ص١١٤-١١٥.

(٦) أنساب الأشراف، ٣/ ٣٨٨.

(٧) أنساب الأشراف، ٣/ ٣٨٨.

وحالة معارضته ومخالفة أوامره ظاهرة للعيان، لكنَّ هذا لا يعني أنَّ بمقدور مخالفيه ومعارضيه الالتحاق بمعسكر الإمام الحسين عليه السَّلام الذي من المؤكد أنَّه فرض طوقاً أمنيّاً على معسكره بعيداً عن الكوفة، وعلاوة على ذلك التخاذل الذي بدا واضحاً على أغلب الكوفيين منذ استشهاد مسلم بن عقيل عليه السَّلام.

من خلال ما تقدَّم نرى الآتي:

١ - إنَّ ابن زياد فرض حضر التجوال في الكوفة إلى درجة أنَّه أمر بقتل كلِّ مَن وجد داخل الكوفة ولم يلتحق بالمعسكر الذي اتخذه في النخيلة، وأنَّ سبب اتخاذ ابن زياد النخيلة معسكراً له وإجبار الناس على اللحاق به وعدم البقاء داخل الكوفة هو وضع أكبر عدد من الكوفيين تحت الإقامة الجبريَّة للحيلولة دون لحوقهم بنصرة الإمام في كربلاء، وأنَّ الناس أُكرهت على القتال، وأنَّ هناك أعداداً كبيرة تتسرب وهي في الطريق إلى كربلاء، فمن يبعث في الألف لا يصل منه إلَّا القليل، كما أنَّ هناك محاولة اغتيال من قبل أحد أنصار الإمام الحسين عليه السَّلام لكنَّها باءت بالفشل، وأنَّ صاحب المحاولة استطاع من اللحاق بالإمام الحسين عليه السَّلام والوصول إليه والاستشهاد بين يديه.

ولم نجد لهذه المحاولة أيَّ صدى في المصادر التاريخيَّة التي اطلعنا عليها إلَّا عند البلاذري وهو ما يدعونا للقول إنَّ هناك العديد من الحقائق في النهضة الحسينيَّة ربما غابت أو غُيبت من قبل الرواة والمؤرخين، ويمكننا القول إنَّ محاولة الاغتيال هذه هي الثانية التي حاول الشيعة تدبيرها لقتل ابن زياد ولم ينجحوا في ذلك.

٢- يُعدُّ ابن سعد من المؤرخين القلائل الذين لهم السبق الزمني في ذكر شدَّة الإجراءات وقسوتها التي اتخذها ابن زياد في الكوفة والتي كان لها الأثر البالغ على

الكوفيين، لكنَّ بمقارنة روايته مع روايات البلاذري وأبي حنيفة الدينوري نرى أنَّه كان أكثر حذراً في التطرّق لبعض المواقف الإيجابيَّة للكوفيين أو الظروف التي حالت دون نصرتهم للإمام الحسين عليه السَّلام ربما لأنَّه أراد أنْ لا يجد أيَّ مبرر لتخاذلهم؛ وذلك لأنَّ الرأي العام في ظل دولة بني العباس لم يكن يسمح بإعطاء أيِّ دور للكوفة المتهمة أصلاً بولائها العلوي دون العباسي.

رابعاً: عدد أصحاب الإمام الحسين عليه السَّلام وعدد الجيش الذي قاتله:

ذكر ابن سعد أكثر من رواية بشأن عدد أصحاب الإمام الحسين عليه السَّلام فقال: (فخرج متوجهاً إلى العراق في أهل بيته وستين شيخاً من أهل الكوفة)[١]، ثمَّ ذكر رواية ثانية حين أخبر الإمام أهل بيته وصحبه ومن اتبعه في الطريق باستشهاد مسلم بن عقيل فقال: (وبقي في أصحابه الذين خرجوا معه من مكَّة ونُفير من صحبه في الطريق، فكانت خيلهم اثنين وثلاثين فرساً)[٢]، ثمَّ ذكر رواية ثالثة حين نزل الإمام الحسين عليه السَّلام كربلاء فقال: (ومع حسين يومئذٍ خمسون رجلاً، وأتاهم من الجيش عشرون رجلاً، وكان معه من أهل بيته تسعة عشر رجلاً)[٣]، بعدها ذكر رواية رابعة جاء فيها: (وقتل مع الحسين، اثنان وسبعون رجلاً)[٤]، وذكر في موضع آخر (ولم يفلت من أهل بيت الحسين بن عليٍّ الذين معه، إلَّا خمسة نفر)[٥].

في حين ذكر أغلب المؤرخين أنَّ عدد أصحاب الإمام الحسين عليه السَّلام كان اثنين

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٩.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٤.

(٣) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٦.

(٤) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤١.

(٥) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٣

وثلاثين فارساً وأربعين راجلاً[١]، لكنَّ هذا لا يعني أنَّ هناك إجماعاً في تحديد أنصار الإمام الحسين عليه السَّلام، فاليعقوبي ذكر رقماً آخر لعدد أصحاب الإمام الحسين عليه السَّلام فقال: (وكان الحسين في اثنين وستين أو اثنين وسبعين رجلاً من أهل بيته وأصحابه)[٢]، بينما ذكر بعض المؤرخين أنَّهم كانوا (خمسة وأربعين فارساً ومائة راجلٍ)[٣]، في حين نجد الأمر مختلفاً أكثر عند المسعودي فذكر: (فعدل إلى كربلاء وهو في مقدار خمسمائة فارس من أهل بيته وأصحابه ونحو مائة راجل)[٤]، لكنَّه حدد الشهداء بالقول: (وكان جميع مَن قُتل مع الحسين يوم عاشوراء بكربلاء سبعة وثمانين...)[٥].

يتضح ممَّا تقدَّم أنَّ أغلب المؤرخين ومن ضمنهم ابن سعد اختلفوا في إعطاء رقم محدد بعينه لأصحاب الإمام الحسين عليه السَّلام وأهل بيته، وعلى الرغم من أنَّ ابن سعد حدد خيلهم باثنين وثلاثين فرساً وهو العدد الذي ربما حصل شبه إجماع بين المؤرخين عليه، لكنَّه حدد الذين استشهدوا مع الإمام الحسين عليه السَّلام باثنين وسبعين رجلاً، والناجين من أهل بيته خمسة رجال، وهو بهذا جعل كلَّ أصحاب الإمام الحسين عليه السَّلام وأهل بيته سبعة وسبعين بين فارس وراجل.

في الوقت ذاته نجد أنَّ ابن سعد أورد بعض الروايات المتناقضة، ففي حين جعل في إحدى رواياته أصحاب الإمام الحسين عليه السَّلام تسعة وثمانين وذلك بقوله: (ومع

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٣٩٥؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٥٦؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ١٠١؛ المفيد، الإرشاد، ص١٠١؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ٢/ ٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٥/ ٣٣٩؛ ابن العديم، بغية الطلب، ٦/ ٢٦٢٨؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، ٥/ ٣٦٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٥١٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٦٩.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٦٢؛ سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص، ٢/ ١٦٠؛ ابن نما الحلي، مثير الأحزان، ص٨٤.

(٤) مروج الذهب، ٣/ ٧٥.

(٥) مروج الذهب، ٣/ ٧٦.

حسين يومئذٍ خمسون رجلاً، وأتاهم من الجيش عشرون رجلاً، وكان معه من أهل بيته تسعة عشر رجلاً)[١]، وهو بذلك حدد عدد المستشهدين معه باثنين وسبعين رجلًا يضاف إليهم خمسة من الناجين حسب روايته، وبهذا يبقى مصير اثني عشر شخصاً مجهولاً.

ولعلَّ هناك أسباباً موضوعيَّة وواقعيَّة كانت السبب في اختلاف المؤرخين ومن بينهم ابن سعد في تحديد العدد الصحيح، كما ذهب إليه أحد الباحثين[٢] الذي ناقش قضيَّة عدد أصحاب الإمام الحسين عليه السَّلام مناقشة مستفيضة وساق العديد من الأسباب في اختلاف المؤرخين في تحديد العدد الصحيح، من أبرزها أنَّ عددهم تأرجح بين النقصان والزيادة منذ خروجه عليه السَّلام من مكَّة المكرمة وحتى استشهاده يوم العاشر من المحرم، يضاف إلى ذلك اختلاف الرواة الذين نقلوا ذلك، وقد نقل عنهم ابن سعد هذه الروايات كما هي ولم يقطع بأرجحية إحداها، ورغم ذلك فإنَّ الأعداد التي ذكرها لم يكن بالاختلاف الكبير.

أمَّا في ما يخص الجيش الأُموي الذي قاتل الإمام الحسين عليه السَّلام لم نجد ابن سعد يعطي أهميَّة تتناسب مع الحدث في تحديد العدد الكلي له على الرغم من إسهاب أغلب المؤرخين بذلك، وتكمن أهميَّة ذلك في حسم موقف المعركة لصالح الأُمويين وإرهاب الناس وقطع الطريق أمام كلِّ من حاول الالتحاق بالإمام الحسين عليه السَّلام، فعلى الرغم من الصحراء الواسعة والعريضة بين الكوفة والحجاز استطاعت جيوش ابن زياد أنْ تلقي القبض على رسل الإمام وهم لم يكونوا سوى أفراد معدودين، بل استطاع هذا الجيش بسبب كثرته وسعة انتشاره والمساحة التي تمَّ تغطيتها، فرض حصار شامل

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٦.

(٢) ينظر: شمس الدين، أنصار الحسين، ص٤٣-٧٨.

متكامل على الكوفة، بحيث لم يستطع أحد الدخول إليها أو الخروج منها[١].

فذكر ابن سعد روايتين في هذا الشأن، الأُولى: (فوجه إليه - أي إلى الإمام الحسين عليه السَّلام - عبيدُ الله بن زياد عمرَ بن سعد بن أبي وقاص في أربعة آلاف)[٢]، ثمَّ قال في الثانية: (وعقد عبيدُ الله للحصين بن تميم الطهوي على ألفين، ووجهه إلى عمر بن سعد، مدداً له...)[٣].

في حين أعطى أغلب المؤرخين أرقاماً تتلاءم مع ضخامة الحدث وقريبة من الواقع وإنْ لم يتفقوا على رقم محدد لعدد الجيش، لكنَّه تراوح بين العشرة آلاف والثلاثين ألفاً[٤]، وذكر ابن الصباغ (فخرج عمر إلى الحسين وصار ابن زياد يمدُّه بالجيوش شيئاً بعد شيء إلى أن اجتمع عند عمر بن سعد عشرون ألف مقاتل ما بين فارس وراجل، وأَوَّل من خرج مع عمر بن سعد الشمر بن ذي الجوشن في خيل كثيرة أربعة آلاف فارس)[٥].

ويبدو من روايتي ابن سعد بهذا الشأن أنَّه أظهر عدم استعداد الأُمويين وولاتهم للمعركة على أعلى المستويات، بدءاً من مركز حكمهم في دمشق وحتى ولاتهم في المدينة ومكَّة والبصرة، والكوفة أعدَّت وهيأت كلَّ إمكاناتها من العدَّة والعدد للقضاء على أكبر خطر هدد مصيرهم ومصير حكمهم.

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٣٨٨؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٦٤؛ ابن الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص١٧٨.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٥.

(٣) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٦.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٣٨٧؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٩٠؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ٢/ ٣٤٤.

(٥) الفصول المهمَّة، ص٢٨٦-٢٨٧.

خامساً: سير المعركة:

استهل ابن سعد سير المعركة بالحديث عن اليوم والليلة التي سبقتها، فذكر في بداية الأمر كيف أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام خاطب أهل الكوفة وخيَّرهم في ثلاث خصال، ثمَّ عرج على رفض ابن زياد ذلك بتحريض من شمر بن ذي الجوشن وتقدّم جيش عمر بن سعد يوم التاسع من المحرم لقتاله، ثمَّ انصرافهم لليوم العاشر من المحرم، بعدها تطرق ابن سعد لأحداث تلك الليلة، ثمَّ خصص عنواناً ليوم المعركة تحت عن عنوان (رجع الحديث إلى الأَوَّل)، وبدأه بالقول فلمّا أصبح اليوم الذي قتل فيه، معرجاً فيه على بعض خطب الإمام عليه السَّلام والتحاق الحرّ بالإمام الحسين عليه السَّلام، ومخاطبة وتوبيخ الإمام الحسين عليه السَّلام لعمر بن سعد، ثمَّ تطرَّق لبعض النزال والقتال بين الجانبين وكيف بدأ القتال، ثمَّ تطرق إلى الأمان الذي عُرض على عليٍّ الأكبر ابن الإمام الحسين عليهما السَّلام، ثمَّ استشهاده واستشهاد القاسم بن الحسن وموقف الإمام الحسين عليه السَّلام من ذلك، وهكذا استمر حتى استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام[1]، ويمكننا تقسيم ذلك إلى موقفين:

الموقف الأَوَّل: اليوم والليلة التي سبقت المعركة:

ذكر ابن سعد في هذا المجال روايتين:

الرواية الأُولى: ذكر ابن سعد أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام لَمَّا رأى عمر بن سعد قصده فيمن معه قال: (يا هؤلاء اسمعوا يرحمكم الله ما لنا وما لكم؟ ما هذا بكم يا أهل الكوفة؟ قالوا: خفنا طرح العطاء قال: ما عند الله من العطاء خير لكم، يا هؤلاء: دعونا

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٦-٤٤٣.

فلنرجع من حيث جئنا، قالوا: لا سبيل إلى ذلك، قال: فدعوني أمضي إلى الري فأُجاهد الديلم، قالوا: لا سبيل إلى ذلك، قال: فدعوني أذهب إلى يزيد بن معاوية فأضع يدي في يده، قالوا: لا، ولكنْ ضع يدك في يد عبيد الله بن زياد، قال: أمَّا هذه فلا، قالوا: ليس لك غيرها، وبلغ ذلك عبيد الله بن زياد فَهمَّ أنْ يخلِّي عنه، وقال: والله ما عرض لشيء من عملي، وما أراني إلَّا مخلٍّ سبيله يذهب حيث شاء، فقال شمر بن ذي الجوشن الضبابي: إنَّك والله إنْ فعلت وفاتك الرجل لا تستقيلها أبداً، وإنَّما كانت همةُ عبيد الله أنْ يثبت على العراق، فكتب إلى عمر بن سعد:

الآن حين تعلقته حبالنا يرجو النجاة ولات حين مناص

فناهضه وقال لشمر بن ذي الجوشن: سر أنت إلى عمر بن سعد فإنْ مضى لما أمرته وقاتل حسيناً، وإلَّا فاضرب عنقه وأنت على الناس...، وقَدِمَ شمر بن ذي الجوشن الضبابي على عمر بن سعد بما أمره به عبيد الله عشيَّة الخميس لتسع خلون من المحرم سنة إحدى وستين بعد العصر، فنودي في العسكر فركبوا، وحسين جالس أمام بيته محتبياً، فنظر إليهم قد أقبلوا فقال للعباس بن عليٍّ بن أبي طالب: القهم فاسألهم ما بدا لهم، فسألهم، فقالوا: أتانا كتاب الأمير يأمرنا أن نعرض عليك أنْ تنزل على حكمه أو نناجزك، فقال: انصرفوا عنَّا العشيَّة حتى ننظر ليلتنا هذه فيما عرضتم، فانصرف عمر)[1].

الرواية الثانية: (وجمع حسين أصحابه في ليلة عاشوراء ليلة الجمعة فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبيَّ (صلَّى الله عليه وآله) وما أكرمه الله به من النبوَّة وما أنعم به على أُمَّته وقال: إنِّي لا أحسب القوم إلَّا مقاتلوكم غداً، وقد أذنت لكم جميعاً فأنتم في حلٍّ منِّي، وهذا الليل قد غشيكم فمن كانت له منكم قوَّة فليضم رجلاً من أهل بيتي إليه، وتفرقوا

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٦-٤٣٧.

في سوادكم حتى ﴿يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾[1]، فإنَّ القوم إنَّما يطلبونني فإذا رأوني لهو عن طلبكم، فقال أهل بيته: لا أبقانا بعدك، لا والله لا نفارقك حتى يصيبنا ما أصابك، وقال ذلك أصحابه جميعاً، فقال: أثابكم الله على ما تنوون الجنة)[2].

لم تختلف رواية ابن سعد من حيث المضمون مع ما ذكرته المصادر التاريخيَّة بشأن الخصال التي عرضها الإمام على عمر بن سعد إلَّا في بعض الكلمات التي لا تغير من المعنى شيئاً، حيث إنَّه خيَّرهم في ثلاث خصال بين الرجوع إلى المكان الذي أقبل منه أو يضع يده في يد يزيد بن معاوية أو أنَّهم يسيرونه إلى ثغرٍ من ثغور المسلمين[3].

من خلال ما تقدَّم يمكننا القول:

١ – جعل ابن سعد كلام الإمام الحسين عليه السَّلام عبارة عن خطبة أمام جيش عمر بن سعد من دون تحديد شخص بعينه، في حين ذكرت المصادر التاريخيَّة التي أشرنا إليها أنَّ هذا الأمر كان سرياً بين الإمام الحسين عليه السَّلام وعمر بن سعد، وهذه الخصال ليست بالضرورة ثلاثاً، ربما أقل من ذلك، فقد تكون اثنتين وقد تكون واحدة، وتكمن خطورة ما ذكره ابن سعد في أنَّها تقطع الطريق في التحقق من صحة ذلك كونها خطبة صريحة أمام الجيش كلِّه، وهذا خلاف ما ذُكر، ولو كان كلامه على رؤوس الأشهاد ولم يكن سرياً لما شكك فيه بعض المؤرخين، فذكر البلاذري ذلك بقوله: (وتواقف الحسين

(١) المائدة، الآية: ٥٢.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٧.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٣٩٠؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ٢/ ١١؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٧٩؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١١٤؛ المفيد، الإرشاد، ص٢١٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٥/ ٣٣٦؛ ابن الأثير، الكامل، ٣/ ٥٠٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ١٨٤؛

وعمر بن سعد خلوين فقال الحسين: اختاروا منِّي الرجوع إلى المكان الذي أقبلت منه، أو أنْ أضع يدي في يد يزيد ليرى رأيه فيَّ، وأمَّا أنْ تسيروني إلى ثغر من ثغور المسلمين فأكون من أهله لي ما له وعليَّ ما عليه، ويقال: إنَّه لم يسأله إلَّا أنْ يشخص إلى المدينة)[١]، وهكذا نجد البلاذري وضع أكثر من احتمال لما جرى بين الإمام الحسين عليه السَّلام وعمر ابن سعد، ولم تكن تلك الخصال ثلاثاً، بل واحدة فقط.

بينما ذهب الطبري إلى أبعد من ذلك بكثير، فذكر أنَّ اجتماع الإمام الحسين عليه السَّلام بعمر بن سعد كان سرياً، وأنَّ ما جرى بينهما لا يتعدى ظنون وتكهنات بعض الناس[٢]، ثمَّ ذكر أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام (قال: اختاروا منِّي خصالًا ثلاثاً...)[٣].

ويبدو أنَّ الطبري لم يكن مطمئناً لتلك الرواية فذكر مباشرة رواية عززها ببعض العبارات التي تشير إلى وثاقتها وترجيحها، فقال بسنده عن شاهد عيان هو عقبة بن سمعان فقال: (صحبتُ حسيناً فخرجت معه من المدينة إلى مكَّة، ومن مكَّة إلى العراق، ولم أُفارقه حتى قتل، وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكَّة ولا في الطريق ولا بالعراق ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلَّا وقد سمعتها، أَلا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون، من أنْ يضع يده في يد يزيد بن معاوية، ولا أنْ يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين، ولكنَّه قال: دعوني فلأذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس)[٤].

وعلى الرغم من أنَّ رواية الخصال الثلاث لم تكن من صنع الرواة والمؤرخين وإنَّما هي

(١) أنساب الأشراف، ٣/ ٣٩٠.
(٢) تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٧٩.
(٣) تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٧٩.
(٤) تاريخ الأمم والملوك، ٥/ ٢٧٩.

غاية في القدم، نستدلَّ على ذلك من قول عقبة بن سمعان: (ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون)، فكانت روايته ردّاً على تلك الأقوال والمزاعم، وأنَّها ليس إلَّا أُكذوبة اختلقها عمر بن سعد.

لكنْ ممَّا يؤخذ على بعض الرواة والمؤرخين أنَّهم روجوا لها من أجل تلطيف صورة يزيد بن معاوية والحكم الأُموي، ناسين ومتناسين أنَّ رفض الإمام الحسين عليه السَّلام لبيعة يزيد بن معاوية لم يكن وليد اللحظة، وإنَّما كان قراراً قطعياً اتخذه الإمام منذ زمن معاوية بن أبي سفيان، ولم تكن كلمته لوالي المدينة الوليد بن عتبة حين استدعاه لبيعة يزيد لَمَّا هلك معاوية ببعيدة، حين قال: «**إنَّ مثلي لا يبايع مثله**»[١]، وقد استغرب أحد الباحثين عدم رواج رواية الطبري الأخيرة بسنده عن أبي مخنف عن عقبة بن سمعان، في حين أخذت الرواية التي زعمت قول الإمام الحسين عليه السَّلام أراد أنْ يضع يده في يد يزيد حيزاً واسعاً وصدى كبيراً لدى الرواة والمؤرخين[٢].

وذكر الخوارزمي صراحةً أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام خيَّرهم بالرجوع من حيث جاء؛ ولذلك كتب عمر بن سعد لابن زياد كتاباً ذكر فيه قول الإمام الحسين عليه السَّلام: (إنَّ أهل الكوفة أرسلوا إليه، يسألونه القدوم عليهم ليبايعوه وينصروه، فإنْ بدا لهم في نصرته فإنَّه ينصرف من حيث جاء، فيكون بمكَّة أو يكون بأيِّ بلد أمرته، فيكون كواحد من المسلمين)[٣].

بينما كان سبط ابن الجوزي أكثر صراحةً من غيره فرفض تلك الرواية جملة وتفصيلاً

(١) ابن نما الحلي، مثير الأحزان، ص٣٥.

(٢) مطر، آل بيت النبوة عند الطبري، ص٤٣٤.

(٣) مقتل الحسين، ٢/ ٣٤٣.

فذكر: (قلت وقد وقع في بعض النسخ أنَّ الحسين عليه السَّلام قال لعمر بن سعد، (دعوني أمضي إلى مكَّة أو إلى المدينة أو إلى يزيد فأدع يدي في يده)« ولا يصح ذلك عنه، فإنَّ عقبة بن سمعان قال: صحبت الحسين من المدينة إلى العراق ولم أزل معه إلى أنْ قُتل، والله ما سمعته قال ذلك)[١]، وعلى هذا المنوال أورد النويري روايته فبعد أنْ ذكر لقاء الإمام الحسين عليه السَّلام بعمر بن سعد قال: تحدثت الناس دون أنْ يكونوا سمعوه، وأنَّ جماعة من المحدثين ذكروا أنَّ الحسين خيَّرهم بثلاث خصال، فذيَّل روايته بالقول: (وأنكر عقبة بن سمعان هذه المقالة...)[٢]، وذكر ابن حجر الهيثمي أن الإمام الحسين عليه السَّلام (لمَّا شارف الكوفة سمع به أميرها عبيد الله بن زياد، فجهز إليه عشرين ألف مقاتل، فلمَّا وصلوا إليه التمسوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد، فأبى فقاتلوه..)[٣].

ويبدو أنَّ ما ذكره ابن سعد وغيره من المؤرخين بأنَّ الإمام خيَّرهم بثلاث خصال كان إحداها أنْ يضع يده في يد يزيد بن معاوية هي مجافية للواقع والمنطق، ولا يمكن الأخذ بها طبقاً للمعطيات التاريخيَّة التي ذكرناها، وكذلك لما عُرف من إيمان وعزيمة أبي الأحرار في المضي قُدماً في نهضته، بغض النظر عن نتائجها الآنيَّة، وربما كان بعض ما عرضه عليهم بالرجوع للمدينة هو مجرد إلقاء الحجة وهو قوله: (ولا تعجلوني حتى أعظكم بما يجب لكم عليَّ)[٤]، ذلك أنَّه كان عليه السَّلام صرَّح في أكثر من مناسبة باستشهاده، وبَيَّنَ ذلك لأهل بيته وصحبه بقوله: «خُطَّ

(١) تذكرة الخواص، ٢/ ١٥٣-١٥٤.

(٢) نهاية الأرب، ٢٠/ ٤٢٩-٤٢٠.

(٣) الصواعق المحرقة، ص٢٤٣.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٥١٥.

المـوت عـلى ولـد آدم مخـطَّ القلادة عـلى جيد الفتـاة.. وخُير مـصرع لي أنا لاقيـه،... مَن كان بـاذلاً فينـا مهجتـه وموطنـاً عـلى لقاء الله نفسـه فليرحـل معنا)[1].

ونحن نتفق مع ما ذهب إليه أحد الباحثين في مناقشته لهذه الرواية بقوله: (الرواية بكلِّ فقراتها تنظر لمسألة مهمَّة وخطيرة ألا وهي تحميل أهل الكوفة مسؤوليَّة قتل الإمام الحسين عليه السَّلام والغدر به، وهذا يصبُّ في صالح الدولة العباسيَّة التي تنظر إلى الكوفة بأنَّها مركزٌ علويٌّ كبيرٌ مُعارضٌ لها، ولا بُدَّ من التخلّص منه، وأحد سبل ذلك وصف الكوفة بالخونة وأنَّهم غدروا بالإمام الحسين عليه السَّلام)[2].

٢- يبدو أنَّ ابن سعد كان انتقائياً في روايته هذه، في حين كان كلٌّ من الطبري والبلاذري أكثر موضوعيَّة وحياديَّة منه، على الرغم من أنَّهم عاشوا تقريباً الظروف السياسيَّة نفسها، وفي ظل دولة بني العباس التي لا يروق لها أنْ يُصور أهل البيت بشكل يجعلهم أعلى شأناً وسمواً من العباسيين، فضلاً عمَّا يضمرونه لأهل الكوفة.

٣- لم تختلف رواية ابن سعد الثانية عمَّا ذكرته المصادر التاريخيَّة[3]، إلاَّ في بعض التفاصيل التي لم تغيّر من المضمون شيئاً، وقد أسهب أولئك المؤرخون وكلٌّ حسب منهجه في تفصيل كلام أصحاب الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السَّلام ليلة العاشر من المحرم في الذود عنه والاستشهاد بين يديه، وقد بينت رواية ابن سعد الثانية أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام وضع أصحابه وأهل بيته في اختبار ثانٍ ليلة العاشر من المحرم

---

(١) ابن نما، مثير الأحزان ص٦٦؛ ابن طاووس، الملهوف، ص١٢٦؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/ ٥٩٣ ولواعج الأشجان، ص٧١.

(٢) اللامي، منهج الكتابة التاريخيَّة لكتب المقتل الحسيني، أُطروحة دكتوراه غير منشورة / جامعة واسط، ص٥٧.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٣٩٣؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٨٢-٢٨٣؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ٩٤-٩٥.

بعد الاختبار الأَوَّل حين علم باستشهاد مسلم بن عقيل، لعلمه بثقل المهمَّة التي تقع على عاتقهم يوم العاشر من المحرم والتي صرَّح بها حين توجهه إلى العراق في أكثر من مناسبة: «**مَن كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإنِّي راحل مصبحاً إنْ شاء الله**»[١]، وقوله: «**مَن لحق بي استشهد ومن تخلف عنِّي لم يبلغ الفتح**»[٢]، وحين سمع جوابهم دعا لهم الله أنْ يثيبهم الجنة على ما ينوون، في إشارة صريحة على نيلهم الشهادة بين يديه.

٤- ممَّا يُحسب لابن سعد أنَّه أعطى اهتماماً لتحديد الوقت بدقَّة قاطعاً الطريق على مَن ذكر خلاف ذلك فذكر: (عشيَّة الخميس لتسعٍ خلون من المحرم سنة إحدى وستين بعد العصر)، وهو بذلك مهَّد لصحَّة روايته في تحديد يوم استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام، والتي سوف نناقشها في المبحث الثالث.

الموقف الثاني: تحذيره عليه السَّلام لأعدائه يوم العاشر من المحرم:

يُعدُّ اليوم العاشر من المحرم عام (٦١هـ) يوماً مفصلياً في التاريخ الإسلامي، حيث وُضعت الأُمَّة فيه على المحك في أعظم اختبار عرفته البشريَّة للتفريق بين الحق والباطل، والتضحية بالغالي والنفيس في سبيل المبادئ والقيم السامية، ولم يستطع اجتياز ذلك الاختبار سوى ثلة قليلة حباها الله واختارها، فارتأت أنَّ واجبها حتَّم عليها الوقوف مع أبي الأحرار لإرجاع الدين إلى أُسسه وقواعده المحمَّديَّة التي حاول الأُمويون جاهدين بشتى الوسائل الانحراف به عن الجادة السليمة، وقد تطرق ابن سعد إلى هذا اليوم بروايتين سبقت التقاء الأسنَّة والرماح وهما:

---

(١) ابن طاووس، الملهوف، ص١٢٦.

(٢) ابن نما، مثير الأحزان، ص٦٠.

الرواية الأُولى: ذكر فيها دعاء الإمام الحسين عليه السَّلام (اللهم أنت ثقتي في كلِّ كرب، ورجائي في كلِّ شدَّة، وأنت لي في كلِّ أمر نزل بي ثقة، وأنت وليُّ كلِّ نعمة وصاحب كلِّ حسنة)[١]، ثمَّ عرَّج على خطبة الإمام الحسين عليه السَّلام لأهل الكوفة مبتدئاً ذلك بقوله: (لا تعجلوا حتى أُخبركم خبري، والله ما أتيتكم حتى أتتني كتب أماثلكم، بأنَّ السُّنَّة قد أُميتت، والنفاق قد نجم، والحدود قد عُطلت، فأقدم لعلَّ الله تبارك وتعالى يصلح بك أُمَّة محمَّد (صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم) فأتيتكم، فإذا كرهتم ذلك فأنا راجع عنكم، وارجعوا إلى أنفسكم فانظروا هل يصلح قتلي أو يحل لكم دمي؟ ألست ابن بنت نبيِّكم وابن ابن عمِّه؟ أو لم يبلغكم قول رسول الله (صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم) فيَّ وفي أَخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة؟ فإنْ صدقتموني وإلَّا فاسألوا جابر بن عبد الله، وأبا سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وزيد بن أرقم، فقال شمر بن ذي الجوشن: هو يعبد الله على حرف إنْ كان يدري ما يقول، فأقبل الحر بن يزيد أحد بني رياح بن يربوع على عمر بن سعد فقال: أمقاتل أنت هذا الرجل؟ قال: نعم، قال: أمَا لكم في واحدة من هذه الخصال التي عرض رضا؟ قال: لو كان الأمر إليَّ فعلت، فقال: سبحان الله ما أعظم هذا، أنْ يعرض ابن بنت رسول الله (صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم) عليكم ما يعرض فتأبونه، ثمَّ مال إلى الإمام الحسين عليه السَّلام وقاتل معه حتى قُتل، ففي ذلك يقول الشاعر المتوكل الليثي[٢]:

---

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٧-٤٣٨.

(٢) هو متوكل بن عبد الله بن نهشل الليثي، من أهل الكوفة ويكنى أبا جهمة، وهو أشعر بني كنانة في الإسلام، وفد على معاوية ويزيد ومدحهما، ينسب إليه البيت المشهور:

لا تنهَ عن خلق وتأتي مثله *** عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٥٧/ ١٢-١٤؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١/ ٢٨٤؛ البغدادي، خزانة الأدب، ٨/ ٥٦٧، للمزيد من التفاصيل ينظر: ديوان المتوكل الليثي، ص٩ وما بعدها.

لَنعم الحرُّ حُرُّ بني رياح وحرٌّ عند مُختلف الرماحِ
ونعم الحرُّ ناداه حسين فَجَادَ بنفسه عند الصباح)[١].

أمَّا الرواية الثانية: فقد تطرَّق فيها إلى تحذير الإمام الحسين عليه السَّلام لعمر بن سعد وأهل العراق من عاقبة عملهم هذا، فذكر: (وقال الحسين: أمَا والله يا عمر ليكونن لما ترى يوم يسوؤك، ثمَّ رفع حسين يده مدّاً إلى السماء فقال: اللهم إنَّ أهل العراق غروني وخدعوني، وصنعوا بحسن بن عليٍّ ما صنعوا، اللهم شتت عليهم أمرهم وأحصهم عدداً)[٢].

وقد ذكر أغلب المؤرخين[٣] الرواية الأُولى وكلٌّ حسب منهجه بين المسهب فيها والمختصر، وهي لا تختلف من حيث المضمون عمَّا ذكره ابن سعد، لكنَّنا من خلال ذلك يمكن أن نبين الآتي:

١- ذكر ابن سعد مقولة الإمام عليه السَّلام: (فإذا كرهتم ذلك فأنا راجع عنكم)، وهي لم ترد لدى أغلب المؤرخين الذين ذكروا خطبته تلك، لكنَّهم أوردوا مقولة أُخرى

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٨؛ لم ترد الأبيات في ديوان شعر المتوكل الليثي، وقد اختُلف في نسبتها فبعضهم نسبها للإمام الحسين عليه السَّلام، وبعضهم نسبها للإمام عليِّ بن الحسين السجاد عليهما السَّلام أو لأحد أصحاب الإمام الحسين عليه السَّلام، في حين نسبها البعض لأحد الشعراء دون أن يصرح باسمه... للمزيد من التفاصيل ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ١٨٩؛ ابن أعثم الكوفي، ٥/ ١٠٢؛ الصدوق، الأمالي، ص٢٢٣؛ المفيد، الإرشاد، ص٢٢٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٥/ ١٤؛ القندوزي، ينابيع المودة، ٣/ ٧٧؛ ديوان المتوكل الليثي، ص٩ وما بعدها.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٨.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٣٩٦-٣٩٧؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ص٢٧٨؛ المفيد، الإرشاد، ص٢٢٣-٢٢٤؛ الطبرسي، إعلام الورى، ص٢٤٥-٢٤٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٥١٥-٥١٦؛ الإربلي، كشف الغمة، ٢/ ٢٦٧؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٠/ ٤٤٠-٤٤١؛ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ١٩٣-١٩٤.

قريبة منها عند بعضهم وهي: (إذا كرهتموني دعوني أنصرف عنكم)[١].

وأهميَّة هذه المقولة هي أنَّها تدحض ما زعمه أغلب المؤرخين ومن ضمنهم ابن سعد، في أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام خيَّرهم في خصال ثلاث كان من بينها أنْ يضع يده في يد يزيد بن معاوية.

ويبدو أنَّ هذه المقولة التي ذكرها ابن سعد هي أكثر دقَّة من غيرها، وتؤيد صحة رواية الطبري بسنده عن عقبة بن سمعان التي أشرنا إليها، ونرى أنَّها دليلٌ آخر يضاف إليها لكشف بعض الحقائق التي حاول بعض الرواة والمؤرخين إخفاءها أو تضليلها أو التلاعب بمفرداتها، من أجل النيل من النهضة الحسينيَّة وعظمتها.

٢- وأمَّا ما ذكره ابن سعد في روايته الثانية من كلامه مع عمر بن سعد فمن المعلوم أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام حذَّره من عاقبة عمله هذا، وهو ما أشار إليه بعض المؤرخين[٢]، وهي كرامة من كرامات الإمام الحسين عليه السَّلام ودليلٌ على جهل أعدائه، فقد كان جواب عمر بن سعد حين أخبره الإمام «**أنَّك لا تأكل من برِّ العراق كثيراً**» أجابه في الشعير كفاية، وقال له: «**فإنَّك لا تفرح بدنيا ولا آخرة، وكأنِّي برأسك على قصبة قد نصب بالكوفة يتراماه الصبيان ويتخذونه غرضاً بينهم**»[٣].

وهكذا نجد أنَّ ابن سعد اتفق مع ما ذكره أغلب المؤرخين في تحذير الإمام الحسين عليه السَّلام لعمر بن سعد.

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٣٩٦؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٨٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ١٩٤.

(٢) الخوارزمي، مقتل الحسين، ١/ ٣٤٨.

(٣) الخوارزمي، مقتل الحسين، ٢/ ١٠-١١.

٣- يؤخذ على رواية ابن سعد الثانية أنَّه ذيَّلها بدعاء نَسبهُ للإمام الحسين عليه السَّلام، وهو ما انفرد به دون غيره، ويبدو أنَّ هذه الجزئيَّة من الرواية أُقحمت في غير محلِّها أو تمَّ التلاعب بألفاظها، ونحن لسنا بصدد موقف أهل الكوفة بقدر ما أنَّها صورت الإمام الحسين عليه السَّلام على أنَّه مخدوع ومغرر به، وهو ما يتنافى مع كلِّ ما ذكرناه عن إصرار الإمام الحسين عليه السَّلام في السير قُدماً في الطريق الذي اختطّه لنفسه في مقارعة الظلم والعدوان، والنهوض بالأُمَّة من سباتها، وإرجاع الأمور إلى نصابها الحقيقي، وإنقاذها من المنحدر الذي وصلت إليه الشريعة المحمَّدية، وأنَّه لم يخرج أشراً ولا بطراً وإنَّما لطلب الإصلاح في أُمَّة جدِّه (صلَّى الله عليه وآله)، ولم يكن النصر العسكري الذي يُخيل للبعض هو غاية الإمام الحسين عليه السَّلام ومبتغاه، وإنَّما غايته الوصول لتحقيق أهداف نهضته حتى وإنْ كان ثمنها حياته وحياة جُلِّ أهل بيته وصحبه.

ويبدو أنَّ الرواية تنصب في منهج ابن سعد في تحميل أهل الكوفة القضيَّة برمتها؛ ولذلك ربط ذلك بما حصل للإمام الحسن عليه السَّلام من دون أيِّ ذكر لبني أُميَّة وولاتهم ودورهم الرئيسي في استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام.

وتُعدُّ شجاعة الإمام الحسين عليه السَّلام واستبساله وأهل بيته وصحبه في القتال يوم الطف من القضايا التي أخذت حيزاً كبيراً لدى أغلب المؤرخين، لما له من قيمة معنويَّة وأثر ماديٍّ، فتناولته أقلام الرواة والمؤرخين وكلٌّ حسب منهجيته وقصديته، ولم يكن ابن سعد إلَّا واحداً من أوائل الذين كتبوا عن تلك الملحمة البطوليَّة بكلِّ ما تحويه من معانٍ وأهداف سامية، فتطرَّق بأكثر من رواية في هذا الشأن:

الرواية الأُولى: ذكر فيها بدء المعركة وأَوَّل من برز من المعسكرين، ثمَّ عرَّج على موقف الإمام الحسين عليه السَّلام حينها وما حصل في معسكره، فقال: (وناهض عمر

بن سعد حسيناً، فكان أَوَّل من قاتل مولى لعبيد الله بن زياد يقال له: سالم، فصل من الصف فخرج إليه عبد الله بن تميم الكلبي فقتله، والحسين جالس عليه جبة خزٍّ دكناء، وقد وقعت النبال عن يمينه وعن شماله وابن له ثلاث سنين بين يديه فرماه عقبة بن بشر الأسدي فقتله، ورمى عبد الله بن عقبة الغنوي أبا بكر بن الحسين بن عليٍّ فقتله، فقال سليمان ابن قتة[1]:

(وعند غنيٍّ قطرةٌ من دمائنا وفي أسد أُخرى تعدُّ وتذكرُ)[2]

الرواية الثانية: وصف فيها قتال أصحاب الإمام الحسين عليه السَّلام وتفانيهم دونه فقال: (ولبس حسين لامته، وأطاف به أصحابه يقاتلون دونه، حتى قتلوا جميعاً)[3].

الرواية الثالثة: تطرَّق فيها ابن سعد لقضيَّة الأمان لعليٍّ الأكبر، مبيناً سببه وكيف رفضه، ثمَّ ذكر مقتله وموقف الإمام الحسين عليه السَّلام من ذلك، فجاء فيها (ودعا رجل من أهل الشام، عليَّ بن حسين الأكبر -وأُمُّه آمنة بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي، وأُمُّها بنت أبي سفيان بن حرب- فقال: إنَّ لك بأمير المؤمنين قرابة ورحماً، فإنْ شئت أمّنّاك وامضِ حيث ما أحببت، فقال: أمَا والله لقرابة رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) كانت أَولى أنْ تُرعى من قرابة أبي سفيان، ثمَّ كرَّ عليه وهو يقول:

أنا عليُّ بن حسين بن علي نحن وبيت الله أَولى بالنبي

من شمر وعُمر وابن الدعي

(١) هو سليمان ابن قتة العدوي القرشي من أهل البصرة كان منقطعاً لبني هاشم معروفاً بتشيعه، وهو من فحول الشعراء، وقتة اسم أُمِّه، واسم أبيه حبيب بن محارب من بني تيم بن مرة بن كعب بن لؤي. ينظر: العمري، المجدي في أنساب الطالبيين، ص١٦؛ المزي، تهذيب الكمال، ٢/ ٥١١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤/ ٥٩٦.

(٢) الطبقات، ٦/ ٤٣٩.

(٣) الطبقات، ٦/ ٤٣٩.

قال: وأقبل عليه رجل من عبد القيس يقال له مُرَّة بن منقذ بن النعمان، فطعنه، فحمل فوُضِع قريباً من أبيه، فقال له: قتلوك يا بني، على الدنيا بعدك العفاء، وضمه أبوه إليه حتى مات، فجعل الحسين يقول: اللهم دعونا لينصرونا فخذلونا وقتلونا، اللهم فاحبس عنهم قطر السماء وامنعهم بركات الأرض، فإنْ متعتهم إلى حين ففرقهم شِيعاً واجعلهم طرائق قدداً، ولا تُرضي الولاة عنهم أبداً)[١].

الرواية الرابعة: ذكر ابن سعد فيها مقتل اثنين من أهل البيت أحدهما القاسم والثاني لم يذكر اسمه، فقال: (وجاء صبيٌّ من صبيان الحسين حتى جلس في حجر الحسين، فرماه رجل بسهم فأصاب ثُغرة نحرِه فقتله، فقال الحسين: اللهم إنْ كنت حبست عنَّا النصر فاجعل ذلك لما هو خير في العاقبة وانتقم من القوم الظالمين، ثمَّ قال: وخرج القاسم بن حسن بن عليٍّ، وهو غلام عليه قميص ونعلان، فانقطع شسع نعله اليسرى، فحمل عليه عمرو بن سعيد الأزدي فضربه، فسقط ونادى: يا عمّاه، فحمل عليه الحسين فضربه فاتقاها بيده فقطعها من المرفق فسقط، وجاءت خيل الكوفيين ليحملوه وحمل عليهم الحسين فجالوا ووطئوه حتى مات، ووقف الحسين على القاسم فقال: عزَّ على عمِّك أنْ تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك فلا ينفعك، يوم كثُر واتره وقلَّ ناصره، وبُعداً لقومٍ قتلوك، ثمَّ أمر به فحُمل ورجلاه تخطان في الأرض، حتى وُضِعَ مع عليٍّ بن حسين...)[٢].

الرواية الخامسة: وذكر فيها مقتل العباس بن عليٍّ وإخوته وقضيَّة إرثهما، فقال: (وقد كان العباس بن عليِّ بن أبي طالب، قال لجعفر وعبد الله ابني عليٍّ: تقدما، فإنْ قتلتما ورثتكما، وإنْ قتلتُ بعدكما ورثني ولدي، وإنْ قتلت قبلكما ثمَّ قُتلتما ورثكما محمَّد ابن

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٩؛ ينظر: مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٥٧.
(٢) م.ن، ٦/ ٤٣٩.

الحنفيَّة، فتقدما فقُتلا ولم يكن لهما ولد، ثمَّ قُتل العباس بعدهما)[١].

وأشار ابن سعد إلى قتال الإمام الحسين عليه السَّلام وشجاعته وبعض خطبه وكلامه، غير الذي ذكرناه فذكر شجاعة الإمام الحسين عليه السَّلام بقوله: (وحسين عليه عمامة سوداء وهو مختضب بسواد يقاتل قتال الفارس الشجاع)[٢].

وذكر في موضع آخر وهو يصف قتاله بعد أنْ بقي وحده في الميدان فذكر (فلمَّا قُتل أصحابه وأهل بيته بقي الحسين عامَّة النهار لا يُقدم عليه أحد إلَّا انصرف حتى أحاطت به الرجالة، فما رأينا مكثوراً قط أربط جأشاً منه، إنْ كان ليقاتلهم قتال الفارس الشجاع، وإنْ كان ليشدّ عليهم فينكشفون عنه انكشاف المِعزى شدَّ فيها الأسد...)[٣]، وذكر ابن سعد كرامة من كرامات الإمام الحسين عليه السَّلام جاء فيها: (وعطش الحسين، فاستسقى وليس معهم ماء، فجاءه رجل بماء فتناوله ليشرب، فرماه حصين بن تميم بسهم فوقع في فيه، فجعل يتلقى الدم بيده ويحمد الله، وتوجّه نحو المُسناة يريد الفرات، فقال رجل من بني أبان بن دارم: حولوا بينه وبين الماء، فعرضوا له فحالوا بينه وبين الماء، وهو أمامهم، فقال حسين: اللهم أظْمِه، ورماه الأباني في حَنَكِه، فانتزع السهم وتلقى الدم فملأ كفَّه وقال: اللهم إنِّي أشكو إليك ما فعل هؤلاء، فما لبث الأباني إلَّا قليلاً حتى رئي وأنَّه ليؤتى بالقلَّة أو العس، إنْ كان ليروى عدَّة، فيشربه فإذا نزعه عن فيه قال: اسقوني فقد قتلني العطش فما زال بذلك حتى مات)[٤].

وكذلك ذكر ابن سعد كلام الإمام الحسين عليه السَّلام يوم المعركة فقال: (وجاء

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٢.

(٢) م.ن، ٦/ ٤٣٩.

(٣) م.ن، ٦/ ٤٤٣.

(٤) م.ن، ٦/ ٤٤٠.

شمر بن ذي الجوشن فحال بين الحسين وبين ثَقَله، فقال الحسين: رحلي لكم عن ساعة مباح، فامنعوه من جهالكم وطغامكم وكونوا في دنياكم أحراراً إذا لم يكن لكم دين، فقال شمر ذلك لك يا بن فاطمة)[١].

تناولت المصادر التاريخيَّة[٢] قتال الإمام الحسين عليه السَّلام وأهل بيته وصحبه يوم العاشر من المحرم، فمنهم من فصَّل فيها ومنهم من اقتضب واختصر (تبعاً لمنهج المؤرخ وطبيعة مصنفه)[٣]، قال ابن الطقطقي في مقتل الحسين عليه السَّلام: (هذه قضيَّة لا أحبُّ بسط القول فيها استعظاماً لها واستفظاعاً...)[٤]، وقال السيوطي: (وفي قتله قصة فيها طول لا يحتمل القلب ذكرها)[٥]، فمن البديهي أنْ نجد البعض أسهب في العديد من الأحداث وتطرق إلى أدقِّ التفاصيل مثل الطبري وابن أعثم الكوفي، في حين نجد خليفة بن خياط واليعقوبي وغيرهما اختصرا في ذلك، ومن المنطقي أن لا يخرج ابن سعد عن تلك الأسباب مَثَله مَثل أيِّ مؤرخ آخر، وتجنباً للتكرار والإسهاب سوف نركز على ما اختلف فيه ابن سعد عن غيره من المؤرخين، معرجين على رؤيته وقصديته في رواياته حسب المعطيات التاريخيَّة التي اطلعنا عليها، ومن خلال ما تقدَّم يمكننا القول:

١- لم يعطِ ابن سعد أيَّ أهميَّة تُذكر لقتال ودور أصحاب الإمام الحسين عليه السَّلام،

---

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٠.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص٢٣٤-٢٣٥؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٣٨٩-٤٠٨؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٥٦-٢٥٨؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٧٠-١٧١؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٨٦-٣٠٦؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ١٠١-١١٨؛ المسعودي، مروج الذهب، ٣/ ٧٥-٧٧؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١١٤-١١٨؛ المفيد، الإرشاد، ص٢٢٥-٢٣٠؛ الطبرسي، إعلام الورى، ص٢٤٥-٢٥٤؛ ابن الأثير، الكامل، ٣/ ٥١٨-٥٣٢.

(٣) اللامي، منهج الكتابة التاريخيَّة لكتب المقتل الحسيني، ص٦.

(٤) الفخري، ص١١٣.

(٥) تاريخ الخلفاء، ص٢٠٣.

ولم يُشر إليهم إلَّا بشكل مقتضب جداً بقوله: (فكان أَوَّل من قاتل مولى لعبيد الله بن زياد يقال له: سالم، فصل من الصف فخرج إليه عبد الله بن تميم الكلبي فقتله)[١]، وذكر كذلك (وأطاف به أصحابه يقاتلون دونه، حتى قتلوا جميعاً)[٢]، وقبل ذلك تطرَّق لمحاورة الحرِّ مع عمر بن سعد فذكر بعدها: (ثمَّ مال إلى الحسين فقاتل معه حتى قتل)[٣]، وذكر أحد المواقف المشرِّفة لأصحاب الإمام الحسين عليه السَّلام: (قيل لمحمَّد بن بشير الحضرمي: قد أُسر ابنك بثغر الري! قال: عند الله أحتسبه ونفسي، ما كنت أحبُّ أنْ يؤسر، ولا أنْ أبقى عنده، فسمع قوله الحسين فقال له: رحمك الله أنت في حِلٍّ من بيعتي فاعمل في فكاك ابنك، قال: أكلتني السباع حياً إنْ فارقتك، قال: فأعطِ ابنك هذه الأثواب والبرود يستعين بها في فكاك أخيه، فأعطاه خمسة أثواب قيمتها ألف دينار)[٤].

في حين خصص أغلب المؤرخين حيزاً كبيراً لأصحاب الإمام الحسين عليه السَّلام يوم العاشر من المحرَّم، وبما يتناسب مع دورهم البطولي، فذكروا مواقفهم وقتالهم واستبسالهم في الذود عن الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السَّلام أمثال حبيب بن مظاهر الأسدي وزهير بن القين وبرير بن خضير والحر بن يزيد ونافع بن هلال وغيرهم[٥]، وهم الذين وصفهم عليه السَّلام بقوله: «**اللهم إنَّك تعلم أنِّي لا أعلم أصحاباً خيراً من أصحابي...**»[٦].

---

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٩.

(٢) الطبقات الكبير،٦/ ٤٣٩.

(٣) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٨.

(٤) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٧.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٣٩٨-٤٠٥؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٩٠-٣٠١؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ١٠١-١١٠.

(٦) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١١٢.

ومِمَّا تقدَّم نرى أنَّ ابن سعد ربما تعمَّد ذكرهم بهذا الشكل المقتضب جداً؛ كون أنصار الإمام الحسين عليه السَّلام والمستشهدين بين يديه جُلُّهم من أهل الكوفة، بل نجد ابن سعد نفسه ذكر أنَّه خرج من مكَّة ومعه ستون شيخاً من أهل الكوفة[١]، وربما السبب في ذلك أنَّ هؤلاء الأصحاب لهم شأن في رفع مكانة الكوفة، فمن البديهي أنْ يكون أنصار الإمام الحسين عليه السَّلام مفخرةً لقبائلهم وأمصارهم، وهذا ما لا يروق لذلك العصر لِما تمثله الكوفة في ذلك الحين والتي أصبحت مصدر قلق لجميع الحكومات التي جاءت بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام، بعد أنْ بثَّ في الأُمَّة الروح الثوريَّة ضدَّ الظلم والطغيان، فلا نستبعد أنَّ ابن سعد له قصديَّة في هذا الاقتضاب والتقليل من دور وشأن هؤلاء الأنصار، كون أغلبهم كوفيين، وهذا يندرج ضمن شيء ممنهج لدى ابن سعد في ذمِّ أهل الكوفة بسوقه العديد من الروايات في هذا الشأن، أو خشيته من أثارة غضب بعض الشخصيات الموالية للعباسيين، إذا ما علمنا أنَّه قريب لبعض رجالات البلاط العباسي أمثال الواقدي الذي كان قاضياً لهم[٢].

٢- ويمكننا القول إنَّ ابن سعد والمصعب الزبيري[٣] انفردا برواية إعطاء الأمان لعليٍّ الأكبر دون غيرهما من المؤرخين، فلم نجدها في المصادر التي اطلعنا عليها، ويمكن أن نستنتج من هذه الرواية التالي:

النتيجة الأُولى: إنَّ ابن سعد أعطى اهتماماً أكثر ممَّا ينبغي لنسب وارتباط أُمِّ عليٍّ الأكبر بأبي سفيان، ودليلنا على ذلك أنَّه ذكر ذلك في موضع آخر فقال: (فولد الحسين عليٌّ الأكبر، قُتل مع أبيه بالطف لا بقيَّة له، وأُمُّه آمنة بنت أبي مرَّة بن عُروة بن مسعود بن

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٩.

(٢) وكيع، أخبار القضاة، ٣/ ٢٧٠.

(٣) نسب قريش، ص٥٧.

معتب من ثقيف وأُمُّها ابنة أبي سفيان بن حرب، وفيها يقول: حسان بن ثابت

طافت بنا شمس ومن رأى … من الناس شمساً بالعشاء تطوف

أبو أُمِّها أوفى قريش بذمةٍ … وأعمامها اما سالت ثقيف)[1].

في حين نجد غيره من المؤرخين ذكروا ذلك فقالوا: (وكان أوَّلَ قتيل من آل أبي طالب يومئذٍ عليٌّ الأكبر ابن الحسين بن عليٍّ، وأُمُّه ليلى ابنة أبي مرَّة بن عروة بن مسعود الثقفي؛ وذلك أنَّه أخذ يشدُّ على الناس...)[2]، وفي حين خصص أبو الفرج الأصفهاني عنواناً خاصاً لعليٍّ الأكبر لكنَّه لم يذكر الشعر الذي ذكره ابن سعد في مدح جدَّته لأُمِّه وهي ميمونة بنت أبي سفيان[3].

وعلى الرغم من أنَّ الرواية المتقدِّمة فيها مدح ضمنيٌّ لبني أُميَّة لكنْ في الوقت ذاته الإقلال من شأن بني هاشم بمساواتهم ومقارنتهم مع بني أُميَّة وغيرهم، فإنَّ مدح بني أُميَّة أقلّ خطورة على العباسيين وأعوانهم من بني هاشم الذين أصبحوا بعد مدَّة محدودة من نشوء الدولة العباسية العدو الحقيقي في نظرهم لمكانتهم في المجتمع الإسلامي، فضلاً عن أنَّ العباسيين أُقيمت دولتهم أساساً للرضا من آل البيت.

ويتضح ممَّا ذكره ابن سعد أنَّه يمجد بنسب عليٍّ الأكبر لأنَّ جدَّه لأُمِّه أبو سفيان، وكأنَّها منقبة لآل بيت الرسول، في حين أنَّ العكس هو الصحيح، فإنَّ بني أُميَّة وثقيف تشرفوا بمصاهرتهم لآل محمَّد، وهو ما أقرَّه معاوية ضمنياً، فقال لأصحابه: (مَن أحقّ الناس بهذا الأمر؟ -يعني الخلافة حسب زعمه- قالوا: أنت، قال: لا، أَولى الناس بهذا

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٣٩٩.

(٢) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٣٠١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٥٢٧.

(٣) مقاتل الطالبيين، ص٨٦.

الأمر عليُّ بن الحسين بن عليٍّ، جدُّه رسول الله (صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم)، وفيه شجاعة بني هاشم، وسخاء بني أُميَّة، وزهو ثقيف)[1]، ومن البديهي أنَّ معاوية لم يكن صادقاً في قوله هذا، ولكنَّه أراد من خلال ذلك أنْ يجعل لبني أُميَّة منقبة السخاء، وغير ذلك من المآرب الأُخرى.

النتيجة الثانية: يتضح على فرضيَّة صحَّة الرواية من قول ابن سعد: (ودعا رجل من أهل الشام...)، أنَّ الجيش الأُموي الذي قاتل الإمام الحسين عليه السَّلام ضمَّ جنداً من الشام، فمن غير المنطقي أنْ يكون هذا الرجل الشامي وحده في ذلك الجيش واستطاع أنْ يأتي بأمان لعليٍّ الأكبر، وله من النفوذ والسطوة ما جعله يصرِّح بقرابة أبي سفيان لعليٍّ الأكبر، وهذه الرواية تفنِّد قول البعض إنَّه (لم يحضر قتال الحسين أحد من أهل الشام، بل كلُّهم من أهل الكوفة ممَّن كاتبه)[2].

لكنْ ممَّا يؤخذ على ابن سعد أنَّه لم يُشر إلى اسم هذا الشامي الذي كان من المفترض أنْ يكون معروفاً، فمن غير المعقول أنْ يقوم شخصٌ مغمورٌ بإعطاء أمان لشخصيَّة مثل عليٍّ الأكبر من آل محمَّد، إن لم يكن له قبيلة ونفوذ في ذلك الجيش، وكذلك نجد المصعب الزبيري يزيد الطين بلة بجعله الرجل عراقياً وليس شامياً، فبدأ روايته بالقول: (وكان رجل من أهل العراق دعا عليَّ بن الحسين الأكبر إلى الأمان)[3]، فضلًا عن أنَّ رواية ابن سعد اختلفت مع ما ذكره بعض المؤرخين بأنَّ عبيد الله بن زياد أعطى أماناً للعباس وإخوته من أُمِّه وأبيه بطلب من بعض رجال قبيلة أُمِّ البنين عليها السَّلام، وأنَّهم رفضوا

(١) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٨٦.

(٢) سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص، ٢/ ١٦١؛ ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ٣/ ٧٦.

(٣) المصعب الزبيري، نسب قريش، ص٥٧.

ذلك الأمان بشدَّة[١].

٣- وأمَّا رواية ابن سعد الخامسة والتي ذكر فيها أنَّ العباس عليه السَّلام طلب من إخوته أنْ يقاتلوا قبله، معللاً سبب ذلك خوفاً أنْ يرثهم محمَّد ابن الحنفيَّة، فيبدو أنَّ ابن سعد رجَّح صحَّة هذه الرواية بدليل قوله: (فَتقَدَّما فَقُتلا ولم يكن لهما ولد، ثمَّ قتل العباس بعدهما)[٢].

والظاهر أنَّ هذه الرواية هي رواية كوفيَّة بسند أبي مخنف عن الضحاك المشرفي[٣] أحد الناجين من واقعة الطف[٤]، فقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني روايتين بهذا الشأن قال في الأُولى: (قال أبو مخنف في حديث الضحاك المشرفي: إنَّ العباس بن عليٍّ قدَّم أخاه جعفراً بين يديه لأنَّه لم يكن له ولد، ليحوز ولد العباس بن عليٍّ ميراثه... هكذا قال الضحاك)[٥]، وذكر في الثانية عند ترجمته للعباس بن عليٍّ عليهما السَّلام فقال: (وهو آخر من قتل من إخوته لأُمِّه وأبيه، لأنَّه كان له عقب، ولم يكن لهم، فقدَّمهم بين يديه فقتلوا جميعاً فحاز مواريثهم، ثمَّ تقدَّم فقُتل، فورثهم وإياه عبيد الله، ونازعه في ذلك عمُّه عمر بن عليٍّ، فصولح على شيء رضي به)[٦].

تبيَّن من رواية أبي الفرج الأصفهاني أنَّه رجح صحَّة الرواية على الرغم من أنَّ أبا مخنف

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٨٠-٢٨١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٥١٠.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٢.

(٣) هو الضحاك بن عبد الله المِشرفي اشترط على الإمام الحسين عليه السَّلام أنْ يقاتل معه ما كان قتاله نافعاً له، فقاتل معه وقَتَلَ رجلين وجرح آخر، وقال له الإمام الحسين عليه السلام: «لا تشلل، لا يقطع الله يدك، جزاك الله خيراً عن أهل بيت نبيك»، ثمَّ طلب الإذن من الإمام بالانصراف حسب ما اشترطه، فأذن له الإمام الحسين عليه السَّلام. ينظر: الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٣٠٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٥٢٦.

(٤) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٣٠٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٥٢٦.

(٥) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٨٨.

(٦) م.ن، ص٨٩.

حاول التنصل من توثيق الرواية بقوله: هكذا قال الضحاك، لكنَّنا نجد أنَّ أبا الفرج الأصفهاني ساق في روايته الأُخرى ما يعزز صحتها، وذلك بذكره التنازع والتخاصم فيما بعد بين ابن العباس بن عليٍّ وعمِّه، في حين نجد أنَّ الطبري شكك في صحة الرواية بمجملها فقال: (وزعموا أنَّ العباس بن عليٍّ قال لإخوته من أُمِّه عبد الله وجعفر وعثمان، يا بني أُمِّي، تقدَّموا حتى أَرثكم، فإنَّه لا ولد لكم، ففعلوا وقتلوا)[١]، وقبل الردِّ على ما تقدَّم لا بُدَّ لنا من أن نرى كيف تطرقت المصادر التاريخيَّة الأُخرى لموقف العباس عليه السَّلام وإخوته؟ فذكروا أنَّ العباس عليه السَّلام لَّما رأى القتل في أهل بيته قال لإخوته: (تقدَّموا، بنفسي أنتم، فحاموا عن سيدكم حتى تموتوا دونه)، فتقدَّموا جميعاً، فصاروا أمام الحسين عليه السَّلام يقونه بوجوههم ونحورهم... وبقي العباس بن عليٍّ قائماً أمام الحسين يقاتل دونه، ويميل معه حيث مال، حتى قُتل، رحمة الله عليه)[٢].

وعلى ما يبدو أنَّ ما ذكره ابن سعد وغيره من المؤرخين في قضيَّة أنَّ العباس عليه السَّلام قَدَّم إخوته للقتال لكي يرثهم لا تصمد أمام المنطق والعقل، فالمتفق عليه أنَّ أصحاب الإمام الحسين عليه السَّلام وأهل بيته جادوا بنفوسهم وهذا أسمى غايات الجود، وهم في غنى عن حبِّ الدنيا وزخرفتها، فضحَّوا بكلِّ شيء من أجل تلك المبادئ والقيم النبيلة، وكان العباس عليه السَّلام من أهم المرتكزات لهذا الجود والتضحية، وكان نافذ البصيرة، ولا تعبِّر هذه الرواية إلَّا عن ضيق الأُفق لدى بعض الرواة والمؤرخين الذين ذكروها مثلما ذكروا غيرها والتي فيها الغث والسمين، وربما هناك دوافع أُخرى للنيل من قدسيَّة بعض الشخصيات التي ضُرب المثل في تفانيها من أجل القتال بين يدي

---

(١) تاريخ الأمم والملوك، ٥/ ٣٠٣.

(٢) أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٥٧؛ المفيد، الإرشاد، ص٢٢٩؛ الطبرسي، إعلام الورى، ص٢٥٢.

الإمام الحسين عليه السَّلام.

٥- وممَّا يحسب لابن سعد ذكره كرامة من كرامات الإمام الحسين عليه السَّلام بحقِّ أحد أعدائه(١)، بينما نجد الذهبي حين ذكر هذه الرواية بسنده عن هشام الكلبي ذيَّل روايته بالقول: (الكلبي رافضي متهم)(٢)، في إشارة واضحة للتشكيك في هذه الرواية، وبذلك فقد طعن بهذه الكرامة للإمام الحسين عليه السَّلام؛ وذلك لرفع القُدسيَّة عن شخصيَّة الإمام عليه السَّلام.

٦- يبدو من خلال سياق روايات ابن سعد في قتال الإمام الحسين عليه السَّلام وأهل بيته وصحبه، أنَّه لم يتبع منهجيَّة مُعينة أو تسلسلاً في الحوادث، سوى ذكره بدء القتال بأَوَّل مبارزة وانتهائه باستشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام، في حين ذكر أغلب المؤرخين أنَّ أَوَّل قتيل من آل أبي طالب هو عليٌّ الأكبر عليه السَّلام(٣)، نجد ابن سعد قد قدَّم مقتل اثنين من أبناء الإمام الحسين عليه السَّلام هما صبي عمره ثلاث سنوات لم يذكر اسمه وأبو بكر بن الحسين، واللافت للنظر على رواية ابن سعد على الرغم من استشهاد اثنين من أبناء الإمام الحسين عليه السَّلام صوَّره جالساً عليه جبة خزٍّ دكناء والنبال عن يمينه وشماله، ولم يلبس لامة حربه إلَّا بعد استشهادهما، وهو خلاف ما ذكره أغلب المؤرخين من أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام استعدَّ للقتال وعبّأ أصحابه ميمنة وميسرة وقلباً، واتخذ كلَّ الاستعدادات

(١) ينظر: الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٠.

(٢) سير أعلام النبلاء، ٣/ ٣١١-٣١٢.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٤٠٦؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٥٦؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٣٠١؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٨٦؛؛ المفيد، الإرشاد، ص٢٢٧.

مـن حفـر الخنـدق وإضرام النـار فيه كي يكـون القتـال من وجـه واحد[١].

ويبدو أنَّ ابن سعد ربما أراد أنْ لا يسهب في كلِّ التفاصيل، لكنَّ رواياته بشأن قتال الإمام الحسين عليه السَّلام وأهل بيته وصحبه جاءت وكأنَّها توحي إلى أنَّهم كانوا أكلة سهلة للعدو، وهو خلاف الواقع، فقد وصفهم أعداؤهم بالقول: (يا حمقى أتدرون مَن تقاتلون؟ فرسان المصر وقوم مستميتين...)[٢]، وذكر بعض المؤرخين أنهَّم (قاتلوهم حتى انتصف النهار أشدَّ قتال خلقه الله، وأخذوا لا يقدرون على أنْ يأتوهم إلَّا من وجه واحد لاجتماع أبنيتهم وتقارب بعضها من بعض)[٣]، فضلًا عن ذلك نجد ابن سعد قد تغافل عن قتال أصحاب الإمام الحسين عليه السَّلام كما أشرنا، كذلك اقتصر ذكره لقتال أهل بيت الحسين على القاسم بن الحسن وعليٍّ الأكبر عليهم السَّلام، وقد غلب الجانب العاطفي في الكلام عنهم وكأنَّه يريد أنْ يُظهر معسكر الإمام الحسين عليه السَّلام بهذا المظهر من دون الجوانب الأُخرى والتي تمثلت بالجانب البطولي والدفاع عن الدين والشريعة، ودليلنا على ذلك لم نجد ابن سعد ذكر شخصاً قتله أصحاب أو أهل بيت الحسين عليه السَّلام سوى شخص واحد في أوَّل مبارزة بين المعسكرين، في حين حفلت المصادر التاريخيَّة بذكر العديد من قتلى معسكر عمر بن سعد، ونظرة يسيرة إلى ما كتبه البلاذري والطبري وابن أعثم الكوفي وأبو الفرج الأصفهاني وغيرهما من المؤرخين، نجدها حافلة ببطولات قتال أصحاب الإمام الحسين عليه السَّلام وقتلى الجيش الأُموي.

---

(١) البلاذري، الأنساب، ٣/ ٣٩٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٥/ ٣٣٨-٣٣٩؛ سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص، ٢/ ١٦٠.

(٢) الطبري، تاريخ الطبري، ٥/ ٢٩١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٥/ ٣٣٩.

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ٥/ ٢٩٥؛ ينظر: البلاذري، الأنساب، ٣/ ٤٠٢.

المبحث الثالث: شهداء أهل البيت والناجون منهم:

أَوَّلاً: استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام:

اختلفت الروايات التاريخيَّة في تحديد قاتل الإمام الحسين عليه السَّلام، ومَن هو الذي احتز رأسه الشريف؟ وكذلك اختلفوا في اليوم الذي استُشهد فيه وربما اختلف بعضهم في تحديد سنة استشهاده، وكذلك عمره الشريف عند الاستشهاد، وقد تطرَّق ابن سعد لذلك فذكر أكثر من رواية بهذا الشأن:

الرواية الأُولى: (فمكث مليّاً من النهار والناس يتدافعونه ويكرهون الإقدام عليه، فصاح بهم شمر بن ذي الجوشن: ثكلتكم أُمَّهاتكم ماذا تنتظرون به؟ أقدموا عليه، فكان أوَّل من انتهى إليه، زرعة بن شريك التميمي، فضرب كتفه اليسرى، وضربه حسين على عاتقه فصرعه، وبرز له سنان بن أنس النخعي فطعنه في ترقوته، ثمَّ انتزع الرمح فطعنه في بواني صدره فخر صريعاً، ثمَّ نزل إليه ليحتزَّ رأسه ونزل معه خولي بن يزيد الأصبحي فاحتزَّ رأسه، ثم أتى عبيد الله بن زياد فقال:

أوقر ركابي فضة وذهبا ... أنا قتلت الملك المحجبا

قتلت خير الناس أُمَّا وأبا ... وخيرهم إذ ينسبون النسبا

فلم يعطه عبيد الله شيئاً)[٤].

وأكَّد ذلك في رواية ثانية بقوله: (... الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، قتله سنان بن أنس النخعي، وأجهز عليه وحزَّ رأسه - الملعون- خَولي بن يزيد الأصبحي)[٥].

---

(٤) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤١.

(٥) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤١.

الرواية الثالثة: (وجد بالحسين ثلاث وثلاثون جراحة، ووجدوا في ثوبه مائة وبضعة عشر خرقاً من السهام وأثر الضرب، وقتل يوم الجمعة يوم عاشوراء في المحرَّم سنة إحدى وستين، وله يومئذٍ ست وخمسون سنة وخمسة أشهر)[١]. الرواية الثالثة: (وكان جعفر بن محمَّد يقول: قُتل الحسين وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة)[٢].

وهكذا نجد ابن سعد أوضح في روايته قاتل الإمام الحسين عليه السَّلام ومن احتزَّ رأسه واليوم الذي استشهد فيه والسَّنة، لكنَّه ساق روايتين في سنِّ الإمام يوم استشهاده، وقبل مناقشة ما ذكره ابن سعد لا بُدَّ لنا أن نعرج على ما ذكره بعض المؤرخين في هذا الشأن:

فقد ذكر خليفة بن خياط ذلك في حوادث سنة إحدى وستين: (فيها قُتل الحسين بن عليِّ بن أبي طالب رحمة الله عليه، يوم الأربعاء لعشرٍ خلون من المحرَّم سنة إحدى وستين)[٣]، وذكر في طبقاته (استشهد بكربلاء من ناحية الكوفة سنة إحدى وستين في يوم عاشوراء)[٤]، أمَّا بشأن قاتل الإمام الحسين عليه السَّلام فقد ذكر خليفة (الذي تولى قتل الحسين شمر بن ذي الجوشن، وأمير الجيش عمر بن سعد بن مالك)[٥].

في حين ذكر البلاذري أنَّ سنان بن أنس طعن الإمام عليه السَّلام فصرعه، ثمَّ قال لخولي: احتز رأسه، فلم يستطع، فنزل إليه (فذبحه ثمَّ دفع رأسه إلى خولي)[٦]، ثمَّ ذكر

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤١.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤١.

(٣) تاريخ خليفة، ص٢٣٤.

(٤) خليفة بن خياط، طبقات خليفة، ص٥.

(٥) تاريخ خليفة، ص٢٣٥؛ ينظر: ابن حبان، الثقات، ٢/ ٣١١.

(٦) أنساب الأشراف، ٣/ ٤٠٩.

بعد ذلك (ويقال إنَّ خولي بن يزيد هو الذي تولى احتزاز رأسه بإذن سنان)[١]، ولم يعطِ البلاذري يوماً محدداً لاستشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام فقال: (فلمَّا صلَّى عمر بن سعد الغداة، وذلك يوم السبت ويقال يوم الجمعة عاشوراء خرج فيمن معه من الناس)[٢].

أمَّا بشأن سِنِّ الإمام الحسين عليه السَّلام فذكر روايتين جاء في الأُولى: (وكان الحسين يوم قتل ابن ثمانٍ وخمسين سنة، وذلك في سنة إحدى وستين يوم عاشوراء)[٣]، وفي الثانية نقلاً عن الواقدي (وهو ابن ثمانٍ وخمسين، ويقال ستاً وخمسين)[٤]، ثمَّ ذكر بعد ذلك أنَّ ولادة الإمام الحسين عليه السَّلام سنة أربع من الهجرة[٥]، ويبدو من خلال ما تقدَّم أنَّ البلاذري رجَّح أنَّ عمره الشريف هو ست وخمسون سنة، وذلك من خلال معرفة سنة ولادته واستشهاده.

بينما نجد أبا حنيفة الدينوري ذكر شخصيَّة ثالثة هو مَن احتزَّ رأس الإمام الحسين عليه السَّلام فقال: (وحمل عليه سنان بن أوس النخعي، فطعنه، فسقط، ونزل إليه خولي بن يزيد الأصبحي ليحزَّ رأسه، فأرعدت يداه، فنزل أَخوه شبل بن يزيد فاحتزَّ رأسه، فدفعه إلى أخيه خولي)[٦]، لكنَّه حدد يوم استشهاده بأنَّه يوم الجمعة وذلك بقوله: (فنادى عمر بن سعد انهضوا إلى القوم، فنهض إليهم عشيَّة الخميس وليلة الجمعة لتسعِ ليالٍ خلون من المحرَّم، فسألهم الحسين تأخير الحرب إلى غدٍ فأجابوه)[٧].

(١) أنساب الأشراف، ٣/ ٤٠٩.
(٢) أنساب الأشراف، ٣/ ٣٩٥.
(٣) أنساب الأشراف، ٣/ ٤١٨.
(٤) أنساب الأشراف، ٣/ ٤١٩.
(٥) أنساب الأشراف، ٣/ ٤١٩.
(٦) الأخبار الطوال، ص٢٥٨.
(٧) الأخبار الطوال، ص٢٥٦.

لكنَّ تحديد يوم مقتل الإمام الحسين عليه السَّلام لدى اليعقوبي ورد أكثر غموضاً من غيره فقال: (وكان مقتله لعشر ليالٍ خلون من المحرَّم سنة ٦١هـ، واختلفوا في اليوم فقالوا: يوم السبت، وقالوا: يوم الإثنين، وقالوا: يوم الجمعة...)[١]، ويبدو أنَّ اليعقوبي حسم أمره في سِنِّ الإمام الحسين عليه السَّلام يوم استشهاده، وذلك بسوقه دليلاً وهو سنة ولادته فذكر: (وكانت سنُّ الحسين يوم قتل ستاً وخمسين سنة، وذلك أنَّه ولد في سنة أربع من الهجرة)[٢].

ووردت هذه الروايات أكثر اختلافاً لدى المسعودي ذلك أنَّه ذكر: (وقتل الحسين وهو ابن خمس وخمسين سنة، وقيل ابن تسعٍ وخمسين سنة، وقيل غير ذلك...، وطعنه سنان بن أنس النخعي، ثمَّ نزل فاحتزَّ رأسه)[٣].

بينما نجد أبا الفرج الأصفهاني أورد روايته بشكل واضح ورجح بعضها على بعض معرجاً على أسباب ترجيحه لتلك الروايات، فذكر (وقتل يوم الجمعة لعشرٍ خلون من المحرَّم سنة إحدى وستين من الهجرة، وكانت سنُّه يوم قتل ستاً وخمسين وشهوراً، وقيل: إنَّ مقتله كان يوم السبت... والذي ذكرناه أصح، فأما ما تقوله العامَّة إنَّه قُتل يوم الإثنين فباطل، وهو شيء قالوه بلا رواية، وكان أَوَّل المحرَّم الذي قتل فيه يوم الأربعاء، أخرجنا ذلك بالحساب الهندي من سائر الزيجات، وإنْ كان ذلك كذلك فليس يجوز أنْ يكون اليوم العاشر الإثنين)[٤].

ثمَّ ذكر في موضع آخر أنَّ البعض أخبره بأنَّ (ما تعارفه العوام من أنَّه قُتل يوم الإثنين

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٧١.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٧١.

(٣) مروج الذهب، ٣/ ٧٦.

(٤) مقاتل الطالبيين، ص٨٤-٨٥.

فلا أصل له ولا حقيقة، ولا وردت به رواية)[١]، فَعَدَّ ذلك أبو الفرج الأصفهاني دليلًا على صحة روايته[٢]، وبشأن قاتل الإمام الحسين عليه السَّلام ذكر أبو الفرج الأصفهاني (ونزل سنان بن أنس النخعي فاحتزَّ رأسه، ويقال: إنَّ الذي أجهز عليه شمر بن ذي الجوشن الضبابي، وحمل خولي بن يزيد رأسه إلى عبيد الله بن زياد)[٣]، وأمَّا سنه يوم استشهاده فذكر أبو الفرج الأصفهاني: (وروى سفيان الثوري، عن جعفر بن محمَّد أنَّ الحسين بن عليٍّ قُتل وله ثمانٍ وخمسون سنة)[٤].

وعلى هذا المنوال وردت رواية الشيخ المفيد، فبعد أنْ ذكر أنَّ خولي بن يزيد جبن في ذبح الإمام عليه السَّلام (نزل شمر إليه فذبحه، ثمَّ دفع رأسه إلى خولي بن يزيد)[٥]، ثمَّ ذكر في موضع آخر (ومضى الحسين عليه السَّلام في يوم السبت العاشر من المحرَّم سنة إحدى وستين من الهجرة بعد صلاة الظهر منه، قتيلاً ظمآن صابراً محتسباً، وسنُّه يومئذٍ ثمانٍ وخمسون)[٦].

أمَّا سبط بن الجوزي فلمَّا ذكر استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام قال: (وقد اختلفوا في قاتله على أقوال)، ثمَّ قال: (والأصح أنَّه سنان بن أنس النخعي، وشاركه فيه شمر بن ذي الجوشن)[٧].

وبعد أنْ ذكر ابن الصباغ أنَّ قاتل الإمام الحسين عليه السَّلام هو سنان بن أنس

(١) مقاتل الطالبيين، ص٨٥.

(٢) مقاتل الطالبيين، ص٨٥.

(٣) مقاتل الطالبيين، ص١١٨.

(٤) مقاتل الطالبيين، ص٨٥.

(٥) الإرشاد، ص٢٣٠.

(٦) الإرشاد، ص٢٤١.

(٧) تذكرة الخواص، ٢/ ١٦٦-١٦٧.

النخعي[١]، قال: (وكان اليوم الذي قُتل فيه الحسين عليه السَّلام يوم الجمعة عاشر محرم سنة إحدى وستين من الهجرة)[٢]، ثمَّ ساق ابن الصباغ رواية حدد فيها عمره حين استشهاده فذكر: (انتقل الحسين بن عليٍّ بالوفاة إلى دار الآخرة وعمره ست وخمسون سنة وبضعة أشهر)[٣]، وذكر أنَّه عاش مع جدِّه رسول الله صلىَّ الله عليه وآله ست سنين وشهر، ومع أبيه أمير المؤمنين عليه السَّلام بعد وفاة الرسول صلَّى الله عليه وآله ثلاثين سنة، ومع الإمام الحسن عليه السَّلام بعد وفاة الإمام عليٍّ عليه السَّلام عشر سنين، وبعد وفاة أخيه وحتى استشهاده عشر سنين[٤].

ومن خلال ما تقدَّم يمكننا القول:

١- إنَّ ابن سعد قدَّم رواية دقيقة في تحديد يوم استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام وهو يوم الجمعة العاشر من المحرَّم سنة إحدى وستين من الهجرة، وأنَّه لم يذهب إلى ما ذهب إليه بعض المؤرخين في ذكر أكثر من احتمال في تحديد يوم الاستشهاد، بل نجد العكس من ذلك أنَّ ابن سعد ساق رواية تؤيد روايته بأنَّه استشهد يوم الجمعة، وذلك لَّما عزم الجيش الأُموي على مهاجمة معسكر الإمام الحسين عليه السَّلام يوم التاسع من المحرَّم فقال: (وقدم شمر بن ذي الجوشن الضبابي على عمر بن سعد، بما أمره عبيد الله عشيَّة الخميس لتسعٍ خلون من المحرم سنة إحدى وستين بعد العصر، فنودي في العسكر فركبوا..)[٥]، وهكذا نجد أنَّ ابن سعد حدد يوم التاسع من المحرَّم بيوم الخميس، وهو

(١) الفصول المهمة، ص٢٩٥.

(٢) الفصول المهمة، ص٢٩٧.

(٣) الفصول المهمة، ص٢٩٧.

(٤) الفصول المهمة، ص٢٩٧.

(٥) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٦.

اليوم الذي سبق واقعة الطف، وعزز صحَّة رواية ابن سعد في تحديد يوم الاستشهاد ما ذكره أبو الفرج الأصفهاني من أدلَّة على أنَّه كان يوم الجمعة، ويبدو أنَّ ذلك هو أرجح الروايات في تحديد يوم استشهاده، وهو ما توصل إليه أحد الباحثين بعد إيراده العديد من الأدلَّة والقرائن التاريخيَّة فقال: إنَّه استشهد (يوم الجمعة لعشرٍ خلون من المحرَّم سنة إحدى وستين من الهجرة هو المشهور والأصح)[1].

٢- أمَّا ما ذُكر حول قاتل الإمام الحسين عليه السَّلام فالظاهر أنَّ كلَّ الذين ذُكرت أسماؤهم لم تكن لديهم الجرأة بالاقتراب من الإمام الحسين عليه السَّلام وفيه عين تطرف، وإنَّما تكالب عليه أعداؤه بالطعن والضرب، فوجد بالحسين عليه السَّلام ثلاثٌ وثلاثون جرحاً، ووجدوا في ثوبه مائة وبضعة عشر خرقاً من السهام والضرب بالسيوف[2]، وهذا يعني أنَّهم لم يقتربوا منه إلَّا بعد أنْ أخذت السيوف والسهام والرماح مأخذها منه عليه السَّلام، وعلى الرغم من كلِّ هذا فلم يستطع خولي القيام بهذه المهمَّة الفظيعة، ممَّا دعا سنان بن أنس للقيام بتلك المهمَّة، وذلك لشبه إجماع بين المؤرخين عليه في حين أنَّ الشمر ورد اسمه بشكل صريح عند خليفة بن خياط والشيخ المفيد هو قاتل الإمام الحسين عليه السَّلام.

ويبدو أنَّ سبب ذلك هو الدور السيئ الذي لعبه الشمر في واقعة الطف حمل بعض الرواة على القول إنَّه هو من احتزَّ رأسه، ومن خلال ما ذُكر من المعطيات التاريخيَّة يبدو أنَّ سنان بن أنس هو مَن احتزَّ رأس الإمام الحسين عليه السَّلام، وأنَّ كلًّا مَن خولي وشمر كان لهما الدور الرئيس معه، ولم يقل دورهما عن دور سنان؛ ولذلك خلط الرواة والمؤرخون بينهما في تحديد أيٍّ منهما أو الجزم به.

(١) البو هلالة، الإمام الحسين، ص٤٦٣.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦ / ٤٤١.

كلُّ هذا من وجهة نظر المصادر السُّنيَّة، أمَّا ما تناقلته الشيعة واجتمعت كلمتهم وكلمة علمائهم عليه، هو أنَّ الشمر بن ذي الجوشن -عليه اللعنة- هو من قام بحزِّ رأس الإمام الحسين عليه السَّلام، ولعلَّ من ذكر من الأسماء الأُخرى كان لهم دور المساعدة أو لهم دور ثانوي في هذا المجال.

٣- وعلى الرغم من أنَّ ابن سعد قدم روايتين بشأن سِنِّ الإمام الحسين عليه السَّلام حين استشهاده، لكنَّه ذكر في الرواية الأُولى أنَّ سنَّه كانت ستاً وخمسين سنة وخمسة أشهر، وتبيَّن من روايته هذه أنَّها على درجة كبيرة من الدقَّة، فذكر فيها الشهور فضلاً عن السنوات، بينما وردت رواية اليعقوبي لتؤكد صحة رواية ابن سعد؛ وذلك أنَّه ربط بين ولادة الإمام وبين استشهاده.

أمَّا رواية ابن سعد الثانية عن قول الإمام جعفر بن محمَّد الصادق عليه السَّلام والتي أوردها على غير عادته من دون سند، فجاءت مرسلة ولا يمكن لنا التأكد من وثاقتها، وعلى ما يبدو أنَّها الرواية نفسها التي شكك بصحتها أبو الفرج الأصفهاني، وهي رواية سفيان الثوري عن جعفر بن محمَّد الصادق عليه السَّلام، والتي ذكرت إضافة إلى سِنِّ الإمام الحسين عليه السَّلام سنَّ الإمام الحسن عليه السَّلام، فقال أبو الفرج الأصفهاني: (وهذا وهم، لأنَّ الحسن ولد في سنة ثلاث من الهجرة وتوفي في سنة إحدى وخمسين)[١] في إشارة واضحة منه لربط ولادة الإمام الحسين عليه السَّلام باستشهاده على نحو ما ذهب إليه اليعقوبي، وعمره الشريف بهذه الطريقة الحسابيَّة يكون ستاً وخمسين وعدَّة شهور[٢].

(١) مقاتل الطالبيين، ص٨٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤١؛ البو هلالة، الإمام الحسين، ص٤٦٦.

وهكـذا يتضـح لنـا أنَّ ابن سـعد على الرغم من سـوقه الروايـة الثانية في سِـنِّ الإمام إلَّا أنَّـه كان قـد سـبق ذلـك بروايـة ذكـرت أنَّ عمـره الشريـف يـوم استشـهاده سـت وخمسـون سـنة، والظاهـر أنَّ ابـن سـعد لا يعتدُّ بـكلِّ روايـات الواقدي حين يـرى أنَّها لا تنسـجم مـع مـا يعتقـد بـه أو يشـكك بصحتهـا، وهـذا مـا نـراه مـن مخالفتـه لرواية أُسـتاذه في سـنِّ الإمـام الحسـين عليـه السَّـلام (والثبـت عندنـا أنَّه قتـل في المحـرَّم يوم عاشـوراء وهـو ابن خمسٍ وخمسـين سـنة وأَشـهُر)[1].

ويبدو من خلال كلِّ ما ذكرناه أنَّ ابن سعد قدَّم رواية دقيقة عن سِنِّ الإمام الحسين عليه السَّلام يوم استشهاده، جاءت متفقة مع ما ذكره أغلب المؤرخين، وهو أنَّ عمره ست وخمسون وخمسة أشهُر، وما يؤيد صحة روايته تلك هو أنَّه من المشهور أنَّ ولادته عليه السَّلام عام (٤هـ) وأنَّ استشهاده هو عام (٦١هـ).

ثانياً: شهداء كربلاء من بني هاشم:

كان لبني هاشم من أهل بيت الإمام الحسين عليه السَّلام دورٌ محوريٌّ رئيسٌ في النهضة الحسينيَّة، حيث وصفهم عليه السَّلام بقوله: (فإنِّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خير من أصحابي، ولا أهل بيتٍ أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً)[2]، فكانت تلك الثلة التي حباها الله بنصرة الإمام الحسين عليه السَّلام يتسابقون للاستشهاد بين يديه الواحد تلو الآخر.

تناول ابن سعد شهداء أهل البيت بشكل دقيق فذكر أسماءهم وتسمية قاتليهم وكأنَّه خرج عن منهجه الذي يميل فيه إلى اختصار الحوادث نوعاً ما، فقال: (الحسين

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ٢٥٧؛ ابن العديم، بغية الطلب، ٦/ ٢٦٦٨؛ المزي، تهذيب الكمال، ٦/ ٤٤٦.
(٢) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٨٢.

بن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، قتله سنان بن أنس النخعي، وأجهز عليه وحزَّ رأسه -الملعون- خَولي بن يزيد الأصبحي، والعباس بن عليٍّ بن أبي طالب الأكبر، قتله زيد بن الرقاد الجَنبي، وحكيم السنبسي من طي، وجعفر بن عليٍّ بن أبي طالب الأكبر قتله هاني بن ثبيت الحضرمي، وعبد الله بن عليٍّ بن أبي طالب قتله هانئ بن ثبيت الحضرمي،... وعثمان بن عليٍّ بن أبي طالب رماه خولي بن يزيد بسهم فأثبته وأجهز عليه رجل من بني أبان بن دارم، وأبو بكر بن عليٍّ بن أبي طالب يقال إنَّه قُتل في ساقية، ومحمَّد بن عليٍّ بن أبي طالب الأصغر، وأُمُّه أُمُّ ولد قتله رجل من بني أبان بن دارم، وعليُّ بن حسين بن عليٍّ الأكبر، قتله مُرّة بن منقذ بن النعمان العبدي، وعبد الله بن الحسين قتله هاني بن ثبيت الحضرمي، وجعفر بن الحسين وأبو بكر بن الحسين قتلهما عبد الله بن عقبة الغنوي، وعبد الله بن الحسن قتله ابن حرملة الكاهلي من بني أسد، والقاسم بن الحسن قتله سعيد بن عمرو الأزدي، وعون بن عبد الله بن جعفر قتله عبد الله بن قُطبة الطائي، ومحمَّد بن عبد الله بن جعفر قتله عامر بن نهشل التميمي، ومسلم بن عقيل بن أبي طالب قتله عبيد الله بن زياد صبراً بالكوفة، وجعفر بن عقيل قتله بشر بن حوط الهمداني ويقال عروة بن عبد الله الخثعمي، وعبد الرحمن بن عقيل قتله عثمان بن خالد بن أسير الجهني وبشر بن حوط، وعبد الله بن عقيل وأُمُّه أُمُّ ولد قتله عمرو بن صُبح الصائدي، وعبد الله بن عقيل الآخر، وأُمُّه رقية بنت عليٍّ بن أبي طالب قتله عمرو بن صُبح الصائدي، ويقال قتله أسيد بن مالك الحضرمي، ومحمَّد بن سعيد بن عقيل قتله لقيط الجُهني ورجل من آل أبي لهب، لم يُسَمّ لنا ورجل من آل أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، يقال له أبو الهياج وكان شاعراً، وسليمان مولى الحسين بن عليٍّ قتله سليمان بن عوف الحضرمي، ومنْجِح مولى الحسين بن عليٍّ وعبد الله بن يقطر رضيع الحسين قُتل بالكوفة، رمُي به من فوق القصر،

فمات وهو الذي قيل فيه: وآخر يهوى من طمارِ قتيل)[١].

وذكر في رواية ثانية (وقد كان ابنا عبد الله بن جعفر، لجَأ إلى امرأة عبد الله بن قُطبة الطائي، ثمَّ النبهاني وكانا غلامين لم يبلغا، وقد كان عمر بن سعد، أمر منادياً فنادى: من جاء برأسٍ فله ألف درهم، فجاء ابن قُطبة إلى منزله، فقالت له امرأته: إنَّ غلامين لجَآ إلينا فهل لك أنْ تشرف بهما فتبعث بهما إلى أهلهما بالمدينة قال: نعم، أرنيهما، فلمَّا رآهما ذبحهما وجاء برؤوسهما إلى عبيد الله بن زياد، فلم يعطه شيئاً، فقال عبيد الله بن زياد: وَدِدْتُ أنَّه كان جَاءَني بهما حَيين فمنَنَتُ بهما على أبي جعفر، وبلغ ذلك عبد الله بن جعفر، فقال: وددتُ أنَّه كان جاءني بهما فأعطيته ألفي ألف)[٢].

ويبدو أنَّ ابن سعد كان دقيقاً في ذكر أسماء شهداء آل محمَّد، فلمَّا ذكر محمَّد بن عليٍّ بن أبي طالب ذكر مباشرة بعد اسمه الأصغر وذكر أنَّ أُمَّه أُمُّ ولد ليميز بينه وبين محمَّد ابن الحنفيَّة، وحين ذكر اسم مسلم بن عقيل ذكر (قتله عبيد الله بن زياد بالكوفة صبراً)، ليوضح أنَّه لم يستشهد في كربلاء، كذلك نجد ابن سعد عدَّ موالي الإمام الحسين عليه السَّلام مع آل محمَّد، ولم يعد معهم غير عبد الله بن يقطر، فأوضح سبب ذلك بقوله: رضيع الحسين، وقد أورد ابن سعد ثمانية وعشرين شهيداً من آل محمَّد كان من ضمنهم اثنان من موالي الإمام الحسين عليه السَّلام وعبد الله بن يقطر، وذكر من ضمن هذا العدد اثنين من أبناء عبد الله بن جعفر، وهما غلامان لم يبلغا قُتلا بعد المعركة حين لجآ إلى امرأة فقتلهما زوجها عبد الله بن قطبة الطائي، هكذا نجد ابن سعد عدَّ شهداء آل محمَّد الذين استشهدوا في أرض المعركة ثلاثة وعشرين، فإذا أُضيف إليهم الغلامان يكون العدد

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤١-٤٤٣؛ وللمزيد من التفاصيل ينظر: شمس الدين، أنصار الحسين، ص١٥٥-١٧٤؛ نجاح الطائي، مقتل الحسين وأنصاره، ص٢٥٣-٣٠٣.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٣.

الكلي لهم خمسة وعشرين من ضمنهم مسلم بن عقيل الذي استشهد في الكوفة[١].

وقد اختلف المؤرخون في عدد شهداء أهل البيت، ففي حين عدهم البلاذري حسب رواية المدائن خمسة عشر شهيداً[٢] من دون ذكر مسلم بن عقيل كونه استشهد في الكوفة، وجعلهم الطبري ثلاثة وعشرين شهيداً وأدخل معهم اثنين من موالي الإمام الحسين عليه السَّلام ومسلم بن عقيل في الكوفة[٣]، بينما اقتصر ابن أعثم الكوفي على ذكر خمسة عشر شهيداً، فذكر أسماء ثلاثة عشر شهيداً إضافة إلى الإمام الحسين بن عليٍّ ومسلم بن عقيل عليهما السَّلام[٤].

خصص أبو الفرج الأصفهاني عنواناً خاصاً لكلِّ شهيد كون مؤلفه مقاتل الطالبيين اختص بهذا الشأن فختم ذلك بالقول: (فجميع مَن قُتل يوم الطف من ولد أبي طالب سوى من يختلف في أمره اثنان وعشرون رجلاً)[٥].

بينما ذكر الشيخ المفيد ثمانية عشر شهيداً من دون أنْ يذكر معهم مسلم بن عقيل كونه استشهد في الكوفة[٦]، أمَّا الخوارزمي قدَّم قائمتين رجّح صحّة القائمة الأُولى والتي عدَّ فيها ثمانية عشر شهيداً عدَّ من ضمنهم مولى للإمام الحسين ورضيع الحسين عليه السَّلام[٧]، وأُخرى استهلها بالقول: (واختلف أهل النقل في عدد المقتول يومئذٍ مع ما

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٢-٤٤٣.
(٢) أنساب الأشراف، ٣/ ٤٢٢.
(٣) تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٣١٦-٣١٧.
(٤) الفتوح، ٥/ ١١٠-١١٩.
(٥) مقاتل الطالبيين، ص٨٤-٩٨.
(٦) الإرشاد، ص٢٣٨.
(٧) مقتل الحسين، ٢/ ٥٢-٥٣.

تقدَّم من قتل مسلم من العترة الطاهرة، والأكثرون على أنَّهم سبعة وعشرون)[١]، بينما عدَّ ابن الصباغ شهداء أهل بيت الحسين عليه السَّلام ومواليه تسعة عشر شهيداً[٢].

ومن خلال ما تقدَّم يمكننا القول:

١- إنَّ ابن سعد قدَّم مادة خصبة في ذكره شهداء آل محمَّد اتبع فيها دقَّة متناهية في تحديد أسمائهم وتسمية مَن قتلهم، وهي مادة ضاهت في غزارتها ودقّتها بعض المؤرخين القلائل الذين أسهبوا في تفصيل ذلك أمثال الطبري وأبي الفرج الأصفهاني وغيرهم.

٢- انفرد ابن سعد بذكره بعض شهداء بني هاشم من لم تذكره المصادر التي اطلعنا عليها، وهم جعفر بن الحسين قتله عبد الله بن عُقبة الغنوي، وذكر رجلاً من آل أبي لهب، لم يُسمّ لنا، وذكر رجلاً من آل أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب[٣]، يقال له: أبا الهياج، وكان شاعراً، وقد قال ابن حجر في ترجمته لأبي الهياج: (وذكر الواقدي في مقتل الحسين أنَّ أبا الهياج قُتل معه، وكان شاعراً)[٤].

ويبدو ممَّا تقدَّم أنَّ ابن سعد استقى بعض معلوماته من مقتل الحسين عليه السَّلام للواقدي، وهذا دليل على أنَّ ابن سعد أورد العديد من الروايات التي له السبق الزمني فيها، ومن البديهي أنَّه اطلع على بعض المصادر التاريخيَّة التي فُقدت ضمّنها رواياته والتي ساق بعضها بأُسلوبه الجمعي الذي ذكر فيه بعض الأسانيد، ثمَّ أضاف (وغير هؤلاء

---

(١) مقتل الحسين، ٢/ ٥٣-٥٤.

(٢) الفصول المهمة، ص ٢٩٥-٢٩٦.

(٣) هو عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب الملقب أبو الهياج الهاشمي، روى عن الرسول صلىَّ الله عليه وآله وعن الإمام عليٍّ عليه السَّلام. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣/ ٥٢١؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢٩/ ٧٢-٧٥؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ٥/ ٤١٥.

(٤) الإصابة، ٤/ ١٠١.

أيضاً قد حدثني في هذا الحديث بطائفة فكتبت جوامع حديثهم في مقتل الحسين...)[١].

٣- قدَّم ابن سعد رقماً كبيراً ومختلفاً عن شهداء آل محمَّد في واقعة الطف فاق فيه ما ذكره الطبري وأبو الفرج الأصفهاني وغيرهما من المؤرخين، ويبدو أنَّ ابن سعد ربما استقى معلوماته من مصادر لم يطلع عليها غيره من المؤرخين ممَّن عاصره أو سبقه؛ ولذلك يرى سبط بن الجوزي أنَّه قُتل مع الإمام الحسين عليه السَّلام خلق كثير من أهله ومن أولاده وأولاد الحسن بن عليٍّ عليهما السَّلام[٢]، وهو ما ذهب إليه الخوارزمي في روايته الثانية بجعل عدد أهل البيت المستشهدين في واقعة الطف سبعة وعشرين شهيداً، وهو رقم يضاهي ما ذكره ابن سعد فضلاً عن أنَّ بعض المؤرخين[٣] ذكر رواية تؤيد صحَّة رواية ابن سعد، في أنَّ هناك غلامين استُشهدا وهما لم يبلغا الحلم، يرجع نسبهما لجعفر الطيار، وعلى الأرجح هما الغلامان نفسهما اللّذان ذكرهما الخوارزمي؛ كون روايته لا تختلف عمَّا ذكره ابن سعد إلَّا في بعض التفاصيل، فذكر اسميهما وهما إبراهيم ومحمَّد[٤]، وساق قصة طويلة مفصلة في قضيَّة استشهادهما لا تخلو من الجانب العاطفي والقصصي، وعَدَّ صاحب المُجدي في أنساب الطالبيين إبراهيم أحد أبناء عبد الله بن جعفر من العقيلة زينب عليها السَّلام، وذكر أنَّه هو وإخوته من أُمِّه وأبيه يقال لهم (الزينبيون)[٥]، في حين ذكر ابن سعد أربعة أبناء لها هم عليّ وعون الأكبر وعباس ومحمَّد[٦]، ولا يستبعد أنْ يكون الغلامان ابني العقيلة زينب عليها السَّلام وكانا بصحبتها من مكَّة إلى الكوفة، أو

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٢.
(٢) تذكرة الخواص، ٢/ ١٨١.
(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٤٢٤؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ٢/ ٥٤-٥٨.
(٤) الخوارزمي، مقتل الحسين، ٢/ ٥٤-٥٨.
(٥) العمري، المُجدي، ص٢٩٧.
(٦) الطبقات، ١٠/ ٤٣١.

في أقل تقدير أحدهما والثاني هو عون الأكبر الذي استُشهد في أثناء القتال، فقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني أنَّ أُمَّه العقيلة زينب عليها السَّلام[١].

ثالثاً: الناجون من معسكر الإمام الحسين عليه السَّلام:

مثلما تناولت المصادر التاريخيَّة المستشهدين من أهل بيت الحسين عليه السَّلام وأصحابه، كذلك تطرقت للناجين منهم ولكن بشكل مختصر، فذكروا كيفيَّة نجاتهم من القتل، وتطرقوا لمصير بعضهم فيما بعد وما آلت إليه أُمورهم، وتناول ابن سعد ذلك بقوله: (ولم يفلت من أهل بيت الحسين بن عليٍّ الذين معه، إلَّا خمسة نفر: عليُّ بن حسين الأصغر، وهو أبو بقيَّة ولد الحسين اليوم، وكان مريضاً فكان مع النساء، وحسن بن حسن بن عليٍّ وله بقيَّة، وعمرو بن حسن بن عليٍّ[٢] ولا بقيَّة له، والقاسم بن عبد الله بن جعفر[٣] ومحمَّد بن عقيل الأصغر[٤]، فإنَّ هؤلاء استضعفوا)[٥]، وذكر الناجين منهم في موضع آخر (وموالي لهم، ومماليك عبيد)[٦].

ثمَّ ذكر رواية أُخرى في ترجمته لعليٍّ بن الحسين عليهما السَّلام أوضح فيها عمره يوم

(١) مقاتل الطالبيين، ص٩٥.

(٢) هو عمرو بن الحسن بن عليِّ بن أبي طالب عليهم السَّلام، ومن أبنائه محمد، خرج مع عمه الإمام الحسين عليه السَّلام ولم يستشهد لصغر سنه، وقد انقرض ولده، كان فيمن قدم دمشق مع أُسارى أهل البيت، وكان رجلاً ناسكاً من أهل الصلاح والدين.. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٤٥/ ٤٨٤- ٤٨٥.

(٣) القاسم بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، كان فيمن حضر واقعة الطف مع عمه الإمام الحسين عليه السَّلام ولم يقتل لصغر سنه وحُمل فيمن حُمل من آل محمد إلى دمشق. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٤٩/ ٨٩.

(٤) هو محمّد الأصغر ابن عقيل بن أبي طالب، كان مع ابن عمه الإمام الحسين عليه السَّلام يوم الطف ولم يقتل لصغر سنه، وكان فيمن حُمل مع أهل البيت إلى دمشق، روى عنه ابنه عبد الله حديث المنزلة بحقِّ الإمام عليٍّ عليه السَّلام. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٥٤/ ٢٢٦-٢٢٧.

(٥) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٢.

(٦) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٤.

واقعة الطف وسبب عدم استشهاده، فذكر (وكان عليُّ بن حسين مع أَبيه يوم قتل وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وكان مريضاً نائماً على فراشه، فلمَّا قُتل الحُسين، عليه السَّلام، قال شمر بن ذي الجوشن: اقتلوا هذا، فقال له رجل من أصحابه: سبحان الله أتقتل فتى حَدثاً مريضاً لم يقاتل؟ وجاء عمر بن سعد فقال: لا تعرضوا لهؤلاء النسوة ولا لهذا المريض)[١]، ثمَّ قدَّم ابن سعد رواية أُخرى تعزز روايته الأُولى في سنِّ عليِّ بن الحسين عليهما السَّلام يوم واقعة الطف، فذكر أنَّه توفي وعمره ثمانٍ وخمسون سنة في سنة (٩٤هـ) أو (٩٢هـ)[٢]، ثمَّ ذكر رأي أُستاذه الواقدي فقال: (قال محمَّد بن عمر: فهذا يدلك على أنَّ عليَّ بن حسين كان مع أبيه وهو ابن ثلاثٍ أو أربع وعشرين سنة، وليس قول من قال: إنَّه كان صغيراً ولم يكن أنبت بشيء، ولكنَّه كان مريضاً يومئذٍ فلم يقاتل، وكيف يكون يومئذٍ لم يُنبت وقد وُلد له أبو جعفر محمَّد بن عليٍّ؟ ولقي أبو جعفر جابر بن عبد الله ورووْا عنه، وإنَّما مات جابر سنة ثمانٍ وسبعين)[٣].

وقبل مناقشة الناجين من معسكر الإمام الحسين عليه السَّلام عند ابن سعد لا بُدَّ لنا من معرفة ما ذكره المؤرخون بهذا الشأن، فذكر بعض المؤرخين: (وكان مع الحسين عليه السَّلام عقبة بن سمعان مولى الرباب بنت امرئ القيس الكلبيَّة، أُمِّ سكينة بنت الحسين، فقال له عمر بن سعد: مَن أنت؟ قال: مملوك، فخلى سبيله، وكان المرقع بن قمامة الأسدي[٤] مع الحسين فجاءه قوم من بني أسد فأمنوه فخرج إليهم، فلماَّ قدم به عمر

(١) الطبقات الكبير، ٧/ ٢١٠.

(٢) الطبقات، ٧/ ٢١٩.

(٣) الطبقات، ٧/ ٢١٩.

(٤) ورد أسمه المرقع بن ثمامة الأسدي عند أبي حنيفة الدينوري والطبري، ويبدو أنَّه صحف لدى البلاذري.

على ابن زياد أخبره خبره فسيره إلى الزارة من البحرين)[١] وذكروا: (فنادى -عمر بن سعد- في الناس بالرحيل إلى الكوفة وحمل معه أَخوات الحسين وبناته ومن كان معه من الصبيان، وعليّ بن الحسين الأصغر مريض)[٢]، وفي رواية أُخرى ذكرها بعض المؤرخين جاء فيها (واستصغر عليٌّ بن الحسين بن عليٍّ فلم يقتل.. واستصغر الحسن بن الحسن بن عليٍّ.. وعمر بن الحسن بن عليٍّ)[٣].

بينما ذكر أبو حنيفة الدينوري ذلك بقوله: (ولم ينج من أصحاب الحسين وولده وولد أخيه إلَّا ابناه، عليٌّ الأصغر، وقد كان راهق، وإلَّا عمر وقد كان بلغ أربع سنين، ولم يسلم من أصحابه إلَّا رجلان، أحدهما المرقع بن ثمامة الصائدي[٤]، بعث به عمر بن سعد إلى ابن زياد فسيَّره إلى الربذة، فلم يزل بها حتى هلك يزيد، وهرب عبيد الله إلى الشام، فانصرف المرقع إلى الكوفة، والآخر مولى لرباب، أُمِّ سكينة، أخذوه بعد قتل الحسين، فأرادوا ضرب عنقه، فقال لهم: إنِّي عبد مملوك فخلوا سبيله)[٥].

في حين ذكر أبو الفرج الأصفهاني: (وحمل أهله أَسرى وفيهم، عمر، وزيد، والحسن بنو الحسن بن عليٍّ بن أبي طالب عليهم السَّلام، وكان الحسن بن الحسن

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٤١١، الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٣٠٧؛ السمعاني، الأنساب، ١/ ٥٠٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٥٣٣.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٥/ ٣٠٧-٣٠٨؛ المفيد، الإرشاد، ص٢٣١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٥٣٣.

(٣) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٣٠٧-٣٠٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٥٣٣؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٢/ ١٧٨؛ ابن الصباغ، الفصول المهمة، ص٢٩٦.

(٤) هو المرقع بن ثمامة بن خويلد بن عصم بن أوس بن خزيمة الثبيري الصائدي، وكان يقال لجده عبد ثبير لأنَّه ولد في أصل ثبير فسمي عبد ثبير، أصيب بجراحة مع الإمام الحسين عليه السَّلام ونفي إلى الربذة ثم عاد وتوفي بعد ذلك بالكوفة.. ينظر: أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٥٩؛ السمعاني، الأنساب، ١/ ٥٠٤.

(٥) الأخبار الطوال، ص٢٥٩.

بـن عـليٍّ قـد ارتث جريحاً فحمل معهم، وعـليُّ بن الحسـين الذي أُمُّـه أُمُّ ولـد)[١]، بينما ذكـر بعـض المؤرخـين أنَّ الضحـاك بـن عبـد الله المشرفي قـد بايـع الإمام الحسـين عليه السَّـلام عـلى القتـال معه مـادام القتـال نافعاً، فقاتـل معه فلـمَّا بقي الإمام الحسـين عليه السَّـلام وحـده اسـتأذنه في الرحيل فـأذن له[٢].

من خلال ما تقدَّم يمكننا القول:

١- اقتصر ابن سعد في ذكره الناجين من واقعة الطف على أهل بيت الحسين عليه السَّلام من دون ذكر الناجين من أصحاب الحسين عليه السَّلام، في حين أنَّ أغلب المؤرخين أشاروا إلى ثلاثة أشخاص على الأقل قد نجوا من المعركة، ومنهم عقبة بن سمعان والضحاك المشرفي كانا من رواة المعركة كشهود عيان في معسكر الإمام الحسين عليه السلام، وقد عوَّل عليهم بعض المؤرخين في نقل بعض الروايات المهمَّة، وخاصة الطبري في روايته التي سبق وأن أشرنا إليها في الطعن بصحة الخصال الثلاث التي زعم الناس أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام عرضها عليهم قبيل واقعة الطف، في حين اعتمد كلٌّ من الطبري وأبي الفرج الأصفهاني على بعض الروايات بسندهم عن الضحاك المشرفي، ويبدو أنَّ ابن سعد استمر في منهجه باقتضاب ذكره لأصحاب الإمام الحسين عليه السَّلام حتى الناجين منهم.

٢- قدم ابن سعد رواية وافية ودقيقة في ذكره الناجين من أهل بيت الحسين عليه السَّلام فاقت أغلب ما ذكره المؤرخون في هذا الشأن، فأوضح في روايته عن الإمام زين العابدين عليه السَّلام سبب عدم قتله، هو كونه مريضاً، وأنَّ قول البعض إنَّه استُصغر

---

(١) مقاتل الطالبيين، ص١١٩.

(٢) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٣٠٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٥٢٦.

ليس بشيء، وقد ساق ابن سعد في مواضع أُخرى وكما أشرنا إليها ما يثبت صحّة روايته، وذلك بذكره رواية شيخه وأُستاذه الواقدي حينما ترجم لعليٍّ بن الحسين عليهما السلام: (وليس قول من قال: إنَّه كان صغيراً ولم يكن أنبت بشيء، ولكنَّه كان مريضاً يومئذٍ فلم يقاتل، وكيف يكون يومئذٍ لم يُنبت وقد وُلد له أبو جعفر محمَّد بن عليٍّ؟ ولقي أبو جعفر جابر بن عبد الله ورَوَوْا عنه، وإنَّما مات جابر سنة ثمانٍ وسبعين)[1]، وبهذا من الممكن أنْ تكون رواية ابن سعد في سبب عدم قتل الإمام زين العابدين عليه السَّلام وتحديد سنِّه يوم الطف لها القول الفصل في ذلك وحجة دامغة على مَن زعم أنَّه كان صغيراً، فضلاً عن أنَّ رواية ابن سعد أضافت دليلاً آخر على وجود الإمام الباقر عليه السَّلام في واقعة الطف، فضلاً عمَّا أشار إليه ابن سعد ضمنياً من حديث رسول الله صلَّى الله عليه وآله لجابر بن عبد الله الأنصاري أنَّه سيدرك أحد ولده وهو الإمام الباقر عليه السَّلام ويبلغه عنه السَّلام، ومن كلِّ هذا تتضح أهميَّة مصدريَّة ابن سعد لبعض المرويات التاريخيَّة بشأن النهضة الحسينيَّة.

٣- اتضح ممَّا ذكره ابن سعد أنَّ هناك العديد من أبناء عبد الله بن جعفر قد حضروا واقعة الطف، وذلك بذكره أحد الناجين منهم وهو القاسم بن عبد الله بن جعفر، وسبق وأنْ ساق ابن سعد ذكر غلامين لعبد الله بن جعفر قتلا بعد الواقعة، والتي سبق وأنْ أشرنا إليهما، وذكر الخوارزمي أنَّ اسميهما إبراهيم ومحمَّد، فضلاً عمَّا تواتر لدى المؤرخين من استشهاد اثنين من أبناء عبد الله بن جعفر وهما عون الأكبر ومحمَّد غير ما ذُكر، ويبدو أنَّ حضور هذا العدد منهم ربما لأنَّ بعضهم كان برفقة والدته عقيلة الطالبيين، والظاهر أنَّ هناك ضبابية حول معرفة أهل بيت الحسين عليه السَّلام وأصحابه في واقعة الطف،

(١) الطبقات الكبير، ٧/ ٢١٩.

وربما تكون أعدادهم أكثر ممَّا ذُكر، وأنَّ هناك بعض الحلقات المفقودة في النهضة الحسينيَّة.

رابعاً: سلب معسكر الإمام الحسين عليه السَّلام ودفن الشهداء:

تناول ابن سعد ما جرى لمعسكر الإمام الحسين عليه السَّلام وكيف تمَّ دفن الشهداء ورأس الإمام الحسين عليه السَّلام في روايات عدَّة:

الرواية الأُولى: تناول فيها ما تعرَّض له الإمام عليه السَّلام ومعسكره من السلب والنهب فقال: (ولَّما قتل الحسين رضي الله عنه انتُهب ثَقَله فأَخذ سيفه القُلانس النهشلي، وأخذ سيفاً آخر جُميع بن الخلق الأودي، وأخذ سراويله، -الملعون- بحر بن كعب التميمي فتركه مجرداً، وأخذ قطيفته قيس بن الأشعث بن قيس الكندي، فكان يقال له: قيس قطيفة، وأخذ نَعليه الأسود بن خالد الأودي، وأخذ عمامته جابر بن يزيد، وأخذ بُرنُسه -وكان من خز- مالك بن بشير الكندي، وأخذ رجل من أهل العراق حلي فاطمة بنت حسين وهو يبكي فقالت: لِمَ تبكي؟ فقال: أسلب ابنة رسول الله (صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم) ولا أبكي؟ فقالت دعه، قال: إنِّي أخاف أنْ يأخذه غيري)[1].

أمَّا روايته الثانية فتناول فيها كيفيَّة دفن الأجساد الطاهرة، فذكر لَّما حبس ابن زياد مَن تبقى من أهل بيت الرسول في القصر (قال ذكوان أبو خالد لعبيد الله بن زياد: خلِّ بيني وبين هذه الرؤوس فأدفنها، ففعل، فكفنها ودفنها بالجبانة، وركب إلى أجسادهم فكفنهم ودفنهم، وكان زهير بن القين قد قُتل مع الحسين فقالت امرأته لغلام يقال له شجرة: انطلق فكفن مولاك، قال: فجئت فرأيت حسيناً ملقى فقلت: أكفن مولاي وأدع حسيناً!! فكفنت حسيناً، ثمَّ رجعت، فقلت ذاك لها، فقالت: أحسنت وأعطتني

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٤.

كفناً آخر، وقالت انطلق فكفن مولاك، ففعلت)[١].

الرواية الثالثة: جاءت بشأن دفن رأس الإمام الحسين عليه السَّلام فقال: (وبعث يزيد برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد بن العاص (الأشدق)، وهو عامل له يومئذٍ على المدينة فقال عمرو: وددت أنَّه لم يبعث به إليَّ، فقال مروان: اسكت، ثمَّ تناول الرأس فوضعه بين يديه، وأخذ بأرنبته فقال:

يا حَبذا بَرْدُكَ في اليدين ولونك الأحمر في الخدين

كأنَّما باتا بُمِجْسَدَيْنِ

ثمَّ أمر عمرو بن سعيد برأس الحسين فكفن ودفن بالبقيع عند قبر أُمِّه فاطمة)[٢].

وقبل مناقشة الروايات المتقدِّمة الذكر لا بُدَّ لنا من معرفة ما ذكره المؤرخون بهذا الشأن، وهي تتمركز على ثلاثة محاور، المحور الأوَّل: سلب الإمام الحسين عليه السلام ونهب معسكره، والمحور الثاني: دفن الشهداء في الطف، والمحور الثالث: موضع رأس الإمام الحسين عليه السَّلام.

تناول المحور الأوَّل سلب الإمام الحسين عليه السَّلام ونهب معسكره، فقد ذكر أغلب المؤرخين[٣] ذلك وهي لا تختلف من حيث المضمون عن رواية ابن سعد، لكنَّنا نجد أنَّ بعضهم[٤] ركَّز على أنَّ الناس لمَّا استُشهد الإمام الحسين عليه السَّلام مالوا على

---

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٦.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٩-٤٥٠.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٤٠٩؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٥٨؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٣٠٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٥/ ٣٤١؛الطبرسي، إعلام الورى، ص٢٥٤.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٤٠٩؛ أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٥٨؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٣٠٦.

نهب الورس والحلل والإبل فانتهبوها، فيما جاءت رواية ابن طاووس بهذا الشأن أكثر تفصيلاً من غيرها[١].

بينما جاء في المحور الثاني: دفن شهداء الطف، فذكر المؤرخون ذلك فقالوا: (لمَّا رحل ابن سعد خرج قوم من بني أسد كانوا نزولاً بالغاضرية إلى الحسين وأصحابه فصلّوا على تلك الجثث الطاهرة ودفنوها على ما هي عليه الآن)[٢].

في حين ورد المحور الثالث أكثر إسهاباً وتفصلاً، فأورد البلاذري: (دُفن رأس الحسين في حائط بدمشق إمَّا حائط القصر وإمَّا غيره، وقال قوم: دفن في القصر حفر له وأعمق)[٣]، وذكر في موضع آخر (بعث يزيد برأسه إلى المدينة فنصب على خشبة، ثمَّ رُدَّ إلى دمشق فدفن في حائط بها، ويقال في دار الإمارة، ويقال في المقبرة)[٤].

وذكر ابن الجوزي في هذا الشأن روايتين إحداهما رواية ابن سعد أنَّه دفن بالبقيع والأُخرى جاء فيها (أنَّهم وجدوا في خزانة يزيد رأس الحسين، فكفنوه ودفنوه بدمشق عند باب الفراديس)[٥]، وأضاف الذهبي أنَّ الذي تولى دفنه وتكفينه هو سليمان بن عبد الملك ودفنه في مقابر المسلمين، فلمَّا جاء العباسيون سألوا عن موضع الرأس وأخذوه[٦].

بينما ذكر سبط ابن الجوزي خمس روايات حول مشهد رأس الحسين عليه السَّلام، فذكر كربلاء والمدينة ودمشق والرقة، وأنَّ الفاطميين نقلوه من دمشق إلى عسقلان ثمَّ إلى القاهرة، لكن سبط ابن الجوزي رجَّح وجود الرأس في كربلاء بقوله: (أشهرها أنَّه رُدَّ إلى

(١) ينظر: الملهوف على قتلى الطفوف، ص١٧٧-١٧٩.
(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٤١١؛ المفيد، الإرشاد، ص٢٣١، ٢٣٨؛ ابن طاووس، الملهوف، ص١٩٠.
(٣) أنساب الأشراف، ٣/ ٤١٦.
(٤) أنساب الأشراف، ٣/ ٤١٩.
(٥) المنتظم، ٥/ ٣٤٤.
(٦) سير أعلام النبلاء، ٣/ ٣١٩.

المدينة مع السبايا، ثمَّ رُدَّ إلى الجسد بكربلاء فدفن معه)[١].

وأسهب النويري في موضع دفن الرأس وساق العديد من الروايات فقال: (قد اختلف المؤرخون في مقرِّ رأسه، فمنهم من قال إنَّه دُفن بدمشق، ومنهم من قال إنَّه نُقل إلى مرو، ومنهم من يقول: إنَّه أُعيد إلى الجسد ودُفن بالطف، ومنهم من قال دُفن بعسقلان، ثمَّ نُقل إلى مصر، ومنهم من قال: دُفن بالمدينة عند قبر أُمِّه رضي الله عنهما)[٢]، ورجح رواية دفنه في المدينة ذاكراً العديد من الآراء التي يرى أنَّها كادت أنْ تجزم بأنَّه دُفن في المدينة عند قبر أُمِّه[٣].

من خلال ما تقدَّم نرى الآتي:

١- لم يختلف ابن سعد عمَّا ذكره المؤرخون أنَّ ثقل الإمام الحسين عليه السَّلام ومعسكره تعرض للسلب والنهب من قبل الجيش الأُموي، في إشارة واضحة إلى عظم جريمة الذين تصدوا لقتال الإمام الحسين عليه السَّلام فقد أعمى الله بصرهم وبصيرتهم، ومن سياق رواية ابن سعد في سلب حلي فاطمة بنت الحسين عليهما السَّلام يظهر الانحطاط الذي وصلته الأُمَّة، وكيف أنَّ اليأس والجشع والانتهازيَّة وحبَّ المادة قد أخذت في الأُمَّة مآخذها.

٢- ويمكننا القول إنَّ ابن سعد انفرد بروايته في دفن جثث الشهداء في الطف، وذلك بذكره روايتين إحداهما أنَّ مولى لزهير بن القين دفن الإمام الحسين عليه السَّلام وأنَّ ذكوان أبو خالد قد دفن الرؤوس في الجبانة ثمَّ ركب إلى الأجساد فدفنها، ومن سياق رواية ابن سعد عن مولى زهير بن القين لا يمكن الركون إليها، فمن غير المعقول أنْ

---

(١) تذكرة الخواص، ٢/ ٢٠٦-٢٠٩.

(٢) نهاية الأرب، ٢٠/ ٤٧٦.

(٣) نهاية الأرب، ٢٠/ ٤٧٦-٤٨٢.

يكون مولى زهير قد ذهب لوحده وإنَّما لا بُدَّ أنْ يكون أشخاص عدَّة، ولا بُدَّ من أنَّهم على علم بأنَّ زهيراً استشهد من أجل آل محمَّد، وهم أيضاً غير مدفونين فلا بُدَّ أنْ يكون معهم أكثر من كفن، ثمَّ كم استغرقت مسيرته من الكوفة إلى كربلاء؟ ويا ترى إذا كان مولى زهير بهذه الدرجة من الإيمان بحيث ترك سيده ومولاه وكفَّن الإمام الحسين عليه السلام، ألم يحاول عند رجوعه مرَّة أُخرى لدفن أحد من شهداء آل محمَّد كأنْ يكون من إخوة الإمام الحسين عليه السَّلام أو من أبنائه أو أهله؟ يبدو أنَّ هذه الرواية لا تصمد أمام المنطق والواقع.

وأمَّا روايته الثانية فلم يذكر ابن سعد سندها للتحقق هل أنَّ رجالها ثقات أَم مطعون بهم، ولم نعثر على ترجمة لذكوان أبو خالد[1]، والسؤال الذي يرد هنا مَن هي هذه الشخصيَّة التي يجلّها ويقيم لها وزناً بنو أُميَّة وولاتهم، إلَّا أن تكون من أعوانهم والموالين لهم، وهؤلاء غالباً ما يكونون معادين لخط أهل البيت، ولم نجد من بين المؤرخين الذين ترجموا لخالد بن ذكوان الذي ربما يكون ابنه مَن أشار إلى ذكوان هذا، ودوره في زمن الأُمويين، وهل هو مَن ساكني الكوفة أم لا؟ ويبدو أنَّ أرجح الروايات التي ذُكرت بشأن دفن الأجساد الطاهرة هي ما أشارت إليه أغلب المصادر التاريخيَّة وهو قيام بني أسد بهذه المهمَّة.

٣- أمَّا ما ذكره ابن سعد بشأن دفن رأس الإمام الحسين عليه السَّلام في المدينة فمن المعروف حسب المعطيات التاريخيَّة التي أشرنا إليها، أنَّ المؤرخين اختلفوا في ذلك وذهبوا مذاهب شتى في موضع الرأس.

---

(١) لم نعثر على ترجمة لذكوان أبو خالد، لكنَّه وردت ترجمة لخالد بن ذكوان أبو الحسين، ويقال أبا الحسن المدني، حديثه في البصريين، روى عن الربيع بنت معوذ بن عفراء ولها صحبة، ينظر: الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواية، ١/ ٣٦٤؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ٣/ ٧٨؛ السخاوي، التحفة اللطيفة، ١/ ٣١٤.

وبعد أنْ استعرض أحد الباحثين تسعة مواضع[١] لرأس الإمام الحسين عليه السَّلام وناقشها مناقشة مستفيضة قال: (وخلاصة القول إنَّ عظمة العمل الذي قام به الحسين عليه السَّلام قد تكون وراء ادّعاء هذه الأماكن شرف ضمِّ رأس الحسين عليه السَّلام، ولعلَّ من الحكمة الإلهيَّة أنْ يضيع موقع الرأس بين هذا العدد من الأماكن، وأماكن أُخرى مرَّ بها الرأس أو ادّعي أنَّ قطرة من دمه سقطت فيها، فبنيت عليها المشاهد لينشر خبر الإثم الذي ارتكبه يزيد ولا يبقى لمن يحاول تبرئته من ذلك العمل القبيح حجة)[٢].

ويبدو أنَّ أرجح الروايات هي إرجاع الرأس إلى الجسد الشريف ودفنه معه في كربلاء، وذلك للعديد من المعطيات التاريخيَّة والشواهد، فالعديد من المؤرخين رجحوا ذلك، وكذلك أنَّ هناك شبه إجماع بين المؤرخين على أنَّ الرأس قد وصل إلى دمشق، وكذلك وصول ما تبقى من آل بيت الرسول صلَّى الله عليه وآله إليها، وبعد أنْ تشفى يزيد حاول ظاهرياً عدم تحمّل مسؤوليَّة قتل الإمام الحسين وآل بيته عليهم السَّلام، فتصنع الندم وحاول أنْ يحسن معاملة أُسرة الحسين والإمام زين العابدين عليهم السَّلام، وهذا واضح من رجوع أُسرة الإمام الحسين عليه السَّلام من دمشق إلى المدينة المنورة، ليس مثل مسيرتهم إليها فقد وُكل بها بعض الشخصيات المعروفة بوسطيتها، ومن المنطقي والبديهي أنْ يكون أوَّل شيء يسأل عنه الإمام زين العابدين عليه السَّلام هو رأس والده وبقية رؤوس أهل البيت، ومن مصلحة يزيد والبيت الأُموي أنْ يوافقوا على ذلك لكي يتنصلوا عن مسؤوليتهم في قتله، فمن المعلوم أنَّ مقتل الإمام الحسين عليه السَّلام قد أثار غضباً لدى أغلب المسلمين، وإنْ كانوا لا يستطيعون الإفصاح عنه.

---

(١) هي كربلاء، النجف الأشرف، المدينة المنورة، مرو، الرقة، حلب، دمشق، عسقلان، القاهرة. ينظر: التميمي، ثورة الحسين، ص٢٨٦-٢٩٢.

(٢) التميمي، ثورة الحسين، ص٢٨٦-٢٩٢.





الفصل الرابع:

انعكاسات النهضة الحسينيَّة بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام

المبحث الأوَّل: انعكاسات النهضة الحسينيَّة على السُّلطة الأُمويَّة.

المبحث الثاني: الإعجاز الإلهيّ وتداول الشعر في النهضة الحسينيَّة.



تمهيد:

مثَّلت قضيَّة الإمام الحسين عليه السَّلام محوراً رئيساً لكلِّ المواقف اللاحقة بعد ذلك، واتجهت اتجاهاً انعكاسياً أُخذت من خلاله أبعاد نهضويَّة للكثير من الثورات التي استلهمت دروسها من المواقف التي أفرزتها تلك النهضة، فكانت سبباً لسقوط العديد من قلاع الظلم والطغيان التي تهاوت من عروشها، وأوَّلها الدولة الأُمويَّة التي بُنيتْ على وقائع مذبحة كربلاء التي وَلَّدتْ بمرور الزمن شعوراً مُلهماً ساعد بني العباس على تحطيمهم فيما بعد وانهيار دولتهم.

فضلاً عن أنَّها وحَّدت صفوف الموالين لنهضة الإمام الحسين عليه السَّلام وحملتهم على التوحد ورصِّ الصفوف، وهذا ما أكَّده المستشرق فان فولتن بقوله: إنَّ حكومة يزيد أسهمت بدون قصد في تهيئة الأرضيَّة الملائمة لانفجار الحركات الثوريَّة[١]، ويرى أحد الباحثين أنَّ استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام ألهب (نار التشيع في القلوب، وحمل الشيعة على توحيد صفوفهم وأصبح نقطة التحول في حال الشيعة في حركاتها الثوريَّة وفي عقيدتها)[٢]، وهو ما ذهب إليه الدكتور حسن إبراهيم حسن بقوله: (لَمَّا قُتل الحسين امتزج التشيع بدمائهم وتغلغل في أعماق قلوبهم وأصبح عقيدة راسخة في نفوسهم)[٣].

وهكذا نجد النهضة الحسينيَّة أفصحت بشكل مباشر أو غير مباشر عن أنَّ ناقوس

(١) السيطرة العربية والتشيع، ص٧٥.

(٢) يحيى بن إبراهيم، مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص٣٧.

(٣) تاريخ الإسلام، ١/ ٣٢٦.

الخطر قد طرق أبواب الحكم الأُموي، بعد أنْ جهد معاوية بكلِّ ما يملكه من حنكة وسياسة ودهاء بجعله حكماً مستقراً يتخذ من الإسلام ظاهرياً ديناً رسمياً لهذه السُّلطة، فنصب نفسه مدافعاً عن قيمه ومبادئه فانطلت أساليبه الملتوية على بسطاء الناس، فضلاً عن شيعتهم والموالين لهم والمنتفعين منهم، فجاءت تلك النهضة لتقلب الأُمور رأساً على عقب عليهم وتعري كلَّ ما قاموا به.

لقد مثلت المواقف الأُولى بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام الجذوة والشعلة التي أسهمت في إيقاظ الأُمَّة من سباتها ونبهتها لعظمة النهضة الحسينيَّة، فكانت تلك المواقف بحدٍّ ذاتها انعكاساً تمثَّل بردَّة فعل بعض الصحابة والشخصيات وغيرهم، في حين كانت سبباً رئيساً في بعض الانعكاسات التي حدثت في هرم حكم الأُمويين أو المجتمع، والتي وصفها أحد الباحثين بأنَّها عبارة عن (عاصفة ثوريَّة عارمة، كان من نتائجها القريبة إسقاط الحكم السفياني، دون أن ينجو منها الحكم المرواني على المدى الأبعد)[1].

(١) إبراهيم بيضون، من دولة عمر إلى دولة عبد الملك، ص١٨٨.

المبحث الأوَّل: انعكاسات النهضة الحسينيَّة على السُّلطة الأُمويَّة:

تمثَّل ذلك بمجموعة من المواقف والانعكاسات المتداخلة التي حدثت أغلبها مع أُسرة الإمام الحسين عليه السَّلام التي كُلفت بديمومة تحقيق الأهداف السامية لها، وكذلك ببعض المواقف من مؤيدين وأنصار لها من مختلف أفراد المجتمع الإسلامي، والتي أوردها ابن سعد في كتابه ويمكن إدراجها حسب المحاور الآتية:

المحور الأوَّل: انعكاساتها في الكوفة:

أوَّلاً: أُسرة الإمام الحسين عليه السَّلام:

كان لهذه الأُسرة النبويَّة الشريفة دورٌ فعالٌ في استكمال الصفحة الثانية من النهضة الحسينيَّة، وهو فضح ممارسات بني أُميَّة بقتلهم العترة الطاهرة وسبي الأُسرة الكريمة، وهو عمل منافٍ لمبادئ الإسلام وتعاليمه السمحاء، وقد ذكر ابن سعد العديد من الروايات بهذا الشأن:

جاءت روايته الأُولى بعد المعركة مباشرة: (فلمّا حُمل النساء والصبيان فمروا بالقتلى صرخت امرأة منهن: يا محمَّداه هذا حسين بالعراء مرمل بالدماء وأهله ونساؤه سبايا، فما بقي صديق ولا عدو إلَّا أكب باكياً...)(١).

والرواية الثانية: أورد ابن سعد ما جرى على الإمام عليٍّ بن الحسين عليهما السَّلام بعد الاستشهاد، فنقل قوله عليه السَّلام: (فغيبني رجل منهم وأكرم نزلي واحتضنني وجعل يبكي كلَّما خرج ودخل، حتى كنت أقول: إنْ يكن عِنْدَ أحدٍ من الناس وفاء، فعند هذا،

---

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٣.

إلى أنْ نادى مُنادي ابن زياد: ألا من وجد عليَّ بن حسين، فليأتِ به، فقد جَعلنا فيه ثلاثمائة درهم، قال: فدخل -والله- عليَّ وهو يبكي، وجعل يربط يدي إلى عنقي وهو يقول: أخاف، فأخرجني -والله- إليهم مربوطاً حتى دفعني إليهم وأخذ ثلاثمائة درهم وأنا أنظر إليها، فأُخِذْتُ فأُدخِلْتُ على ابن زياد فقال: ما اسمك، فقلت: عليُّ بن الحسين، قال: أو لم يقتل الله علياً؟ قال: قلت: كان لي أخ يقال له عليّ أكبر مني قتله الناس، قال: بل قتله الله، قلتُ: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[1]، فأمر بقتله، فصاحت زينب بنت عليٍّ: يا بن زياد حَسبك من دمائنا، أسألك بالله إنْ قتلته إلَّا قتلتني معه، فتركه)[2].

الرواية الثالثة: ذكر فيها ابن سعد ما جرى بين العقيلة زينب عليها السَّلام وعبيد الله بن زياد، فأورد قول ابن زياد: لَّما قُدمَ بالنساء والأطفال وأُدخلن عليه قال: (... مَن هذه؟ فقالوا: زينب بنت عليٍّ بن أبي طالب، فقال: فكيف رأيت الله صنع بأهل بيتك؟ قالت: كُتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بيننا وبينك وبينهم، قال: الحمد لله الذي قتلكم وأكذب حديثكم، قالت: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمَّد وطهرنا تطهيراً...)[3].

الرواية الرابعة: أورد فيها موقف عبيد الله بن زياد من رأس الإمام الحسين عليه السَّلام فذكر: (... لَّما وُضعت الرؤوس بين يدي عبيد الله بن زياد، جعل يضرب بقضيب معه على فِيِّ الحسين وهو يقول:

يُفَلقْنَ هاماً من رجال أعزة   علينا وَهُم كانوا أَعَق وأَظْلَما)[4]

---

(١) الزمر، الآية: ٤٢.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٤-٤٤٥؛ و٧/ ٢١٠.

(٣) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٥.

(٤) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٥.

ثمَّ ذكر روايتين بشأن رأس الإمام الحسين عليه السَّلام بسنده عن الواقدي جاء فيهما أنَّ (أَوَّل رأس رفع على خشبةٍ رأسُ الحسين)[١]، ثمَّ قال: (رأس الحسين أوَّل رأس حمل في الإسلام)[٢].

وفي شأن موقف ابن زياد بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام مع الإمام علي بن الحسين والعقيلة زينب عليهما السَّلام، أورد المؤرخون العديد من الروايات فأشاروا كيف أنَّ ابن زياد استشاط غضباً من كلام عليٍّ بن الحسين عليهما السَّلام، فأمر بقتله ثمَّ وجه كلامه للعقيلة زينب عليها السَّلام فكان جوابها لَّما قال لها: (الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أُحدوثتكم، فقالت زينب عليها السَّلام: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمَّد صلَّى الله عليه وآله وطهرنا من الرجس تطهيراً، وإنَّما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا والحمد لله...)[٣].

وقد تضاربت الروايات على محلِّ وقوع هذا الموقف هل هو في الكوفة أم في دمشق؟ فمثلاً نجد أنَّ أبا الفرج الأصفهاني ينقل الرواية نفسها مشيراً إلى المحاورة التي دارت بين الإمام عليٍّ بن الحسين عليهما السَّلام وابن زياد، ثم يدخل كلام ابن زياد مع كلام يزيد ويرى أنَّ يزيد هو مَن أمر بقتل الإمام عليٍّ بن الحسين عليهما السَّلام لكنَّه تراجع عن قتله[٤]، ويبدو أنَّ أبا الفرج الأصفهاني قد تداخلت المواقف عنده بين الكوفة ودمشق.

من خلال ما تقدَّم يمكننا القول:

---

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٦.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٦.

(٣) المفيد، الإرشاد، ص٢٣٢-٢٣٣؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، ٣/ ١٥٧؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٢/ ١٨٦-١٨٧.

(٤) مقاتل الطالبيين، ص١١٩-١٢٠.

١- بيَّن ابن سعد أنَّ أوَّل انعكاس للنهضة الحسينيَّة جاء من خلال مرور أُسرة الحسين عليه السَّلام على مصرعه، فما إنْ نادت إحداهن: (يا محمَّداه هذا حسين بالعراء مرمل بالدماء وأهله ونساؤه سبايا، فما بقي صديق ولا عدو إلَّا أكب باكياً...)[١].

وقد صوَّر ابن سعد في هذه الرواية الجانب العاطفيَّ للجيش الذي قاتل الإمام الحسين عليه السَّلام الذي بدأت تنمو فيه بذور الندم والحسرة منذ اللحظات الأُولى، فضلاً عن أنَّ هذه الرواية أشارت إلى أنَّ المعسكر المعادي كان فيه غير الأعداء، وذلك بقوله: فما بقي صديق... ويمكن من خلال ذلك أن نستشف تركيبة معسكر عمر بن سعد، والذي حضر فيه من هو غير راغب في القتال، وإنَّما كان تحت تأثير السُّلطة وغطرستها، والمنهج العاطفي الذي صوَّره ابن سعد والذي يظهر جلياً في روايته هو أحد الأُمور التي اتبعها أهل البيت في نشر مبادئ النهضة الحسينيَّة.

٢- على الرغم من أنَّ ابن سعد أورد رواياته بشأن ما جرى من حديث بين الإمام عليٍّ بن الحسين عليهما السَّلام وعبيد الله بن زياد، وذكر كذلك المحاورة التي جرت بين العقيلة زينب عليها السَّلام وعبيد الله بن زياد، وهي لا تختلف من حيث المضمون عمَّا أورده بعض المؤرخين بهذا الشأن، إلَّا أنَّه يؤخذ على روايته أنَّه اقتطع من كلام العقيلة زينب أُموراً مهمَّة منها قولها عليها السَّلام: (الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمَّد صلَّى الله عليه وآله، وطهرنا من الرجس تطهيراً، وإنَّما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا والحمد لله...)[٢]، وربما أراد ابن سعد الاختصار في ذلك، إلاَّ أنَّ كلامها هذا لأهميته

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٣.

(٢) المفيد، الإرشاد، ص٢٣٢-٢٣٣؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، ٣/ ١٥٧؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٢/ ١٨٦-١٨٧؛

كان سبباً في غضب ابن زياد[١]، ومن المؤكد أنَّ كلامها عليها السَّلام جاء ليؤكد السير قُدماً في تحقيق أهداف النهضة الحسينيَّة بعد استشهاد قائدها، وأنَّ كلامها كان من ضمن الدور الريادي الذي أُنيط بها والذي أُعدت له، وكان سبباً حتمياً في اصطحابها من قبل الإمام الحسين عليه السَّلام، فضلاً عن أنَّ كلامها جاء ليؤكد حقَّ أهل البيت وقرابتهم، من خلال إشارتها لآية التطهير التي نزلت بحقِّهم وأنَّهم هم المعنيون فيها دون غيرهم.

٣- يؤخذ على ابن سعد إيراده بعض الروايات المتناقضة، منها ما ذكره بسنده عن الواقدي أنَّ أَوَّل رأس حمل في الإسلام هو رأس الإمام الحسين عليه السَّلام، بينما ذكر في ترجمته لعمرو بن الحمق وبالسند نفسه أنَّ (أَوَّل رأس حمل في الإسلام رأس عَمرو بن الحمق)[٢].

وقوله الثاني أدقّ وأصحّ من الأوَّل؛ ذلك أنَّ الأُمويين فعلاً حملوا رأس عمرو بن الحمق من الموصل إلى دمشق مقرِّ الحكم الأُموي عام (٥١هـ) زمن معاوية بن أبي سفيان[٣]، وعقَّب ابن الأثير على مَن ذكر أنَّ رأس الإمام الحسين عليه السَّلام أوَّل من حُمل في الإسلام بقوله: (والصحيح أنَّ أَوَّل رأس حُمل في الإسلام رأس عمرو بن الحمق)[٤]، وذهب سبط ابن الجوزي إلى أنَّ أوَّل رأس حُمل في الإسلام هو رأس مسلم بن عقيل[٥].

ويبدو ممَّا تقدَّم أنَّ سُنَة قطع الرؤوس وحملها إلى مقرِّ السُّلطة والطواف بها في المدن

(١) المفيد، الإرشاد، ص٢٣٢.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٢٨٣و٨/ ١٤٧.

(٣) خليفة بن خياط، طبقات خليفة، ص١٠٦؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٦١؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٤٥/ ٥٠٤؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ٤/ ١٠٠-١٠١.

(٤) الكامل في التاريخ، ٣/ ٥٣٥.

(٥) تذكرة الخواص، ٢/ ١٨٩-١٩٠.

والأمصار ما هي إلَّا سُنّةٌ أُمويّةٌ لم تكن موجودة قبل ذلك، ودليلنا على ذلك أنَّ كلَّ هؤلاء الشهداء الذين اختلف المؤرخون فيمن يكون أَوَّل مَن حُمل رأسه استشهدوا أيام الحكم الأُموي وعلى أيديهم.

وكذلك مرَّة أُخرى أورد ابن سعد بعض الروايات المتناقضة ومنها بعض الأشعار التي تمثَّل بها يزيد بن معاوية حين وضع رأس الإمام الحسين عليه السَّلام أمامه:

يفلقن هاماً من رجال أعزة ... علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

فنجد أنَّ ابن سعد نسبها مرَّة لعبيد الله بن زياد وفي موضع آخر نسبها ليزيد بن معاوية[1]، في حين أنَّ أغلب المؤرخين ذكروا أنَّ يزيد بن معاوية هو من تمثل بها[2]، ومن غير المعقول أنْ يكون عبيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية تمثلا بالبيت الشعري نفسه، والظاهر أنَّ رواية ابن سعد في هذا الشأن لم تكن دقيقة وتداخلت مع غيرها من الروايات الأُخرى.

٤- ومن الروايات التي أوردها ابن سعد ولا بُدَّ من التوقف عندها هو ما ذكره من اختفاء الإمام عليِّ بن الحسين عليهما السَّلام بقوله: (فغيبني رجل منهم...)، والتي أوردها ابن الجوزي بسنده عن مصعب الزبيري[3]، ويمكننا أن نستنتج منها أُموراً عدَّة:

الأمر الأَوَّل: الرواية مصدرها آل الزبير وربما تشوبها بعض المآخذ من الدسِّ والتحريف، فربما تندرج في بعض فقراتها ضمن موقف آل الزبير المعادي للكوفة؛ لأنَّ

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٥، ٤٤٧.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٤١٦؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٣١٤؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٦٢/ ٨٥ و٦٥/ ٣٩٦؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ٥/ ٣٨١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ٢٠٩.

(٣) المصعب الزبيري، نسب قريش، ص٨٥؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٤١٢؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، ٣/ ١٥٦-١٥٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٥/ ٣٤٤-٣٤٥

فيها إساءة واضحة لأهلها، ويبدو أنَّ هذا الأمر نفسه دفع ابن سعد لانتقاء هذه الرواية والتركيز عليها، فعلى الرغم من أنَّ منهج ابن سعد الاختصار في رواياته وعدم تكرارها، نجده قد ذكر هذه الرواية مرتين، مرَّة في ترجمته للإمام الحسين عليه السَّلام، وأُخرى حين ترجم للإمام زين العابدين عليه السَّلام[١]، وعلاوة على ذلك لم تحدد الرواية كم استغرقت مدَّة اختفائه عليه السَّلام إلَّا أنَّه يستنتج منها أنَّ اختفاءَهُ لم يكن قصيراً.

الأمر الثاني: الرواية بشكل عام هي دليل على صحّة الرواية التي تقول إنَّ الإمام عليَّ بن الحسين عليهما السَّلام شارك بني أسد في دفن الإمام الحسين والشهداء عليهم السَّلام، فمن المعلوم أنَّ الإمام المعصوم لا يلي دفنه إلَّا إمام معصوم[٢]، فضلًا عن أنهَّا جوابٌ لكيفيَّة اختفاء الإمام عليٍّ بن الحسين عليهما السلام وهو أسير من عيون الجيش الأُموي ومشاركته في دفن الأجساد المطهرة، وهذه الرواية تؤيد صحَّة إمكانيَّة غيابه في اليوم الثالث عشر من المحرم، وهو اليوم الذي دُفن فيه الإمام الحسين عليه السَّلام والشهداء من أهل بيته وصحبه عليهم السَّلام[٣].

ويبدو أنَّ ذلك أرجح الروايات في دفن الأجساد المطهرة، ويحسب لابن سعد السبق الزمني في ذكر تلك الرواية واختفاء الإمام السجاد عليه السَّلام من جيش الأُمويين على الرغم من إجراءاتهم المشددة عليه.

الأمر الثالث: على الرغم من أنَّ ابن سعد لم يُشر إلى قبيلة الرجل الذي غَيَّبَ الإمام السجاد عليه السَّلام وأكرمه، لكنَّ القاضي النعمان المغربي بيَّن ذلك، فابتدأ روايته بقول

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٢٨٣و٨/ ١٤٧.

(٢) المسعودي، إثبات الوصية، ص٢٢٠؛ للمزيد من التفاصيل ينظر: المقرم، مقتل الحسين، ص٣٣٤-٣٣٨.

(٣) الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ٢/ ٧٦٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٥/ ١٦٩و٤٨/ ٢٧٠؛ البحراني، العوالم، ص٣٦٤.

الإمام السجاد عليه السَّلام: (فأتاني رجل من أهل الشام)[١]، وهذه إشارة أُخرى على أنَّ هناك العديد من جند الشام كانوا ضمن الجيش الأُموي في قتال الإمام الحسين عليه السَّلام.

ثانياً: بعض أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:

أثبتت الوقائع أنَّ النهضة الحسينيَّة متعددة الجوانب والأبعاد، فكانت أدواراً يكمل بعضها البعض، فلم يكن يخطر ببال الأُمويين وأعوانهم وقادتهم أنَّ النصر العسكري المزعوم الذي خُيل لهم يوم العاشر من محرَّم ذهب أدراج الرياح بهذه السرعة متحولاً إلى نصر حقيقي يرونه بوضوح لآل البيت، ففي قصر عبيد الله بن زياد الذي كان لا يجرأ أحدٌ على الكلام فيه إلَّا مدحاً وثناءً لبني أُميَّة وسياستهم، نجد أنَّ استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام قد كسر هذا الحاجز وهم في أوج قوتهم وجرأتهم على سفك الدماء، وذلك بعد أنْ ظنوا بقتلهم الإمام الحسين عليه السَّلام قضي الأمر وانتهى الخطر الحقيقي الذي هدد سلطانهم وملكهم، بينما أثبتت الوقائع خلاف ذلك وأنَّ الخطر الحقيقي هو ما استنهضه استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام في الأُمَّة، فجعل ذلك السُبات والخنوع طاقات ثوريَّة ومشاريع استشهاد في سبيل الدين، وقد تناول ابن سعد مواقف عدَّة بهذا الشأن، فذكر العديد من الروايات منها:

الرواية الأُولى: ذكر فيها أنَّه لَمَّا وُضِعَ رأس الحسين عليه السَّلام أمام عبيد الله بن زياد جعل يضرب ثنايا الإمام الحسين عليه السَّلام بقضيب بيده (فقال له زَيد بن أرقم[٢]: لو نَحيْتَ هذا القضيب، فإنَّ رسول الله صلىَّ الله عليه -وآله- وسلَّم: كان

(١) شرح الأخبار، ٣/ ١٥٦-١٥٧.

(٢) هو الصحابي زيد بن أرقم بن قيس بن النعمان بن مالك الخزرجي غزا مع رسول الله سبع عشرة غزوة، يكنى أبا سعيد، وذكر ابن عبد البر أنَّه كان من خاصة أمير المؤمنين عليٍّ عليه السَّلام وشهد صفين معه، توفي عام (٦٨هـ). ينظر: ابن سعد الطبقات الكبير، ٥/ ٣٥٧-٣٦١؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ٢/ ٥٣٥-٥٣٦.

يضـع فَاهُ عـلى موضع هـذا القضيب)[١].

ثمَّ ذكر رواية بسنده عن أنس بن مالك[٢] أنَّه قال: (شهدت عبيد الله بن زياد حيث أُتي برأس الحسين رضي الله عنه، قال: فجعل ينكت بقضيب معه على أسنانه ويقول: إنْ كان لحَسَنُ الثغر، قال: فقلت: والله لأسوءنك، فقلت: أمَا إنِّي رأيت رسول الله صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم يقبِّل موضع قضيبك من فِيْه)[٣].

وذكر ابن سعد في ترجمة أبي عثمان النهدي أنَّه تحوَّل من الكوفة إلى البصرة وقال: (لا أسكن بلداً قُتل فيه ابن بنت رسول الله صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم)[٤]، مبيناً عدم رضاه بما وقع للإمام عليه السَّلام في الكوفة.

تناولت المصادر التاريخيَّة مواقف صحابة رسول الله صلَّى الله عليه وآله بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام، والتي كان من بينها موقف زيد بن أرقم[٥]، وأنس بن مالك[٦]، وموقف الصحابي أبي عثمان النهدي[٧].

---

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٦.

(٢) هو الصحابي أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الخزرجي، أهدته أُمُّه حين قدوم رسول الله إلى المدينة ليخدمه، ولَّما مصرت البصرة انتقل لها، اختلف في وفاته عام(٩١هـ) و(٩٣هـ). ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص٦٥؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ١/ ١٠٩-١١١؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ١/ ١٢٧-١٢٩.

(٣) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٦.

(٤) الطبقات الكبير، ٩/ ٩٨.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٤١٢-٤١٣؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٣٠٨؛ الطوسي، الأمالي، ص٢٥٢؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٤١/ ٣٦٥؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، ٢/ ٢١.

(٦) ابن أبي عاصم، الآحاد والمثاني، ١/ ٣٠٧؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ٢٣٥؛ ابن نما الحلي، مثير الأحزان، ص١٤٣-١٤٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥/ ١٦؛ ابن تغري بري، النجوم الزاهرة، ١/ ١٥٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٥/ ١١٨.

(٧) ابن قتيبة، المعارف، ص٤٣٦؛ ابن حبان، الثقات، ٥/ ٧٥؛ ابن الأثير، أُسد الغابة، ٣/ ٣٢٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤/ ١٧٧، ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ٥/ ٨٥.

ومن خلال ما تقدَّم يمكننا القول:

١- إنَّ ابن سعد قدَّم بعض الروايات التي أشارت إلى موقف الصحابة من الأُمويين بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام، وهو غضبهم على الحكم الأُموي ومن ثمَّ تقويض شرعيته، ومن البديهي أنَّ صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله لهم مكانة مرموقة بين المجتمع تنبئ عن صدق مقولتهم في المجتمع الإسلامي، ونستدلُّ على ذلك من مخاطبة الإمام الحسين عليه السَّلام يوم العاشر من المحرَّم لمعسكر عمر بن سعد: «**أو لم يبلغكم قول رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيَّ وفي أخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة؟ فإنْ صدقتموني وإلَّا فاسألوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وزيد بن أرقم**»[١].

٢- بينت رواية ابن سعد وغيره من المؤرخين أنَّ أبا عثمان النهدي رحل عن الكوفة وآثر السكن في البصرة، لُيعبر عن سخطه وعدم رضاه بما وقع للإمام الحسين عليه السَّلام في الكوفة.

ويبدو أنَّ الانعكاسات بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام تمثّلت بتلك المواقف التي أخذت العديد من الصور وتجلت في التعبير عن نفسها بشتى الطرق والوسائل، كان إحداها الرحيل عن الكوفة والسكن في أمصار أُخرى، ومن البديهي أنْ يكون ذلك انتقاصاً ومثلبة على أنصار الأُمويين وممَّن اشترك بقتل الحسين عليه السَّلام، وبالمقابل الاستمرار في نشر مبادئ النهضة الحسينيَّة في الأمصار الأُخرى.

(١) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٨.

ثالثاً: بعض الشخصيات والقبائل:

ذكر ابن سعد ثلاث روايات عن موقف الربيع بن خُثيم[1] ذكر فيها قوله حين قتل الإمام الحسين عليه السَّلام قال: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[2][3]، وذكر في رواية ثانية أنَّ جماعة من كبار أهل الكوفة ذهبوا إلى الربيع بن خُثيم ليعلموا رأيه فقالوا له: (قد قتل الحسين، قال: أرأيتم لو أنَّ رسول الله (صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم) دخل الكوفة وفيها أحد من أهل بيته فيمن كان ينزل إلَّا عليهم؟ فعلموا رأيه)[4].

وجاء في روايته الثالثة أنَّه: (لَمَّا أُصيب الحسين بن عليٍّ، قال الربيع بن خُثيم: لقد قتلوا صِبْيَة لو أدركهم رسول الله صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم لأجلسهم في حِجْره، ولوضع فمه على أفمامهم)[5].

ونقل ابن سعد عن محاورة جرت بين أبي إسحاق السبيعي وشمر بن ذي الجوشن جاء فيها: (كان شمر بن ذي الجوشن الضبابي لا يكاد أو لا يحضر الصلاة معنا فيجيء بعد الصلاة فيصلِّي، ثمَّ يقول: اللهم اغفر لي فإنِّي كريم لم تلدني اللئام، قال: فقلت له: إنَّك لسيئ الرأي يوم تسارع إلى قتل ابن بنت رسول الله صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم، قال:

---

(١) هو الربيع بن خثيم بن عائذ بن عبد الله الثوري من بني ثعلبة بن عامر، كنيته أبو يزيد، عُدَّ في أهل الزهد والعبادة، ومن كبار التابعين في الكوفة، توفي في ولاية عبيد الله بن زياد في الكوفة عام (٦٣هـ). ينظر: ابن حبان، الثقات، ٤/ ٢٢٤ ومشاهير علماء الأمصار، ص١٦٠؛ الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ١/ ٣١٣؛ الثقفي، الغارات، ٢/ ٩٠٩؛ المزي، تهذيب الكمال، ٩/ ٧١-٧٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤/ ٢٥٨-٢٦٢؛ وتاريخ الإسلام، ٦/ ٣٥٤.

(٢) الزمر، الآية: ٤٦.

(٣) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٢؛ و٨/ ٣١٠.

(٤) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٢.

(٥) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٢.

دعنا منك يا أبا إسحاق، فلو كنَّا كما تقول وأصحابك كنَّا شراً من الحمير السقاءات)[١].

أشار ابن سعد في العديد من رواياته إلى ردَّة فعل المجتمع الإسلامي بعد استشهاد الإمام الحسين وأهل بيته وصحبه عليهم السَّلام، فذكر روايات عدَّة بهذا الشأن منها: أنَّه لَمَّا (مرَّ عمر بن سعد -يعني بن أبي وقاص- بمجلس بني نَهْد حين قُتل الحسين فسلَّم عليهم، فلم يردوا عليه السَّلام)[٢]، ثمَّ ذكر قول عمر بن سعد على أثر ذلك:

أتيتُ الـذي لم يـأتِ قبلي ابـنُ حُرة فَنَفْسي ما أخزت وقومي أذلـتِ[٣]

كذلك ذكر ابن سعد أنَّ مُرْجَانة[٤]، قالت لعبيد الله بن زياد: (يا خَبيث، قتلتَ ابن رسول الله صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم لا ترى الجنة أبداً)[٥].

وأشارت المصادر التاريخيَّة إلى بعض المواقف التي تمثلت بها بعض الانعكاسات للنهضة الحسينيَّة، والتي كان من أبرزها موقف الربيع بن خثيم[٦]، وما تعرَّض له عمر بن سعد من انتقاد وتهكم، حتى اضطر إلى الاحتفاظ بالكتاب الذي أمره به عبيد الله بن زياد بحرب الإمام الحسين عليه السَّلام وقال له: تركته يقرأ على عجائز قريش للاعتذار منهن[٧]، ومن خلال ما تقدَّم نرى الآتي:

١- قدَّم ابن سعد روايات عدَّة ذكرت مواقف الغضب والرفض من قبل العديد

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٣.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٣.

(٣) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٥

(٤) مُرجانة أُمُّ عبيد الله بن زياد، وهي سبية من أصفهان، ابن عساكر؛ تاريخ مدينة دمشق، ٣٧/ ٤٣٦.

(٥) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٣.

(٦) محمد بن سليمان الكوفي، مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السَّلام، ٢/ ٢٣٦، ٢٤٠؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، ٣/ ١٧٠، ١٧٢؛ القندوزي الحنفي، ينابيع المودة، ص٣٢٣.

(٧) ابن نما الحلي، مثير الأحزان، ص١٧١.

من الشخصيات وبعض القبائل؛ تعبيراً عن مواقفهم وكلٌّ حسب موقعه وقدرته، فمن المنطقي أنَّه في ظلِّ دولة تتخذ من القوَّة منطلقاً للقضاء على أيِّ حركة وثورة، أنْ تكون تلك المواقف محدودة جداً؛ خوفاً من تعرّض أصحابها والقائمين عليها للقتل أو السجن أو غير ذلك في أقل تقدير، ومنها يتضح أنَّ هناك سخطاً شعبياً كامناً وراء تلك المواقف المعلنة لبعض الشخصيات المعروفة، والتي ربما كانت لها القدرة على التعبير عن رأيها بشكلٍ ضمنيٍّ من دون التصريح العلني إلَّا في بعض الحالات القليلة.

٢- ساق ابن سعد روايات عدَّة لتبيان موقف الربيع بن خثيم من استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام، ربما لأنَّ هناك غموضاً في موقف الربيع من قتلة الإمام الحسين عليه السَّلام، فحاول ذكر أكثر من رواية في هذا الشأن، فاستشهاد الربيع بالآية ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[1][2]، يثير العديد من التساؤلات ويُعدُّ موقفاً سلبياً أو في أقلِّ تقدير متحفظاً على النهضة الحسينيَّة.

ويبدو من قول ابن سعد أنَّ هناك جماعة من كبار الكوفة قصدوا الربيع بن خثيم لمعرفة رأيه فيما جرى على الإمام الحسين عليه السَّلام، فهو يعني أنَّ أهل الكوفة لم يعرفوا الإمام الحسين عليه السَّلام حقَّ المعرفة فجعلوه ويزيد في كفَّة واحدة، ومجيؤهم إلى الربيع بن خثيم إنَّما كانوا يبحثون عن أيِّ مبرر أو مخرج من المأزق الذي وضعوا فيه أنفسهم، بمشاركتهم في قتل الإمام الحسين عليه السَّلام، ولعلَّ هذا الموقف هو أحد انعكاسات النهضة الحسينيَّة بعد استشهاده عليه السَّلام.

---

(١) الزمر، الآية: ٤٦.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٢؛ و٨/ ٣١٠.

وقد وظف الآلوسي ذلك في تفسيره للآية الكريمة بقوله: (ولله تعالى درُّ الربيع بن خثيم فإنَّه لَمَّا سُئل عن قتل الحسين رضي الله تعالى عنه تأوَّه وتلا هذه الآية، فإذا ذكر شيئاً ممَّا جرى بين الصحابة قال ﴿اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾)[1]، ومن ذلك نستنتج أنَّ الربيع بن خثيم كان يدعو لعدم الخوض فيما جرى على الإمام الحسين عليه السَّلام من قبل أعدائه كونه نوعاً من الاجتهاد كما حصل بين الصحابة واختلافهم فيما بينهم.

٣- كذلك بيَّن ابن سعد أنَّ تأنيب الضمير كان من بين تلك الانعكاسات، فشمل مرجانة أُمَّ عبيد الله بن زياد التي حاولت التعبير عن رأيها بالاحتجاج على قيام ابنها بهذا العمل المُشين والمخزي، بل نجد عمر بن سعد نفسه يؤنِّب نفسه لعلمه بعظم الجريمة التي ارتكبها، ويبدو أنَّ تلك المواقف جاءت بسبب معاناة هؤلاء وغيرهم ممَّن لم تشر إليهم المصادر التاريخيَّة، الذين اشتركوا في قتال الإمام الحسين عليه السَّلام من ازدراء المجتمع لهم ونبذهم لهم حتى وصل لعدم ردِّ السَّلام عليهم، مثل موقف قبيلة بني نهد مع عمر بن سعد، وكذلك موقف مرجانة من ابنها.

٤- أغفل ابن سعد بعض المواقف المهمَّة مثل موقف عبد الله بن عفيف[2] الذي يُعدُّ من خُلَّص شيعة الإمام عليٍّ عليه السَّلام وذهبت إحدى عينيه في الجمل والأُخرى في صفين، فكان له موقف مشهود في قصر ابن زياد ذكره العديد من المؤرخين[3] ووصفه

---

(١) تفسير الآلوسي، ٢٤/ ١١.

(٢) هو عبد الله بن عفيف الأزدي الغامدي، من أفاضل الشيعة، ذهبت عينه اليسرى يوم الجمل واليمنى يوم صفين، وكان ملازماً لمسجد الكوفة، قتله ابن زياد بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام، ودفن في الكوفة.. ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٤١٣؛ البراقي، تاريخ الكوفة، ص١٠٢.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين، ٢٠٧؛ ابن حبيب، المحبر، ص٤٨٠؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٤١٣-٤١٤؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٣١٠؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ١٢٣-١٢٦؛ المفيد، الإرشاد، ص٢٣٣؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ٢/ ٥٨-٦٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٥٣٥؛ الإربلي، كشف الغمة، ٢/ ٢٧٩؛ ابن نما الحلي، مثير الأحزان، ص١٤٤-١٤٦؛ ابن طاووس، الملهوف على قتلى الطفوف، ص٢٠٣-٢٠٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ص٢٠٨؛ الباعوني، جواهر المطالب في مناقب الإمام عليٍّ عليه السَّلام، ص٢٩٢-٢٩٣.

أحد الباحثين بأنَّه: (من أهم الآثار الأُولى لنتائج الثورة الحسينيَّة)[١]، فكان موقف ابن عفيف أشبه بانتفاضة شعبية حدثت في الكوفة اضطر ابن زياد أنْ يستعمل العديد من جنده للقضاء عليها، وربما كان موقف ابن عفيف معبراً عن آراء العديد من الكوفيين الذين ليسوا بمستوى جرأته وشجاعته لمعرفتهم المسبقة بعدم قدرتهم الوقوف بوجه قوة وجبروت ابن زياد والأمويين؛ ولذلك نجد البعض منهم اكتفوا في أثناء المعركة بالدعاء لإنزال نصره على الإمام الحسين عليه السَّلام[٢].

على الرغم من أنَّ روح التخاذل لم تفارق أغلب الكوفيين بعد، بدليل أنَّهم سمحوا لجند عبيد الله بن زياد بقتل ابن عفيف من دون أنْ يستمروا في نصرته، إلَّا أنَّها كانت من البوادر الأُولى التي مهَّدت لانتفاضات وثورات عديدة في الكوفة، أمثال ثورة التوابين وثورة المختار الثقفي، والتي كسرت حاجز الخوف من السُّلطة الحاكمة، والتي أفضت في نهاية المطاف إلى قتل طغاة الأُمويين وأعوانهم أمثال عبيد الله بن زياد وغيره على يد الكوفيين أنفسهم.

والذي يثير التساؤل لماذا أغفل ابن سعد موقف كهذا ذكره أغلب المؤرخين، ويستبعد أنَّه لم يُعر أهميَّة له، ويبدو أنَّ ابن سعد تعمَّد عدم ذكر ذلك، كون موقف ابن عفيف أحد المواقف المشرفة التي تخفف الوطأة عن تخاذل الكوفيين وعدم نصرتهم للإمام الحسين عليه السَّلام، والذين حاولوا في مواقف عدَّة التكفير عمَّا اقترفوه من خطأ جسيم لعدم نصرتهم الحسين عليه السَّلام وتخاذلهم عنه، فلم يكن موقف ابن عفيف حادثاً عابراً في الكوفة، ودليلنا على ذلك هو تلك الإجراءات التي اتخذها ابن زياد على أثرها والتي بينت

(١) الهلالي، الثورة الحسينيَّة دراسة في كتاب مقتل الحسين عليه السَّلام للخوارزمي، ص٤٢٥.
(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٤٢٤.

أنَّ الأُمور كادت أنْ تخرج عن سيطرة الأُمويين في الكوفة، ممَّا اضطر ابن زياد لمحاولة تأليب القبائل المضريَّة ضدَّ اليمانيَّة، وهو أُسلوب حاول الأُمويون دائماً المراهنة عليه، وكذلك نجد أنَّ العديد من المؤرخين المتقدمين والمتأخرين قد ذكروا ذلك وما جرى في مسجد الكوفة حينها.

رابعاً: موقف التوابين:

تطرَّق ابن سعد لموقف التوابين وزعمائهم فذكر: (وكان سليمان بن صرد الخزاعي فيمن كتب إلى الحسين بن عليٍّ أنْ يقدم الكوفة، فلمَّا قدم أمسك عنه ولم يقاتل معه، فلمَّا قُتل الحسين رحمه الله ورضي عنه، ندم هو والمسيب بن نجبة الفزاري وجميع من خذل الحسين ولم يقاتل معه، فقالوا: ما المخرج والتوبة ممَّا صنعنا؟! فخرجوا فعسكروا بالنخيلة لمستهل شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين، وولوا أمرهم سليمان بن صرد، وقالوا نخرج إلى الشام فنطلب بدم الحسين، فسمُّوا التوابين، وكانوا أربعة آلاف فخرجوا فأتوا عين الوردة وهي بناحية قرقيسيا، فلقيهم جمع أهل الشام وهم عشرون ألفاً عليهم الحصين بن نمير فقاتلوهم فترجل سليمان بن صرد وقاتل، فرماه يزيد بن الحصين بن نمير بسهم فقتله فسقط وقال: فزت وربِّ الكعبة، وقتل عامة أصحابه ورجع من بقي منهم إلى الكوفة)[(١)].

أشارت المصادر التاريخيَّة[(٢)] إلى موقف التوابين من استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام فأسهبوا في ذلك، وأشار بعضهم إلى أنَّ حركتهم جاءت مباشرة بعد استشهاده عليه السَّلام فذكروا أنَّه: (لمَّا قُتل الحسين بن عليٍّ عليهما السَّلام ودخل عبيد الله بن زياد من معسكره

---

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٦.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ٦/ ٣٦٤؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٣٧٢؛ المسعودي، مروج الذهب، ٣/ ١١٠-١١٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٥٩٣-٥٩٩.

بالنُخَيلة إلى الكوفة تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم)[١]، وذكر الطبري في حوادث سنة (٦٤هـ): (وفي هذه السَّنة تحركت الشيعة بالكوفة، واتعدوا الاجتماع بالنُخيلة في سنة خمس وستين للمسير لأهل الشام للطلب بدم الحسين بن عليٍّ وتكاتبوا في ذلك)[٢]، ثمَّ ساق رواية أُخرى بيَّن فيها ابتداء أمر التوابين بقوله: (وكان أَوَّل ما ابتدعوا به من أمرهم سنة إحدى وستين، وهي السَّنة التي قُتل فيها الحسين رضي الله عنه...)[٣].

من خلال قراءتنا لرواية ابن سعد نرى الآتي:

١- قدَّم ابن سعد روايته بشأن التوابين رواية وافية على الرغم من اختصارها إلَّا أنَّها توحي إلى إحدى نتائج النهضة الحسينيَّة؛ ولذلك نجده ذكرها في نهاية ترجمته للإمام الحسين عليه السَّلام، فذكر سبب قيام حركة التوابين ودور سليمان بن صرد الخزاعي كونه كان أحد الذين كتبوا للإمام الحسين عليه السَّلام، فذكر سبب عدم مشاركته في نصرة الإمام الحسين عليه السَّلام بقوله: (فلمَّا قدمها - الحسين عليه السَّلام- أمسك عنه ولم يقاتل معه)[٤]، وفي موضع آخر قال: (كان كثير الشك والوقوف)[٥]، كذلك أوضح أنَّ عدد التوابين أربعة آلاف.

يبدو أنَّ ابن سعد ربط بين تخاذل أهل الكوفة المتمثل بالتوابين وبين موقف سليمان بن صرد الخزاعي الذي بيَّن أنَّه كثير الشك والوقوف، فأشار ضمنياً إلى أنَّ تخاذل أهل الكوفة هو الشكّ والوقوف من الإمام الحسين عليه السَّلام حالهم حال زعيمهم سليمان،

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ٦/ ٣٦٤؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٣٧٢.
(٢) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٣٧٢.
(٣) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٣٧٧.
(٤) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٦.
(٥) الطبقات الكبير، ٥/ ١٨٦

وفي واقع الأمر هذا السبب لم ينطبق على أغلب أهل الكوفة بقدر ما كان الخوف من القتل وإجراءات الأُمويين وابن زياد وانقلاب الأوضاع في الكوفة لصالح بني أُميَّة السبب المباشر والمانع الحقيقي من نصرتهم له.

٢- يمكننا القول من خلال قراءة رواية ابن سعد: إنّ هناك عدداً كبيراً من الكوفيين وفي أقل تقدير أربعة آلافٍ لم يشتركوا في القتال ضدَّ الإمام الحسين عليه السَّلام، وإنَّما تخاذلوا عن نصرته والدفاع عنه، وهم التوابون وذلك من قوله: (فلمَّا قُتل الحسين رحمه الله ورضي عنه ندم هو - سليمان بن صرد- والمسيب بن نجبة وجميع من خذل الحسين ولم يقاتل معه)[١].

٣- اختلفت رواية ابن سعد مع ما ذكره العديد من المؤرخين، والتي سبق وأنْ أشرنا إليها أنَّ بوادر حركتهم بدأت بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام مباشرة، وعلى الرغم من أنَّه جعلها إحدى نتائج النهضة الحسينيَّة، إلَّا أنَّه ذكر أنَّها جاءت بعد وفاة يزيد بن معاوية، وفي واقع الأمر أنَّ خطواتها العسكريَّة والعمليَّة جاءت بعد وفاة يزيد، أمَّا التحضيرات لها وجمع الأموال والرجال والمؤن فقد جاءت مباشرة بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام[٢]، فكانت انعكاساً مباشراً للنهضة الحسينيَّة.

المحور الثاني: الموقف الأُمويُّ في دمشق:

تُعدُّ دمشق مركز القرار الأُموي فهي المكان الذي تصدر منه جميع القرارات المصيريَّة من الحاكم الأعلى إلى الولاة والعمال في الأمصار والمدن، والمتمعن في ذلك يرى أنَّ أغلب إجراءات ولاة الأمصار هو تعبيرٌ حقيقيٌّ عن إرادة وقرار الحكم

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٦.

(٢) ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٦/ ٣٦٤؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٣٧٢.

الأُمـوي في دمشـق، وأنَّ هنـاك سـلطة مركزيَّة في دمشـق هي من تتحكـم في كل صغيرة وكبـيرة، ومـن يخالف ذلـك أو يتهاون في تنفيذ الأوامر سـيكون مصيره عـلى أقل تقدير هـو عزلـه عـن ولايتـه، وهو ما حـدث أيـام يزيد بـن معاوية في عزلـه النعمان بن بشـير عـن الكوفـة[١]، والوليد بـن عتبة عـن المدينة[٢].

أشار ابن سعد إلى موقف يزيد وأعوانه في دمشق، وذلك في عدَّة روايات ذكرها بسنده الجمعي حين أشار إلى مقتل الإمام الحسين عليه السَّلام، فجاء في الرواية الأُولى:

(وقدم رسول من قبل يزيد بن معاوية يأمر عبيد الله أنْ يرسل إليه بثقل الحسين، ومن بقي من ولده، وأهل بيته، ونسائه، فأسلفهم أبو خالد ذكوان عشرة آلاف درهم فتجهزوا بها، وقد كان عبيد الله بن زياد لما قُتل الحسين بعث زَحْر بن قيس الجُعْفِي[٣] إلى يزيد بن معاوية يخبره بذلك، فقدم عليه فقال: ما وراءك؟ قال: يا أمير المؤمنين أبشر بفتح الله وبنصره، ورد علينا الحسين بن عليٍّ، في ثمانية عشر من أهل بيته وفي سبعين من شيعته، فسرنا إليهم فخيَّرناهم الاستسلام والنزول على حكم عبيد الله بن زياد، أو

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٦٩؛ الأزدي، تاريخ الموصل، ١/ ٩٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ١٦٤.

(٢) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٣١؛ الأزدي، تاريخ الموصل، ١/ ٩٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٤٧٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ١٥٨.

(٣) يرى ابن العديم أنَّ الذي حمل رأس الإمام الحسين عليه السَلام إلى يزيد هو أحد أفراد الجيش الُأموي الذي قاتل الإمام الحسين عليه السَّلام، تداخل اسمه مع شخص يحمل الاسم نفسه وهو من أصحاب الإمام عليٍّ عليه السَّلام وبايع الإمام الحسن عليه السَّلام وعيَّنه المختار والياً فيما بعد على مدينة جوخى في المدائن، فقال: (والذي يقع لي أنَّ الذي قدم برأس الحسين على يزيد هو غير زحر بن قيس الجعفي.. فيبعُد عندي أنْ يقاتل الحسين ويخرج برأسه ويحضر بين يدي يزيد، ويقول ما قال؛ قول متشف...)، فضلاً عن ذلك فإنَّ قتلة الإمام الحسين عليه السَّلام ومن شارك في قتاله، إمَّا قتله المختار وإمَّا هرب من الكوفة، في حين أنَّ زحراً هذا قد ولاه المختار إحدى المدن... ينظر: ابن العديم، بغية الطلب، ٨/ ٣٧٨٦، وكذلك ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٨/ ص٤٤٥؛ لكنَّ محسن الأمين يرى أنَّه شهد صفين والجمل مع الإمام عليٍّ عليه السَّلام، ثمَّ قاتل الإمام الحسين عليه السَّلام يوم عاشوراء فكانت له خاتمة سوء. محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/ ٣٢٦.

القتال، فاختاروا القتال على الاستسلام، فجعلوا يُبَرْقِطُون إلى غير وَزَرِ ويلوذون منّا بالآكام والأَمَرِ والحُفَرِ لِواذاً كما لاذ الحمائم مِنْ صَقْرٍ، فنصرنا الله عليهم، فو الله يا أمير المؤمنين: ما كان إلَّا جَزْرَ جَزُورٍ أو نَوْمَة قائل حتى كفى الله المؤمنين مَؤُونَتهم، فأتينا على آخرهم فهاتيك أجسادهم مُطرحة مجردة، وخدودهم معفرة، ومناخرهم مرملة، تَسفى عليهم الريح ذيولَها بقيَّ سَبْسَب، تنتابهم عُرُج الضبَاع زُواهم العِقْبَان والرخم، قال: فدمعت عينا يزيد، وقال: قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، وقال: كذلك عاقبة البغي والعقوق، ثمَّ تمثل يزيد:

من يذق الحرب يجد طعمها مراً وتتركه بجعجاع)[1].

الرواية الثانية: ذكر فيها ابن سعد كيفيَّة وصول رأس الإمام الحسين عليه السَّلام إلى يزيد فقال: (وقدم برأس الحسين، مِحْفَزُ بن ثعلبة العائذي[2] -عائذة قريش- على يزيد، فقال: أتيتك يا أمير المؤمنين برأس أحمق الناس وألأمهم، فقال يزيد: ما ولدت أُمُّ مِحْفَزُ أحمق وألأم، لكنَّ الرجل لم يقرأ كتاب الله ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء﴾[3]، ثمَّ قام بالخيزرانة بين شفتي الإمام الحسين عليه السَّلام وأنشأ يقول:

يفلقن هاماً من رجال أعزَّة علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما)[4].

الرواية الثالثة: تناول ابن سعد فيها موقف يزيد من أُسرة الإمام الحسين عليه السَّلام

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٧.

(٢) هو مُحِفَزُ بن ثعلبة بن مرة بن خزيمة بن لؤي من عائذة قريش أرسله عبيد الله بن زياد، هو وشمر بن ذي الجوشن مع سبايا آل محمَّد إلى دمشق.. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٥٧/ ٩٦-٩٨.

(٣) آل عمران، الآية: ٢٦.

(٤) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٧.

وبعض الحوارات التي دارت بينه وبينهم، ومعاملته لهم وكيفيَّة إرجاعهم إلى المدينة، فذكر ذلك تحت عنوان رجع الحديث إلى الأَوَّل فجاء فيها:

(ثمَّ أُتي يزيد بن معاوية بثقلِ الحسين ومن بقي من أهله ونسائه، فأُدخِلوا عليه قد قُرنوا في الحبال، فوقفوا بين يديه، فقال له عليٌّ بن حسين: أُنشدك بالله يا يزيد ما ظنك برسول الله صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم لو رآنا مقرنين في الحبال، أمَا كان يرقُّ لنا، فأمر يزيد بالحبال فقُطعت وعُرف الانكسار فيه، وقالت له سكينة بنت حسين: يا يزيد، أبنات رسول الله صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم سبايا؟!! فقال: يا بنت أخي هو والله أشدُّ عليَّ منه عليكِ، وقال: أقسمت بالله لو أنَّ بين ابن زياد وبين حسين قرابة ما أقدم عليه، ولكن فرقت بينه وبينه سُمية، وقال: قد كنت أرضى من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين، فرحم الله أبا عبد الله عَجَّل عليه ابن زياد، أمَا والله لو كنت صاحبه ثمَّ لم أَقْدِر على دفع القتل عنه إلَّا بنقص بعضٍ من عمري لأحببت أنْ أدفعه عنه، ولوددت أنِّي أُتيت به سالماً، ثمَّ أقبل على عليِّ بن حسين فقال: أبوك قطع رحمي ونازعني سلطاني فجزاه الله جزاء القطيعة والإثم)[1].

الرواية الرابعة: استمر ابن سعد في ذكر موقف يزيد من أُسرة الإمام الحسين عليه السَّلام، فعرج على ذكر موقف زوجته وحتى رجوعهم إلى المدينة، فقال: (وبكت أُمُّ كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كُريز[2] عَلَىَ حسين، وهي يومئذٍ عند يزيد بن معاوية، فقال يزيد: حُقَّ لها أنْ تُعْوِل عَلَى كبير قريش وسيدها. وقالت فاطمة بنت عليٍّ لامرأة يزيد: ما تُرك لنا شيء، فأبلغت يزيد ذلك، فقال يزيد: ما أُتي إليهم أعظم، ثمَّ ما ادعوا

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٨.

(٢) وهي أُمُّ كلثوم ابنة عبد الله بن عامر بن كريز، زوجة يزيد. ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١/ ١٣٥.

شيئاً ذهب لهم إلَّا أضعفه لهم، ثمَّ دعا بعليٍّ بن حسين، وحسن بن حسن، وعمرو بن حسن، فقال لعمرو بن حسن وهو يومئذٍ ابن إحدى عشرة سنة: أتصارع هذا؟ يعني خالد بن يزيد، قال: لا، ولكنْ أَعطني سكيناً وأعطه سكيناً حتى أُقاتله، فضمه إليه يزيد، وقال: شِنْشِنَةٌ أعرفها من أَخْزَمَ، هل تلد الحية إلَّا حية؟! ثمَّ بعث يزيد إلى المدينة، فقُدِم عليه بعِدَّةٍ من ذوي السِّنِّ من موالي بني هاشم، ثمَّ من موالي عليٍّ، وضمَّ إليهم عدَّة من موالي أبي سفيان، ثمَّ بعث بثقل الحسين ومن بقي من نسائه وأهله وولده معهم، وجهزهم بكلِّ شيء، لم يدع حاجة بالمدينة إلَّا أمر لهم بها، وقال لعليٍّ بن حسين: إنْ أحببت أنْ تقيم عندنا فنصل رحمك ونعرف لك حقَّك فعلت، وإنْ أحببت أنْ أردَّك إلى بلادك وأَصلك، قال: بل تردني إلى بلادي، فردَّه إلى المدينة ووصله، وأمر الرسل الذين وجههم معهم أنْ ينزلوا بهم حيث شاءوا، وبعث بهم مع مُحْرز بن حُريث الكلبي[1]، ورجل من بهراء[2]، وكانا من أفاضل أهل الشام)[3].

الرواية الخامسة ذكرها في ترجمته للإمام زين العابدين عليه السَّلام فقال: (فلمَّا أُتي يزيد بن معاوية بثقل الحسين ومن بقي من أهله فأدخلوه عليه، قام رجل من أهل الشام فقال: إنَّ سباءهم لنا حلال، فقال عليُّ بن الحسين: كذبت ولؤمت ما ذاك لك إلَّا أنْ تخرج من ملَّتنا وتأتي بغير ديننا، فأطرق يزيد ملياً ثمَّ قال للشامي: اجلس)[4]، وفي رواية

(١) لم أعثر له على ترجمة ما عدا بعض المعلومات القليلة هو محرز بن حريث بن مسعود الكلبي من بني عدي بن حباب، وهو من أفاضل أهل الشام.. ينظر: ابن نما الحلي، مثير الأحزان، ص١٤٧؛ النمازي، مستدركات علم الرجال، ٦/ ٣٥٠.

(٢) بهراء: وهي إحدى القبائل العربية من قضاعة، نزلت أكثرها بلدة حمص في بلاد الشام. ينظر: السمعاني، الأنساب، ١/ ٤٢٠؛ ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ١/ ١٩٢.

(٣) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٩.

(٤) الطبقات الكبير، ٧/ ٢١٠.

أُخرى أنَّ يزيد لَمَّا وُضِعَ الرأس أمامه (قال له رجل من الأنصار[١] حضَر: ارفع قضيبك هذا فإنِّي رأيت رسول الله يقبل الموضع الذي وضعته عليه)[٢].

الرواية السادسة: (ثمَّ بعث يزيد إلى المدينة: فقُدم عليه بعدَّة من ذوي السِّنِّ من موالي بني هاشم، ثمَّ من موالي عليٍّ، وضمَّ إليهم أيضاً عدَّةً من موالي أبي سفيان، ثمَّ بعث بثقل الحسين ومن بقي من نسائه وأهله وولده معهم، وجهزهم بكلِّ شيء، لم يدع لهم حاجة بالمدينة إلَّا أمر لهم بها، وقال لعليِّ بن حسين: إنْ أحببت أنْ تقيم عندنا فنصل رحمك ونعرف لك حقَّك فعلت، وإنْ أحببت أنْ أردَّك إلى بلادك وأصلك، قال: بل تردني إلى بلادي، فردَّه إلى المدينة ووصله، وأمر الرسل الذين وجههم معهم، أنْ ينزلوا بهم حيث شاءوا، ومتى شاءوا، وبعث بهم مع محرز بن حريث الكلبي، ورجل من بهراء، وكانا من أفاضل أهل الشام)[٣].

وقبل مناقشة روايات ابن سعد وتبيان نقاط القوَّة والضعف فيها، لا بُدَّ لنا من مقارنتها مع ما ذكرته المصادر التاريخيَّة الأُخرى، فقد أشار المؤرخون[٤] إلى موقف يزيد بن معاوية بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام، فذكر ابن قتيبة قول يزيد: (ما علمت بخروج أبي عبد الله حين خرج، ولا بقتله حين قُتل)[٥]، ولم يكتفِ ابن قتيبة بذلك، بل وصف

(١) يرى بعض المؤرخين أنَّ المقصود به هو الصحابي أبو برزة الأسلمي. ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ٤١٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٥/ ٣١٤؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٥/ ٣٤٢؛ المزي، تهذيب الكمال، ٦/ ٤٢٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ٢٠٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/ ٣٠٩.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٨.

(٣) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٨.

(٤) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٣١٠-٣١٤؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ١٢٦-١٣٣؛ ابن عبد ربَّه الأندلسي، العقد الفريد، ٥/ ١٣١-١٣٢؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١١٩-١٢٠؛ المفيد، الإرشاد، ص٢٣٣ - ٢٣٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ٢٠٨-٢١٢.

(٥) الإمامة والسياسة، ٢/ ١٣.

ندم يزيد بقوله: (بكى يزيد حتى كادت نفسه تفيض، وبكى أهل الشام حتى علت أصواتهم...)[١].

وأورد الطبري العديد من الروايات بشأن موقف يزيد، وكعادته في إيراد روايات عدَّة بشأن موقف كهذا، فجاءت رواياته أكثر تفصيلاً وشمولاً[٢]، ولم تختلف رواياته في هذا الشأن عمَّا أورده ابن سعد إلَّا في بعض التفاصيل، مثل ذكر الطبري أنَّ الإمام عليَّ بن الحسين عليهما السَّلام لم يكن يكلِّم أحداً ممَّن رافقهم من الجيش حتى وصلوا الشام[٣]، وذكر موقف يحيى بن الحكم[٤] والمشادَّة التي وقعت بينه وبين يزيد بعد أنْ قال:

لَهَـامٌ بجنب الطف أدنى قرابة ... من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغلُ

سمية أمسى نسلها عدد الحصى ... وبنت رسول الله ليس لها نسلُ

ثمَّ ذكر أنَّ يزيد ضرب صدر يحيى بن الحكم وقال له اسكت[٥].

وعلى هذا المنوال جاءت روايات ابن أعثم الكوفي فأسهب في ذلك، فذكر خطبة الإمام زين العابدين عليه السَّلام التي ابتدأها (من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي، أيها الناس، أنا ابن مكَّة ومنى وزمزم والصفا، أنا ابن خير من

(١) الإمامة والسياسة، ٢/ ١٣.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك، ٥ / ٣١٠ – ٣١٤.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٣١١؛ وينظر: المفيد، الإرشاد، ص٢٣٣–٢٣٤.

(٤) هو يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أُميَّة بن عبد الشمس، يكنى أبا مروان الأُموي، ولاه عبد الملك المدينة ثمَّ عزله عنها لقدومه عليه دمشق دون استئذانه، ثمَّ ولاه حمص وعزله عنها، له موقف مشهود عند قدوم رأس الإمام الحسين عليه السَّلام بمجلس يزيد. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٦٤/ ١١٩–١٢٤.

(٥) تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٣١١؛ وينظر كذلك؛ وينظر: المفيد، الإرشاد، ص٢٣٤. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ٣/ ١٧٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ٢٠٩.

حجَّ وطاف وسعى ولبى، أنا ابن خير من حمل البراق...)[١]، والتي أشار إليها أبو الفرج الأصفهاني فقال: (وهي خطبة طويلة كرهت الإكثار بذكرها، وذكر نظرائها)[٢].

وقد شحَّ الرواة والمؤرخون علينا بذكرها كاملةً واكتفوا بالقول: (فلم يزل يعيد ذلك - أنا أنا - حتى ضجَّ الناس بالبكاء والنحيب)[٣].

ومن خلال ذلك يمكن أن نرى الآتي:

١- قدَّم ابن سعد مادَّة تاريخيَّة واسعة عن موقف يزيد بن معاوية من أُسرة الإمام الحسين عليه السَّلام وإنْ كانت مختصرة نوعاً ما إذا ما قورنت بما ذكره الطبري وابن أعثم الكوفي، وربما كون مؤلَف ابن سعد يختلف في منهجيته عمَّا كتبه الطبري وابن أعثم الكوفي، وعلى الرغم من أنَّ مادَّته بهذا الشأن تميزت بالدِّقَّة والموضوعيَّة إلَّا أنَّه أغفل عن ذكر بعض الحوادث، مثل عدم ذكره منازل الطريق من الكوفة إلى الشام وموقف الإمام السجاد عليه السَّلام من الجيش المرافق لأُسرة آل محمَّد، وكذلك عدم ذكره بعض مواقف الأُمويين مثل يحيى بن الحكم، وهو من انعكاسات النهضة الحسينيَّة في صميم البيت الأُموي، فكانت تلك المواقف مضافاً إليها موقف زوجة يزيد بن معاوية هي ما جعلت يزيد مضطراً إلى أنْ يسمح بقيام عزاء الإمام الحسين عليه السَّلام في مقرِّ حكمهم[٤].

٢- نستطيع القول إنَّ ابن سعد له السبق الزمني في ذكره أنَّ يزيد هو من بعث برسول إلى عبيد الله بن زياد يأمره أنْ يرسل إليه بثقل الإمام الحسين عليه السَّلام ومن بقي من

---

(١) الفتوح، ٥/ ١٢٦-١٣٣.

(٢) مقاتل الطالبيين، ص١٢٠.

(٣) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٥/ ١٣٣؛ البحراني، العوالم، ص ٤٣٨-٤٤٠؛ محسن الأمين، لواعج الأشجان، ص٢٣٤- ٢٣٦.

(٤) ابن الصباغ، الفصول المهمَّة، ص٢٩١.

ولده وأهل بيته ونسائه، فكان سبي أُسرة الحسين عليه السَّلام بعلمه وبأمر منه، ولم يكن إجراءً اتخذه عبيد الله بن زياد بمفرده، وإنما كان تنفيذاً لأوامر السُّلطة الأُمويَّة في دمشق.

ويُعدُّ حمل نساء آل محمَّد من بلد إلى بلد من أَشدِّ الأُمور على أهل البيت عليهم السَّلام، وهي سنة أُمويَّة لم تحدث في الإسلام ولم يفعلها الأُمويون أنفسهم حين قتلوا ابن الزبير وصلبوه، وقد وصف هذا الأمر عبد الله بن عباس في كتابه ليزيد بالقول: (ألا ومن أعجب الأعاجيب، وما عشت أراك الدهر العجب، حملك بنات عبد المطلب وغلمة صغاراً من ولده إليك بالشام كالسبي المجلوب...)[١].

٣- نرى أنَّ ابن سعد ركز على إيراد العديد من الروايات التي تشير إلى ندم يزيد وحزنه على استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام: (فدمعت عينا يزيد، وقال: قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين)، وذكر في موضع آخر (فأمر يزيد بالحبال فقطعت، وعُرف الانكسار فيه)، وذكر كذلك (فرحم الله أبا عبد الله عَجل عليه ابن زياد، أمَا والله لو كنت صاحبه ثمَّ لم أَقْدِر على دفع القتل عنه إلَّا بنقص بعضٍ من عمري لأحببت أنْ أدفعه عنه، ولوددت أنِّي أُتيت به سالماً)، وذكر أنَّ يزيد قال لزوجته: (حُقَّ لها أنْ تُعوِل عَلَى كبير قريش وسيدها).

وعلى الرُغم من أنَّ موقف يزيد هذا يُعدُّ من انعكاسات النهضة الحسينيَّة على هرم الحكم الأُموي، لكنْ يستنتج من رواياته عن ندم يزيد وحزنه الشديد وغضبه على عبيد الله بن زياد وتحميله مسؤولية قتل الإمام الحسين عليه السَّلام، وهو بذلك جانَبَ الصواب، فمن المعلوم أنَّ يزيد بن معاوية هو مَن أصدر الأوامر بقتل الإمام الحسين عليه

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٧٤.

السَّلام إنْ لم يبايعه منذ أنْ تولى السُّلطة بعد هلاك معاوية[١]، فضلًا عن مكافأته ابن زياد ورضاه عنه.

بل نجد ابن سعد بسوقه تلك الروايات التي تنمُّ عن ندم يزيد، قد ناقض نفسه بدليل أنَّه ذكر قول يزيد (كذلك عاقبة البغي والعقوق)، و تمثله بالآية الكريمة ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء﴾[٢]، ظناً مِن يزيد أنَّه بقتل الإمام الحسين عليه السَّلام قد تحقق النصر له، وهو ما أجابت عنه عقيلة الطالبيين السيدة زينب عليها السَّلام بقولها: (أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تُساق الإماء، أنَّ بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامة، وأنَّ ذلك لعظيم خطرك عنده، فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأُمور لك متسقة...)[٣].

وكذلك ناقض ابن سعد نفسه في موضع آخر بذكره رواية عن لسان أُمويٍّ من الفرع المرواني يصرِّح علناً بمسؤوليَّة يزيد بقتل الإمام الحسين عليه السَّلام فقال: (وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف، أمَّا بعد يا حجاج، فجنبني دماء بني عبد المطلب فإنِّي رأيت آل حرب لما قتلوهم لم يُنَاظَروا)[٤].

وما ذكره ابن سعد وغيره من الرواة والمؤرخين حول بكاء يزيد وندمه تبناها العديد من المؤرخين والفقهاء وغيرهم، وهو ما صرَّح به الغزالي بقوله: (وقد صحَّ إسلام يزيد،

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٦٨.

(٢) آل عمران، الآية: ٢٦.

(٣) ابن طاووس، الملهوف، ص٢١٥؛ وينظر: ابن طيفور، بلاغات النساء، ص٢١-٢٢؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٦/ ٢٦٢-٢٦٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، ١٣٣-١٣٦.

(٤) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٦.

وما صحَّ قتله الحسين، ولا أمر به، ولا رضيه، ولا كان حاضراً حين قتل ولا يجوز أنْ يُظن ذلك به، فإنَّ إساءة الظنِّ بالمسلم حرام ومن زعم أنَّ يزيد أمر بقتل الحسين فينبغي أنْ يعلم أنَّه به غاية الحمق)[١]، وهذا الرأي تبنّاه ابن حجر الهيثمي فقال: (وبه أفتى الغزالي -أي عدم لعن يزيد- وأطال في الانتصار له، وهذا هو اللائق بقواعد أئمتنا بما صرَّحوا به من أنَّه لا يجوز أنْ يلعن شخص بخصوصه إلَّا أنْ علم موته على الكفر.. ولو سلَّمنا أنَّه أمر بقتل الحسين، وسُرَّ به لأنَّ ذلك خبث لم يكن عن استحلال أو كان عنه، لكنْ بتأويل ولو باطلاً...)[٢].

وكذلك أشار ابن تيمية إلى تبرئة ساحة يزيد فقال: (وإنَّه ظهر في داره الندب لقتل الحسين،... وأنَّه خَيَّرَ ابنه علياً بين المقام عنده والسفر إلى المدينة، فاختار السفر إلى المدينة فجهَّزه إلى المدينة جهازاً حسناً)[٣]، وعلى هذا المنوال سار تلميذه ابن كثير فحاول تبرئة يزيد والنأي به عن مسؤوليَّة قتل الإمام الحسين عليه السَّلام فقال: (ولكنْ لم يكن ذلك من علم منه، ولعلَّه لم يرضَ به ولم يسوءه)[٤].

لكنَّنا نجد أنَّ ابن الأثير أوضح موقف يزيد من ابن زياد بشكل صريح فقال: (لمَّا وصل رأس الحسين إلى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده وزاده ووصله وسرَّه ما فعل، ثمَّ لم يلبث إلَّا يسيراً، حتى بلغه بغض الناس له ولعنهم وسبَّهم، فندم على قتل الحسين...)[٥]، وفند سبط ابن الجوزي ندم يزيد وغضبه على ابن زياد بقوله: (والدليل

(١) العاملي، الانتصار، ٨/ ٣٩٧، ٤٤٩؛ وينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/ ٢٨٨-٢٩٩.
(٢) الصواعق المحرقة، ص٢٧٣.
(٣) رأس الحسين، ص٢٠٧.
(٤) البداية والنهاية، ٦/ ٢٥٦.
(٥) الكامل في التاريخ، ٣/ ٥٣٨.

على صحة هذا -أي رضاه على ابن زياد- أنَّه استدعى ابن زياد وأعطاه أموالاً عظيمة وتحفاً كثيرة، وقرَّب مجلسه، ورفع منزلته، وأدخله على نسائه، وجعله نديمه، وسكر ليلة فقال للمغني، غنِّ، ثمَّ قال يزيد بديهاً:

اسقني شربة تروي فؤادي ... ثمَّ مل فَاسْقِ مثلها ابن زياد

صاحب السرِّ والأمانة عندي ... ولتسديد مغنمي وجهادي

قاتل الخارجي أعني حسيناً ... ومبيد الأعداء والحساد[1]

في حين علل السيوطي ندم يزيد بقوله: (فسرَّ بقتلهم أوَّلاً ثمَّ ندم لَّما مقته المسلمون على ذلك، وأبغضه الناس، وحقَّ لهم أنْ يبغضوه)[2].

ويرى إبراهيم بيضون أنَّ قضية الإمام الحسين عليه السَّلام تحوَّلت إلى مأساة دمويَّة (اضطربت لها ضمائر المسلمين واهتزت أركان النظام الأُموي ومعه الخليفة نفسه الذي حاول مسح يديه من المجزرة وإلصاقها بابن زياد)[3].

وهكذا نجد أنَّ روايات ابن سعد جانبت الصواب في موقف يزيد بن معاوية من قتل الإمام الحسين عليه السَّلام، وأنَّ ابن سعد حاول بسوقه تلك الروايات التي ذكرت ندمه، تبرئة ساحة يزيد من مسؤوليَّة قتل الإمام الحسين عليه السَّلام وتحميلها إلى ابن زياد وأهل الكوفة فقط، وبذلك أصَّل لتلك الفكرة لمن جاء بعده من المؤرخين.

٤- أورد ابن سعد بعض الروايات التي لا يمكن الركون إليها والقبول بها ومنها أنَّ فاطمة بنت عليٍّ عليهما السَّلام قالت لامرأة يزيد: (ما تُرك لنا شيء، فأبلغت يزيد ذلك،

---

(١) تذكرة الخواص، ٢/ ٢٧٧-٢٧٨؛ ينظر: ابن حجر الهيثمي، الصواعق المحرقة، ص٢٤٦.

(٢) تاريخ الخلفاء، ص٢٠٤-٢٠٥.

(٣) إبراهيم بيضون، من دولة عمر إلى دولة عبد الملك، ص١٨٨.

فقال يزيد: ما أُتي إليهم أعظم، ثمَّ ما ادَّعوا شيئاً ذهب لهم إلَّا أضعفه لهم)[١]، وأي شيء يمكن أنْ يعوضهم يزيد به عمَّا فقدوه بعدما استشهد الإمام الحسين عليه السَّلام وتلك الثلة الطاهرة من أهل بيته وصحبه، وسوقه بنات الرسول سبايا، والدسُّ والتحريف واضح في هذه الرواية، وبالرجوع إلى الطبري نجد تلك الرواية مصدرها عوانة بن الحكم المعروف بهواه الأُموي[٢] والذي ختمها بقول سكينة بنت الحسين عليهما السَّلام على أثر كرم يزيد حسب زعم عوانة بن الحكم: (ما رأيت رجلاً كافراً خيراً من يزيد بن معاوية)[٣]، ويُستبعد أنْ يقول أحد من أُسرة الإمام الحسين عليه السَّلام مثل هذا الكلام لما عُرف عنهم من دين وعزَّة وإباء تمنعهم من ذلك، وإنَّما جاء ذكر مثل هذه الأُمور لمحاولة التقليل من شأن أهل البيت ومكانتهم ومواقفهم المشرفة في مقرِّ الحكم الأُموي.

٥- بيَّن ابن سعد في روايته الخامسة كيف أنَّ الإمام زين العابدين عليه السَّلام أفحمَ الشامي بجوابه، فذكر جواب يزيد بعد أنْ فكر الأخير ملياً في قول الإمام عليه السَّلام بخروج الشامي من الملَّة حتى يستحل السبي لهم، وفي حين نجد أنَّ ابن سعد قد نسب ردَّ للإمام زين العابدين عليه السَّلام إلى السيدة زينب عليها السَّلام وجواباً عن كلام يزيد[٤].

٦- انفرد ابن سعد بالقول إنَّ يزيد بعث إلى المدينة فَقُدِم عليه بعدَّة من ذوي السِّنِّ من موالي بني هاشم ومن موالي الإمام عليٍّ عليه السَّلام وضمَّ إليهم موالي أبي سفيان، فضلاً عن رجلين من أفاضل أهل الشام، بل نجد ابن نما الحلي شكك في إرسال هذين الرجلين مع أُسرة الإمام الحسين عليه السَّلام، وإنَّما بعثهم يزيد

---

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٩.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ١٦/ ١٣٧؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ٤/ ٣٨٦.

(٣) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٣١٢-٣١٣؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٠/ ٤٧٠.

(٤) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٣١٢-٣١٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٥٣٧.

لإخبـار والي المدينـة بقتلهـم الإمـام الحسـين عليه السَّـلام وعترتـه الطاهرة[١].

ويبدو من تسويق رواية ندم يزيد محاولة لتخفيف الوطأة عنه، وتجد له مخرجاً بعدم تحمله مسؤوليَّة ما جرى وندمه على ذلك، لكنَّها في الوقت نفسه بينت انعكاساً للنهضة الحسينيَّة على هرم السُّلطة الأُمويَّة حتى اضطر يزيد بن معاوية لمحاولة كسب ودِّ أُسرة الإمام الحسين عليه السَّلام؛ ولذلك نجد أنَّ الروايات تشير إلى أنَّ موقف يزيد تغير أُسلوبه وطريقته معهم، ويبدو أنَّ يزيد شعر بخطورة موقفه إذا استمروا بالبقاء في دمشق؛ ولذلك خيَّرهم بين البقاء أو المسير إلى المدينة، وكان متأكداً أنَّهم سوف يختارون الرجوع على البقاء في دمشق فأرسل معهم رجالاً من أفاضل أهل الشام وأمرهم بحسن معاملتهم.

وهذه الرواية التي تؤكد بحسن معاملة يزيد لأُسرة الإمام الحسين عليه السَّلام وإرساله وفداً بهذه التركيبة من الرجال، وأنَّه استجاب لطلبات أُسرة الإمام الحسين عليه السَّلام وجهزهم بأفضل جهاز حتى يبلغوا مدينة الرسول، نستنتج أنَّ الإمام زين العابدين عليه السَّلام كانت أُولى مطالبه هي رأس الإمام الحسين ورؤوس الشهداء من أهل بيته وصحبه، فمن غير المنطقي أنْ يكون هناك شيء أغلى وأثمن من مطلبهم هذا، وكذلك من المؤكد أنَّ يزيد قد استجاب لهذا الطلب؛ لأنَّه كان مضطراً لكسب ودِّ أُسرة الإمام الحسين عليه السلام بعد ما علم بعظم الخطب الذي ارتكبه في قتل الإمام الحسين عليه السَّلام وسبي نسائه وعياله وسخط عامة المسلمين عليه، فضلاً عن ذلك مظاهر التأثير التي تركتها خطابات أُسرة الإمام الحسين عليه السَّلام وتأثر المجتمع الدمشقي بها، ممَّا جعل يزيد يستشعر حالة الخطر من صوت تحوِّلٍ فكريٍّ في الأوساط الاجتماعية في حال بقائهم في دمشق.

(١) مثير الأحزان، ص١٤٧؛ ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ٤٥/ ١٢٣.

المحور الثالث: موقف السُّلطة الأُمويَّة في المدينة المنورة:

تناول ابن سعد روايات عدَّة بشأن بعض المواقف والانعكاسات التي حدثت في المدينة المنورة بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام فذكر روايته الأُولى بشأن والي الأُمويين جاء فيها:

(وبعث يزيد برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد بن العاص -الأشدق- وهو عامل له يومئذٍ على المدينة، فقال عمرو: وودت أنَّه لم يبعث به إليَّ، فقال مروان: اسكت، ثمَّ تناول الرأس فوضعه بين يديه، وأخذ بأرنبته فقال:

يا حبذا بردك في اليدين ... ولونك الأحمر في الخدين

كأنَّما بانا بُمِجسَدَيْنِ

والله لكأنِّي أنظر إلى أيام عثمان، وسمع عمرو بن سعيد الصيحة من دور بني هاشم فقال:

عجت نساءُ بني زياد عجة ... كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

والشعر لعمرو بن معد يكرب[١] في وقعة كانت بين بني زبيد وبين بني الحارث ابن كعب، ثمَّ خرج عمرو بن سعيد إلى المنبر فخطب الناس، ثمَّ ذكر حسيناً وما كان من أمره، وقال: والله لوددت أنَّ رأسه في جسده وروحه في بدنه، يسبّنا ونمدحه، ويقطعنا ونصله كعادتنا وعادته، فقام ابن أبي حبيش[٢]، أحد بني أسد بن عبد العزى بن قصي

(١) هو عمرو بن معد بن يكرب بن عبد الله بن عمرو بن عصم، الشاعر الفارس المشهور، له وفادة على النبيِّ مع وفد زبيد، شهد القادسية واليرموك وهو أحد الشجعان المذكورين، توفي في حكم معاوية بن أبي سفيان.. ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤/ ٩٨-٩٩؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ٤/ ٥٦٨-٥٧٤.

(٢) هو ابن أبي حبيش بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة القرشي، واسم أبي حبيش قيس، ومن أبناء أبي حبيش السائب، وفاطمة، وغيرهما. ينظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ٤/ ٢٤١؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ٢/ ٢٥٠؛ المزي، تهذيب الكمال، ٣٥/ ٢٥٤؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ٣/ ١٥-١٦.

فقال: أمَا لو كانت فاطمة حية لأحزنها ما ترى، فقال عمرو: اسكت لا سكت، أتنازعني فاطمة وأنا من عفر[١] ظبابها، والله إنَّه لابننا وإنَّ أُمَّه لابنتنا، أجل والله لو كانت حية لأحزنها قتله، ثمَّ لم تلُم من قتله يدفع عن نفسه، فقال ابن أبي حبيش: إنَّه ابن فاطمة، وفاطمة بنت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى)[٢].

أورد بعض المؤرخين موقف الأُمويين في المدينة بشيء مختلف عمَّا ذكره ابن سعد، فذكروا أنَّ عبيد الله بن زياد لَّما قتل الإمام الحسين عليه السَّلام أرسل رسولاً إلى المدينة ليعلمهم الخبر وطلب منه أنْ يحثَّ السير خوفاً من وصول خبر مقتل الإمام الحسين عليه السَّلام قبله (انطلق حتى تأتي المدينة ولا يسبقك الخبر)[٣]، فلماَّ وصل الرسول أخبر عمرو بن سعيد والي المدينة، فقال له سعيد: (نادِ بقتله، قال: فناديت بقتله، فلم أسمع والله واعية قط مثل واعية نساء بني هاشم في دورهن على الحسين، فقال عمرو بن سعيد وضحك:

عـجَّـت نـسـاء بـني زيـاد عجة   كعجيج نسوتنا غـداة الأرنـب

ثمَّ قال عمرو: هذه واعية بواعية عثمان بن عفان، ثمَّ صعد المنبر فأعلم الناس قتله)[٤].

وذكر ابن سعد موقف أُمِّ سلمة في روايتين بسنده عن شهر بن حوشب[٥] فقال: (إنَّا

---

(١) عفر: هو البياض الذي تعلوه الحمرة. ينظر: الجوهري، الصحاح، ٢/ ٧٢؛ الزمخشري، أساس البلاغة، ص٦٤٢.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٩-٤٥٠.

(٣) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٣١٤.

(٤) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٣١٤؛ ينظر: المفيد، الإرشاد، ص٢٣٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٥٣٩-٥٤٠.

(٥) شهر بن حوشب الأشعري وكنيته أبو عبد الرحمن، أصله من دمشق وسكن البصرة، روى عن أُمِّ سلمة وعبد الله بن عمر، ضعَّفه ابن سعد وأحمد بن حنبل والعقيلي، وذكره النسائي في الضعفاء والمتروكين وابن حبان في المجروحين، توفي عام (١١٢هـ)، وفي قول (٩٨هـ)... ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٩/ ٤٥٢؛ أحمد بن حنبل، العلل، ٣/ ٢٦؛ النسائي، الضعفاء والمتروكين، ص١٩٤؛ العقيلي، ضعفاء العقيلي، ٢/ ١٩١-١٩٢؛ ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل، ١/ ١٤٤، ابن حبان، المجروحين، ١/ ٣٦٢.

لعند أُمِّ سلمة زوج النبيِّ صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم، قال: فسمعنا صارخة، فأقبلت حتى انتهت إلى أُمِّ سلمة فقالت: قُتل الحسين، قالت فعلوها، ملأ الله بيوتهم أو قبورهم عليهم ناراً، ووقعت مغشياً عليها، قال: وقمنا)[١]، ثمَّ أورد رواية ثانية كذلك بسنده عن شهر بن حوشب أنَّه قال: (سمعت أُمَّ سلمة حين أتاها قتل الحسين لعنت أهل العراق، وقالت: قتلوه قتلهم الله، غروه وذلوه لعنهم الله)[٢].

وردت روايتا ابن سعد لدى العديد من المؤرخين[٣]، وكلُّ هؤلاء رووها بسندهم عن شهر بن حوشب، والذي عدَّه ابن سعد ضعيفاً في الحديث[٤]، وكذلك ضعفه وتركه آخرون[٥].

بينما أشارت بعض المصادر التاريخيَّة إلى أنَّ أُمَّ سلمة كانت أَوَّل مَن علمت باستشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام، فذكر اليعقوبي: (أَوَّل صارخة صرخت في المدينة أُمُّ سلمة زوج رسول الله، كان دفع إليها قارورة فيها تربة، وقال لها: «**إنَّ جبريل أعلمني أنَّ أُمَّتي تقتل الحسين، وأعطاني هذه التربة**»، وقال لي: «**إذا صارت دماً عبيطاً فاعلمي أنَّ الحسين قد قتل**»[٦]، وكانت عندها، فلماَّ حضر ذلك الوقت جعلت تنظر إلى القارورة كلَّ ساعة، فلـمَّا رأتها قد صارت دماً صاحت: واحسيناه!

---

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٢.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٣.

(٣) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٦/ ٢٩٨؛ الطبراني، المعجم الكبير، ٣/ ١٠٨؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، ٣/ ٥٤٥؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١٤٠، ١٤٢؛ الإربلي، كشف الغمة، ٢/ ٢٧٠.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبير، ٩/ ٤٥٢.

(٥) أحمد بن حنبل، العلل، ٣/ ٢٦؛ النسائي، الضعفاء والمتروكين، ص١٩٤؛ العقيلي، ضعفاء العقيلي، ٢/ ١٩١-١٩٢؛ ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل، ١/ ١٤٤، ابن حبان، المجروحين، ١/ ٣٦٢.

(٦) الطبراني، المعجم الكبير، ٣/ ١٠٨؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/ ١٨٩؛ الزرندي، نظم درر السمطين، ص٢١٥.

وابـن رسـول الله! وتصارخت النسـاء في كلِّ ناحية، حتـى ارتفعت المدينـة بالرجة التي ما سـمع بها قـط)[1].

من خلال كلِّ ما تقدَّم يمكننا القول:

١- اختلفت رواية ابن سعد عمَّا ذكره المؤرخون في كيفيَّة وصول خبر استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام إلى المدينة، فذكر أنَّ أهل المدينة وواليها عمرو بن سعيد علموا بذلك لَّما وصل رأس الإمام الحسين عليه السَّلام الذي بعثه يزيد إليهم، في حين أورد بعض المؤرخين أنَّ عبيد الله بعث رسولاً إليهم أخبرهم بما حدث للإمام الحسين عليه السَّلام.

ويبدو أنَّ ما ذكره ابن سعد لم يكن دقيقاً، فمن المعلوم أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام استشهد يوم العاشر من المحرَّم وبُعث برأسه إلى الشام ثمَّ حُمل إلى المدينة، وهذا يعني أنَّه استغرق وقتاً ليس بالقصير ومن غير المنطقي أنَّ كلَّ هذه المدَّة لم يصل خبر استشهاده إلى المدينة، في حين أنَّ الطريق سالك بينها وبين الكوفة، ولذلك نجد ابن كثير حدد أربعة وعشرين يوماً لوصول خبر استشهاده إلى المدينة[2]، والظاهر أنَّ ما ذكره بعض المؤرخين بأنَّ ابن زياد أرسل رسولاً من قبله هو أقرب للصواب من رواية ابن سعد.

٢- لم تشر رواية ابن سعد إلى أنَّ أهل البيت قد عرجوا على كربلاء حين قدموا من دمشق، بينما أشار بعض المؤرخين المتأخرين لذلك، وأنَّهم وافوا كربلاء ووجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري وعدَّة من بني هاشم وردوا لزيارة الإمام الحسين عليه السَّلام

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١٧١؛ ينظر: الخصيبي، الهداية الكبرى، ص١٩٦؛ المفيد، الإرشاد، ص٢٤٠؛ الطوسي، الأمالي، ص٣١٥؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١٩٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٥٤٣؛ ابن العديم، بغية الطلب، ٦/ ٢٥٩٨؛ المزي، تهذيب الكمال، ٦/ ٤٠٩؛ اليافعي، مرآة الجنان، ١/ ١٠٨؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/ ١٨٩؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، ١٢/ ٢٣٨.

(٢) البداية والنهاية، ٨/ ٢١٨.

وأقاموا أياماً على مصرعه[١].

٣- تبيَّن من رواية ابن سعد أنَّ والي الأُمويين على الرغم من تشفيه وسروره باستشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام كان مضطراً أنْ يراعي رأي المجتمع في المدينة، فبيَّن من خلال خطبته التي زعم فيها أنَّه كان يتمنى أنْ يبقى الإمام الحسين عليه السَّلام حياً ولم يحصل له ما حصل، وليس غريباً أنْ يحاول الأُمويون دائماً ربط استشهاد الحسين عليه السَّلام بمقتل عثمان بن عفان، على الرغم من عدم وجود أيِّ مسوِّغ أو سبب حقيقي في ذلك، إلَّا شعورهم بسخط المجتمع الإسلامي على سياسة عثمان بسبب تقريبه لأبناء عمومته من الأُمويين الذين أفسدوا عليه حكمه، ومن ثمَّ كانوا سبباً في مقتله، ولذلك نجد الدونية والشعور بالذنب يلاحق أغلب أفراد البيت الأُموي كلَّما مرَّ ذكر مقتل عثمان بن عفان، فحاولوا جاهدين في كلِّ مناسبة رمي مقتله على الإمام عليٍّ عليه السَّلام وأهل بيته.

٤- إنَّ ما ذكره ابن سعد وغيره من المؤرخين من أنَّ أُمَّ سلمة علمت باستشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام في ذات الوقت الذي علم فيه أهالي المدينة، يوحي بعدم صحَّة حديث الرسول صلى الله عليه وآله لأُمِّ سلمة بإعطائها قبضة من تراب كربلاء واحتفاظها به وتحوله إلى دمٍ عبيطٍ يوم العاشر من المحرم، وهذا الأمر لا يمكن القبول به اللهم إلَّا إذا كانت علمت باستشهاده وكتمت هذا الأمر، وهو ما ذهب إليه الشيخ المفيد عن قولها: (فصِحتُ في بيتي وكظمت غيظي مخافة أنْ يسمع أعداؤهم بالمدينة فيسرعوا بالشماتة، فلم أزل حافظة للوقت حتى جاء الناعي ينعاه فحقق ما رأيت)[٢].

(١) ابن طاووس، الملهوف على قتلى الطفوف، ص٢٢٥، ابن نما الحلي، مثير الأحزان، ص١٦٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٥/ ١٤٦؛ البحراني، العوالم، ص٤٤٦؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة، / ٦١٧و٤/ ٤٧؛ ولواعج الأشجان، ص٢٣٩-٢٤٠.

(٢) الإرشاد، ص٢٤٠.

وأمَّا ما ذكره ابن سعد وغيره من المؤرخين على قول أُمِّ سلمة بأنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام غُرر به فهو لا يمكن الركون إليه، حيث إنَّه عليه السَّلام أكبر وأجل من أنْ يُغرر به ويساق إلى حتفه، وهذه الرواية فيها إشارة ضمنيَّة في إظهار الإمام الحسين عليه السَّلام بمظهر المتسرِّع وغير المتأني ولم يحسب حساباً دقيقاً لخطواته، في حين كان على النقيض من هذا كلِّه، فهو على بيّنة تامَّة من أمره ومِمَّا يقوم به، وقد أشار الخصيبي إلى الكلام الذي دار بين أُمِّ سلمة وبين الإمام الحسين عليه السَّلام في أثناء خروجه من المدينة، فقال لها: (والله يا أُمّ إنِّي لأعرف اليوم الذي أُقتل فيه والساعة التي أُحمل فيها والحفرة التي أُدفن فيها، وأعرف قاتلي ومحاربي والمجلب عليَّ، والسائق والقائد والمحرض، ومن هو قاتلي ومن يحرضه ومن يُقتل معي من أهلي وشيعتي رجلاً رجلاً، وأحصيهم عدداً وأعرفهم بأعيانهم وأسمائهم وقبائلهم وعشائرهم كما أعرفك...)[1].

يبدو مِمَّا ذكره ابن سعد وغيره من المؤرخين أنَّ هناك موقفاً خاصاً من أُمِّ سلمة بشأن استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام أظهر مدى حزنها وشدَّة غضبها على استشهاده، وكلُّ ذلك جاء لعلم أُمِّ سلمة بمكانة الإمام الحسين عليه السَّلام ومنزلته عند الله والرسول صلَّى الله عليه وآله، ومن الطبيعي أنْ يكون موقفها سبباً في تأليب الناس وغضبها على دولة بني أُميَّة ومن ثَمَّ تقويض حكمهم والقضاء عليه، بما حصل من الحركات الثورية وخاصة في الحجاز والتي كانت انعكاساً للنهضة الحسينيَّة.

٥- ساق ابن سعد روايته التي ذكر فيها المشادَّة التي وقعت بين والي المدينة وبين شخص يدعى ابن أبي حبيش، تبيَّن من خلالها أنَّ هذا الرجل حاول أنْ ينتصر للإمام الحسين عليه السَّلام كونه ابن فاطمة ابنة خديجة أُمِّ المؤمنين وهي من بني أسد، مِمَّا اضطر

(١) الخصيبي، الهداية الكبرى، ص١٩٦.

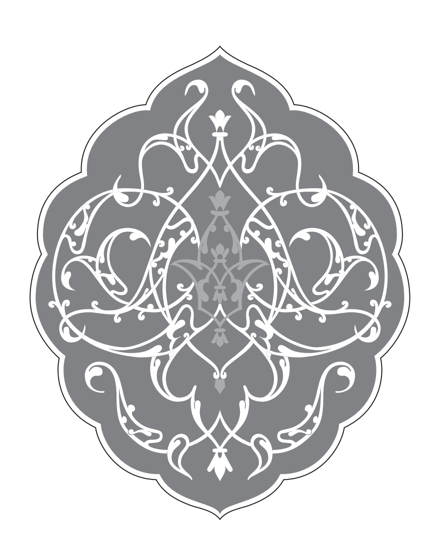
والي المدينة أنْ يذكِّر الحاضرين في مسجد رسول الله أنَّ فاطمة عليها السَّلام هي ابنة عمِّ يزيد والأُمويين، فهم أبناء عمومتهم وأنَّهم كانوا مضطرين للدفاع عن أنفسهم بقتلهم الحسين عليه السَّلام، وهكذا نجد ابن سعد مرَّة أُخرى بسوقه تلك الرواية يحاول تحجيم النهضة الحسينيَّة، وذلك بجعلها حادثة حصلت بين الأُسرة الهاشميَّة والأُسرة الأُمويَّة، وأنَّهم أبناء عمومة اضطرت إحدى الأُسر وهي أُسرة بني أُميَّة للدفاع عن نفسها، وجاءت الرواية كمحاولة لإفراغ النهضة من محتواها الحقيقي في الدفاع عن بيضة الإسلام وجوهره وإرجاعه إلى أُسسه الحقَّة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وآله، وفوق كلِّ هذا وذاك حاول الأُمويون من خلالها تخطئة الإمام الحسين عليه السَّلام وإيهام الناس بأنَّ فعلتهم هذه لا تؤدِّي إلى غضب فاطمة عليها السَّلام، وهو في الحقيقة غاية في الاستخفاف بعقول الناس وعواطفهم، فمن غير المنطقي أنْ يتقبل أيُّ مسلم قول عمرو بن سعيد الأشدق: (أجل والله لو كانت حية لأحزنها قتله، ثمَّ لم تَلُم من قتله يدفع عن نفسه...)[1].

ويبدو من تلك الرواية أنَّ هذا الشخص انتصر لقرابة خديجة وكان الأجدر به أنْ ينتصر لقرابة رسول الله صلَّى الله عليه وآله، وعلى فرضيَّة صحَّة الرواية التي لم يذكر ابن سعد سندها للتحقق من وثاقة رجالها، نستنتج من هذا حالة مجتمع المدنية وما وصل إليه آنذاك من عدم الاكتراث بالدفاع عن القيم الإسلاميَّة والذود عنها؛ ولذلك نجد أنَّ حكومة بني أُميَّة في المدينة كانت لها من القوَّة والسطوة أكثر بكثير من حكومة مكَّة المكرمة، ودليلنا في ذلك أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام غادر المدينة بعد تسلُّم يزيد الحكم مباشرة،في حين استقرَّ ما يقارب أربعة أشهر في مكَّة، وكذلك لم تذكر لنا المصادر التاريخيَّة

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٠.

أنَّ هناك مَن التحق من أهل المدينة بالإمام الحسين عليه السَّلام، وعلاوة على ذلك بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام وفي عام (٦٣هـ) بعث أهل المدينة وفداً من عِلية القوم للاستفهام عن صحَّة ما نُسب ليزيد من فسق وفجور[١].

والظاهر أنَّ مجتمع المدينة كان في سبات عميق قبل استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام، وكانت تلك المواقف المحدودة لبعض الشخصيات فيها هي البدايات التي استطاعت أنْ تنمي نار الثورة في المدينة ضدَّ الأمويين، حتى وصلت في نهاية المطاف إلى ثورة حقيقيَّة انتهت بتلك المأساة المعروفة بواقعة الحرة (عام ٦٣هـ)[٢]، والتي راح ضحيتها الآلاف من أبناء الأنصار والمهاجرين، لكنَّها كانت إحدى نتائج النهضة الحسينيَّة التي عصفت في نهاية المطاف بحكم بني أُميَّة.



(١) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص٢٢٣.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص٢٣٦.

المبحث الثاني: الإعجاز الإلهي وتداول الشعر في النهضة الحسينيَّة:

أوَّلاً: الإعجاز الإلهي وانعكاساته على الأُمَّة:

روى ابن سعد قول أُمِّ سلمة: (سمعت الجنَّ تنوح على الحسين)[١]، وأورد كذلك قول بعضهم: (لَمَّا قُتل الحسين بن عليٍّ مطرت السماء دماً، فأصبحت خيامنا وكلُّ شيء منا مُلِئ دَماً)[٢]، و(مُطرنا دماً يوم قُتل الحسين)[٣]، وفي رواية أُخرى ذُكر أنَّ عبد الملك بن مروان سأل الزهري (ما كان علامة مقتل الحسين؟ قال: لم تكشف يومئذٍ حجراً إلَّا وجدت تحته دماً عبيطاً، فقال عبد الملك: أنا وأنت في هذا غريبان)[٤]، وذُكر أنَّ عبد الملك بن مروان سأل ابن رأس الجالوت (هل كان في قتل الحسين علامة؟ فقال ابن رأس الجالوت: ما كُشف يومئذٍ حجر إلَّا وجد تحته دم عبيط)[٥]، وروي كذلك (إنَّ الشمس تطلع محمرَّة على الحيطان والجُدُر بالغداة والعشي،.. وكانوا لا يرفعون حجراً إلَّا وجدوا تحته دماً)[٦]، ونقل ابن سعد عن محمَّد بن سيرين قوله: (لم تُرَ هذه الحمرة في آفاق السماء حتى قُتل الحسين بن عليٍّ رحمه الله)[٧]، وعن ابن سيرين أيضاً: (لم تكن تُرى هذه الحمرة في السماء عند طلوع الشمس وغروبها حتى قُتل الحسين)[٨].

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٤.
(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٥.
(٣) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٥.
(٤) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٥؛ و٧/ ٤٣٢.
(٥) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٥.
(٦) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٥.
(٧) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٥.
(٨) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٥.

وكذلك أورد ابن سعد رواية في هذا الشأن كأنَّه أراد بها توثيق ما تقدَّم من رواياته فقال: (أخبرنا عليُّ بن محمَّد[١]، عن عليِّ بن مدرك[٢]، عن جدِّه الأسود بن قيس[٣] قال: أحمرَّت آفاق السماء بعد قتل الحسين ستة أَشهُر يُرى ذلك في آفاق السماء كأنَّها الدم)[٤]، ثمَّ نجد ابن سعد ذيَّل روايته بتوثيق الأسود بن قيس: (إنَّه كان لصدوق الحديث عظيم الأمانة مُكرماً للضيف)[٥]، وكذلك ذكر بعض ما حصل لقتلة الإمام الحسين عليه السَّلام فذكر أنَّ أحدهم تكلَّم بسوء على الإمام الحسين عليه السَّلام بعد ذلك فأُصيب في عينيه وذهب بصره[٦]، وقال ابن سعد في موضع آخر عن حاجب عبيد الله بن زياد: (قال: دخلت معه القصر حين قُتل الحسين، قال: فاضطرم وجهه ناراً أو كلمة نحوها، فقال: هكذا بكمه على وجهه، وقال: لا تحدثن بهذا أحداً)[٧].

وذكر رواية أُخرى أشار فيها إلى كيف عوقب قتلة الإمام الحسين عليه السَّلام فقال: (كان أَوَّل من طعن في سرادق الحسين عمر بن سعد، قال[٨]: فرأيته هو وابنيه ضربت

---

(١) علي بن محمد المدائني.

(٢) هو عليُّ بن مدرك النخعي، يعدُّ في الكوفيين، ثقة، صدوق، توفي عام (١٢٠هـ) ينظر: أحمد بن حنبل، العلل، ١/ ٤٩٥؛ البخاري، التاريخ الكبير، ٦/ ٢٩٤؛ العجلي، معرفة الثقات، ٢/ ١٥٧؛ ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل، ٦/ ٢٠٣ ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص١٦٦.

(٣) هو الأسود بن قيس العبدي، عدَّه ابن سعد في الطبقة الثالثة من تابعي الكوفة، شهد صفين مع الإمام عليٍّ عليه السَّلام، وهو الذي أخبره بوصيَّة عبد الله بن كعب العبدي له بالقتال دونه فقال عليه السَّلام: «رحمه الله جاهد معنا عدونا في الحياة ونصح لنا في الوفاة»، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٨/ ٤٤٣؛ نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين، ص٤٥٦؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة، ١/ ٥٠٨.

(٤) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٥-٤٥٦.

(٥) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٥-٤٥٦.

(٦) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٤.

(٧) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٤.

(٨) وردت الرواية عن طريق سليمان بن مسلم عن أبيه، وسليمان هو أبو المعلى الخزاعي العجلي، كوفي الأصل، بصري النشأة، عدَّه ابن حبان من ثقاته... ينظر: ابن حبان، الثقات، ٦/ ٣٩٣؛ ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل، ٤/ ١٤٣.

أعناقهم، ثمَّ علَّقوا على الخشب، وأُلهب فيهم النيران)[١].

تناول العديد من المؤرخين على الرغم من تعدد مناهجهم ومذاهبهم وأهوائهم في النهضة الحسينيَّة بعض الأُمور التي تعدُّ من الإعجاز الإلهي، فذكروا ومن طرق متعددة نوح الجنِّ على الإمام الحسين عليه السَّلام، والحمرة في آفاق السماء، وأنَّه ما رُفع حجر عن حجر إلَّا وُجِد تحته دمٌ، وغير ذلك[٢].

ويبدو ممَّا تقدَّم أنَّ ابن سعد قدم رواياته التي أشار فيها إلى الإعجاز الإلهي فرجَّح صحتها؛ وذلك للعديد من المعطيات التاريخيَّة:

١- أورد بهذا الشأن أربع عشرة رواية جميعها جاءت مسندة وبطرق متعددة، وهو بهذا اتبع أُسلوب منهج المحدثين الذي خرج عنه في العديد من رواياته بشأن مقتل الإمام الحسين عليه السَّلام.

ويبدو أنَّ ابن سعد كان حذراً في رواياته عن الإعجاز الإلهي، وربما هناك العديد ممَّن لا يؤمن بقدسيَّة الإمام الحسين عليه السَّلام أو تقبل تلك المناقب له؛ ولذلك نجده كان حريصاً على ذكر سند الرواية والإتيان بها من طرق مختلفة، وعلاوة على أنَّ تلك الروايات جاءت مسندة نجده رجَّح صحَّة إحداها فذيَّلها بتوثيق الأسود بن قيس (أمَا والله إنْ كان لصدوق الحديث عظيم الأمانة مكرماً للضيف)[٣]، في

---

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٤.

(٢) البخاري، التاريخ الكبير، ٤/ ١٢٩؛ ابن حبان، الثقات، ٤/ ٣٢٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ٢٣٩-٢٤٤؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٢/ ٣٢٩-٣٣٠؛ المزي، تهذيب الكمال، ٦/ ٤٤١-٤٤٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/ ٣١٢-٣١٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٦/ ٢٥٩ و ٨/ ٢١٧-٢٢٠؛ ابن حجر، الإصابة، ٢/ ٧٢؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٠٣-٢٠٤؛ الخصائص الكبرى، ص١٢٧؛ والمحاضرات والمحاورات، ص٧٩-٨٠؛ ابن حجر الهيثمي، الصواعق المحرقة، ص٢٤٠-٢٤١؛ الصالحي، سبل الهدى، ١١/ ٧٥-٧٧.

(٣) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٦.

حين نجد الذهبي الذي أورد الرواية نفسها دون ذكر ذلك التوثيق: (المدائني، عن عليٍّ بن مدرك، عن جدِّه الأسود بن قيس، قال: أحمرت آفاق السماء بعد قتل الحسين ستة أشهر تُرى كالدم)[١]، وهكذا نجد الذهبي اقتطع الجزء المهمَّ الذي وثقها، فجاءت لدى الذهبي مبهمة قابلة للطعن.

فضلاً عن ذلك وردت رواية ابن سعد المتقدِّمة الذكر بعد أنْ ذكر أغلب رواياته بشأن الإعجاز الإلهي وكأنَّه أشار ضمنياً إلى صحَّة ما تقدَّم ذكره بهذا الشأن، وعلى هذا المنحى جاءت رواية سبط ابن الجوزي: (قال جدي أبو الفرج في كتاب التبصرة: لَّما كان الغضبان يحمرّ وجهه عند الغضب فيستدلُّ بذلك على غضبه، وأنَّه أمارة السخط، والحقُّ سبحانه وتعالى ليس بجسم، فأظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الأُفق، وذلك دليل على عظم الجناية)[٢]، بينما أورد ابن كثير رواياته بهذا الشأن على العكس من ذلك بقوله: (ولقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء، فوضعوا أحاديث كثيرة وكذباً فاحشاً، من كون الشمس كُسفت، وما رفع يومئذٍ حجر إلَّا وجد تحته دم، وإنَّ أرجاء السماء قد احمرَّت، وأنَّ الشمس كانت تطلع وشعاعها كأنَّه الدم... وأنَّ الحمرة لم تكن في السماء قبل يومئذٍ... ولم يُرفع حجر من حجارة بيت المقدس إلَّا ظهر تحته دم عبيط - واسترسل ابن كثير بالقول- إلى غير ذلك من الأكاذيب والأحاديث الموضوعة التي لا منها شيء... وللشيعة والرافضة في صفة مصرع الحسين كذب كثير وأخبار باطلة...)[٣].

وهكذا نجد أنَّ ابن سعد كان أكثر موضوعيَّة وحياديَّة من غيره في هذا الشأن، بسوقه

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/ ٣١٢.

(٢) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ٢/ ٢٣٠؛ ينظر: ابن حجر الهيثمي، الصواعق المحرقة، ٢٤١؛ القندوزي، ينابيع المودَّة، ٣/ ٢١.

(٣) البداية والنهاية، ٨/ ٢١٩-٢٢٠.

العديد من الروايات علاوة على توثيقها والتثبت من صحّتها، فضلاً عن إيرادها من طرق ووجوه متعددة.

٢- وردت روايات ابن سعد بهذا الشأن لتؤكِّد سعة أُفقه واطلاعه، وذلك باعتماده على مجموعة من الرواة فيهم البصري والمدني والكوفي والبغدادي[١]، واعتمد ابن سعد على ثلاثة عشر شيخاً بصرياً من بين واحد وعشرين راوياً اعتمدهم في مروياته بشأن ما تناقله الناس عن كرامة الإمام الحسين عليه السَّلام والإعجاز الإلهيّ.

ويبدو من ذلك أنَّ رواية ابن سعد في هذا الأمر مثَّلت رؤية البصريين، كون أنَّ كرامة الإمام الحسين عليه السَّلام والإعجاز الإلهيَّ التي ذكرها ابن سعد كانت ما تذاكره الناس وقتها.

ثانياً: تداول الشعر في النهضة الحسينيَّة:

تناول ابن سعد موقف شعراء عدَّة رثوا الإمام الحسين عليه السَّلام وأهل بيته وصحبه، فذكر من شعر سليمان ابن قتة سبعة أبيات، ومن شعر أبي الأسود الدؤلي ثمانية أبيات، وذكر من شعر عبيد الله بن الحرِّ الجعفي ثمانية وعشرين بيتاً من ثلاث قصائد، وشاعر آخر اسمه عبيدة بن عمرو الكندي[٢]، فذكر خمسة وعشرين بيتاً من شعره يرثي به الإمام الحسين عليه السَّلام.

---

(١) اعتمد على أكثر من ثلاثة عشر راوياً بصرياً وهم عفان بن مسلم في روايتين، وعمرو بن عاصم الكلابي وموسى بن إسماعيل في ثلاث روايات، وعبد الملك بن عمرو أبو عامر العقدي، ومسلم بن إبراهيم في روايتين، وعليّ بن محمد في روايتين، ومسلم بن إبراهيم وسليمان بن حرب... ينظر: الدراسة، ص١٦- ٣٢، ٣٤٥-٣٤٧.

(٢) هو عبيدة بن عمرو الكندي كان من ضمن مقدِّمة جيش قيس بن سعد التي بعثها الإمام الحسن عليه السَّلام لقتال معاوية، وأُصيب ولَمَّا وصل مسجد الكوفة كان هناك حديث بين المسيب بن نجبة والإمام الحسن عليه السَّلام ومعاوية حاضراً فعرفة الإمام عليه السَّلام فقطع كلامه وقال له: ما هذا الذي بوجهك يا أخا كندة؟ فقال: ضربة أصابتني مع قيس بن سعد. ينظر: ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ٤/ ٢٩٥؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/ ١٥؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة، ٤/ ٢٧٤.

فذكر ابن سعد (وقال سليمان ابن قتة يرثي الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنهما:-

وإنَّ قتيل الطف من آل هاشم	أذلَّ رقاباً من قريش فذلتِ
مررت على أبيات آل محمَّد	فألفيتها أمثالُها حين حُلت
وكانوا لنا غُنماً فعادوا رزيةً	لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
فلا يُبعد الله الديار وأهلها	وإنْ أصبحت منهم برغمي تخلت
إذا افتقرت قيس جبرنا فقيرها	وتقتلنا قيس إذا النعل زلت
وعند غني قطرة من دمائنا	سنجزيهم يوماً بها حيث حلت
ألم ترَ أنَّ الأرض أضحت مريضة	لفقد حسين والبلاد اقشعرت

فقال له عبد الله بن حسن بن حسن[١] ويحك ألا قلت:

أذلَّ رقاب المسلمين فذلتِ.

أشارت المصادر التاريخية إلى ذلك الشعر[٢]، باختلافٍ ببعض الكلمات، وذكر ابن نما الحلي أنَّ سليمان ابن قتة رثى الإمام الحسين عليه السَّلام بعد ثلاثة أيام من استشهاده[٣]، ويرى ابن عبد البر أنّ في شعره إشارة إلى اشتراك قبائل مضر واليمن في قتل الإمام الحسين

---

(١) هو عبد الله بن حسن بن الحسن بن الحسن بن عليٍّ بن أبي طالب وأُمُّه فاطمة بنت الحسين، يكنى أبا محمد، وهو والد محمد ذي النفس الزكية الذي قتله المنصور العباسي، استشهد في سجن أبي جعفر المنصور عام ١٤٥هـ. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٧/ ٤٧٤-٤٧٨؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٦٦-١٧١.

(٢) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ١/ ١٨٠؛ المسعودي، مروج الذهب، ٣/ ٧٩؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٢١؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ٢٦٠؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ٢/ ٢١؛ المزي، تهذيب الكمال، ٦/ ٤٤٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ٢٣٠؛ ابن العديم، بغية الطلب، ٦/ ٢٦٦٩.

(٣) مثير الأحزان، ص١٧٣.

عليه السَّلام[١]، في حين يرى البعض أنَّ المقصود في أبياته أنَّ بني أُميَّة لا يرون حرمة بعد قتلهم الإمام الحسين عليه السَّلام لقتل أيِّ قرشي[٢].

ويبدو أنَّ شعر سليمان ابن قتة لم يرق لبعض الهاشميين في التعبير عمَّا يجول بداخلهم، فعقب أحدهم وهو ما ذكره ابن سعد لذلك: (ويحك ألا قلت أذلَّ رقاب المسلمين فذلتِ)، ولم تستبدل سوى كلمة قريش من شعره بكلمة المسلمين، لتكون أكثر شموليَّة ممَّا قصده الشاعر بأنَّ بني أُميَّة لا يراعون بعد قتلهم الإمام الحسين عليه السَّلام حرمة أيِّ مسلم بعده كائن من كان سواء كان قرشياً أم غيره، وهو ما حدث فعلاً، فقد تجرأ الأُمويون على دماء المسلمين ومصداق ذلك ما حدث من خلال استباحتهم مدينة رسول الله وقتلهم العديد من أبناء الأنصار والمهاجرين، وكذلك ما فعلوه في القضاء على حركتي ابن الزبير وابن الأشعث وغيرهما.

وذكر ابن سعد شعر أبي الأسود الديْلي[٣] في رثاء الإمام الحسين عليه السَّلام فقال:

أقول وذاك من جزع ووجد ... أزال الله ملك بني زياد

وأبعدهم بما غدروا وخانوا ... كما بعدت ثمود وقوم عاد

همُ خشموا الأنوف وكن شماً ... بقتل ابن القعاس أخي مراد

قتيل السوق يا لك من قتيل ... به نضح من أحمر كالجساد

وأهل نبينا من قبل كانوا ... ذوي كرم دعائم للبلاد

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب، ١/ ٣٩٤.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ٢٦٠؛ المزي، تهذيب الكمال، ٦/ ٤٤٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/ ٣١٨-٣١٩؛ و تاريخ الإسلام، ٥/ ١٠٨.

(٣) يقال الدؤلي وأصله الدئلي ينسب إلى حيٍّ من كنانة وهو الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة.. ينظر: السمعاني، الأنساب، ٢/ ٥٠٨.

حسين ذو الفضول وذو المعالي ... يزين الحاضرين وكلِّ باد

أصاب العزّ مهلكه فأضحى ... عميداً بعد مصرعه فؤادي

وقال أبو الأسود الدؤلي أيضاً:

أيرجو معشرٌ قتلوا حُسيناً ... شفاعة جَده يوم الحساب[١].

وقد أشار المسعودي لذلك فذكر بيتين من شعره:

أقول وذاك من جزع ووجد ... أزال الله ملك بني زياد

وأبعدهم بما غدروا وخانوا ... كما بعدت ثمود وقوم عاد[٢]

وأمَّا شعر عبيد الله بن الحرِّ الذي سبق وأنْ تطرقنا لموقفه من نصرة الإمام الحسين عليه السَّلام قبل وصوله كربلاء، وذكر ابن سعد كذلك قصيدة مطولة له في ندمه ورثاء آل محمَّد عليهم السَّلام جاء فيها:

يقول أمير غادر حقّ غادر ... ألا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمة

ونفسي على خذلانه واعتزاله ... وبيعة هذا الناكث العهد لائمة

فيا ندما ألَّا أكون نصرته ... ألا كلُّ نفس لا تسدد نادمة

وإنِّي لأنِّي لم أكن من حماته ... لذو حسرة ما أن تفارق لازمة

سقى الله أرواح الذين تآزروا ... على نصره سقياً من الغيث دائمة

وقفت على أجداثهم ومحالهم ... فكاد الحشا يرفض والعين ساجمة

---

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٧؛ ورد البيت الأخير في ديوان أبي الأسود الدؤلي:
أترجو أمةٌ قتلتْ حسيناً.... شفاعة جده يوم الحساب.
ينظر: ديوان أبي الأسود الدؤلي، ص٣٢٩.

(٢) مروج الذهب، ٣/ ٨٣.

لعمري لقد كانوا مصاليت في الوغى سراعاً إلى الهيجاء حماة خضارمة
تأسوا على نصرة ابن بنت محمَّد نبيهم بأسيافهم أساد غيل ضراغمة
وقد طاعنوا من دونه برماحهم عصائب بوراً نابذتهم مجارمة
فإن تقتلوا فكلُّ نفس زكية على الأرض قد أضحت لك اليوم واجمة
وما إنْ رأى الراؤن أصبر منهم لدى الموت سادات وزهر قماقمة
أتقتلهم ظلماً وترجو ودادنا فدع خطة ليست لنا بملائمة
لعمري لقد رغمتمونا بقتلهم فكم ناقم منا عليكم وناقمة
أهم مراراً أنْ أسير بجحفل إلى فئة ناغت عن الحقِّ ظالمة
فكفوا وإلَّا زرتكم في كتائب أشدُّ عليكم من زحوف الديالمة

وقال عبيد الله بن الحر أيضاً:

أيرجو ابن الزبير اليوم نصري بعاقبة ولم أنصر حسينا !
وكان تخلفي عنه تباباً وتركي نصره غبناً وجبنا
ولو أنِّي أواسيه بنفسي أصبت فضيلة وقررت عينا

وقال أيضاً:

فيا لكِ حسرة ما دمت حياً تردد بين حلقي والتراقي
حسيناً حين يطلب بذل نصري على أهل العداوة والشقاقِ
ولو أنِّي أواسيه بنفسي لنلت كرامة يوم التلاقِ
مع ابن المصطفى نفسي فداه فولى ثمَّ ودَّع بالفراق
غداة يقول لي بالقصر قولاً أتتركنا وتزمع بانطلاق

فلو فلق التلهف قلب حيٍّ … لهمَّ اليوم قلبي بانفلاق
فقد فاز الأُلى نصروا حسيناً … وخاب الآخرون أولوا النفاقِ[(١)]

وقال كذلك:

تبيت نساء من أُميَّة نُوماً … وبالطف هام ما ينام حميمها
وما ضيع الإسلام إلَّا قبيلة … تأمر نُوَكَاها وطال نعيمها
وأضحت قناة الدين في كفِّ ظالمٍ … إذا أعوج منها جانب لا يقيمُها[(٢)]

وذكر ابن سعد رثاء عبيدة بن عمرو الكندي للإمام الحسين عليه السَّلام وولده ويذكر قَتْلَهم وَقَتَلَتَهم:

صحا القلب بعد الشيب عن أُمِّ عامر … وأذهله عنها صروف الدوائر
ومقتل خير الآدميين والداً وجداً … إذا عُدَّت مساعي المعاشر
دعاه الرجال الحائرون لنصره … فكلاً رأيناه له غير ناصر
وجدناهم من بين ناكث بيعة … وساعٍ به عند الإمام وغادر
ورامٍ له لَّما رآه وطاعنٍ … ومسلٍ عليه المصلتين وناحر
فيا عين أذري الدمع منك وأسبلي … على خير بادٍ في الأنام وحاضر
على ابن عليٍّ وابن بنت محمَّدٍ … نبيِّ الهدى وابن الوصي المهاجر
تداعت عليه من تميم عصابة … وأُسرة سوء من كلاب وعامر
ومن حيٍّ وهبيل تداعت عصابة … عليه وأُخرى أردفت من يحابر

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٨-٤٥٩.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٦٠.

وخمسون شيخاً من أبـان بن دارم ... تـداعـوا عليه كالليوث الخواطر
ومـن كـلِّ حـيٍّ قـد تـداعـى لقتله ... ذوو النكث والإفراط أهل التفاخر
شفى الله نفسي من سنان ومالك ... ومن صاحب الفتيا لقيط بن ياسر
ومـن مـرَّة العبدي وابـن مساحق ... ومن فارس الشقراء كعب بن جابر
ومـن أورق الصيدا وابـن مـوزع ... ومـن بحر تيم الـلات والمـرء عامر
ومـن نفر من حضرموتٍ وتغلب ... ومـن مانعيه المـاء في شهر ناجر
وخـولي لا يقتـلـك ربي وهـانـئ ... وثـعـلـبـة المـسـتـوه وابـن تـبـاحـر
ولا سلَّم الله ابـن أبحر ما دعت ... حمـامـة أيـكٍ في غـصـون نواضـر
ومـن ذلـك الـفـدم الأبـاني والـذي ... رمـاه بـسـهـم ضـيـعـة والمـهـاجـر
ولا ابـن رقـاد لا نجا مـن حـذاره ... ولا ابـن يزيد مـن حـذار المحاذر
ومن رؤس ضلالِ العراقِ وغيرهم ... تميم ومـن ذاك اللعين ابـن زاجـر
ولا الحنظليين الـذيـن تتابعت ... نـبـالهـمُ في وجـهـه والخـواصر
ولا نفر مـن آل سعد بـن مذحج ... ولا الأبرص الجلف اللئيم العناصر
ولا عصبة مـن طـي أحـدقـت به ... ولا نـفـر مـنـا شرار الـسرائـر
ولا الخثعميين الـذيـن تـنـازلـوا ... عـلـيـه ولا مـن زاره بـالمـنـاسر
ولا شـبـث لا سـلَّـم الله نفسه ... ولا في ابـن سعد حـدّ أبيض باتر

قال: والقوم الذين سمَّاهم في شعره سنان بن أنس النخعي، ومالك وهو رجل من وهبيل من النخع، ومرَّة بن كعب رجل من أشراف عبد القيس، ونوفل بن مساحق من

بني عامر بن لوي[١]، وكعب بن جابر الأزدي، وأورق الصيداء[٢] رجل منهم كان أفوه، وابن موزع رجل من همدان، وبحر بن مالك من بني تميم بن ثعلبة، وخولي بن يزيد الأصبحي المحرق بالنار، وهانئ بن ثُبيت الحضرمي، وثعلبة المستوه رجل من بني تميم كان مأبوناً، وابن تباحر رجل من بني تيم الله يقال له عمرو بن يبحر بن أبجر حجار بن أبحر، وبجير بن جابر العجلي والذي رماه، الغنوي الذي رمى ابن الحسين فقتله، وابن زاجر رجل من بني منقر من بني تميم، والأبرص الجلف يعني شمر بن ذي الجوشن، وشبث بن ربعي الرياحي)[٣].

ومن أهم المضامين التي يمكن أن نستنتجها من تلك الأشعار التي ذكرها ابن سعد هي:

١- إنَّه استعمل قصائد عدَّة في ترجمته للإمام الحسين عليه السَّلام، فذكر أكثر من ثمانية وستين بيتاً لشعراء عدَّة في رثاء الإمام الحسين عليه السَّلام وأهل بيته وصحبه، بينت تداول الشعر في نشر أهداف النهضة الحسينيَّة وتمجيد رجالاتها والذود عنهم، وفي الوقت ذاته النيل من أعدائهم على الرغم من معاناة أغلب الشعراء في قول ذلك بحكم الظروف السياسيَّة التي من المؤكد أنَّها لم تسمح لهم، وهو ما أشار إليه أبو الفرج الأصفهاني، وكما أشرنا إليه في موضعه.

٢- اعتمد ابن سعد في توثيق بعض رواياته على الشعر فلمَّا ذكر قتل أحد أبناء الحسين

(١) هو نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخرمة من بني عامر بن لؤي بن غالب، كان من أشراف قريش من أهل المدينة، ولي قضاء المدينة في حكم عبد الملك بن مروان، وهو الذي أمره مسلم بن عقبة يوم الحرة عام (٦٣هـ) بقتل معقل بن سنان ومحمَّد بن أبي جهم بن حذيفة العدوي فقتلهم صبراً... ينظر: البخاري، التاريخ الكبير، ٨/ ١٠٩؛ ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص٦٤؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٦٢/ ٢٩٣-٣٠٢؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ٦/ ٤٠٣.

(٢) لم نعثر له على ترجمة.

(٣) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٩-٤٦٠.

عليه السَّلام قال: (ورمى عبد الله بن عقبة الغنوي أبا بكر بن الحسين بن عليٍّ فقتله، فقال سليمان ابن قتة:

وعند غنى قطرة من دمائنا وفي أسد أُخرى تُعدُّ وتُذكرُ)[١].

وقد دأب على ذلك بعض المؤرخين ممَّن كتب عن النهضة الحسينيَّة مثل أبي الفرج الأصفهاني، فذكر البيت الشعري المتقدِّم الذكر وهو يترجم لأبي بكر بن الحسين فقال: (وإيَّاه عنى سليمان ابن قتة..)[٢]، وفي ترجمته كذلك لعون بن عبد الله بن جعفر قال: (وإيَّاه عنى سليمان ابن قتة بقوله:

واندبي إنْ بكيتِ عوناً أخاه ليس فيما ينوبهم بخذول

فلعمري لقد أصبت ذوي القر بى فبكى على المصاب الطويل[٣]

٣- كان من انعكاسات شعر سليمان ابن قتة ما رواه ابن أبي الحديد أنَّ مصعب الزبيري لَّما خرج من الكوفة لقتال الأُمويين سأل عن كيفيَّة استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام فذكروا له ما جرى عليه، فتمثل بأحد أبيات شعر سليمان ابن قتة:

وأنَّ الأُلى من آل هاشم تآسوا فسنوا للكرام التآسيا

فعلموا أنَّه قرر القتال حتى الموت[٤].

٤- وذيَّل ابن سعد قصيدة عبيدة بن عمرو الكندي قائمة بأسماء من ذكرهم في قصيدته ممَّن اشتركوا في قتال الإمام الحسين عليه السَّلام ولعبوا دوراً مهماً في الحرب

(١) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٩.

(٢) مقاتل الطالبيين، ص٩٢.

(٣) م.ن، ص٩٥.

(٤) شرح نهج البلاغة، ٣/ ٢٩٨.

ضدَّه، فذكر سبعة عشر شخصاً بعضهم ممَّن لم تشر إليه المصادر التاريخيَّة التي تناولت مقتل الإمام الحسين عليه السَّلام مثل أورق الصيداء الذي وصفه ابن سعد بأنَّه كان أفوه، وابن موزع بأنَّه رجل من همدان، وثعلبة المستوه رجل من تميم فوصفه بأنَّه كان مأبوناً، وابن زاجر رجل من بني منقر من بني تميم، ومالك رجل من وهبيل من النخع، وابن تباحر رجل من بني تيم الله، وحين ذكر خولي ذكر بعده مباشرة المحرق بالنار في إشارة واضحة إلى كيف كانت عاقبته على يد المختار الثقفي الحرق بالنار[1]، كذلك أكَّد مرَّة أُخرى على الغنوي بقوله: (الذي رمى ابن الحسين فقتله).

٥- ويمكننا القول كذلك إنَّ ابن سعد استعمل القصائد الشعريَّة ليس في مجال الرثاء فحسب، وإنَّما في إثراء ترجمته للإمام الحسين عليه السَّلام بكمٍّ هائلٍ من المعلومات التاريخيَّة، ومن نظرة متفحصة على تلك القصائد نجدها تحمل العديد من المضامين السياسيَّة والدينيَّة والاجتماعيَّة، فعلاوة على ما ذكرناه نجده يشير إلى قول الشاعر:

فيا عين أذري الدمع منك وأسبلي — على خير بادٍ في الأنام وحاضر

على ابن عليٍّ وابن بنت محمَّد — نبيِّ الهدى وابن الوصيّ المهاجر

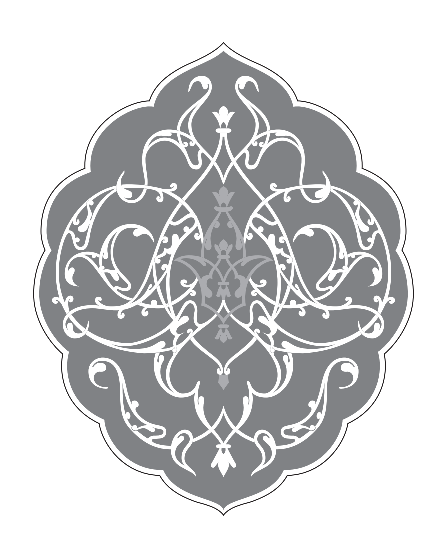
في إشارة صريحة إلى أنَّ الإمام عليّاً عليه السَّلام هو وصيّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله، ولعلَّه استعمل الشعر لطرح بعض الأُمور التي يخشى طرحها بأُسلوب آخر.

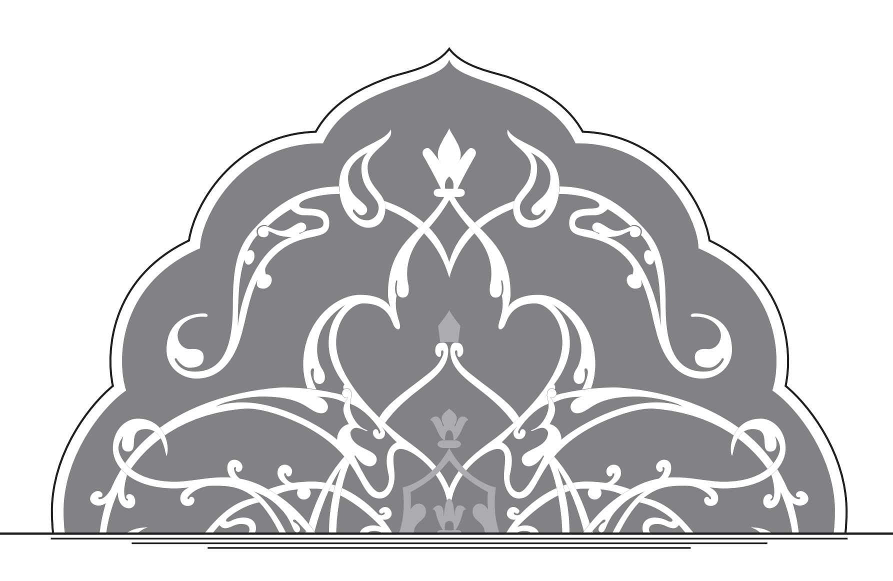
٦- يبدو ممَّا ساقه ابن سعد بذكره تلك القصائد الشعريَّة تحوّل ملحوظ في منهجيته التي اتبعها في ترجمته للإمام الحسين عليه السَّلام، ففي حين اعتدنا حرصه على ذكر سند رواياته نجده عزز رواياته بذكر أسماء المشتركين بقتله عليه السَّلام، مستنداً في ذلك على

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٦/ ٧١؛ مسكويه، تجارب الأُمم، ٢/ ١١٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٦٦١؛ النويري، نهاية الأرب، ٢١/ ١٧؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ٣/ ٣٤.

بعض الأبيات الشعريَّة التي استقاها من شعراء عدَّة.

٦- من الملاحظ أنَّ ابن سعد اعتمد على مجموعة من الشعراء الذين رثوا الإمام الحسين عليه السَّلام بهذه السعة من الأشعار، ممَّن عُرفوا بولائهم لآل البيت أمثال أبي الأسود الدؤلي وسليمان ابن قتة وعبيدة بن عمرو الكندي، ربما أراد أنْ يوصل للمتلقي مدى السخط الذي حلَّ بالمجتمع الإسلامي آنذاك بسبب ما حلَّ بآل محمَّد على يد السُّلطة الأُمويَّة الحاكمة ليبيّن انعكاسات النهضة الحسينيَّة، وكذلك مدى القدسيَّة التي كان يتمتع بها الإمام الحسين عليه السَّلام مقارنة بأعدائه.





الفصل الخامس:

أثر روايات ابن سعد في المصادر التاريخيَّة

المبحث الأَوَّل: أثر روايات ابن سعد في كتب التاريخ العام

المبحث الثاني: أثر روايات ابن سعد في كتب الأنساب والتراجم



تمهيد

من المؤكد أنَّ قيمة وخطورة الرواية التاريخيَّة يأتي من خلال سعة انتشارها وأهميتها عند المؤرخين، ولم يتأتَ ذلك اعتباطاً وإنَّما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمدى ثقة هؤلاء المؤرخين بقدرات وعدالة صاحب المصنف التاريخي ومؤلفه، أو مدى موافقته لميولهم واتجاهاتهم العقديَّة والفكريَّة؛ ولذلك نجد بعض المؤلفات التاريخيَّة قد أخذت حيزاً كبيراً وواضحاً لدى المؤرخين في الاعتماد عليه والاقتباس منه سواء من معاصريهم أَم ممَّنْ جاء بعدهم.

وجاء هذا الفصل ليسلط الضوء على مدى أهميَّة وسعة انتشار رواية ابن سعد عن الإمام الحسين عليه السَّلام في كتابه الطبقات الكبير، فضلاً عن ذلك سيتضح من خلال الفصل مدى البُعد الجغرافي والزمني لرواية ابن سعد عن الإمام الحسين عليه السَّلام، وارتأينا أن نختار نماذج من المؤرخين حسب فترات زمنيَّة مختلفة لمعرفة أثر رواية ابن سعد عليها، وكيف تعاملوا معها حسب منهجيتهم وظروفهم البيئيَّة والمذهبيَّة.

وسوف نركز على المؤرخين الذين أشاروا إلى روايات ابن سعد إشارة صريحة له أو لكتابه دون التطرق لبعض الروايات التي ذكرها المؤرخون بسند جمعي أو دون سند، فربما كان ابن سعد أحد مواردهم في ذلك لكنَّهم لم يشيروا بشكل صريح إليه أو لكتابه، كذلك حاولنا قدر الإمكان تجنب ذكر الروايات بشكل مفصل تجنباً للتكرار، كوننا سبق وأن ناقشنا تلك الروايات في موضعها من الدراسة إلَّا ما اضطررنا لذكره إذا تطلب ذلك.

المبحث الأَوَّل: أثر روايات ابن سعد في كتب التاريخ العام:

يُعدُّ كتاب الطبقات الكبير لابن سعد وثيقة بالغة الأهميَّة نظراً للموضوعيَّة التي اتسم بها في بعض رواياته ولقدمه من حيث التدوين، فأصبح أثره واضحاً في المصادر التاريخيَّة التي جاءت من بعده وهي توثّق عنه[١]، ومن بين تلك المصادر التاريخيَّة ما اصطلح على تسميتها بكتب التاريخ العام.

فالطبري (ت: ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) خصص مادّة واسعة من كتابه تاريخ الأُمم والملوك للثورة الحسينيَّة ناهزت أكثر من اثنتين وتسعين صفحةً[٢]، غطى فيها أغلب أحداثها، وعلى الرغم من تنوع موارده ومصادره لكنَّ أكثر مروياته جاءت عن أبي مخنف، فروى عنه أكثر من مئة رواية في هذا الشأن[٣]، لكنَّ هذا لا يعني أنَّه لم يكن لابن سعد نصيبٌ في تاريخ الطبري عن الثورة الحسينيَّة ففي خضم حديثه عنها أورده في موضعين جاءت ضمن سلسلة إسناده بقوله: حدثني الحارث، قال حدثنا ابن سعد...[٤].

ففي اقتباسه الأوَّل نقل الطبري نصَّ ابن سعد كما هو، وهو إخبار الإمام الحسين عليه السَّلام أنصاره بأنَّ بني أُميَّة سوف لن يتركوه حتى يستخرجوا العلقة من جوفه، فإنْ فعلوا ذلك سلَّط الله عليهم مَن يذلُّهم، وقد حرص الطبري على نقل نصِّ ابن سعد بسنده كاملاً من دون أيِّ تغيير في أيِّ مفردة من مفردات الرواية[٥]، وكان بينه وبين ابن

(١) اللامي، السيرة النبويَّة، ص١٧٠.
(٢) ينظر: تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٢٧-٣١٨.
(٣) ينظر: يحيى إبراهيم، مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص١٥.
(٤) ينظر: تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٦٥، ٢٦٦.
(٥) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٦٥؛ وينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢١.

سعد واسطة واحدة وهو أبو محمَّد الحارث بن أبي أُسامة(ت:٢٨٢هـ) أحد رواة كتاب الطبقات الكبير لابن سعد، فحدثه في ذلك مباشرة عن ابن سعد ممَّا يعني أنَّ هناك أكثر من راوٍ لكتاب الطبقات الكبير الذي اعتدنا أن نجد رواياته عن طريق الحسين بن فهم.

أمَّا النص الثاني الذي أورده الطبري والذي حرص على ذكر سنده كاملاً كما ورد لدى ابن سعد، لكن من الملاحظ عند مقارنة رواية ابن سعد مع رواية الطبري[١] نجد أنَّ رواية الأخير أضافت على أصل رواية ابن سعد: (رضي الله عن الحسين وصلَّى الله على روحه)، والظاهر أنَّ هذه المفردة الأخيرة قد تكون من الطبري أو من قول الحارث راوي كتاب الطبقات عند الطبري، فضلاً عن أنَّها لم تؤثر على أصل الحدث.

ومن الملاحظ على نقولات الطبري من ابن سعد أنَّها كانت محدودة جداً إذا ما قورنت مع مادة الطبري الغزيرة عن الثورة الحسينيَّة، ويبدو أنَّ ذلك راجع إلى أنَّ الطبري اعتمد في الأعم الأغلب على رواية الكوفيين وخاصة أبا مخنف في مروياته عن الثورة، ذلك حسب منهجيته ورؤيته بهذا الشأن.

ويُعدُّ كتاب المنتظم لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) من الكتب التي أولت كتاب الطبقات الكبير أهميَّة كبيرة، فكان من مصادره الأساسيَّة التي لازمته إلى جنب العديد من المصادر الأُخرى[٢]، ففي أحداث عام (٥٦هـ) ذكر ابن الجوزي: (وفيها دعا الناس معاوية إلى بيعة يزيد ابنه من بعده وجعله وليَّ عهده)[٣]، وفي السنة نفسها اعتمر معاوية ودعا أهل المدينة لبيعة يزيد وكان بينه وبين الإمام الحسين عليه السَّلام كلام،

---

(١) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٦؛ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك، ٥/ ٢٦٦.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ١/ ٤٠-٤١، (مقدمة المحقق محمَّد عبد القادر عطا).

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ٥/ ٢٨٥.

ثمَّ أورد ابن الجوزي: (وحكى محمَّد بن سعد: أنَّ معاوية قال للحسين، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، ولعبد الله بن الزبير: إنِّي أتكلَّم بكلام فلا تردّوا عليَّ شيئاً فأقتلكم، فخطب الناس وأظهر أنَّهم قد بايعوا ليزيد، فسكت القوم ولم ينكروا خوفاً منه ورحل من المدينة)[١].

وفي حوادث عام (٦١هـ) خصص ابن الجوزي حيزاً منها عن الإمام الحسين عليه السَّلام، فتناول ثورته واستشهاده علاوة على ترجمة مقتضبة للإمام الحسين عليه السَّلام، وعلى الرغم من تلك الصفحات القليلة إلَّا أنَّه أشار إلى مصدريته من ابن سعد في موضعين، الأوَّل: بقوله: (هكذا قال ابن سعد)[٢]، والثاني: أخبرنا الحسين بن فهم قال: حدثنا محمَّد بن سعد قال:...)[٣].

وفي الموضع الأوَّل تحدَّث ابن الجوزي عن موضع دفن رأس الإمام الحسين عليه السَّلام، فجاء بروايتين قال في الأُولى: (وبُعث رأس الحسين إلى عمرو بن سعيد الأشدق وهو عامله على المدينة، فكفنه ودفنه بالبقيع عند قبر أُمِّه فاطمة، هكذا قال ابن سعد)[٤]، لكنَّه أعقب ذلك برواية أنَّ الرأس وُجد في خزانة يزيد فكفن ودفن في دمشق[٥]، ولم يذكر ابن الجوزي بشأن دفن الرأس غير هاتين الروايتين وكأنَّه ضعَّف رواية ابن سعد وثبَّت الثانية، وربما منهجيَّة ابن الجوزي تتطلب ذكر أكثر من رواية بشأن الحدث الواحد.

أمَّا الموضع الثاني الذي أشار فيه ابن الجوزي فهو ذكره حج الإمام الحسين عليه السَّلام

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٥/ ٢٨٧؛ وينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٢٧.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ٥/ ٣٤٤.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ٥/ ٣٤٨-٣٤٩.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ٥/ ٣٤٤؛ وينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٩٩.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ٥/ ٣٤٤.

فذكر رواية ابن سعد كاملةً مسندة مشيراً إلى ابن سعد من ضمن سند الرواية (... أخبرنا الحسين بن فهم قال: حدثنا محمَّد بن سعد قال: حدثنا...)[1]، لكنَّ هذه الرواية هي الأُخرى أعقبها مباشرة برواية مشابهة لها، وكأنَّه أراد تضعيفها كذلك، فذكر: (وقيل: عليُّ بن الحسين هو الذي حج ماشياً والنجائب تقاد خلفه، رضي الله عنه)[2]، في حين أنَّ ابن سعد كان وثَّق روايته المتقدِّمة الذكر بذكرها ثلاث مرَّات من وجوه متعددة، بينما نجد ابن الجوزي لم يذكر من رواية ابن سعد سوى وجهٍ واحدٍ من دون التطرق لتلك الروايتين.

ومن الملاحظ على ابن الجوزي في نقولاته القليلة عن ابن سعد بخصوص الإمام الحسين عليه السَّلام لم يتقيد بالنصِّ حرفياً، وإنْ كان قد حافظ على مضمون ومعنى الرواية، لكنَّه في الوقت نفسه لم يضعّفها علناً كما ضعّف غيرها من الروايات، ففي تعليقة لابن الجوزي على قول الفضل بن دكين ذكر أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام استشهد وهو ابن خمس وستين أو ست وستين ذكر: (قال مؤلف الكتاب وهذا لا وجه له، فإنَّما ولد في سنة أربع للهجرة، ومن نظر في مقدار خلافة الخلفاء إلى زمان مقتله علم أنَّه لم يصل إلى الستين)[3]، وكذلك عقَّب على قول هشام بن محمَّد الكلبي أنَّه عليه السَّلام قتل سنة اثنتين وستين بقوله: (وهو غلط)[4].

أمَّا الذهبي (ت:٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) الذي خصص في كتابه تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام ما ناهز عشرين صفحة[5] عن الثورة الحسينيَّة، تعددت أسانيده في

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٥/ ٣٤٨-٣٤٩؛ وينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤١٠.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ٥/ ٣٤٩.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ٥/ ٣٤٥-٣٤٦.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ٥/ ٣٤٦.

(٥) ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ٥/ ٥-٢١.

كتابه هذا فقال في مقدمته:

(وقد طالعت على هذا التأليف من الكتب مصنفات كثيرة)[١]، ثمَّ ذكر قائمة مطوَّلة من المصنفات والكتب ناهزت الخمسين مصنفاً ومؤلفاً، فكان المصنف الرابع الذي ذكره في تسلسله هو: (والطبقات الكبرى لمحمَّد بن سعد كاتب الواقدي..)[٢]، ومن الطبيعي أنْ يعني هذا التسلسل الأهميَّة في ظلِّ تلك القائمة الطويلة كونه دليلاً على أهميَّة ومصداقيَّة الروايات التي استقاها الذهبي من هذا المصنف.

واعتاد الذهبي أنْ يعنون أحداثه في كتابه هذا حسب السنوات، فما إنْ بدأ حوادث سنة إحدى وستين ذكر مقتل الإمام الحسين عليه السَّلام بقوله: (وكان من قصته أنَّه توجّه من مكّة طالباً ليليَ الخلافة)[٣]، وبدأت إشارته لكتاب الطبقات فذكره في أكثر من موضع[٤].

والملاحظ على نصوص الذهبي التي اقتبسها من ابن سعد أنَّها بالغة الأهميَّة، بل إنَّ الذهبي نفسه أولاها أهميَّة كبيرة، فالنص الأوَّل الذي نقله جاء في مقدِّمة نقولاته من المصادر الأُخرى معززاً ثقته بنصِّ ابن سعد بإشارته إلى مصادر وأسانيد ابن سعد بقوله: (وروى ذلك ابن سعد الكاتب من وجوه متعددة)[٥]، ثمَّ نقل نصَّ ابن سعد الذي تجاوز أكثر من سبع صفحات، لكنَّ الذهبي لم يلتزم حرفياً بنصِّ ابن سعد رغم أنَّه حافظ بشكل عام على مضمون النصِّ فقدَّم وأخَّر واختصر في بعض النصوص، فعلى سبيل

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١/ ١٢.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ١/ ١٢.

(٣) تاريخ الإسلام، ٥/ ٥.

(٤) ينظر: تاريخ الإسلام، ٥/ ٥، ١١، ١٣، ١٩، ٩٤، ١٠١.

(٥) تاريخ الإسلام، ٥/ ٥.

المثال حذف بعض كلام محمَّد ابن الحنفيَّة مع أخيه الإمام الحسين عليه السَّلام[١].

وعلى ما يبدو أنَّ الذهبي تبنى أقوال الناصحين الذين ذكرهم ابن سعد، فنجده في موضع آخر يكرر قول سعيد بن المسيب: لو أنَّ الحسين لم يخرج لكان خيراً له، ثمَّ يقول الذهبي: (قلت وهذا كان رأي ابن عمر، وأبي سعيد، وابن عباس، وجابر، وجماعة سواهم، وكلَّموه في ذلك كما تقدَّم في مصرعه)[٢]، في إشارة لتصويب آراء الناصحين للإمام الحسين عليه السَّلام قبل خروجه.

أمَّا النصُّ الثاني الذي نقله وهو قيام عمر بن سعد بإرسال مبعوث للإمام الحسين عليه السَّلام حسب طلب مسلم بن عقيل، وكذلك موقف عليٍّ الأكبر وطلبه من الإمام الحسين عليه السَّلام الرجوع ومعارضة إخوة وأولاد مسلم في ذلك، وجمع الحسين عليه السَّلام لأصحابه وإبلاغهم بتغير الأُمور في الكوفة، كذلك ذكر أحد الناصحين في طريق الكوفة[٣]، وهذا النصُّ هو الآخر تلاعب به الذهبي ولم يلتزم بنصِّ ابن سعد ولم يتبع فيه تسلسل الرواية عند ابن سعد، فبعد أنْ ذكر مبعوث عمر بن سعد جاء برواية سابقة عن هذا الحدث، وهو قول أحد الناصحين للإمام الحسين عليه السَّلام في طريق الكوفة، ويبدو أنَّ الذهبي تبنى رواية ابن سعد في أنَّ الذي بعث رسولاً للإمام لحسين عليه السَّلام هو عمر بن سعد وليس محمَّد بن الأشعث، كونه اكتفى برواية ابن سعد من دون ذكر غيرها في هذا الشأن، ربما كون عمر بن سعد من وجهة نظر الذهبي أثقل ميزاناً من ابن الأشعث كونه ابن الصحابي سعد بن أبي وقاص.

---

(١) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٨-٤٢٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥/ ٩.

(٢) تاريخ الإسلام، ٥/ ١٠٦.

(٣) ينظر: الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣١، ٤٣٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥/ ١١.

والنصُّ الثالث الذي اقتبسه الذهبي هو بعض منازل الطريق وبداية المعركة وكيف سار إليه عمر بن سعد، مع التأكيد على أنَّه كان مكرهاً في قتاله للحسين عليه السَّلام، وذكر عدد أصحاب الحسين عليه السَّلام ثمَّ تطرَّق الذهبي، ونقل عن ابن سعد لقتال الإمام الحسين عليه السَّلام وشجاعته، وكيف طعنه سنان ثمَّ احتزَّ رأسه خولي[١].

وهذه المرَّة أيضاً نجد الذهبي تصرف بالنصِّ حسب ما يراه هو، فكان انتقائياً في كلِّ كلامه، فعلى سبيل المثال ذكر ابن سعد منازل الطريق بقوله: (فأخذ الحسين طريق العذيب، حتى نزل الجوف مسقط النجف ممَّا يلي المائتين، فنزل قصر أبي مقاتل)[٢] نجد الذهبي يذكره كالتالي: (وأخذ الحسين طريق العذيب، حتى نزل قصر أبي مقاتل)[٣]، ثمَّ ينتقل بعد أسطر عدَّة لاستشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام، ثمَّ ينتقل بعد ذلك الذهبي إلى نصٍّ آخر من ابن سعد بَيَّنَ فيه كيفيَّة وصول الرأس إلى يزيد، ثمَّ تطرَّق إلى المحاورة بين حامل الرأس ويزيد، وكيف أنَّ يزيد وصف حامل الرأس بأنَّه أحمق، وكيف بعثه للمدينة، لكنَّ الذهبي اقتطع هذه المرَّة من رواية ابن سعد قيام يزيد بوضع الخيزرانة على شفتي الإمام الحسين عليه السَّلام وتمثله ببعض الشعر، وكذلك اقتطع موقف أحد الأنصار بقوله ليزيد: ارفع قضيبك...[٤]، وهو بذلك خفف الوطأة من موقف يزيد لينقل مباشرة بعد ذلك ندم يزيد معتمداً على رواية الطبري بقوله: (ثمَّ ندم فكان يقول: وما عليَّ لو احتملت الأذى وأنزلتُ الحسين معي وحكمته فيما يريد، وإنْ كان عليَّ في ذلك وهنٌ في سلطاني حفظاً لرسول الله صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم ورعاية لحقِّه

---

(١) ينظر: الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٥، ٤٤١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥/ ١٣.

(٢) ينظر: الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٥.

(٣) ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥/ ١٣.

(٤) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٥-٤٤٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥/ ١٩-٢٠.

وقرابته...)[١]، وهو بذلك وظَّف رواية ابن سعد حسب رغبته ولم يراعِ نصَّ الرواية، بل تلاعب بها لصالح رؤيته ومنهجيته في موقفه من أهل البيت، ولعلَّ الذهبي هنا يعبِّر عن مذهبه وعقيدته ومحاولة الحفاظ على صورة الخلفاء وعدم النيل منهم.

بينما اكتفى في تحديد مولده عليه السَّلام برواية ابن سعد، لكنَّه جاء بها مقترنة برواية الزبير بن بكار، ويبدو أنَّه أعطاها أفضليَّة بذكرها قبل الزبير بن بكار فذكر الذهبي (قال ابن سعد والزبير بن بكار: مولده في خامس شعبان سنة أربع)، ومن الطبيعي أنْ يتصرف بالنصِّ كونه ليس نصَّ ابن سعد وحده.

أمَّا النصُّ الأخير الذي اقتبسه الذهبي من ابن سعد فهو موقف أبي هريرة من تقديس الإمام الحسين عليه السَّلام، فذكره مسنداً كما أورده ابن سعد متقيداً بالنصِّ، فذكر قول أبي هريرة بحقِّ الإمام الحسين عليه السَّلام: (فو الله لو يعلم الناس منك ما أعلم لحملوك على رقابهم)[٢].

ومن الملاحظ على نقولات الذهبي من ابن سعد

١- إنَّها شكَّلت نسبة لا بأس بها من تناوله للثورة الحسينيَّة وترجمته للإمام الحسين عليه السَّلام وتنوعت من حيث الأهميَّة والكميَّة.

٢- تصرف الذهبي في أغلب نصوص ابن سعد واقتطع بعضها في محاولة منه لتوظيفها بما يتلاءم مع رؤيته وعقيدته، وخاصة في تقليل الوطأة عن يزيد كونه يعدُّه خليفة من الخلفاء.

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥/ ٢٠.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥/ ٢٠؛ ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٠٨-٤٠٩.

٣- على الرغم من أنَّ الذهبي أشار في المواضع التي ذكرناها فيما تقدَّم إلى مصدريته من ابن سعد إلَّا أنَّه لا يستبعد أنَّه نقل بعض النصوص من دون الإشارة إليه، ففي رواية ذكرها الذهبي عن الإعجاز الإلهي وقدسية الإمام الحسين عليه السَّلام نجده نقل نصَّ ابن سعد من دون أنْ يشير إليه فذكر: (وقال المدائني... قال: أحمرّت آفاق السماء بعد قتل الحسين ستة أشهر يُرى فيها كالدم....)[١]، ومن مقارنة النصِّ مع ما ذكره ابن سعد نجده مطابقاً تماماً مع ما ذكره الذهبي إلَّا في بعض الألفاظ التي لا تغير من المضمون شيئاً، ممَّا يعني أنَّ بعض المؤرخين اعتمدوا على بعض نصوص ابن سعد من دون الإشارة إليه.

بينما نجد ابن كثير (ت:٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) في كتابه البداية والنهاية خصص حيزاً كبيراً لثورة الإمام الحسين عليه السَّلام قارب سبعين صفحة[٢] تناول فيها العديد من مفاصل حياته وثورته وحتى استشهاده وحسب منهجيته، معتمداً في ذلك على موارد مختلفة كان من بينها كتاب الطبقات الكبير لابن سعد، وقد بيَّن ابن كثير السبب الذي دعاه لاعتماد رواية ابن سعد بقوله: (وقد ساق محمَّد بنُ سعدٍ كاتب الواقدي هذا سياقاً حسناً مبسوطاً...)[٣]، وذكر أسانيده ثمَّ قال: (قال محمَّد بن سعد: وغير هؤلاء قد حدَّثني أيضاً في هذا الحديث بطائفةٍ، فكتبت جوامع حديثهم في مقتل الحسين، رضي الله عنه وأرضاه...)[٤].

وهكذا نجد ابن كثير بيَّن أمرين مهمَّين في رواية ابن سعد، أَوَّلها أُسلوبه الذي وصفه بالحسن والمبسوط، وثانيهما أسانيده التي اعتمدها في مروياته عن مقتل

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥/ ١٥؛ وينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٥-٤٥٦.

(٢) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ١٦٠-٢٣٠.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ١٧٤.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ١٧٤.

الحسين فذكرها، وقد نقل ابن كثير ستة نصوص من رواية ابن سعد مبتدئاً من رفض الإمام الحسين عليه السَّلام لبيعة يزيد وموقفه عليه السَّلام منها، وكذلك الكتب المتبادلة بينه وبين معاوية، ووصيَّة معاوية ليزيد بعدم التعرّض له عند استلامه الحكم، ثمَّ ذكر وفاة معاوية ورفض الإمام الحسين عليه السَّلام لبيعة يزيد وخروجه من المدينة، ثمَّ ذكر الناصحين كما ذكرهم ابن سعد[١]، فكان النصُّ الأوَّل الذي اقتبسه ابن كثير تحت هذا العنوان أكثر من خمس صفحات[٢].

وهو بذلك اقتبس نصاً مطولاً ممَّا يدلُّ على أهميَّة ذلك النصِّ لدى ابن كثير، كذلك اقتبس خمسة نصوص أُخرى من رواية ابن سعد لكنَّها أقلُّ حجماً بكثير من النصِّ الأوَّل بدأها كالتالي (وقال محمَّد بن سعد...)[٣] فذكر لقاء الإمام الحسين عليه السَّلام بأحد الناصحين وهو في طريقه إلى الكوفة فنصحه بعدم المسير إليها[٤].

أمَّا النصُّ الثاني: فذكر أنَّ الإمام عليّاً عليه السَّلام نادى لَمَّا مرَّ بأرض كربلاء: (اصبر أبا عبد الله، اصبر أبا عبد الله، بشط الفرات...)[٥]، وقال ابن كثير تفرَّد به أحمد بن حنبل، ثمَّ ذكر: (وقد روى محمَّد بن سعد... مثله)[٦]، وهكذا نجد مدى وثاقة ومصداقيَّة رواية ابن سعد لدى ابن كثير فأتى بها من أجل توثيق رواية أحمد بن حنبل إذا ما علمنا مكانة الأخير لديه.

---

(١) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ١٧٤-١٧٨.

(٢) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ١٧٤-١٧٨.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ١٨٣.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ٨ / ١٨٣.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ٢١٧؛ ينظر: ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، ٦/ ٤١٩.

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ٢١٧؛ ينظر: ابن سعد الطبقات الكبير، ٦/ ٤١٩.

ثمَّ ذكر نصاً ثالثاً في المعنى ذاته بقوله: (وقد روى محمَّد بن سعد وغيره من غير وجه..)[١]، فذكر أنَّ الإمام عليّاً عليه السَّلام أخبر أصحابه عن استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام في موضع كربلاء ووصفهم بأنَّهم أفضل الشهداء يدخلون الجنة بغير حساب[٢]، والملاحظ على هذه الرواية أنَّ ابن كثير تصرَّف بها بأُسلوبه الخاص من دون أنْ يتقيد بنصِّ ابن سعد كونه ذكر: (وقد روى محمَّد بن سعد وغيره من غير وجه)، ويبدو أنَّه أعطى لرواية ابن سعد أهميَّة ووثاقة أكثر بذكره اسمه من دون غيره من المؤرخين، وكأنه بإيراده اسم ابن سعد جزم بصحتها.

أمَّا النص الرابع الذي اقتبسه ابن سعد بقوله: (وقال محمَّد بن سعد..)[٣] ذاكراً وصول خبر استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام إلى أُمِّ سلمة، وكيف أنَّها لعنت أهل العراق، ولم يغير ابن كثير في نصِّ ابن سعد، لكنَّه أورد قبله رواية عن الترمذي ذكر فيها أنَّ أُمَّ سلمة علمت باستشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام قبل ذلك، ثمَّ أورد رواية ابن سعد التي أشارت إلى أنَّ أُمَّ سلمة علمت بذلك حين سمعت بصارخة في المدينة.

ويبدو أنَّ ابن كثير أراد أنْ يضعف رواية الترمذي برواية ابن سعد هذه فذكرها بعدها مباشرة كونه يَعدُّ ذلك من أكاذيب ومفتريات الشيعة بهذا الشأن حسب زعمه.

أمَّا النصُّ الخامس الذي ذكره ابن كثير فهو في فضائل الإمام الحسين عليه السَّلام، فذكر قول عمرو بن العاص بأنَّ الحسين أحبُّ أهل الأرض إلى أهل السماء[٤]، وقد ذكره ابن كثير مباشرة بعد رأي له يقول فيه: (قلت وقد ثبت أنَّ عمر بن الخطاب كان يُحبّهما

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ٢١٧.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٨ / ٢١٧؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤١٩-٤٢٠.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ٢١٩.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ٢٢٦.

ويُكرمهما ويحملُهما ويعطيهما في الديوان كما يُعطي أباهما....)[١]، وكأنَّ ابن كثير أراد أنْ يأتي بشاهدين يبينان حبَّ الصحابة لأهل البيت ممَّن عُرفوا بمخالفتهم إياهم.

وذكر ابن كثير نصّاً آخر اقتبسه من ابن سعد بقوله: (فروى محمَّد بن سعد: أنَّ يزيد بعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد نائب المدينة فدفنه عند أُمِّه بالبقيع)[٢]، وساق ابن كثير روايات عدَّة بشأن دفن الرأس فضعَّف بعضها[٣]، والملاحظ على ابن كثير أنَّه تصرَّف بنصِّ ابن سعد واختصره، لكنَّه ساق روايته في مقدِّمة تلك الآراء من دون أنْ يبدي رأيه في صحتها ولم يضعّفها كغيرها، فمثلاً هو أنكر قول الفاطميين إنَّهم نقلوا الرأس إلى الديار المقدَّسة فقال: (وقد نصَّ غير واحد من أئمة أهل العلم على أنَّه لا أصل لذلك، وإنَّما أرادوا أنْ يروجوا بذلك بطلان ما ادَّعوه من النسب الشريف، وهم في ذلك كذبة خونة)[٤]، وهو بذلك يعبرِّ عن تعصبه المذهبي وموقفه المتشدد من الشيعة.

أمَّا النصُّ الآخر الذي ذكره ابن كثير بقوله: (قال محمَّد بن سعد...) وهو أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام حجَّ ماشياً خمساً وعشرين سنة، ثمَّ ذكر رواية أُخرى عن الفضل بن دكين، لكنَّه ضعَّف الروايتين بقوله: (والصواب أنَّ ذلك إنَّما هو الحسن أخوه، كما حكاه البخاري)[٥].

ويمكننا القول من خلال ما اقتبسه ابن كثير من نصوص ابن سعد إنَّه كان انتقائياً

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ٢٢٦.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ٢٢٢؛ وينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٩.

(٣) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ٢٢٢.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ٢٢٢؛ وللمزيد من التفاصيل عن نسب الفاطميين، ينظر: العسكري، الدعوة الفاطمية، ص٩-٣٢.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ٢٢٦.

في اختيارها من دون غيرها، فعلى سبيل المثال كان لذكر ابن سعد العدد الكبير من الناصحين مثاراً للشبهات، وكأنَّه أوحى من خلال ذلك أنَّ الإمام عليه السَّلام كان عليه الأخذ بآرائهم، فأظهره بمظهر المخطئ وفي المقابل صوب رأيهم، نجد ابن كثير اقتبس هذا النصَّ كاملاً بل وحسّنه وصوّبه ومهّد له قبل التكلّم فيه، كونه يتماشى مع رأيه، فقد عنون ترجمته للإمام الحسين عليه السَّلام بقوله: (قصة الحسين بن عليٍّ وسبب خروجه من مكَّة في طلب الإمارة وكيفيَّة مقتله)[١]، وهو بذلك بيَّن مُسبقاً سبب خروج الإمام الحسين عليه السَّلام هو طلباً للإمارة وليس للإصلاح في أُمَّة جده والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو بذلك وظَّف رواية ابن سعد في سوقه هذا العدد الكبير من الناصحين لصالح رؤيته في أنَّ كلَّ هؤلاء قد نصحوه في ترك مقارعة الأُمويين والذهاب للكوفة، ولذلك نجده اقتبس في هذا النصِّ أكثر من خمس صفحات.

ونحن نتفق مع ما ذهب إليه أحد الباحثين بأنَّ: (التعصب المذهبي بدا واضحاً في (البداية والنهاية)، وذلك عبر توجيه الهجمات ضدَّ مذهب الشيعة مستعيناً بألفاظ الطعن، مبدياً بغضه لهم بوصف رواياته بأنَّها مزاعم وادّعاءات وفيها مبالغة)[٢]، ويؤيد ذلك ما ذكره ابن كثير نفسه في نهاية ترجمة الإمام الحسين عليه السَّلام: (وفي بعض ما أوردناه نظر، ولولا أنَّ ابن جرير وغيره من الحفَّاظ والأئمَّة ذكروه ما سقته، وأكثره من رواية أبي مخنف لوط بن يحيى، وقد كان شيعياً، وهو ضعيف الحديث عند الأئمَّة، ولكنَّه أخباري حافظ، عنده من هذه الأشياء ما ليس عند غيره، ولهذا يترامى عليه كثير من المصنفين في هذا الشأن ممَّن بعده والله أعلم)[٣]، ويمكن من ذمِّه الصريح لأبي مخنف

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ١٦٠.

(٢) العبد الله، تطور منهج الكتابة التاريخية (كتب التاريخ العام)، ص٣٤٠.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ٨/ ٢٢٠.

واضطراره الأخذ منه في المقابل مدحه وسكوته عن ابن سعد يُظهر مقبوليَّة رواية ابن سعد عنده.

أمَّا السيوطي (ت:٩١١هـ/ ١٥٠٥م) في كتابه تاريخ الخلفاء فعلى الرغم من أنَّه اعتمد على العديد من النصوص وتخريج الأحاديث على ابن سعد بذكره (أخرج ابن سعد...)[١]، عند حديثه عن الإمام الحسن عليه السَّلام ومناقبه، إلاَّ أنَّه فيما يتعلق بالإمام الحسين عليه السَّلام ذكر نصّاً واحداً يتعلق بتسميته تحت عنوان: (أخرج بن سعد... الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة، ما سمَّت العرب بهما في الجاهلية)[٢]، والسيوطي نقل هذا النصَّ من ابن سعد مع تغيير بسيط عن نصِّ ابن سعد الذي ذكر: (الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة، لم يكونا في الجاهلية)[٣]، وقد اكتفى السيوطي برواية ابن سعد هذه في التسمية ولم يُشر إلى رواية أُخرى بهذا الشأن.

أمَّا ابن حجر الهيثمي (ت: ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م) في الصواعق المحرقة فأخرج تحت عنوان فضائل أهل البيت النبويّ، ثلاثين حديثاً نبوياً شريفاً أشار خلالها في أربعة نصوص لابن سعد:

ففي تسميتهما ذكر روايتين الأُولى أنَّهما سميّا بأسماء ابني نبيِّ الله هارون عليه السلام، وأمَّا الثانية فقال: (وأخرج ابن سعد... ثمَّ ذكر (أنَّ الحسن والحسين من أسماء أهل الجنة ما سمت العرب بهما في الجاهلية)[٤]، وعن الإخبار باستشهاده ذكر ابن حجر الهيثمي

(١) تاريخ الخلفاء، ص١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١.

(٢) تاريخ الخلفاء، ص١٨٧.

(٣) الطبقات الكبير، ٦/ ٣٥٧.

(٤) الصواعق المحرقة، ص٢٣٨؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٣٥٧.

روايات عدَّة بهذا الشأن، لكنَّه ابتدأ بقوله: (أخرج ابن سعد والطبراني)[١]، ثمَّ ذكر حديث رسول الله صلَّى الله عليه وآله أنَّ الإمام عليه السَّلام يقتل بأرض الطف، ولم يسترسل كثيراً حتى عاد ليقول: (وأخرج ابن سعد عن الشعبي..)، ثمَّ ذكر قول الإمام عليٍّ عليه السَّلام لَّما مرَّ على موضع كربلاء: (ههنا مناخ ركابهم، وههنا موضع رحالهم وههنا موضع مهراق دمائهم فتية من آل محمَّد يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض)[٢]، ثمَّ ذكر وأخرج أيضاً - يقصد ابن سعد- حديثاً نبوياً شريفاً عن إخبار الرسول صلَّى الله عليه وآله أنَّه أخبره جبريل باستشهاده وأراه التربة التي يستشهد فيها[٣].

ومن خلال ما تقدَّم نجد ابن حجر الهيمثي قد أَولى روايات ابن سعد اهتماماً واضحاً فأخرج أحاديث رسول الله صلَّى الله عليه وآله عن طريقه، كون ابن سعد ينهج منهج المحدثين في ذلك، حيث إنَّه كان حريصاً في أغلب الأحيان على ذكر سند الرواية كاملاً، وهو ما يستحسنه أغلب المحدثين، لكنَّ الظاهر ممَّا ذكره ابن حجر الهيثمي أنَّه حاول التلاعب بنصِّ ابن سعد في جميع ما ذكره وإنْ حرص على المحافظة على مضمون الرواية.

---

(١) الصواعق المحرقة، ص٢٣٨؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤١٨.

(٢) الصواعق المحرقة، ص٢٣٩؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤١٨-٤١٩.

(٣) الصواعق المحرقة، ص٢٣٩- ٢٤٠؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤١٨.

المبحث الثاني: أثر روايات ابن سعد في كتب الأنساب والتراجم:

تنوعت كتب الأنساب والتراجم في التراث الإسلامي، وكان لها دورٌ مهمٌ ورئيسٌ في إثراء الرواية التاريخيَّة وحفظها، ومن البديهي أنْ تتنوع من حيث وثاقتها وأهميتها حسب صاحب المؤلف ومنهجيته ونوعية مصنفه وقيمة موارده ووثاقتها، وكان كتاب الطبقات الكبير لابن سعد من بين تلك الموارد التي نهل منها هذا النوع من المصادر التاريخيَّة.

على الرغم من أنَّ البلاذري (٢٧٩هـ/ ٩٩٠م) أحد تلاميذ ابن سعد، لكنَّنا نجده في كتابه أنساب الأشراف لم يقتبس منه في ترجمته للإمام الحسين عليه السَّلام سوى نصين ابتدأهما بقوله: حدثني محمَّد بن سعد عن الواقدي[1].

جاء النصُّ الأوَّل عن تسمية الإمام عليه السَّلام، وكيف أنَّ الإمام عليّاً عليه السَّلام سماهما حرباً وأنَّ الرسول صلَّى الله عليه وآله غيَّرهما[2]، ومن الملاحظ على النصِّ المتقدِّم الذكر أنَّ البلاذري سمعه مباشرة من ابن سعد بقوله: حدثني محمَّد بن سعد، ومن مقارنة نصِّ البلاذري مع النصِّ الموجود في كتاب الطبقات الكبير نجد أنَّ هناك اختلافاً ببعض الكلمات التي لا تغيّر من مضمون الرواية شيئاً، لكنَّ اللافت للنظر أنَّ نصَّ ابن سعد في كتاب الطبقات الكبير جاء بسنده عن عبيد الله بن موسى، في حين ذكر البلاذري النصَّ عن ابن سعد عن الواقدي[3]، وهذا يعني أنَّ ابن سعد كان من السعة والاطلاع أنْ يأتي بأكثر من طريق عن الرواية الواحدة، وتبدو أهميَّة نصِّ ابن سعد عند البلاذري أنَّه اكتفى بهذا النصِّ في تسمية أبناء الإمام عليٍّ عليه السَّلام من دون أنْ يأتي بأيِّ رواية أُخرى بهذا الشأن.

(١) أنساب الأشراف، ٣/ ٣٦١، ٥/ ١٥٠.

(٢) أنساب الأشراف، ٣/ ٣٦١.

(٣) أنساب الأشراف، ٣/ ٣٦١، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٣٥٦.

أمَّا النص الثاني الذي ذكره البلاذري وأشار صراحة إلى ابن سعد هو خطبة أُمِّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر وأمُّها زينب بنت عليٍّ عليهما السَّلام ليزيد بن معاوية وموقف الإمام عليه السَّلام[١].

ومن الملاحظ على نصِّ البلاذري أنَّه يختلف في العديد من الأُمور ومنها سند الرواية، كذلك جاءت رواية البلاذري بتفاصيل أوسع، ومن ذلك مقدار ديون عبد الله بن جعفر[٢]، والتي كانت سبباً مهمًا في رغبته بزواج ابنته من يزيد بن معاوية.

والظاهر أنَّ البلاذري دوَّن روايته هذه بما حدَّثه به ابن سعد حينها، وربما كتبها بأُسلوبه الخاص وأضاف عليها بعض ما سمعه من ابن سعد، كون مضمون رواية البلاذري تضمَّن بعض روايات ابن سعد في غير هذا الموضع مثل ذكر البغيبغة وغيرها[٣].

واعتمد الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) في كتابه تاريخ بغداد على بعض مرويات ابن سعد بشأن الإمام الحسين عليه السَّلام على الرغم من ترجمته المقتضبة له والتي لم تتجاوز ثلاث صفحات[٤]، لكنْ من الملاحظ على تلك النصوص أنهَّا جاءت برواية ابن أبي الدنيا، ومن مقارنتها مع ما ورد في كتاب الطبقات الكبير نجدها تختلف نوعاً ما، لكنَّها جاءت مطابقة لما ورد في كتاب الطبقات الصغير[٥]، فعلى سبيل المثال ذكر الخطيب البغدادي: (أنبأنا ابن أبي الدنيا قال: أنبأنا محمَّد بن سعد قال: أخبرت عن ابن عيينة قال:

---

(١) أنساب الأشراف، ٥/ ١٥٠-١٥٢؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤١٤-٤١٥.

(٢) روي أنَّ ديون عبد الله بن جعفر كانت خمسين ألف دينار، ويعطيه عشرة آلاف دينار، ويصدقها أربعمائة ويكرمها بعشرة آلاف دينار.. ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٥/ ١٥٠.

(٣) أنساب الأشراف، ٥/ ١٥٠-١٥٢؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤١٤.

(٤) تاريخ مدينة بغداد، ١/ ١٥١-١٥٤.

(٥) الطبقات الصغير، ١/ ١٥٨.

سمعت الهذلي يسأل جعفر بن محمَّد فقال: قتل الحسين وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة)[١].

ومن مقارنة النصِّ المتقدِّم مع نصِّ ابن سعد في الطبقات الكبير نجد هناك فرقاً واضحاً بين النصَّين في ذكر السند فقد ورد فيه: (وكان جعفر بن محمَّد يقول: قُتل الحسين وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة)[٢].

ففي حين أورد الخطيب البغدادي سنداً للرواية نجد نصَّ ابن سعد في الطبقات الكبير جاء مرسلاً عن الإمام جعفر الصادق عليه السَّلام، لكنَّ مضمون الرواية جاء مطابقاً لما أورده ابن سعد.

والظاهر أنَّ تلاميذ ابن سعد ورواة كتبه استقوا معلوماتهم من أستاذهم ابن سعد ربما بأوقات مختلفة، فضلاً عن قدرة ابن سعد وسعة اطلاعه، فأورد بعض الروايات من طرق مختلفة، وربما كون هذه الرواية عن الإمام الصادق عليه السَّلام أوردها مرسلة برواية الحسين بن فهم، في حين جاءت مسندة برواية ابن أبي الدنيا الذي يبدو أنَّه راوي كتاب الطبقات الصغير.

ويُعدُّ ابن عساكر (٥٧١هـ/ ١١٧٥م) من بين أكثر المؤرخين اعتماداً على ابن سعد في كتابه تاريخ مدينة دمشق، فقد ذكر أحد الباحثين أنَّه اقتبس من نصوص كتاب الطبقات الكبير لابن سعد (٣١٣٠) نصاً[٣]، ممَّا يوضح الأهميَّة الكبيرة التي أولاها ابن عساكر له كمورد من أهمِّ موارده، ومن الطبيعي أنْ تسري تلك الأهميَّة على مرويات ابن سعد في

(١) تاريخ بغداد، ١/ ١٥٤؛ وينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤١.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤١.

(٣) الدعجاني، موارد ابن عساكر في تاريخ دمشق، ٣/ ١٦٣٥.

أثناء ترجمته للإمام الحسين عليه السَّلام التي ناهزت مئة وخمسين صفحة[١] اقتبس خلالها ثمانية وثلاثين نصاً من ابن سعد شكّلت مادّة مهمّة ورئيسة من ترجمته.

والملاحظ على ابن عساكر أنَّه أورد أغلب اقتباساته ونصوصه من ابن سعد إنْ لم تكن جميعها من ضمن السند بقوله: أنا محمَّد بن سعد، ثمَّ يأتي بسند ابن سعد مباشرة[٢]، وفي غيرها ذكر وأنا ابن سعد[٣]، وكذلك في موضع آخر قال: يقصد ابن سعد[٤]، وجاءت تلك الروايات بسنده عن الحسين بن فهم راوي كتاب الطبقات الكبير ما عدا ثلاث روايات ذكرها بقوله: (أنا ابن أبي الدنيا نا محمَّد بن سعد)[٥].

فكان أوَّل نصٍّ ذكره ابن عساكر من كتاب الطبقات الكبير هو وفادة الإمام الحسين عليه السَّلام على معاوية[٦]، وكان هذا النص مهمّاً لدى ابن عساكر كونه أحد النصوص القليلة التي كانت سبباً في ترجمته للإمام الحسين عليه السَّلام، فذكر بعد نسبه الشريف (ووفد على معاوية...)(٧))، فكان نصُّ ابن سعد أوَّل ثلاثة نصوص ذكرها في هذا الشأن، حيث كانت تلك الروايات السبب الرئيس في ترجمته له في تاريخ مدينة دمشق، حسب ما وضعه من ضوابط وشروط لمن يترجم له.

أمَّا النصُّ الثاني: فجاء في حديثه عن كنيته عليه السَّلام فذكر تسع روايات عن ذلك

(١) ينظر: تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١١١-٢٦٠.

(٢) ينظر: تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١١٢، ١٥٥، ١٧١، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٠، ١٨٩، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٤، ٢١٦، ٢٢١، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣٨، ٢٤٥، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٥٧.

(٣) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١٩٥، ١٨٠، ١٩٩، ٢٠٤، ٢٥٥.

(٤) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١٨٠، ٢١٦، ٢٢٧، ٢٣٨، ٢٣٩،

(٥) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ٢٤٥، ٢٥٤.

(٦) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١١٢.

(٧) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١١١.

كانت إحداها مقتبسة من ابن سعد، بقوله: أنا محمَّد بن سعد، قال: في الطبقة الخامسة: الحسين بن عليٍّ...[١]، ومن الملاحظ على ما ذكره ابن عساكر أنَّه سبق النصّ بقوله: في الطبقة الخامسة وهي الطبقة التي وضع ابن سعد فيها الإمام الحسين عليه السَّلام حسب منهجيته التي اتبعها في تصنيف الصحابة، فجعله في الطبقة التي خصصها لمن توفى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وهم أحداث الأسنان[٢]، كذلك نجد ابن عساكر على الرغم من أنَّه ذكر نصَّ ابن سعد في أثناء حديثه عن كنيته إلَّا أنَّنا نجده ذكر الرواية كاملة فشملت نسبه وولادته.

وجاء النصُّ الثالث عند تناوله محبة رسول الله صلَّى الله عليه وآله للإمام الحسين عليه السَّلام، فذكر قول الرسول صلَّى الله عليه وآله: (هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهم إنَّك تعلم أنِّي أحبّهما فأحبّهما، اللهم إنَّك تعلم إنِّي أُحبّهما فأَحبّهما، اللهم إنَّك تعلم أنِّي أُحبّهما فأَحبّهما)[٣]، وكان ابن عساكر حريصاً على نقل النصِّ بسنده كما ورد عند ابن سعد، وجاء نصُّ ابن سعد من ضمن ست وعشرين رواية ذكرها ابن عساكر تتحدث عن محبّة رسول الله صلَّى الله عليه وآله للإمام الحسين عليه السَّلام، من دون أنْ تكون هناك أفضليَّة أو تقديم لرواية ابن سعد، وإنَّما أوردها بعد أن ذكر ثماني عشرة رواية من رواياته بهذا الشأن، ولمَّا تحدث عن مكانته ومنزلته عليه السَّلام عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله جاء بنصٍّ رابع من ابن سعد تحدث فيه عن خوف النبيِّ عليهما من حرِّ الصيف[٤]، وكعادته التزم ابن عساكر بنصِّ ابن سعد كما هو دون أنْ يغير فيه نصّاً وسنداً.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١٢٠؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٣٩٩.

(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٣١٩.

(٣) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١٥٥؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٠٣.

(٤) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١٧١؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٠٣-٤٠٤.

وعندما ذكر ابن عساكر موقف الإمام الحسين عليه السَّلام من عمر بن الخطاب ذكر رواية ابن سعد بأنَّه عليه السَّلام صعد المنبر وقال له: انزل عن منبر أبي[١]، فجاء من ضمن ثلاث روايات أشارت إلى موقفه عليه السَّلام من عمر، حرص فيها ابن عساكر على ذكر نصِّ ابن سعد كما هو، واستمر ابن عساكر في ذكر موقف الإمام الحسين عليه السَّلام من عمر بن الخطاب، فذكر نصين آخرين اقتبسهما من ابن سعد فقال: إنَّ عمر لمَّا فرض العطاء ألحقهما بفريضة أبيهما[٢]، والنصُّ الآخر هو ندمه على أنَّه لم يعطِ الإمامين الحسن والحسين عليهما السَّلام من حلل جاءت من اليمن[٣].

ومن الملاحظ على النصين المتقدمين أنَّ ابن عساكر اكتفى بذكر نصٍّ آخر إلى جنب نصِّ ابن سعد في كليهما من دون ذكر أيِّ نصوص أُخرى بهذا الشأن، والذي اعتاد عليه في منهجيته، ممَّا يعني مدى وثاقة نصوص ابن سعد المعتمدة عنده والاكتفاء بها في إكمال رواياته بهذا الشأن.

وذكر ابن عساكر في النصين الثامن والتاسع اللذين اعتمدهما من ابن سعد على أقوال الإمام عليٍّ عليه السَّلام بحقِّ الإمامين الحسن والحسين عليهما السَّلام[٤]، أورد ذلك من ضمن ثلاث روايات، اعتمد في اثنتين منهما على ابن سعد حرص من خلالهما على ذكرهما نصاً كما ذُكرا في النصِّ الأصلي.

ولمَّا أراد ابن عساكر ذكر آراء بعض معاصريه بحقِّه عليه السَّلام أشار في ثلاثة نصوص متتالية معتمداً في ذلك كلياً على ابن سعد من دون أنْ يشير إلى أيِّ رواية أُخرى

(١) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١٧٥؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٠٨.
(٢) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١٧٦؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٠٧.
(٣) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١٧٧؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٠٧.
(٤) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١٧٧؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٣٧٠، ٣٧٣.

معهما، وهو ما يشير إلى أهميَّة نصوص ابن سعد تلك، فذكر قول معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وأبي هريرة[١]، جاء بتلك النصوص الثلاثة وكعادته بذكره ابن سعد من ضمن السند بالقول: (أنا محمَّد بن سعد)، لكنَّه هذه المرَّة ذكر في إحداها قال: (وأنا ابن سعد...)[٢].

وتحدث عن سجاياه وفضائله فذكر في النصِّ الثالث عشر المقتبس من ابن سعد في مقدِّمة مروياته عن هذا الموضوع، فذكر أنَّه حجَّ خمساً وعشرين حجةً ماشياً[٣]، ثمَّ ذكر قال: - يقصد ابن سعد- (إنَّ الحسين بن عليٍّ حجَّ ماشياً، وإنَّ نجائبه تقاد وراءه)[٤]، هذا النصُّ أورده ابن سعد لكنْ ذكر: (وإنَّ نجائبه تقاد إلى جنبه)[٥]، ومن الملاحظ أنَّ نصَّ ابن عساكر يختلف عمَّا ورد في رواية ابن سعد بمفردة جنبه، وربما كان ذلك تصحيفاً من بعض النساخ، ويبدو أنَّ ابن عساكر شكك في صحّة تلك الروايتين فذكر بعدهما أنَّ الذي حجَّ هو الإمام الحسن عليه السَّلام[٦].

أمَّا النصُّ الخامس عشر فقد ذكره ابن عساكر عن كرم الإمام عليه السَّلام وإخلاص أصحابه في الذود عنه، فذكر نصَّ ابن سعد في رفض أحد أصحاب الإمام الحسين عليه السَّلام الذهاب في خلاص أحد أبنائه من الأسر[٧]، وعلى الرغم من حرص ابن عساكر على ذكر النصِّ من دون تغيير في السند إلَّا أنَّنا نجد

---

(١) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١٧٩-١٨٠؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٤.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١٧٩.

(٣) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١٨٠؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤١٠.

(٤) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١٨٠.

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤١٠.

(٦) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١٨٠-١٨١.

(٧) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١٨٢؛ وينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٧.

أنَّـه ورد لديـه كلمـة فـداء أخيـه، بينما عنـد ابن سـعد وردت فـكاك أخيه، وربـما كونها كلمـة مرادفـة أو أنَّهـا مـن أيـدي النسـاخ أو التصحيف.

وفي النصِّ السادس عشر المقتبس من ابن سعد ذكر فيه إحدى كرامات الإمام الحسين عليه السَّلام، فأشار كيف أنَّ بئر عبد الله بن مطيع قد عذب وفاض ماؤه ببركته عليه السَّلام[١]، ومن الملاحظ أنَّ ابن عساكر لم يأتِ بغير رواية ابن سعد في هذا الشأن، وهو بذلك اعتمدها من دون غيرها، وكذلك أراد أنْ يغطي ترجمة كاملة ووافية عن الإمام الحسين عليه السَّلام فأكمل من خلال ذلك بعض النواقص التي لم يجدها عند غير ابن سعد فجاء بها مسندة.

وخصص ابن عساكر للإخبار عن استشهاده عليه السَّلام العديد من الروايات[٢]، أشار من خلالها كيف أنَّ الرسول صلَّى الله عليه وآله والإمام عليّاً عليه السَّلام وغيرهما قد أخبرا عن أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام يستشهد في كربلاء وأنَّه سوف يجري عليه ما جرى، وشكّلت روايات ابن سعد حيزاً واضحاً ومهماً من تلك المرويات، فاعتمد خمسة نصوص ثلاثة منها عن الرسول صلَّى الله عليه وآله[٣]، ونصان عن إخبار الإمام عليٍّ عليه السَّلام[٤]، وكعادته التزم بنصوص ابن سعد مشيراً له من ضمن السند بقوله: (أنا محمَّد بن سعد)[٥]، في ثلاثة مواضع بينما أشار في موضعين بقوله: (وأنا ابن سعد)[٦].

(١) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١٨٢؛ وينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٧/ ١٤٤.
(٢) ينظر: تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١٨٧-٢٠١.
(٣) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١٨٩، ١٩٤-١٩٥؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤١٨-٤١٩.
(٤) تاريخ مدينة دمشق ١٤/ ١٨٩-١٩٩؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤١٩-٤٢٠.
(٥) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١٨٩، ١٩٥، ١٩٨.
(٦) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ١٩٥، ١٩٩.

وجاء ابن عساكر بروايات عدَّة تحدَّث فيها عن استشهاده وخروجه عليه السَّلام[١]، شكَّلت نصوص ابن سعد نصفها تقريباً، وتجاوز النصُّ الثاني والعشرون المقتبس منه وحده ما يقارب عشر صفحات[٢] أورده ابن عساكر كاملًا من دون أيِّ تغيير، هذا النصُّ المطوَّل الذي أورده ابن سعد تحت عنوان (مقتل الحسين بن عليٍّ صلوات الله عليهما وسلامه)[٣]، ويبدو من أهميته لدى ابن عساكر أنَّه لم يأتِ براوية في هذا الشأن تضاهيه مع ذكره العديد من الروايات، بل إنَّ ابن عساكر ذكر ست روايات أُخرى من موارد مختلفة، ثمَّ عاد واقتبس خمسة نصوص أُخرى من ابن سعد أَوّلها مرور الإمام الحسين عليه السَّلام بالثعلبيَّة وما جرى بينه وبين أحد الناصحين[٤]، وهذا النصُّ وردت فيه كلمة لم نجدها في نصِّ ابن سعد، ففي حين وردت عند ابن عساكر (فضرب بالسوط على عيبة قد حقبها خلفه)، وردت عند ابن سعد من دون كلمة (خلفه)، وربما هذا اختلاف في بعض أُصول كتاب الطبقات الكبير، وهي لا تغيّر من المضمون شيئاً.

أمَّا النصُّ الثاني الذي أشار به ابن عساكر بقوله: قال: - يقصد ابن سعد- فهو كذلك لأحد الناصحين في الطريق[٥].

ومن الملاحظ أنَّ ابن عساكر استوفى تقريباً جميع روايات ابن سعد بشأن الناصحين رغم العدد الكبير لهم، وربما أراد بذلك سدَّ النقص الحاصل في ذكر الناصحين من خلال مرويات ابن سعد، وقد يكون أراد ابن عساكر أنْ يشير ضمنياً إلى أنَّ الإمام الحسين

(١) ينظر: تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ٢٠١-٢٢٥.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ١٤/ ٢٠٤-٢١٣؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢١-٤٣٠.

(٣) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ٤٢١.

(٤) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ٢١٦؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣١.

(٥) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ٢١٦؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣١.

عليه السَّلام كان عليه الأخذ بأقوال هؤلاء الناصحين، كوننا نجده كان حريصاً على ذكر هؤلاء من دون أنْ يهمل منهم أحداً، في حين نجده أهمل بعض مرويات ابن سعد في مواضيع أُخرى.

ثمَّ ذكر ثلاثة نصوص عن أقوال الإمام عليه السَّلام بأنَّهم سوف يعتدون عليه كما اعتدت بنو إسرائيل في السبت، وأنَّهم لا يدعونه حتى يستخرجوا العلقة من جوفه[١]، وكذلك كيف أنَّ أحدهم كان ينزل قريباً من موضع كربلاء حتى جاء الحسين عليه السَّلام وقاتل معه[٢].

وعن مكانة وفضل الإمام الحسين عليه السَّلام والشهداء الذين معه جاء ابن عساكر بثلاث روايات كانت إحداها من مرويات ابن سعد، فذكر قول الإمام عليٍّ عليه السَّلام بأنَّهم أفضل شهداء على الأرض ما عدا شهداء رسول الله صلَّى الله عليه وآله[٣].

وهكذا نجد ابن عساكر في موضوعة خروج الإمام الحسين عليه السَّلام واستشهاده قد اعتمد بشكل واضح وكبير على مرويات ابن سعد في هذا الشأن، وكان مجموع ما ساقه من روايات أُخرى لا تضاهي ما اقتبسه من ابن سعد، وقد حرص ابن عساكر على أنْ يكون أميناً في نقله، وجاءت إشارته وكما في جميع مروياته بالإشارة من ضمن سند الرواية.

ولَّما تحدث ابن عساكر عن الإعجاز الإلهيِّ بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام ساق ثلاثة نصوص لابن سعد، أوردها إلى جنب العديد من الروايات بهذا الشأن، بيَّنت

(١) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ٢١٦؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢١.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ٢١٦؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢١.

(٣) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ٢٢١- ٢٢٢؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤١٩-٤٢٠.

كيف كانت الحمرة تُرى في آفاق السماء، وأنَّه ما رفع حجر عن حجر إلَّا وجِدَ تحته دم[١].

وكذلك عندما ذكر ابن عساكر عاقبة الذين قاتلوا الإمام الحسين عليه السَّلام اقتبس نصين بهذا الشأن من ابن سعد[٢]، ويبدو من أهميتهما أنَّه وضعهما في مقدِّمة مروياته التسع التي أوردها عن عاقبة الذين قاتلوا الإمام عليه السَّلام، وكعادته أشار إلى ابن سعد من ضمن سند الرواية والتزم بنقل نصِّ ابن سعد كما هو، لكن في النص الثاني وردت عند ابن عساكر (فذهب بصره لعنه الله) لم ترد (لعنه الله)[٣] في النصِّ الأصلي.

وأورد ابن عساكر في النصِّ الرابع والثلاثين المقتبس من ابن سعد موقف أُمِّ سلمة لَمَّا علمت باستشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام[٤]، في حين أورد في النصِّ الخامس والثلاثين موقف ابن الزبير وما جرى من حديث بين ابن عباس وبينه، وكذلك ما قاله المسور بن مخرمة لعبد الله بن الزبير بأنَّه أشار عليه بالخروج[٥].

هـذا النـصُّ المقتبـس الـذي ناهـز الصفحـة لم يقرنه ابـن عسـاكر بروايـة أُخرى عن موقـف ابـن الزبير مـن ابن عبـاس، وإنَّما اكتفـى بنصِّ ابن سـعد على غير عادته بسـوقه العديـد مـن الروايـات للحـدث الواحد، وهو دليـلٌ على أهميَّـة رواية ابن سـعد ومدى اعتـماد ابن عسـاكر لها.

أمَّا النصُّ السادس والثلاثون المقتبس من ابن سعد والمتضمن عمره الشريف عليه السَّلام حين استشهاده، فهو مختلف في أمرٍ مهمٍّ، فإنَّ كلَّ ما ذكره ابن عساكر كان برواية

(١) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ٢٢٦-٢٢٧، ٢٢٩ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٥، ٤٥٦.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ٢٣١-٢٣٢؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٤.

(٣) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ٢٣٢؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٤.

(٤) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ٢٣٨؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٢.

(٥) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ٢٣٨- ٢٣٩؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٠-٤٥١.

الحسين بن فهم تلميذ ابن سعد وراوي كتابه، لكنَّ هذا النص جاء برواية ابن أبي الدنيا وهو كذلك أحد تلاميذ ابن سعد، فجاء النصُّ عند ابن عساكر بقوله: (... نا ابن أبي الدنيا نا محمَّد بن سعد، قال: أخبرت عن ابن عيينة، قال: سمعت الهذلي يسأل جعفر بن محمَّد، فقال: قتل حسين وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة)[١].

ومن مقارنة هذا النصِّ مع ما ذكره ابن سعد في الطبقات الكبير (وكان جعفر بن محمَّد يقول: قتل الحسين وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة)[٢]، نجد أنَّ هناك بوناً واضحاً بينهما، ففي حين وردت الرواية مسندة موثقة عند ابن عساكر نجدها جاءت مرسلة في كتاب الطبقات الكبير وإنْ كان المضمون واحداً، والنصُّ جاء مطابقاً لما ورد في كتاب الطبقات الصغير[٣] والذي يبدو أنَّ ابن عساكر اقتبسه منه أو من الخطيب البغدادي الذي ذكر النصَّ نفسه[٤].

أمَّا النصُّ السابع والثلاثون هو الآخر جاء برواية ابن أبي الدنيا بقوله: (أنا ابن أبي الدنيا، قال: أنا محمَّد بن سعد، قال: الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب قتل بنهر كربلاء يوم عاشوراء في المحرَّم سنة إحدى وستين وهو ابن ست وخمسين سنة)[٥]، وهذا النصُّ ورد مختلفاً بعض الشيء في كتاب الطبقات الكبير فلم يشر نصُّ ابن سعد إلى سند الرواية أو نهر كربلاء[٦]، ويبدو أنَّ هذا النصَّ نقله ابن عساكر من كتاب الطبقات الصغير[٧].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ٢٤٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤١.

(٣) ينظر: ابن سعد، الطبقات الصغير، ١/ ١٥٨.

(٤) ينظر: تاريخ بغداد، ١/ ١٥٤.

(٥) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ٢٥٤.

(٦) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤١.

(٧) الطبقات الصغير، ١/ ١٥٨.

في حين جاء النص الثامن والثلاثون المقتبس من ابن سعد عن أنَّ الخضاب قد نصل من الشيب من رأسه ولحيته[١]، وعلى الرغم من التزام ابن عساكر بسند الرواية إلاَّ أنَّ هناك بعض الكلمات لم تكن في نصِّ ابن سعد إلَّا أنَّها لا تغيّر من المضمون شيئاً.

تبيَّن من خلال مرويات ابن عساكر عن ابن سعد الآتي:

١ – شكَّلت مادة ابن سعد حيزاً كبيراً ومهمّاً من مرويات ابن عساكر في ترجمته للإمام الحسين عليه السَّلام.

٢– أورد الأعمَّ الأغلب من رواياته بإشارته إلى ابن سعد من ضمن سند الرواية حسب منهجية ابن عساكر التي اتبعها في إيراد الروايات على أُسلوب المحدثين.

٣– أورد ابن عساكر بعض مروياته عن ابن سعد عن طريق ابن أبي الدنيا وهو ليس من رواة كتاب الطبقات الكبير؛ ولذلك نجدها مختلفة في بعض مضامينها عمَّا ذُكر في كتاب الطبقات الكبير في النسخة المعتمدة لدينا.

٤ – التزم ابن عساكر بنصوص ابن سعد كما هي من دون محاولة التصرف فيها، ولكنَّه كان انتقائياً في أخذ بعضها كاملاً من دون غيره وكما أشرنا في موضعه.

أمَّا سبط ابن الجوزي (ت: ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) في كتابه تذكرة الخواص، فكان من مصادره التي أشار إليها صراحة كتاب الطبقات الكبير لابن سعد، وذكر ذلك من خلال قوله: قال ابن سعد في الطبقات...[٢]، وذكر ابن سعد في الطبقات...[٣]، وذكر ابن سعد

(١) تاريخ مدينة دمشق، ١٤/ ٢٥٤، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٦.

(٢) ينظر: تذكرة الخواص، ٢/ ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١٢٨،١٩٩، ٢٠٦، ٢١٣،٢٣٣، ٢٤٧.

(٣) ينظر: تذكرة الخواص، ٢/ ١٥٧، ١٣٦، ١٨٩، ٢٨٨.

أيضاً...[١]، وحكى محمَّد بن سعد...[٢]، وحكاه ابن سعد...[٣]، وروى ابن سعد...[٤]، وحكى محمَّد بن سعد في الطبقات...[٥]، قاله ابن سعد...[٦].

ويبدو من تلك الاقتباسات العديدة التي تجاوزت عشرين نصاً أنَّها ذات قيمة وأهميَّة عنده، فلم يكد يمرُّ سطران على ترجمته للإمام الحسين عليه السَّلام حتى ذكر وقال ابن سعد في الطبقات فذكر ولادته، واستمر فأورد قول ابن سعد أيضاً: (ولمَّا ولد أذّن رسول الله في أُذنه)[٧] بعدها مباشرة ذكر (وقال ابن سعد أيضاً كان رسول الله يحبُّه، ويحمله على كتفه، ويقبِّل شفتيه وثناياه)[٨]، ثمَّ ذكر قول جبريل للنبيِّ بإخباره أنَّ أُمَّته ستقتله، ثمَّ ذكر (وقال ابن سعد في الطبقات... فحرص على ذكر سند ابن سعد عن أُمِّ الفضل كيف أنَّها أخبرت الرسول بأنَّها رأت فيما يرى النائم أنَّ عضواً من أعضائه سقط في بيتها، ثمَّ ساق الرواية كاملةً كما أوردها ابن سعد[٩].

ومن الملاحظ على نصوص سبط ابن الجوزي قد تصرَّف بها بشكل واضح ولم يلتزم نصَّ ابن سعد إلَّا في رواية أُمِّ الفضل، حرص على ذكر السند والبعض من المتن، أمَّا الباقي فحافظ على مضمونها وتلاعب بمفرداتها واختصرها، وناهزت نقولاته من ابن

(١) ينظر: تذكرة الخواص، ٢/ ١٢٤، ١٢٧، ١٥٨.
(٢) ينظر: تذكرة الخواص، ٢/ ١٨١.
(٣) ينظر: تذكرة الخواص، ٢/ ٢٢٦
(٤) ينظر: تذكرة الخواص، ٢/ ٢١٤.
(٥) ينظر: تذكرة الخواص، ٢/ ٢٠٠.
(٦) ينظر: تذكرة الخواص، ٢/ ٢٠٦.
(٧) ينظر: تذكرة الخواص، ٢/ ١١٦.
(٨) ينظر: تذكرة الخواص، ٢/ ١١٦.
(٩) تذكرة الخواص، ٢/ ١١٦-١١٨؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٣٩٩-٤٠١.

سعد في تلك النصوص صفحة كاملةً من نصِّ ابن سعد.

ولم تمضِ صفحة على مفارقته رواية ابن سعد حتى عاد سبط بن الجوزي للقول: (وذكر ابن سعد في الطبقات...)[(١)]، فذكر أنَّ الإمام عليه السَّلام حجَّ خمساً وعشرين حجَّة، ثمَّ أورد بعده مباشرة: (وذكر ابن سعد أيضاً..)[(٢)]، وجاء برواية أنَّ الإمام قال لعمر بن الخطاب انزل عن منبر أَبي، وفيها التزم نصَّ ابن سعد في اقتباسه الأَوَّل ونجده قد تصرَّف في النصِّ الثاني واختصره.

استمر سبط بن الجوزي في ذكر فضائل الإمام الحسين عليه السَّلام فنقل عن ابن سعد أنَّ عبد الله بن عباس كان يمسك بركاب الإمامين الحسن والحسين عليهما السَّلام[(٣)]، أمَّا النصُّ الآخر الذي نقله سبط ابن الجوزي من ابن سعد فهو عبارة عن مشادَّة وقعت بين مروان بن الحكم وبين الإمامين عليهما السَّلام، فقال: (وذكر ابن سعد أيضاً عن أبي يحيى[(٤)]، قال: قال مروان بن الحكم يوماً للحسن والحسين: إنَّكم أهل بيت ملعونين!! فقال له الحسين: (يا ملعون، يا بن الملعون، لقد لعن رسول الله صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم أباك وأنت في صلبه، نحن أهل بيت أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيراً)[(٥)]، لكنْ من مقارنة هذا النصِّ مع نصِّ ابن سعد نجد أنَّ هناك فرقاً واضحاً بين النصَّين

---

(١) ينظر: تذكرة الخواص، ٢/ ١٢٤؛ ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤١٠.

(٢) ينظر: تذكرة الخواص، ٢/ ١٢٤؛ ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٠٨.

(٣) ينظر: تذكرة الخواص، ٢/ ١٢٦؛ ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ؟؟.

(٤) واسمه زياد أبو يحيى الأنصاري، من أهل مكَّة، مولى قيس بن مخرمة، روى البخاري أنَّه كان يمشي بين الإمامين الحسن والحسين عليهما السَّلام ومروان وأنَّ الحسين أحدُّ من الحسن في محاولة لتأكيد فكرة أنَّ الإمام الحسن عليه السَّلام ميَّال إلى السِّلم والإمام الحسين عليه السَّلام ميَّال إلى الحرب... ينظر: البخاري، التاريخ الكبير، ٣/ ٣٧٨؛ ابن حبان، الثقات، ٤/ ٢٦١؛ المزي، تهذيب الكمال، ٩/ ٥٣١.

(٥) تذكرة الخواص، ٢/ ١٢٧.

فنصُّ ابن سعد (... عن أبي يحيى، قال: كنت بين الحسن بن عليٍّ والحسين ومروان بن الحكم، والحسين يساب مروان، فجعل الحسن ينهى الحسين حتى قال مروان: إنَّكم أهل بيت ملعونون، قال: فغضب الحسن وقال: ويلك قلت أهل بيت ملعونين، فو الله لقد لعن الله أباك على لسان نبيه وأنت في صلبه)[١]، ثمَّ نقل قول ابن سعد قول الإمام الحسين عليه السَّلام لمروان بن الحكم كيف أنَّهم أهل بيت ملعونون في حين أنَّ أهل البيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً[٢].

ويبدو أنَّ سبط بن الجوزي تصرَّف كثيراً في نصِّ ابن سعد المتقدِّم وخلط بين أقوال الإمامين عليهما السَّلام مع مروان بن الحكم، ممَّا أثر سلباً في نصِّ رواية ابن سعد.

ثمَّ أشار لرواية ابن سعد بشكل مقتضب أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام كان يخضب بالحنا والكتم، وفي قول آخر بالوسمة[٣]، واختصر سبط بن الجوزي العديد من الروايات التي ذكرها ابن سعد بهذا الشأن في رواية مختصرة مع حرصه على ذكر ابن سعد كمصدر لها والاكتفاء به من دون أيِّ إشارة إلى أيِّ مصادر أُخرى ذكرت ذلك.

وعنون سبط بن الجوزي (ذكر مقتله عليه السَّلام) وكيف بدأ القتال، ذكر أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام سأل عن اسم هذه الأرض، فقيل له: كربلاء، فأخبرهم أنَّ أُمَّ سلمة أخبرته أنَّ الرسول صلَّى الله عليه وآله أخبره جبريل أنَّه يقتل هنا، ومن أجل أنْ يؤكد هذه الرواية قال سبط ابن الجوزي: (وقد ذكر ابن سعد في الطبقات عن الواقدي بمعناه، وقال: فاستيقظ رسول الله صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم وبيده تربة حمراء)[٤]، واستمر

(١) ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤١١.

(٢) ينظر: تذكرة الخواص، ٢/ ١٢٧؛ ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤١١.

(٣) ينظر: تذكرة الخواص، ٢/ ١٢٨؛ ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤١٥، ٤١٦.

(٤) تذكرة الخواص، ٢/ ١٥٧؛ وينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤١٩.

في ذكر الأخبار عن استشهاده معتمداً على رواية ابن سعد، فذكر قول الإمام عليٍّ عليه السَّلام: «**اصبر أبا عبد الله**»، وذكره إخبار رسول الله صلَّى الله عليه وآله بهذا الشأن[١].

وعن عدد المستشهدين مع الإمام الحسين عليه السَّلام من أهل بيته، ذكر سبط ابن الجوزي ذلك بقوله: (وحكى محمَّد بن سعد، عن محمَّد ابن الحنفيَّة أنَّه قال: لقد قتلوا تسعة عشر شاباً كلُّهم ركضوا في رحم فاطمة)[٢].

ومن مقارنة نصِّ سبط بن الجوزي مع نصِّ ابن سعد نجد أنَّ هناك فرقاً في العدد الذي أورده عن النصِّ الأصلي، فقد ذكر ابن سعد ذلك برواية مسندة (قال محمَّد ابن الحنفيَّة: قد قتلوا سبعة عشر شاباً كلُّهم قد ارتكضوا في رحم فاطمة)[٣]، وهكذا نجد أنَّ سبط بن الجوزي لم يكن دقيقاً في نقله نصَّ ابن سعد، كذلك نجده نقل النصَّ من دون الإشارة إلى سنده كاملاً كما ورد لدى ابن سعد.

لكنَّنا رغم ذلك نجد أنَّ سبط بن الجوزي استنتج من خلال نصِّ ابن سعد أنَّ عدد المستشهدين مع الإمام الحسين عليه السَّلام أكثر ممَّا هو معروف في المصادر التاريخيَّة؛ وذلك أنَّه عقب على نصِّ ابن سعد بقوله: (وهذا يدلُّ على أنَّه قُتل معه خلق كثير من أهله، ومن أولاده وأولاد الحسن بن عليٍّ عليه السَّلام)[٤].

ويبدو من تعقيب سبط بن الجوزي أنَّ هناك عدداً أكبر من هذا استشهد معه، ليس بالضرورة هم من أبناء فاطمة الزهراء عليها السَّلام، مستنتجاً من قول ابن الحنفيَّة أنَّ

---

(١) تذكرة الخواص، ٢/ ١٥٨؛ وينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤١٩.

(٢) تذكرة الخواص، ٢/ ١٨١.

(٣) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٢.

(٤) تذكرة الخواص، ٢/ ١٨١.

العدد الذي أشار إليه هو من أبناء فاطمة فقط، وهذا الاستنتاج من سبط ابن الجوزي يثير التساؤلات حول العدد الحقيقي لبني هاشم وأصحابه المستشهدين معه والذين قاتلوا معه، هل هو أكثر من العدد المتعارف عليه الذي لم يتجاوز الثمانين في بعض الروايات، أم هو أكثر من هذا العدد؟ والذي أثاره المسعودي مثلاً بقوله إنَّ أصحابه تجاوز الخمسمائة فارس ومائة راجل[(١)].

ولَمَّا تناول سبط بن الجوزي موقف الناس من قتلة الحسين عليه السَّلام ذكر ما تعرَّض له عمر بن سعد من نبذ الناس له، ثمَّ ذكر عبيد الله بن زياد، وقول مرجانة بحقِّه، فقال: (وذكر ابن سعد في الطبقات، قال: قالت مرجانة أُمُّ زياد لابنها: يا خبيث، قتلت ابن رسول الله، والله لا ترى الجنة أبداً)[(٢)].

أمَّا النصُّ الآخر الذي اقتبسه سبط ابن الجوزي فهو وصول الرأس إلى يزيد فذكر (وقال ابن سعد: بعث ابن زياد بالرأس مع محفر بن ثعلبة العائذي، وأمر يزيد نساءه فأقمن المأتم على الحسين ثلاثة أيام)[(٣)]، ومرَّة أُخرى نجد سبط بن الجوزي يتصرَّف بنصِّ ابن سعد، فحذف ما جرى من محاورة بينه وبين يزيد، وختم الرواية بنصٍّ آخر من ابن سعد، مضمونه أنَّ نساء بني سفيان أقامت المأتم على الحسين عليه السَّلام[(٤)].

وكذلك لَمَّا ذكر تأنيب الرسل والوفود ليزيد وأعوانه كان من بينهم رأس الجالوت فذكر ذلك بقوله: (وحكى محمَّد بن سعد في الطبقات..)[(٥)]، ثمَّ ذكر قول

(١) مروج الذهب، ٣/ ٧٥.

(٢) تذكرة الخواص، ص١٨٩؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٣.

(٣) تذكرة الخواص، ٢/ ١٩٩؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٧.

(٤) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٨.

(٥) تذكرة الخواص، ٢/ ٢٠٠.

رأس الجالـوت: (إنَّ بينـي وبـين داوود سـبعين أبـاً، وإنَّ اليهـود تعظمنـي وتحترمنـي، وأَنتـم قتلتـم ابن بنـت نبيكـم؟)[١].

وذكر سبط بن الجوزي أنَّ المؤرخين اختلفوا على أقوال في دفن الرأس، فذكر خمسة أقوال: (والثاني أنَّه دُفن بالمدينة عند قبر أُمِّه فاطمة (عليها السَّلام)، قاله ابن سعد...)[٢].

وعلى الرغم من أنَّ سبط بن الجوزي ذكر أنَّ أشهر الأقوال أنَّه رُدَّ إلى المدينة، ثمَّ رُدَّ إلى الجسد الشريف في كربلاء فدفن معه[٣]، إلاَّ أنَّه أَولى رواية ابن سعد أهميَّة بذكرها بعد هذا الرأي، وكون هذا القول المشهور في رأيه تبنى جزءاً من رواية ابن سعد بوصول الرأس إلى المدينة، لكنَّه ختم تلك الآراء في دفن الرأس بتعقيبه عليها بقوله: (ففي أيِّ مكان كان رأسه أو جسده فهو ساكن في القلوب والضمائر)[٤].

واكتفى سبط بن الجوزي برواية ابن سعد عن موقف أُمِّ سلمة بقوله: فذكر قولها أوقد فعلوها؟ وكيف أنَّها لعنت أهل العراق[٥]، وكذلك هنا لم يلتزم سبط بن الجوزي بنصِّ ابن سعد وتصرَّف به كعادته مع محافظته على مضمون النص.

وعن رثاء الشعراء خصص سبط بن الجوزي عنواناً خاصاً لذلك (ذكر بعض مراثيه)[٦]، فذكر شعراء عدَّة، ثمَّ قال: (وذكر الشعبي، وحكاه ابن سعد أيضاً، قال: مرَّ سليمان ابن قتة بكربلاء فنظر إلى مصارع القوم فبكى حتى كاد يموت، ثمَّ قال: وإنَّ قتيل

(١) تذكرة الخواص، ٢/ ٢٠٠.

(٢) تذكرة الخواص، ٢/ ٢٠٦؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٤٩.

(٣) تذكرة الخواص، ٢/ ٢٠٦.

(٤) تذكرة الخواص، ٢/ ٢٠٩.

(٥) تذكرة الخواص، ٢/ ٢١٣، ٢١٤؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٣.

(٦) تذكرة الخواص، ٢/ ٢٢١.

الطف من آل هاشم...)[١]، ومن الملاحظ أنَّه أورد رواية ابن سعد تأكيداً لرواية الشعبي، حيث أورده ثانياً وكأنَّه جاء بها بشكل ثانوي؛ ولذلك نجده حذف أحد أبيات الشعر الذي ذكره ابن سعد.

وعن الإعجاز الإلهيِّ ذكر سبط بن الجوزي عنواناً خاصاً (ذكر الحمرة التي ظهرت في السماء، وما يلتحق بها)[٢]، كان أَوَّل نصٍّ ذكره بهذا الشأن هو قوله: (ذكر ابن سعد في الطبقات: أنَّ هذه الحمرة لم تُرَ في السماء قبل أنْ يقتل الحسين)[٣]، بل إنَّ سبط بن الجوزي لم يكتفِ باعتماد رواية ابن سعد وتقديمها على غيرها، وإنَّما جاء برواية أُخرى عزز صحتها أنَّ الله سبحانه وتعالى أظهر غضبه على قتل الحسين بحمرة الأُفق[٤]، وذكر رواية أُخرى بهذا الشأن كذلك (وقال ابن سعد: ما رفع حجر في الدنيا إلَّا وتحته دم عبيط)[٥]، وهكذا نجد سبط بن الجوزي قدَّم روايات عدَّة كان في مقدمتها نصوص ابن سعد، فكانت من بين أهمِّ نصوصه التي ذكرها.

ومن الملاحظ بشكل عام على ما اقتبسه سبط بن الجوزي من نصوص ابن سعد يمكننا القول:

١- إنَّها شكّلت مادّة واسعة من ترجمته للإمام الحسين عليه السَّلام ناهزت عشرين نصاً، كذلك يبدو من تلك النصوص أنَّها كانت في الأعم الأغلب مهمَّة لدى سبط بن الجوزي، فنجده تارة يقدِّمها وأُخرى يعزز صحّتها برواية أُخرى.

---

(١) تذكرة الخواص، ٢/ ٢٢٦-٢٢٧؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٦-٤٥٧.

(٢) تذكرة الخواص، ٢/ ٢٢٩.

(٣) تذكرة الخواص، ٢/ ٢٢٩؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٥.

(٤) تذكرة الخواص، ٢/ ٢٣٠.

(٥) تذكرة الخواص، ٢/ ٢٣٢؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٥

٢- تصرَّف سبط بن الجوزي ببعض بنصوص ابن سعد ولم يلتزم بها وخلط بين الكثير منها، لكنَّه حافظ على مضمون الرواية بشكل عام، إلَّا في رواية واحدة أخلَّ بمضمونها، وهو ما أشرنا إليه حين ذكر أنَّ ابن سعد نقل عن محمَّد ابن الحنفيَّة أنَّ عدد المستشهدين من أهل البيت تسعة عشر شهيداً، في حين أنَّ ابن سعد ذكر أنَّهم سبعة عشر.

٣- لم يعتمد سبط بن الجوزي على رواية ابن سعد في ذكره الناصحين، وهو بذلك خالف كلًّا من ابن عساكر والذهبي والمزي وغيرهم، في أنَّهم اعتمدوا في هذا الشأن ما يقارب خمس صفحات والتي تضمنت ذكر ابن سعد للناصحين، ويبدو من خلال ذلك أنَّ سبط ابن الجوزي وحسب ميوله المعتدلة من جانب أهل البيت لم يكن مقتنعاً برواية ابن سعد بهذا الشأن، كون هذا العدد الكبير من الناصحين الذين ذكرهم ابن سعد محلَّ ريبة وشكٍّ في الغاية من ذكرهم، فكأنَّه أظهر الإمام الحسين عليه السَّلام بمظهر المخطئ، في حين أظهر ناصحيه وكأنَّهم على صواب.

أمَّا ابن العديم (ت: ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م) الذي ترجم للإمام الحسين عليه السَّلام في كتابه بغية الطلب ترجمة وافية ومستفيضة، فذكر للحدث الواحد روايات عدَّة، وكذلك استعمل وحسب منهجه ذكر السند كاملاً في أغلب رواياته، فكان ابن سعد أحد أسانيده التي ذكرها في خمس من رواياته بقوله: حدثنا محمَّد بن سعد[١].

جاء النصُّ الأَوَّل الذي ذكره ابن العديم بشأن ولادة الإمام الحسين عليه السَّلام والفرق بين ولادته الميمونة وولادة الإمام الحسن عليه السَّلام[٢]، وعلى الرغم من أنَّ ابن العديم جاء برواية ابن سعد بعد أنْ ذكر العديد من الروايات بشأن ولادته، لكنْ يبدو

(١) ينظر: بغية الطلب ٦/ ٢٥٦٨، ٢٥٩٢، ٢٦٠٣، ٢٦٠٥، ٢٦١٥، ٢٦٤٣، ٢٦٤٦،

(٢) بغية الطلب، ٦/ ٢٥٦٨؛ وينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٣٩٩.

أنَّه جاء بها ليعزز صحَّة تلك الروايات التي ذكرها، والتي أشارت إلى أنَّه ولد في السنة الرابعة من الهجرة، والتزم ابن العديم بنصِّ ابن سعد من دون أنْ يغيّر شيئاً مع حرصه على ذكر السند كاملاً، لكنَّه سبق الرواية بقوله: (في الطبقة الخامسة الحسين...)[١]، ومن المعلوم أنَّ ابن سعد ترجم له عليه السَّلام في الطبقة الخامسة، وذلك لقوله: (الطبقة الخامسة وهم الذين توفي النبيُّ صلَّى الله عليه –وآله– وهم أحداث الأسنان..)[٢].

أمَّا النصُّ الثاني الذي اقتبسه ابن العديم فهو لقاء عبد الله بن مطيع بالإمام الحسين عليه السَّلام حين خروجه من مكَّة، وما جرى بينهما من الحديث عند بئر عبد الله بن مطيع[٣].

ومن الملاحظ على ما ذكره ابن العديم أنَّ هناك اختلافا مهمّاً بين النصّين فنصُّ ابن سعد ذكر أنَّ الإمام عليه السَّلام قال لعبد الله بن مطيع لمَّا سأله عن وجهته بخروجه من المدينة: (أردت الكوفة)[٤]، في حين أنَّ ابن العديم ذكر أنَّه عليه السَّلام قال: (أردت مكّة)[٥]، وقد تمّت مناقشة ذلك في موضعها[٦].

ويبدو ممَّا تقدَّم أنَّ ابن العديم كان أدقّ في اقتباسه من أُصول ابن سعد من غيره، وربما اطلع على نصِّ ابن سعد الأصلي، كذلك من الملاحظ على هذا النصِّ المقتبس أنَّ ابن العديم أراد بذكره عبد الله بن مطيع بهدف سوقه كرامة من كرامات الإمام عليه السَّلام،

(١) بغية الطلب، ٦/ ٢٥٦٨.
(٢) الطبقات الكبير، ٦/ ٣١٩.
(٣) بغية الطلب، ٦/ ٢٥٩٢؛ ابن سعد، الطبقات الكبير، ٧/ ١٤٤.
(٤) الطبقات الكبير، ٦/ ١٤٤.
(٥) بغية الطلب، ٦/ ٢٥٦٢.
(٦) ينظر الكتاب: ص ٢١٦ – ٢٢٠.

فلم يذكره هنا كناصح له عليه السَّلام لوجود أكثر من نصٍّ عند ابن سعد بشأن نصحه للإمام عليه السَّلام، فلم يتطرق له ابن العديم في هذا الموضع.

كذلك أورد ابن العديم إخلاص ووفاء أصحاب الإمام الحسين عليه السَّلام متبنياً بذلك نصَّ ابن سعد أنَّ أحدهم أُخبر بأنَّ ابنه وقع في الأَسر في أحد الثغور، فقال له الإمام عليه السَّلام: أنت في حلٍّ من بيعتي، لكنَّه رفض ذلك فأعطى الإمام عليه السَّلام لأخيه خمسة أثواب قيمتها ألف دينار لفكاكه من الأسر[١]، ورغم حرص ابن العديم على الالتزام بنصِّ ابن سعد، لكنْ وردت كلمة فداء أخيه عند ابن العديم بينما نجدها في نصِّ ابن سعد فكاك أخيه، وربما ذلك تصحيف من النساخ.

كذلك من الملاحظ على هذا النصِّ فضلاً عن أنَّه بيَّن وفاء أصحاب الإمام عليه السَّلام أراد به ابن العديم أنْ يوضح فيه كرم الإمام الحسين عليه السَّلام وسخاءهُ، ودليلنا على ذلك أنَّه ساق أكثر من رواية بعدها مباشرة توضح كرمه وسخاءهُ عليه السَّلام[٢].

والنصُّ الرابع الذي ذكره ابن العديم هو الإخبار عن استشهاده بسنده عن الإمام عليٍّ عليه السَّلام[٣]، وكعادته حرص ابن العديم على ذكر نصِّ ابن سعد كاملًا من دون التلاعب فيه مع ذكر سنده، ومن الملاحظ أنَّه أورده مع العديد من الروايات التي أشارت إلى أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام سيقتل في أرض كربلاء وأنَّ هناك أحاديث عن الرسول صلَّى الله عليه وآله ذكرت ذلك، فجاءت رواية ابن سعد هنا من ضمن سياق هذا الموضوع ومكملة له.

---

(١) بغية الطلب، ٦/ ٢٥٩٢؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٣٧.

(٢) ينظر: بغية الطلب، ٦/ ٢٥٩٣-٢٥٩٤.

(٣) بغية الطلب، ٦/ ٢٦٠٣؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤١٩.

أمَّا النصُّ الخامس فكان نصّاً مطوّلاً ذكره ابن العديم تجاوز الثماني صفحات، وقد دأب أغلب المؤرخين على ذكره في نقولاتهم من ابن سعد على الرغم من طوله، ويبدو أنَّ هذا النصَّ المطوَّل وجد أغلب المؤرخين ضالتهم فيه؛ ولذلك نجدهم ركزوا عليه بشكل واضح.

أمَّا الصفدي (ت: ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) صاحب كتاب الوافي بالوفيات فترجم للإمام الحسين عليه السَّلام ترجمة ناهزت خمس صفحات، أشار إلى ابن سعد من خلال نصٍّ واحد حين ذكر كيف دُفن رأس الحسين عليه السَّلام فقال:

(وذكر ابنُ سعد أنَّ جسده دُفن حيث قُتل، وأنَّ رأسه كفنه يزيد وأرسله إلى المدينة، فدفن عند قبر فاطمة رضي الله عنهما)[١]، النصُّ المتقدِّم ذَكَرَه الصفدي ثمَّ جاء بنصٍّ ثانٍ قال فيه: إنَّ الرأس بقي في خزائن السلاح بدمشق حتى ولي سليمان فكفنه ودفنه، ثمَّ نقلته المسودة، وفي رواية أُخرى أنَّ الخلفاء الفاطميين جعلوه بمشهد الحسين بالقاهرة، والله أعلم[٢].

والملاحظ على ما أورده الصفدي أنَّه تلاعب بنصِّ ابن سعد فأضاف عليه ممَّا لم يذكره، فقوله: إنَّ يزيد كفن الرأس وأرسله لا يمكن القبول به، فنصُّ ابن سعد ذكر أنَّ والي المدينة عمرو بن سعيد الأشدق هو مَن كفنه[٣]، وربما في ذلك محاباة ليزيد ولكي يجنبه وزر مسؤوليَّة قتل الإمام الحسين عليه السَّلام.

ويبدو من تقديمه رواية ابن سعد على غيرها من الروايات الأُخرى أهميتها عنده على الرغم من أنَّه ذكر روايتين ولم يرجح أيّاً منهما على الأُخرى.

---

(١) الوافي بالوفيات، ١٢/ ٢٦٤.

(٢) الوافي بالوفيات، ١٢/ ٢٦٤.

(٣) الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٠.

وتناول المزي (ت: ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) في كتابه تهذيب الكمال الثورة الحسينيَّة بشكل واسع، بحيث ناهزت خمسين صفحة، وكان من بين مصادره التي استقى منها معلوماته هو كتاب الطبقات الكبير لابن سعد، وذلك بإشارته له في أكثر من موضع، وكلُّها جاءت بعد قوله: (وقال محمَّد بن سعد..)[١]، ويبدو من نقولاته من ابن سعد مدى أهميَّة تلك الروايات وهي كالآتي:

النصُّ الأوَّل الذي ذكر فيه الإمام الحسين عليه السَّلام عند ترجمته الإمام الحسن عليه السَّلام ورد فيه: وقال محمَّد بن سعد... ثمَّ ذكر أنَّ عمر بن الخطاب لَّما دوَّن الديوان ألحق الحسن والحسين (عليهما السَّلام) بفريضة أبيهما[٢]. والملاحظ على النصِّ الذي نقله المزي من ابن سعد أنَّه التزم به حرفياً من دون أنْ يغيِّر فيه، كذلك اكتفى به من دون أنْ يأتي برواية أُخرى في هذا المجال، كذلك كان حريصاً على ذكر سند الرواية كما ورد عند ابن سعد.

وكذلك النصّ الثاني المقتبس من ابن سعد هو الآخر أورده في ترجمة الإمام الحسن عليه السَّلام، والذي ذكر فيه موقف الإمام الحسين عليه السَّلام من الصلح[٣]، وحرص المزي على نقل نصِّ ابن سعد كاملاً مسنداً كما ورد في الأصل دون أنْ يغيِّر شيئاً فيه، على الرغم من كون النصِّ كان مطوّلاً ناهز الصفحة تقريباً، كذلك اكتفى المزي برواية ابن سعد بهذا الشأن على الرغم من علامات الاستفهام والإشكاليات التي تؤخذ على تلك الرواية، والتي تمت مناقشتها في موضعها، حيث صوَّرت الخلاف الكبير بين الإمامين، ويبدو من خلال نقولات المزي أنَّه تبنَّى رأي ابن سعد في هذا الشأن.

(١) ينظر: المزي، تهذيب الكمال، ٦/ ٣٢٢، ٣٩٩، ٤١٠، ٤١٣، ٤٣٩، ٤٤٠.

(٢) ينظر: تهذيب الكمال، ٦/ ٢٣٢؛ ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٠٧.

(٣) ينظر: تهذيب الكمال، ٦/ ٢٤٧-٢٤٨؛ ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٣٨٤-٣٨٥.

أمَّا النصُّ الثالث عند المزي فذكر فيه ولادة الإمام الحسين عليه السَّلام وكم كان بينها وبين ولادة الإمام الحسن عليه السَّلام، وأشار إلى ذلك بقوله: قال محمَّد بن سعد علقت فاطمة...[(١)]، ومن الملاحظ على ما تقدَّم أنَّ المزي قدَّم أكثر من رواية بشأن ولادة الإمام الحسين عليه السَّلام، منها رواية خليفة بن خياط ورواية الزبير بن بكار، فجاء برواية ابن سعد من ضمن أكثر من رواية، ولم يرجح واحدة على أُخرى وكأنَّه ترك تبني الرواية الأصح للقارئ.

وفي الاقتباس الرابع له من ابن سعد ذكر: وقال: محمَّد بن سعد...[(٢)]، أورد كيف أنَّ الإمام عليّاً عليه السَّلام أخبر عند عودته من صفين في موضع كربلاء عن استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام ومن معه، ومع حرص المزي على التقيد بنصِّ ابن سعد من حيث السند والمتن، لكنَّه غيَّر بعض المفردات منها قوله في السند: أخبرنا، في حين وردت عند ابن سعد حدثنا، وكذلك أورد اسم أبي عبيد في حين ورد عند ابن سعد أبي عبد الله، وأضاف تعريفاً لأحد الرواة ووضعه بين شارحتين -يعني الأعمش-[(٣)].

أمَّا النصُّ الخامس فكان نصّاً مطوّلاً أورده المزي بذكر أسانيد ابن سعد في مقتل الإمام الحسين عليه السَّلام، حيث تبنى الإسناد الجمعي في ذلك فأشار المزي إلى ذلك بقوله: محمَّد بن سعد... حتى قول ابن سعد... كما تسترق العبيد[(٤)]، وهذا النصُّ الذي نقله المزي كان أكثر من ثماني صفحات كاملة تضمَّن موت معاوية ومبايعة يزيد والناصحين

(١) ينظر: تهذيب الكمال، ٦/ ٣٩٩؛ ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٣٩٩.

(٢) ينظر: تهذيب الكمال، ٦/ ٤١٠؛ ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٠.

(٣) ينظر: تهذيب الكمال، ٦/ ٤١٠؛ ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٠.

(٤) ينظر: تهذيب الكمال، ٦/ ٤١٣-٤٢٢؛ ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢١-٤٢٩.

وموقف محمَّد ابن الحنفيَّة، والعديد من الروايات الأُخرى[١].

ومع التزام المزي بنصِّ ابن سعد إلَّا أنَّه اقتطع من نصِّ ابن سعد رواية من خمسة أسطر تضمّنت حواراً بين يزيد ومعاوية عند وفادتهما لمكَّة ولقاء الإمام الحسين عليه السَّلام بهما، وهذا النصُّ كأنَّ فيه إشارة ضمنيَّة من معاوية إلى أنَّه سوف يأتي من يخلفه ولا يستطيع الصبر على كلام الحسين فيضطر لقتله[٢]، ولم نجد تفسيراً لعدم إيراد المزي هذا النصَّ من ضمن مقولاته من ابن سعد، على الرغم من أنَّه كان من ضمن الصفحات الثمانية التي اقتبسها المزي كاملةً من ابن سعد، إلَّا في كونها تقلل ممَّا زُعم أنَّ معاوية طلب من يزيد الرفق بالحسين عليه السَّلام وعدم التعرض له ومداراته، في حين أنَّ هذا النصَّ يوحي بأنَّه أوعز ليزيد بقتل الحسين عليه السَّلام، وهو ربما يتعارض مع رؤية المزي بهذا الشأن.

أمَّا النصان السادس والسابع واللذان أوردهما المزي بالتتابع من دون فاصل بينهما وذلك بقوله: وقال محمَّد بن سعد...[٣]، ثمَّ ذكر بعد هذا النصِّ مباشرة: (وقال أيضاً.... -يقصد محمَّد بن سعد-)[٤]، ففي النصِّ السادس نقل المزي كيف علمت أُمُّ سلمة باستشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام، ونقل نصَّ ابن سعد كما هو من دون أيِّ تغيير ومن دون أنْ يأتي برواية أُخرى بهذا الشأن، مكتفياً بنصِّ ابن سعد، أمَّا النصُّ السابع الذي ناهز صفحة كاملة تقريباً والرواية بمضمونها تبيّن أنَّ ابن عباس والمسور بن مخرمة يحمِّلان ابن الزبير بأنَّه هو من أشار على الحسين عليه السَّلام بالخروج من مكَّة وأنَّه كان سبباً في استشهاده، وكذلك تُظهر الرواية أنَّ ابن عباس يرى في شماتة ابن الزبير مصيبة

(١) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢١-٤٢٩.

(٢) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٢٣.

(٣) ينظر: تهذيب الكمال، ٦/ ٤٣٩؛ ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٢.

(٤) ينظر: تهذيب الكمال، ٦/ ٤٤٠-٤٤١؛ ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٤٥٠-٤٥١.

تعادل مصيبة استشهاد الحسين عليه السَّلام، كلُّ ذلك نقله المزي كما ورد في نصِّ ابن سعد سنداً ومتناً من دون أيِّ تغيير ومن دون أيِّ تعليق عليه أو رأي، لكنْ يبدو من اعتماده على نصِّ ابن سعد في هذه الموضوعة من دون أيِّ ذكر لغيرها من الروايات الأُخرى أنَّه دليل على أهميَّة رواية ابن سعد في هذا الشأن واعتماده عليها.

أمَّا ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ/ ١٨٤٨م) في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة الذي ترجم للإمام الحسين عليه السَّلام في أقل من خمس صفحات ثمَّ زعم بقوله: (وفي هذه القصة التي سقتها غنى)[١]، وهي ترجمة غير وافية ولا ترتقي لمكانة الإمام الحسين عليه السَّلام، ولم نجد عنده أيَّ إشارة إلى ابن سعد، لكنَّه ذكره في ترجمته للإمام الحسن عليه السَّلام في موضعين بلفظ: (قال ابن سعد)[٢].

جاء النصُّ الأوَّل المقتبس من ابن سعد عن موقفه عليه السَّلام من الصلح، فذكر رواية ابن سعد، بأنَّ معاوية راسل الإمام الحسن عليه السَّلام فاستدعى الإمام الحسين عليه السَّلام وأخبره بذلك، فقال له: أعيذك بالله، فلم يزل به حتى رضي[٣].

هذا النصُّ الذي ناهز الصفحة لدى ابن سعد اختصره وتصرَّف به ابن حجر العسقلاني، لكنَّه حافظ على سند الرواية كما هو، وكذلك حافظ على المضمون بشكل عام.

أمَّا النصُّ الثاني فذكر فيه أنَّ الإمام الحسن عليه السَّلام أبى إخبار الإمام الحسين عليه السَّلام بمن سقاه السم[٤]، وهذا النصُّ هو الآخر تصرَّف فيه ابن حجر العسقلاني بشكل واضح.

---

(١) ينظر: الإصابة، ٢/ ٧١.

(٢) ينظر: الإصابة، ٦٤، ٦٥.

(٣) ينظر: الإصابة، ٢/ ٦٥؛ ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٣٨٤-٣٨٥.

(٤) ينظر: الإصابة، ٢/ ٦٦؛ ابن سعد، الطبقات الكبير، ٦/ ٣٨٦-٣٨٧.

الملاحق

التمهيد: موارد ابن سعد في ترجمته للإمام الحسين عليه السَّلام في كتاب الطبقات الكبير:

ت	اسم الراوي	بلد الراوي	عدد رواياته	قول ابن سعد فيه	ترجمته عند ابن سعد
١	محمَّد بن عمر الواقدي	مدني	٣١	عالماً بالمغازي والسيرة والفتوح وباختلاف الناس في الحديث.	٦١١-٦٠٣/٧
٢	الفضل بن دكين	كوفي	٢٩	ثقة مأموناً كثير الحديث حجة	٥٢٤/٨
٣	علي بن محمَّد المدائني	بصري	ست ٢٦	لم أعثر على ترجمته عند ابن سعد	
٤	عبيد الله بن موسى	كوفي	١٣	ثقة صدوقاً إن شاء الله كثير حسن الهيئة	٥٢٣-٥٢٢/٨
٥	خالد بن مخلد البجلي	كوفي	١٠	منكر الحديث في التشيع مفرطاً	٥٣٠/٨
٦-	عفان بن مسلم الصفار	بصري	١٠	ثقة ثبتاً كثير الحديث حجة.	٣٠٠/٩، ٣٣٨
٧	مالك بن إسماعيل بن زياد	كوفي	٩	ثقة صدوقاً متشيعاً شديد التشيع	٥٢٩-٥٢٨/٨
٨	موسى بن إسماعيل المنقري	بصري	٨	ثقة كثير الحديث	٣٠٧/٩
٩	محمَّد بن عبد الله بن الزبير الأسدي	كوفي	٥	صدوقاً كثير الحديث	٥٢٦/٩
١٠	معن بن عيسى القزاز	مدني	٥	ثقة كثير الحديث ثبتاً مأموناً	٦١٥/٧

١١	إسماعيل بن إبراهيم الأسدي	بصري	٤	ثقة ثبتاً في الحديث حجة	٣٢٧/٩
١٢	كثير بن هشام	دمشقي	٤	ثقة صدوقاً	٣٣٦/٩
١٣	يحيى بن حماد الشيباني	بصري	٤	ثقة كثير الحديث	٣٠٨/٩
١٤	يعلى بن عبيد الطنافسي	كوفي	٤	ثقة كثير الحديث	٥٢٠/٨
١٥	سعيد بن منصور الخرساني	مكي	٣	سكت عنه	٦٣/٨
١٦	سليمان بن حرب الواشجي	بصري	٣	ثقة كثير الحديث	٣٠١/٩
١٧	أبو عامر العقدي عبد الملك بن عمرو	بصري	٣	وكان ثقة	٣٠١/٩
١٨	عبد الله بن نمير الهمداني	كوفي	٣	ثقة كثير الحديث صدوقاً	٥١٦/٨
١٩	يحيى بن عباد أبو عباد الضبعي	بصري	٣	لم أعثر على ترجمته عند ابن سعد	
٢٠	أحمد بن عبد الله بن يونس	كوفي	٢	ثقة صدوقاً صاحب سنة وجماعة	٥٢٩/٨
٢١	أحمد بن محمَّد الأزرقي	مكي	٢	ثقة كثير الحديث	٦٣/٨
٢٢	أنس بن عياض أبو ضمرة الليثي	مدني	٢	ثقة كثير الحديث	٦١٤/٧
٢٣	سفيان بن عيينة	مكي	٢	ثقة ثبتاً كثير الحديث حجة	٦٠/٨-٦١
٢٤	شبابة بن سوار الفزاري	مدائني	٢	ثقة صالح الأمر في الحديث	٣٢٢/٩
٢٥	عارم بن الفضل السدوسي	بصري	٢	سكت عنه	٣٠٦/٩

٢٦	عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي	بصري	٢	وكان ثقة صدوقاً	٣٣٦/٩
٢٧	عبد الله بن الزبير الحميدي	مكي	٢	ثقة كثير الحديث	٦٣/٨
٢٨	عبد الوهاب بن عطاء العجلي	بصري	٢	كثير الحديث معروفاً صدوقاً إن شاء الله	٣٣٥/٩
٢٩	عمرو بن عاصم الكلابي	بصري	٢	ثقة	٣٠٧/٩
٣٠	محمَّد بن حميد العبدي	كوفي	٢	لم أعثر على ترجمته عند ابن سعد	
٣١	محمَّد بن عبد الله الأنصاري	بصري	٢	وكان صدوقاً	٣٩٦/٩
٣٢	محمَّد بن عبيد الطنافسي	كوفي	٢	ثقة كثير الحديث صاحب سنة وجماعة	٥٢٠/٨
٣٣	مسلم بن إبراهيم الأزدي	بصري	٢	ثقة كثير الحديث	٣٠٥/٩
٣٥	هوذة بن خليفة	بغدادي	٢	سكت عنه	٣٤١/٩
٣٦	وهب بن جرير الأزدي	بصري	٢	ثقة	٢٩٩/٩
٣٧	أبو أسامة حماد بن أسامة	كوفي	١	ثقة مأموناً.. يدلس وكان صاحب سنة وجماعة	٥١٧/٨
٣٨	حجاج بن نصير الفساطيطي	بصري	١	وكان ضعيفاً	٣٠٦/٩
٣٩	الحسن بن موسى الأشيب	خراساني	١	ثقة صدوقاً في الحديث	٣٣٩/٩
٤٠	روح بن عبادة القيسي	بصري	١	وكان ثقة إن شاء الله	٢٩٧/٩

٤١	الضحاك بن مخلد الشيباني	بصري	١	وكان ثقة فقيهاً	٢٩٦/٩
٤٢	طلق بن غنام بن طلق النخعي	كوفي	١	وكان ثقة صدوقاً، وكانت عنده أحاديث	٥٢٩/٨
٤٣	عبد الله بن جعفر بن غيلان الرقي	الرقة	١	سكت عنه	٤٩٢/٩
٤٤	عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي	بصري	١	وكان ثقة كثير الحديث	٣٠٥/٩
٤٥	عثمان بن عمر بن فارس	بصري	١	وكان ثقة	٢٩٨/٩
٤٦	عمرو بن خالد المصري	مصري	١	سكت عنه	٥٢٦/٩
٤٧	قبيصة بن عقبة من بني عامر بن صعصعة	كوفي	١	كان ثقة صدوقاً كثير الحديث عن سفيان الثوري	٥٢٧/٨
٤٨	محمَّد بن إسماعيل بن مسلم بن أبي فُديْك	مدني	١	وكان كثير الحديث ليس بحجة	٦١٥/٧
٤٩	محمَّد بن ربيعة الكلابي	كوفي	١	سكت عنه	٥٢١/٨
٥٠	محمَّد بن كثير العبدي	بصري	١	سكت عنه	٣٠٧/٩
٥١	الوليد بن عقبة الطحان	كوفي	١	لم نعثر على ترجمة له عند ابن سعد	المزي، تهذيب الكمال١٣٣/٢٦
٥٢	يحيى بن عيسى الرملي	كوفي	١	لم نعثر على ترجمة له عند ابن سعد	ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ١٧٨/٩
٥٣	يزيد بن هارون	بصري	١	ثقة كثير الحديث	٣١٦/٩

مصدرية ابن سعد عن الأئمة من آل محمَّد

ت	لفظ ابن سعد في إشارته للائمة	الواسطة بينه وبين الأئمة	مضمون الرواية	الجزء والصفحة
١	عن جعفر بن محمَّد عن أبيه	راوٍ واحد	حلق رأس الإمام والتصدق بوزنه	٣٥٤/٦
٢	عن جعفر بن محمَّد عن أبيه	راويان	وزن الشعر والتصدق به	٣٥٤/٦
٣	عن محمَّد بن عليٍ بن حسين (الباقر)	ثلاثة رواة	وزن الشعر والتصدق بزنته فضة	٣٥٤/٦
٤	عن محمَّد بن عليٍ بن حسين	ثلاثة رواة	حلق الشعر والتصدق بثمنه	٣٥٤/٦
٥	جعفر بن محمَّد عن أبيه	راويان	إنَّ فاطمة ذبحت عن الحسين حين ولد شاة	٣٥٤/٦
٦	عن عليّ بن حسين (السجاد)	ثلاثة رواة	إنَّ الرسول أمر بأن يتصدق بزنة شعره على الأوفاض	٣٥٥/٦
٧	عن جعفر عن أبيه	راويان	بلغ ثمن شعر الحسن والحسين ثلثي درهم	٣٥٥/٦
٨	عن جعفر بن محمَّد عن أبيه	راويان	تصدقوا بوزن الشعر فضة	٣٥٥/٦
٩	عن أبي جعفر	راويان	تصدقوا بوزن الشعر فضة	٣٥٥/٦
١٠	عن جعفر بن محمَّد عن أبيه	راويان	بلغ ثمن شعر الحسن والحسين درهماً	٣٥٥/٦
١١	عن جعفر بن محمَّد عن أبيه	راوٍ واحد	سماه الرسول يوم السابع من ولادته	٣٥٦/٦
١٢	عن جعفر بن محمَّد عن أبيه	راويان	======	٣٥٦/٦
١٣	عن جعفر بن محمَّد عن أبيه	راويان	======	٣٥٦/٦
١٤	عن أبي جعفر محمَّد بن عليٍّ	راويان	إنَّ الحسن والحسين لا يريان أُمَّهات المؤمنين	٣٦٨/٦
١٥	عن جعفر بن محمَّد عن أبيه	راويان	إنَّ الحسن والحسين كان يقبلان جوائز معاوية	٣٦٩/٦

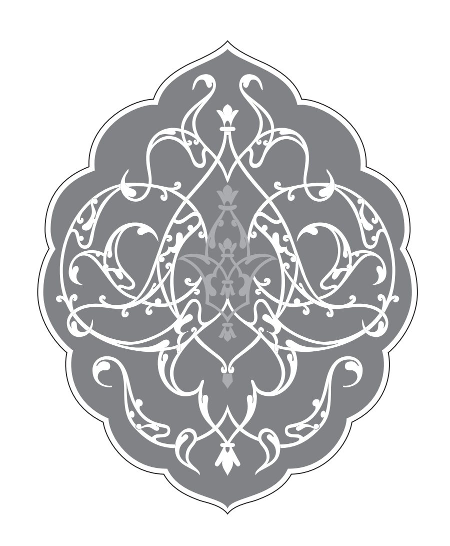
١٦	عن جعفر بن محمَّد عن أبيه	راويان	كان الحسن والحسين يتختمان في يسارهما	٣٧٨/٦
١٧	عن جعفر بن محمَّد عن أبيه	راويان	كان في خاتم الحسن والحسين ذكر الله	٤٠١/٩
١٨	عن محمَّد بن عليٍّ أبي جعفر	ثلاثة رواة	أُمُّ الفضل والإمام الحسين	٤٠١/٦
١٩	جعفر بن محمَّد عن أبيه	راويان	عطاء الإمام الحسين من قبل عمر بن الخطاب	٤٠٧/٦
٢٠	جعفر بن محمَّد عن أبيه	راويان	مجيء حلل من اليمن لعمر بن الخطاب وعدم إعطاء الحسنين منها	٤٠٧/٦
٢١	عن جعفر بن محمَّد عن أبيه	راويان	عن حج الحسين ماشياً	٤١٠/٦
٢٢	محمَّد بن عليٍّ بن الحسين	ثلاثة رواة	كان الحسين يمشي للحج ودوابه تقاد وراءه	٤١١/٦
٢٣	عن أبي جعفر (الباقر)	ثلاثة رواة	كان الحسن والحسين يعتقان عن عليٍّ	٤١١/٦
٢٤	سألت أبا جعفر (الباقر)	راويان	الصلاة خلف بني أُميَّة	٤١٢/٦
٢٥	عن جعفر بن محمَّد عن أبيه	راويان	رجل من مصر يسأل عن صيام يوم عرفة	٤١٣/٦
٢٦	عن جعفر بن محمَّد عن أبيه	راويان	إنَّ الحسين تختم في اليسار	٤١٥/٦
٢٧	سمعت جعفر بن محمَّد	راويان	أُصيب الحسين وعليه جبة خز	٤١٦/٦
٢٨	عن جعفر بن محمَّد عن أبيه	راويان	إنَّ الحسين كان يخضب بالوسمة	٤١٦/٦
٢٩	عن جعفر بن محمَّد عن أبيه	راويان	صبغ الحسين بالوسمة	٤١٧/٦
٣٠	وكان جعفر بن محمَّد يقول	إسناد جمعي مقتل الحسين	قتل الحسين وهو ابن ثمانٍ وخمسين	٤٤١/٦
٣١	عن جعفر بن محمَّد عن أبيه عن عليٍّ بن الحسين	راويان	حملنا من الكوفة إلى يزيد فغصت طرق الكوفة بالناس يبكون	٤٥٣/٦

ت	اسم المؤلف وسنة وفاته	اسم الكتاب	نوع المصدر	بلد المؤلف	عدد النصوص	نوعية الاقتباس	نوع الرواية
١	الطبري محمَّد بن جرير (٣١٠هـ/ ٩٢٢م)	تاريخ الأمم والملوك	عام	بغداد	أربعة نصوص	التزم في نصين.	الإخبار عمَّا يحدث له، وتاريخ استشهاده، وأنَّه أوّل رأس رفع على خشبة
٢	ابن الجوزي (٥٩٧ هـ/١٢٠٠م)	المنتظم	عام	بغداد	نصان	لم يتقيد بالنص	قيام يزيد بإرسال الرأس إلى المدينة وكيفية دفنه، حج الإمام ماشياً.
٣	الذهبي ٧٤٨هـ/١٣٤٧م	تاريخ الإسلام	عام		ستة نصوص	لم يتقيد بالنص	مقتله والناصحين، إرسال عمر بن سعد مبعوث للحسين، منازل الطريق إلى كربلاء، شجاعة الحسين وقتاله، وصول الرأس إلى يزيد، ولادته.
٤	ابن كثير ٧٧٤هـ/١٣٧٢م	البداية والنهاية	عام	دمشق	ثمانية نصوص	تقيد في بعضها وتصرَّف في بعضها الآخر	مقتل الحسين وخروجه والناصحين له، إخبار الإمام علي عن استشهاده، وصول الخبر إلى أُمّ سلمة، فضائل الإمام الحسين، إرسال الرأس إلى والي المدينة، وحج الإمام ماشياً.
٥	السيوطي ٩١١هـ/١٥٠٥م	تاريخ الخلفاء	عام		نص واحد	تقيد بالنص	تسمية الإمام وأنه أسم من أسماء الجنة لم يكونا في الجاهلية
٦	ابن حجر الهيثمي ٩٧٤هـ/١٥٦٨م	الصواعق المحرقة	عام		أربعة نصوص	تقيد بالنص	تسميته، والإخبار عن استشهاده عن الرسول صلَّى الله عليه وآله وعن الإمام عليٍّ عليه السَّلام.
٧	البلاذري ٢٧٩هـ/٩٩٠م	أنساب الأشراف	أنساب		نصان	لم يتقيد بالنص	تسمية الإمام الحسين، وموقفه من زواج أُمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر.

٨	الخطيب ٦٣ه/١٠٧٠م	تاريخ بغداد	تراجم	بغداد	نص واحد	لم يتقيد بالنص	عمره الشريف حين استشهاده عليه السَّلام.
٩	ابن عساكر ٧١ه/١١٧٥م	تاريخ مدينة دمشق	تراجم	دمشق	ستة وثلاثون نصاً	تقيد بالنص والسند	وفادة الإمام على معاوية، كنيته، محبة الرسول (صلَّى الله عليه وآله) له، موقف الإمام الحسين عليه السَّلام من عمر بن الخطاب، فرض عمر العطاء له، حلل اليمن وندم عمر بن الخطاب على عدم إعطائه منها، أقوال الإمام عليٍّ بحق الإمام عليه السَّلام، أقوال معاوية وعمرو بن العاص وأبي هريرة بحقه، حج الإمام ماشياً، رفض أحد أصحابه عليه السَّلام الذهاب لفكاك ابنه من الأسر، ذكر لقاء الإمام عليه السَّلام بابن مطيع، الإخبار عن استشهاده من قبل الرسول (صلَّى الله عليه وآله) والإمام عليٍّ عليه السَّلام، مقتل الحسين عليه السَّلام والناصحين له، الإعجاز الإلهي، عقوبة قاتليه، موقف ابن الزبير بعد استشهاده، عمره الشريف، خضابه، ويوم استشهاده.

١٠	سبط ابن الجوزي ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م	تذكرة الخواص	تراجم	بغداد	واحد وعشرون نصاً	حافظ على مضمون	ولادته، محبة الرسول (صلى الله عليه وآله) له، الإخبار عن استشهاده، حج الإمام، موقفه من عمر بن الخطاب، قول ابن عباس بحقه، المشادة بينه وبين مروان، خضاب الإمام عليه السَّلام، الإخبار من قبل الرسول لأم سلمه، وإخبار الإمام علي عليه السَّلام عنه، عدد المستشهدين من آل محمَّد، بعض الانعكاسات منها قول مرجانة، ويزيد، ونساء بني سفيان، ورأس الجالوت، دفن الرأس، رثاء بعض الشعراء له، الإعجاز الإلهي.
١١	ابن العديم ٦٠هـ/١٢٦٢م	بغية الطلب	تراجم	حلب	خمسة نصوص	نصاً	ولادته، لقاءه مع عبد الله بن مطيع، وفاء أصحاب الإمام الحسين عليه السَّلام معه، الإخبار عن استشهاده، مقتله عليه السَّلام والناصحين له.
١٢	الصفدي ٦٤هـ/١٣٦٢م	الوافي بالوفيات	تراجم		نص واحد	لم يلتزم بنص ابن سعد	دفن الرأس في المدينة المنورة.

١٣	المزي ٤٢هـ/١٣٤١م	تهذيب الكمال	تراجم	دمشق	سبعة نصوص	التزم بنص ابن سعد	عطاء الإمام عليه السَّلام زمن عمر بن الخطاب، موقف الإمام عليه السَّلام من صلح الإمام الحسن عليه السَّلام، ولادته، الإخبار عن استشهاده، مقتله عليه السَّلام والناصحين له، وصول الخبر إلى أم سلمه، موقف عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس بعد استشهاده عليه السَّلام والمشادة بينهما.
١٤	ابن حجر لاني ٨٥٢هـ/ ١٨٤٨م	الإصابة في تمييز الصحابة	تراجم		نصان	تصرف بالنص	موقفه من صلح الإمام الحسن عليه السَّلام، وموقف الإمام الحسين عليه السَّلام من استشهاد الإمام الحسن عليه السَّلام.



الخاتمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسَّلام على سيد المرسلين والأنبياء أبي القاسم محمَّد وعلى آله الطيبين الطاهرين، يمكننا القول إنَّ الدراسة توصّلت إلى مجموعة من النتائج من أهمّها:

١- بينت الدراسة أنَّ محمَّد بن سعد مثل أُنموذجاً للرواية البصريَّة لا لكونه بصريَّ المولد والنشأة ونهل من علومها وعلمائها فحسب، بل لأنَّه استقى معلوماته عن الإمام الحسين عليه السَّلام من أكثر من عشرين شيخاً وراوياً بصرياً وهي نسبة قاربت نصف شيوخه ورواته تقريباً في هذا الشأن.

٢- اتضح من خلال الدراسة أنَّ ابن سعد لم يكن من العلماء المتعصبين في موقفهم من أهل البيت، بل أغلب مروياته اتصفت بنوع من الموضوعيَّة، وغلب طابع الاعتدال على كتاباته، وأنَّه مثل الوسطية نوعاً ما وكان حيادياً في أغلب رواياته، وكانت مصدريته عن الإمام الحسين عليه السَّلام في أكثر من ثلاثين رواية عن أئمة أهل البيت عليهم السَّلام، فضلاً عن بعض الشخصيات الأُخرى المحسوبة على خطهم مثل جابر الأنصاري وأُمّ سلمة وآل أبي رافع وغيرهم، لكنَّه على الرغم من ذلك لا يمكن القول إنَّه غادر بشكل كامل من دائرة كونه مقرباً من أقطاب مدرسة الصحابة وربما مثلها إلى حدٍّ ما، لكنَّه احتفظ بخصوصيته وشخصيته الخاصة به.

٣- اتضح من خلال الدراسة أنَّ ابن سعد لم يخرج من محاباة السُّلطة العباسيَّة التي

عاصر العديد من حكامها الذين كانوا مهتمين بتوجهات المؤرخين وميولهم العقدية أمثال ابن سعد وغيره، ومن الأدلَّة على ذلك قيام المأمون العباسي رغم الانفتاح الفكري نسبياً في ظلِّ حكمه، بامتحان بعض العلماء بقضيَّة خلق القرآن وعلى رأسهم محمَّد بن سعد، علاوة على تلك المحاباة ارتباطه وملازمته لبعض رجالات البلاط العباسي والمقربين منهم، وخاصة أستاذه الواقدي الذي كان من المقربين لدولة بني العباس وأحد قضاتهم.

٤- قدَّم ابن سعد عن الإمام الحسين عليه السَّلام مادَّة خصبة وواسعة ودقيقة إذا ما قورنت بما قدَّمته المصادر التاريخيَّة الأُخرى، مع أهمية الأخذ بنظر الاعتبار طبيعة مُصنفه كونه ليس تاريخاً عاماً، لكنَّه جاء بكمٍّ هائل من المعلومات المسندة تناولت مختلف جوانب حياته، ولولا عظمة شخصيَّة الإمام الحسين عليه السَّلام ومكانته لكان ما ذكره عنه غطى أغلب جوانبه.

٥- استعمل ابن سعد في الأعم الأغلب من مروياته أُسلوب المحدّثين في ذكر الأحداث التاريخيَّة وغيرها فيما يتعلق بالإمام الحسين عليه السَّلام، ممَّا أضفى على مروياته صفة المقبوليَّة والوثاقة، ذلك الأُسلوب الذي كان دليلاً على صحة الرواية من عدمها من خلال تتبع الرواة ومعرفة وثاقتهم من عدمها.

٦- شكَّلت مادَّة ابن سعد عن الإمام الحسين عليه السَّلام مورداً مهمّاً للمصادر التاريخيَّة التي جاءت من بعده، والتي كثيراً ما اعتمدت عليه أمثال ابن عساكر وسبط بن الجوزي وغيرهم من المؤرخين القدامى والمعاصرين، الذين وجدوا في مادّته من الغزارة والوثاقة والأُسلوب ما هو جدير بالاعتماد عليه، فضلاً عن قِدم مصنفه الذي يعدُّ من بواكير المصنفات في هذا الفن من علوم التاريخ الإسلامي.

٧- تبيَّن من خلال الدراسة علو الإسناد في رواياته فهو لم يستقِ معلوماته بشأن الإمام الحسين عليه السَّلام من أيِّ مصنف أو كتاب، وإنَّما جاءت كلُّها عن طريق شيوخه ورواته، بل نجده كان حريصاً على تنويع موارده عن الإمام الحسين عليه السَّلام، ونظرة دقيقة لتلك الموارد في هذا الشأن يتبيّن لنا اختلاف أهوائهم ومشاربهم ومدنهم وأمصارهم، فضلاً عمَّا لم يصرّح باسمه من رواته، ولذلك نجد من بينهم البصري والكوفي والمدني والخراساني والدمشقي والمصري وغيرهم.

٨- قدَّم ابن سعد مادَّة واسعة عن سيرة الإمام الشخصيَّة وحياته الاجتماعيَّة والعباديَّة، ولم يقتصر كلامه على نهضته وكيفيَّة استشهاده، وهو بذلك اختلف عن العديد من المؤرخين الذين ركزوا في كتاباتهم على التاريخ السياسي والعسكري للإمام الحسين عليه السَّلام التي طغت على الجوانب الأخرى من حياته، فشكّلت مادّة ابن سعد تلك بما لها من السبق الزمني مادّة خصبة ووافية عن حياته الاجتماعيَّة والعباديَّة.

٩- انفرد ابن سعد في بعض الروايات التاريخيَّة وله السبق الزمني في بعضها الآخر، مثل استشهاد هاني بن عروة قبل استشهاد مسلم بن عقيل، وكذلك ما ذكره عن محاولة قتل عبيد الله بن زياد بأنَّ تلك المحاولة كانت بتهيئة ثلاثين رجلاً للقيام بها، وما ذكره بشأن موقف محمَّد ابن الحنفيَّة ومنع أولاده من الذهاب مع عمِّهم الإمام الحسين عليه السَّلام إلى الكوفة، وما جرى من حديث على أثر ذلك بين الإمام الحسين عليه السَّلام وبين محمَّد ابن الحنفيَّة، وذكره أسماء بعض المستشهدين من بني هاشم مع الإمام الحسين عليه السَّلام، وكذلك ما ذكره عن عدد الناصحين ومواقفهم ومنهج الإمام الحسين عليه السَّلام في الردِّ عليهم، وغيرها ممَّا أثبتناها في ثنايا الدراسة، وبالمقابل أغفل ذكر بعض الأحداث التاريخيَّة المهمَّة ومنها رسائله لأهل البصرة، وكذلك مواقف وقتال بعض

أصحاب الإمام الحسين عليه السَّلام.

١٠- خصص ابن سعد جزءاً من ترجمته للإمام الحسين عليه السَّلام للأحداث التي جرت بعد استشهاده، فشكّلت مادّة واضحة لانعكاسات النهضة الحسينيَّة بعد استشهاد قائدها وملهمها الإمام الحسين عليه السَّلام، حملت معها بوادر سقوط الدولة الأُمويَّة برمَّتها فيما بعد.

١١- غابت آراء ابن سعد الصريحة أو ترجيحه لبعض الروايات على غيرها أو نقده لبعضها في ترجمته للإمام الحسين عليه السَّلام، ممَّا أضفى ضبابية وغموضاً في موقفه من النهضة الحسينيَّة بشكل عام ومن إمامة الإمام الحسين عليه السَّلام بشكل خاص، ومن الجدير بالذكر أنَّ ذلك لم يكن منهجه في كتابه الطبقات الكبير، وإنَّما وجدت في ثناياه العديد من الآراء والترجيحات، بل وصف بأنَّه يتحرى الصحيح من رواياته وله ميزان في النقد حتى كتب أحد الباحثين أُطروحة دكتوراه في نقد ابن سعد للرواة.

١٢- على الرغم من مكانة ابن سعد الرفيعة وشهرته في الآفاق ودوره المهم في التاريخ الإسلامي، لكنَّنا لم نجد له ترجمة وافية، ولم تُشر المصادر التاريخيَّة التي اطلعنا عليها إلى تفاصيل وافية عن حياته الاجتماعيَّة والعقديَّة ورحلاته العلميَّة، إلَّا بعض المعلومات التي لا تتناسب مع مكانته المرموقة، ولولا ترجمة مقتضبة لتلميذه وأحد رواة كتابه الحسين بن فهم لأصبحت المعلومات عنه أكثر غموضاً وضبابية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

قائمة المصادر الأَوّليَّة والمراجع الثانويَّة:

*ابن الأثير الجزري، مجد الدين المبارك بن محمَّد (ت: ٦٠٦هـ/ ١٢٠٨م)

١- النهاية في غريب الحديث، تح: الطاهر أحمد الراوي، مطبعة إسماعيليان، قم، ١٩٨٤م.

*ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.

٣- الكامل في التاريخ، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٢م.

٤- اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

*أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني، (ت: ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)

٥- العلل ومعرفة الرجال، تح: وصي الله بن محمود عباس، المكتبة الإسلامية، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٦- مسند أحمد، دار صادر، بيروت، د.ت.

*الإربلي، علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت:٦٩٣هـ/ ١٢٩٢م).

٧- كشف الغمة في معرفة الأئمَّة، دار الأضواء، بيروت، لا ت.

* الأزدي، يزيد بن محمَّد بن إياس (ت: ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م)

٨- تاريخ الموصل، تح: أحمد عبد الله محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م.

*ابن إسحاق، محمَّد بن إسحاق بن يسار (ت: ١٥١هـ/ ٧٦٨م).

٩- سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.

١٠- سيرة ابن إسحاق، تح: محمَّد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث، د. ت.

*أبو الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو (ت:٦٩هـ/ ٦٨٨م)

١١- ديوان أبي الأسود الدؤلي، تح: محمَّد حسن آل ياسين، ط٢، دار الهلال، بيروت، ١٩٩٨م.

*الأصبهاني، عبد الله بن جعفر بن حبان (٣٦٩هـ/ ٩٧٩م)

١٢- طبقات المحدثين بأصفهان والواردين عليها، تح: عبد الغفور عبد الحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ.

*ابن أعثم الكوفي، أبو محمَّد أحمد، (ت: ٣١٤هـ/ ٩٢٦م).

١٣- كتاب الفتوح، تح: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩١م.

*الباجي، سليمان بن خلف بن سعد المالكي، (ت: ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م).

١٤- التعديل والتجريح لمن خرَّج عنه البخاري في الجامع الصحيح، تح: أحمد البزاز، لا ت.

*الباعوني، محمَّد بن أحمد الدمشقي، (ت: ٨٧١هـ/ ١٤٦٢م)

١٥- جواهر المطالب في مناقب الإمام عليٍّ بن أبي طالب، تح: محمَّد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ١٤١٦هـ.

*البحراني، عبد الله بن نور الله الأصفهاني (ت:١١٣٠هـ/ ١٧١٩م)

١٦- العوالم، الإمام الحسين، مؤسسة الإمام المهدي، قم، ١٩٨٧م.

*البخاري، محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم، (ت: ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م).

١٧-التاريخ الصغير، تح: محمود إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦م.

١٨- التاريخ الكبير، ديار بكر، تركيا، لات.

١٩- الضعفاء الصغير، تح: محمود إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦م.

*ابن البراج، عبد العزيز بن البراج (ت: ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م)

٢٠- المهذب، تح: جعفر السبحاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٦هـ.

*البرقي، أحمد بن محمَّد بن خالد (ت: ٢٧٤هـ/ ٨٨٧م)

٢١- رجال البرقي، مؤسسة النشر الإسلامي، طهران، ١٩٩٩م.

*البري، محمَّد بن أبي بكر الأنصاري، (من أعلام ق٧هـ، كان حياً عام ٦٤٥هـ).

٢٢- الجوهرة في نسب الإمام عليٍّ وآله، تح: محمَّد التونجي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٢هـ.

*ابن بطوطة، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن محمَّد (ت: ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)

٢٣- تحفة النظار في غرائب الأبصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة)، دار التراث، بيروت، ١٩٦٨م.

*البغدادي، عبد القادر بن عمر، (ت: ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م)

٢٤- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: محمَّد نبيل طريفي وآخر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

*البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت: ٢٧٩هـ-٨٩٢م)

٢٥- أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.

*البكري، عبد الله بن عبد العزيز، (ت: ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)

٢٦- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح: مصطفى السقا، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م.

*البيهقي، أحمد بن الحسين بن عليٍّ (ت: ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)

٢٧- السنن الكبرى، دار الفكر، بيروت، د.ت.

٢٨- معرفة السنن والآثار، تح: كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

*ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، (ت: ٨٧٤هـ/ ١٤٩٦م)

٢٩- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ت.

*التفرشي، مصطفى عبد الحسين الحسيني، (ت: ١٠١٥هـ/ ١٦٠٦م)

٣٠- نقد الرجال، تح: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، مطبعة ستارة، قم، ١٩٩٨م.

*التنوخي، المحسن بن عليّ، (ت: ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)

٣١- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تح: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م.

*الثقفي، إبراهيم بن محمَّد بن سعيد، (ت: ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م)

٣٢- الغارات، تح: جلال الدين الحسيني، مطبعة بهمن، طهران، د.ت.

*ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (ت: ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م)

٣٣- رأس الحسين، تح: السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥م.

٣٤- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، تح: محمَّد رشاد، دار الفضيلة، الرياض، د.ت.

*الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت: ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)

٣٥- البرصان والعرجان والعميان والحولان، تح: عبد السَّلام محمَّد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠م.

٣٦- البيان والتبيين، المطبعة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٢٦م.

٣٧- العثمانية، تح: عبد السَّلام محمَّد هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

*ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ، (ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)

٣٨- المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم، تح: عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

٣٩- الموضوعات، تح: عبد الرحمن محمَّد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٩٦٦م.

*الجوهري، إسماعيل بن حماد، (ت: ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م)

٤٠- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور العطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

*ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن بن ابي حاتم محمَّد (ت: ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م)

٤١- الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٢م.

*حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت: ١٠٦٧هـ/ ١٧٣٥م)

٤٢- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تح: محمَّد شرف الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

*الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن أحمد الحذاء، (من أعلام القرن الخامس الهجري)

٤٣- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت، تح: محمَّد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، طهران، ١٩٩١م.

الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن محمَّد (ت:٤٠٥هـ/ ١٠١٤م)

٤٤- المستدرك على الصحيحين، تح: يوسف عبد الرحمن المرعشي، دار المعرفة، بيروت، د. ت.

*ابن حبان، محمَّد بن حبان بن أحمد، (ت: ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)

٤٥- الثقات، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٧٥م.

٤٦- صحيح ابن حبان، تح: شعيب الأرناؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ١٩٩٣م.

٤٧- المجروحين، تح: محمود إبراهيم زايد، دار الباز للنشر، مكة، د.ت.

٤٨- مشاهير علماء الأمصار، تح: مرزوق علي إبراهيم، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٩١م.

*ابن حبيب، أبو جعفر محمَّد، (ت: ٢٤٥هـ/ ٩٦٥م)

٤٩- المحبر، مطبعة الدائرة، بيروت، ١٩٤٢م.

٥٠- المنمق في أخبار قريش، تح: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

*ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد، (ت: ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)

٥١- الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمَّد عوض، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

٥٢- تقريب التهذيب، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

٥٣- تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٤م.

٥٤- لسان الميزان، ط٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،١٩٧١م.

*ابن حجر الهيثمي، أحمد بن حجر المكي، (ت: ٩٧٤هـ/ ١٥٦٩م)

٥٥- الصواعق المحرقة في الردِّ على أهل البدع والزندقة، تح: كمال مرعي ومحمَّد إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت،٢٠٠٩م.

*ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد، (ت:٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)

٥٦- شرح نهج البلاغة، تح: محمَّد أبي الفضل، دار إحياء الكتاب العربي، بيروت، ١٩٥٩م.

*ابن حزم، أبو محمَّد علي (ت:٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)

٥٧- المحلى، دار الفكر، بيروت، د. ت.

* الحلي، جمال الدين الحسن بن يوسف المطهر، (ت: ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م)

٥٨- منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، تح: عبد الرحيم مبارك، مؤسسة عاشوراء، قم المقدسة، د. ت.

*ابن حمدون، محمَّد بن الحسن بن محمَّد، (ت: ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م)

٥٩- التذكرة الحمدونية، تح: إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.

*الحميدي، عبد الله بن الزبير، (ت: ٢١٩هـ/ ٨٣٣م)

٦٠- مسند الحميدي، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.

*الحميري، محمَّد عبد المنعم (ت: ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)

٦١- الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.

*أبو حنيفة الدينوري، أحمد بن داود الدينوري، (ت: ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)

٦٢- الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٠م.

*ابن حيان الأندلسي، محمَّد بن يوسف بن علي، (ت: ٧٥٤هـ/ ١٣٥٤م)

٦٣- تفسير ابن حيان (البحر المحيط)، تح: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية،

بيروت، ٢٠٠١م.

*ابن خزيمة، أبو بكر محمَّد بن إسحاق السلمي، (ت: ٣١١هـ/ ٩٢١م)

٦٤- صحيح ابن خزيمة، تح: محمَّد الأعظمي، ط٢، المكتب الإسلامية، ١٩٩٢م.

*الخصيبي، الحسين بن حمدان، (ت: ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م)

٦٥- الهداية الكبرى، مؤسسة البلاغ، بيروت، ٢٠١٥م.

*الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، (ت: ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)

٦٦- تاريخ بغداد، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

*الخطيب التبريزي، ولي الدين محمَّد بن عبد الله، (ت: ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)

٦٧- الإكمال في أسماء الرجال، تح: أبي أسد الله بن الحافظ، مؤسسة أهل البيت، قم، د. ت.

*ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمَّد، (٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)

٦٨- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (المعروف بتاريخ ابن خلدون)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

*ابن خلكان، أحمد بن محمَّد بن إبراهيم، (ت: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)

٦٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بغداد، د. ت.

*خليفة بن خياط، ابن أبي هبيرة العصفري، (ت: ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)

٧٠- تاريخ خليفة بن خياط، تح: أكرم ضياء العمري، ط٢، دار طيبة، الرياض، ١٩٨٥م.

٧١- طبقات خليفة بن خياط، تح: أكرم ضياء العمري، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٧م.

*الخوارزمي، الموفق بن أحمد بن محمَّد، (ت: ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م)

٧٢- مقتل الحسين، تح: محمَّد السماوي، أنوار الهدى، قم، ١٤١٨هـ.

*الدار قطني، علي بن عمر، (٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)

٧٣- علل الدار قطني، تح: محفوظ الرحمن السلفي، دار طيبة، الرياض، ١٩٨٥م.

*الدارمي، عبد الله بن بهرام، (ت: ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)

٧٤- سنن الدارمي، المطبعة الحديثة، دمشق، ١٣٤٩هـ.

*ابن داوود، الحسن بن علي، (ت: ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م)

٧٥- رجال ابن داوود، تح: محمَّد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٧٢م.

*أبو داوود، سليمان بن الأشعث، (ت: ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)

٧٦- سنن أبي داوود، تح: سعيد محمَّد اللحام، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠م.

*الدميري، كمال الدين (ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)

٧٧- حياة الحيوان الكبرى، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.

*الدولابي، محمَّد بن حماد الأنصاري، (ت: ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)

٧٨- الذرية الطاهرة، تح: سعيد المبارك الحسن، دار السلفية، الكويت، ١٤٠٧هـ.

*الذهبي، شمس الدين محمَّد بن أحمد، (ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)

٧٩- تاريخ الإسلام، تح: عبد السَّلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م.

٨٠- تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

٨١- تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق، تح: مصطفى أبي الغيظ، دار الوطن، الرياض، ٢٠٠٠م.

٨٢- سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط ومأمون الصاغرجي، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.

٨٣- الكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة، تح: أحمد محمَّد نمر الخطيب، مؤسسة علوم القرآن، جدة، ١٩٩٢م.

٨٤- ميزان الاعتدال، تح: علي محمَّد البجاوي، دار المعرفة، بيروت،١٩٦٣م.

٨٥- المغني في الضعفاء، تح: حازم القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

*الرازي، محمَّد بن أبي بكر، (ت: ٧٢١هـ/ ١٣٢١م)

٨٦- مختار الصحاح، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.

*الراوندي، فضل الله بن علي الحسيني، (ت: ٥٧١هـ/ ١١٧٦م)

٨٧- النوادر، تح: سعيد رضا علي العسكري، دار الحديث، قم، ١٤١٨هـ.

*الزرندي الحنفي، محمَّد بن يوسف بن الحسن، (ت: ٧٥٠هـ/ ١٣٥٠م)

٨٨- نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين، مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة، د. م، ١٩٥٨م.

*الزمخشري، جار الله بن عمر الخوارزمي (٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)

٨٩- أساس البلاغة، دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٠م.

٩٠- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تح: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٢م.

*ابن زنجويه، حميد، (ت: ٢٥١هـ/ ٨٦٥م)

٩١- كتاب الأموال، تح: شاكر ذيب فياض، مركز فيصل، الرياض، ١٩٨٦م.

*سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر بن فرغلي، (ت: ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)

٩٢- تذكرة الخواص من الأُمَّة بذكر خصائص الأئمة، تح: حسين تقي زاده، ط٢، المجمع العالمي لأهل البيت، بيروت،١٤٣٣هـ.

*السبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، (٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)

٩٣- طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمَّد الطناجي وعبد الفتاح محمَّد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، د. ت.

*السخاوي، شمس الدين محمَّد بن عبد الرحمن، (ت: ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)

٩٤- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٣م.

السرخسي، أبو بكر محمَّد بن أبي سهل، (ت: ٤٣٨هـ/ ١٠٤٥م)

٩٥- المبسوط، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦م.

*ابن سعد، محمَّد بن سعد بن منيع، (ت: ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)

٩٦- الطبقات الكبرى (القسم المتمم لتابعي أهل المدينة) تح: زياد محمَّد منصور، ط٢، مكتبة العلوم، المدينة المنورة،١٩٨٧م.

٩٧- الطبقات الكبير، تح: علي محمَّد عمر، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠١٢م.

٩٨- الطبقات الصغير، تح: بشار عواد معروف ومحمَّد زاهد جول، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠٠٩م.

*سعيد بن منصور بن شعبة، (ت: ٢٢٧هـ/ ٨٤١م)

٩٩- سنن سعيد بن منصور، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

*السمعاني، أبو سعد عبد الكريم، (ت: ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م)

١٠٠- الأنساب، تح: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، ١٩٨٨م.

١٠١- تفسير السمعاني، تح: ياسر إبراهيم وغنيم عباس، دار الوطن، الرياض، ١٩٩٧م.

*ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت: ٢٢٤هـ/ ٨٣٧م)

١٠٢- كتاب الأموال، تح: محمَّد عمارة، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٩م.

*ابن سيد الناس، محمَّد بن عبد الله بن يحيى، (٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م)

١٠٣- عيون الأثر في سيرة سيد البشر، مؤسسة عز الدين، بيروت، ١٩٨٦م

*السيوطي، أبو الفضل جلال الدين، (ت: ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)

١٠٤- تاريخ الخلفاء، تح: محمَّد أحمد عيسى، دار الغد الجديد، القاهرة، ٢٠٠٧م.

١٠٥- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م.

١٠٦- الخصائص الكبرى، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.

١٠٧- المحاضرات والمحاورات، تح: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م.

* ابن شاذان، الفضل بن شاذان الأزدي (ت: ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م)

١٠٨- الإيضاح، تح: جلال الدين الحسيني، مؤسسة انتشارات، طهران، ١٣٦٣هـ.

*الشافعي، محمَّد بن إدريس، (ت:٢٠٤هـ/ ٨١٩م)

١٠٩- كتاب الأُمّ، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م.

١١٠- المسند، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

*ابن شاهين، أبو حفص عمر بن شاهين، (ت: ٣٨٥هـ/ ٩٩٦م)

١١١- تاريخ أسماء الثقات، تح: صبحي السامرائي، دار السلفية، تونس، ١٤٠٤هـ.

*ابن شبة النميري، عمر بن شبة، (ت: ٢٦٢هـ/ ٨٧٦م)

١١٢- كتاب أخبار البصرة، جمع وتحقيق: سلمى عبد الحميد حسين، دار الكفيل، كربلاء المقدسة، ٢٠١٥م.

١١٣- تاريخ المدينة المنورة، تح: فهيم محمَّد شلتوت، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ.

*الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى (٤٠٦هـ/ ١٠٤٤م)

١١٤- الانتصار، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ١٤١٥هـ.

١١٥- الشافي في الإمامة، تح: عبد الزهرة الحسيني الخطيب، مؤسسة الصادق، طهران، ١٩٨٦م.

١١٦- الناصريات، تح: مركز البحوث العلمية، مؤسسة الهدى، طهران، ١٩٩٧م.

*ابن شهر آشوب، محمَّد بن علي (ت: ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م)

١١٧- مناقب آل أبي طالب، تح: لجنة من أساتذة النجف، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٥٦م.

*الشهرزوري، عثمان بن عبد الرحمن (٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)

١١٨- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، تح: صلاح بن محمَّد بن عويصة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

*الشهرستاني، محمَّد بن عبد الكريم (ت: ٥٤٩هـ/ ١١٤٥م)

١١٩- الملل والنحل، تح: إبراهيم شمس الدين، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٦م.

*ابن أبي شيبة الكوفي، عبد الله بن محمَّد، (ت: ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م)

١٢٠- مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار، تح: سعيد اللحام، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨م.

*ابن الصباغ المالكي، علي بن محمَّد بن أحمد، (ت: ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)

١٢١- الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تح: جعفر الحسيني، ط٢، المجمع العلمي لأهل البيت، بيروت، ٢٠١١م.

*الصفدي، صلاح الدين، (ت: ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)

١٢٢- الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.

*أبو الصلاح الحلبي، تقي الدين بن نجم الدين بن عبيد الله، (ت٤٤٧هـ/ ١٠٥٢م)

١٢٣- الكافي في الفقه، تح: رضا أستاذي، مكتبة أمير المؤمنين، أصفهان، د. ت.

*ابن طاووس، عليُّ بن موسى بن جعفر، (ت: ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م)

١٢٤- التشريف بالمنن في التعريف بالفتن (الملاحم والفتن)، مؤسسة صاحب الأمر، أصفهان، ١٤١٦هـ.

١٢٥- الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، مطبعة الخيام، قم، ١٣٩٩هـ.

١٢٦- الملهوف على قتلى الطفوف، تح: فارس الحسون، ط٤، دار الأسوة، قم، ١٤٢٥هـ.

*الطبراني، أبو القاسم سليمان، (ت: ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)

١٢٧- المعجم الكبير، تح: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٩٨٤م.

١٢٨- المعجم الوسيط، دار الحرمين، المدينة، ١٩٩٥م.

*الطبرسي، أبو عليّ الفضل بن الحسن، (ت: ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)

١٢٩- إعلام الورى بأعلام الهدى، تح: علي أكبر الغفاري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٤م.

*الطبري، أبو جعفر محمَّد بن جرير، (ت: ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)

١٣٠- تاريخ الأُمم والملوك، تح: محمَّد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٨م.

١٣١- جامع البيان في تأويل آي القرآن (المعروف بتفسير الطبري) مؤسسة الأعلمي، بيروت، د. ت.

١٣٢- المنتخب من ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٣٩م.

*الطحاوي، أحمد بن محمَّد بن سلمة، (ت: ٣٢١هـ/ ٩٣٣م)

١٣٣- شرح معاني الأخبار، تح: محمَّد زهري النجار، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.

*ابن الطقطقي، محمَّد بن علي بن طباطبا، (ت: ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)

١٣٤- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د. ت.

*الطوسي، أبو جعفر محمَّد بن الحسن، (ت: ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م)

١٣٥- اختيار معرفة الرجال، تح: مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤٠٤هـ.

١٣٦- الأمالي، تح: مؤسسة البعثة، دار الثقافة الإسلامية، قم، ١٤١٤هـ.

١٣٧- الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، تح: حسن الموسوي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٩٠هـ.

١٣٨- التبيان في تفسير القرآن، تح: أحمد حبيب قصير، مكتبة الإعلام الإسلامي، د.

م،١٤٠٩هـ.

١٣٩- رجال الطوسي (الأبواب)، تح: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٥هـ.

١٤٠- مصباح المتهجد، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، ١٩٩١م.

*ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر، (ت: ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)

١٤١- بلاغات النساء، مكتبة يصرتي، قم، د. ت.

*ابن أبي عاصم، عمرو الضحاك بن مخلد، (ت: ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م)

١٤٢- الآحاد والمثاني، تح: باسم فيصل الجوابرة، دار الدراية، الرياض، ١٩٩١م.

*العاملي، يوسف بن حاتم المشغري، (ت: ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م)

١٤٣- الدر النظيم، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، د. ت.

*ابن عبد البر، أبو عمر يوسف، (ت: ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)

١٤٤- الاستذكار، تح: سالم محمَّد عطاء ومحمَّد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

١٤٥- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمَّد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.

١٤٦- التمهيد، تح: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمَّد عبد الكبير البكري، وزارة الأوقاف المغرب.

*عبد الرزاق الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام (٢١١ه/ ٨٢٥م)

١٤٧- المصنف، تح: حبيب الله الأعظمي، المجلس العلمي، د. ت.

*ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمَّد، (ت: ٣٢٨هـ/ ٩٣٨م)

١٤٨- العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.

❋العجلي، أحمد بن عبد الله بن صالح، (ت: ٢٦١هـ/ ٨٧٥م)

١٤٩- معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث من الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٥هـ.

❋ابن عدي الجرجاني، عبد الله بن عدي، (ت: ٣٦٥هـ/ ٩٧٦م)

١٥٠- الكامل في ضعفاء الرجال، تح: يحيى مختار عزاوي، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.

❋ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد، (ت: ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م)

١٥١- بغية الطلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٩٨٨م.

❋ابن العربي، محمَّد بن عبد الله، (ت:٥٤٣هـ/ ١١٤٨م)

١٥٢- العواصم والقواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي، تح: محب الدين الخطيب، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٠م.

❋ابن عساكر، علي بن الحسين بن هبة الله، (ت: ٥٧١هـ/ ١١٧٦م)

١٥٣- تاريخ مدينة دمشق، تح: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

❋العقيلي، محمَّد بن عمرو بن موسى، (ت: ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م)

١٥٤- الضعفاء الكبير، تح: عبد المعطي أمين، ط٢،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

❋ابن العماد الحنبلي، عبد الحبيب بن أحمد بن محمَّد الدمشقي، (ت: ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٧م)

١٥٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

❋العمري العلوي، علي بن محمَّد العلوي، (ت: ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)

١٥٦- المجدي في أنساب الطالبين، تح: أحمد المهدوي الدامغاني، مكتبة المرعشي، قم، ١٤٠٩هـ.

❋ابن عنبة، أحمد بن علي، (ت: ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م)

١٥٧- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، تح: محمَّد حسن آل الطالقاني،ط٢، المطبعة

الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦١م.

*العياشي، محمَّد بن مسعود بن عياش، (٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)

١٥٨- تفسير العياشي، تح: هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية، طهران، د. ت.

*العيني، بدر الدين، (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)

١٥٩- عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

*ابن الفتال النيسابوري، محمَّد بن الفتال، (ت: ٥٠٨هـ/ ١١١٣م)

١٦٠- روضة الواعظين، تح: محمَّد مهدي وحسن الخرساني، منشورات الشريف الرضي، قم، د. ت.

*الفخر الرازي، أبو عبد الله محمَّد بن الحسن بن الحسين، (ت: ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)

١٦١- التفسير الكبير، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.

١٦٢- الشجرة المباركة في أنساب الطالبيين، تح: مهدي الرجائي، مكتبة المرعشي، قم، ١٤٠٩هـ.

*الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (ت: ١٧٥هـ/ ٧٩١م)

١٦٣- العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، طهران، ١٤١٠هـ.

*أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، (ت: ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)

١٦٤- الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

١٦٥- مقاتل الطالبيين، تح: أحمد صقر، ط٤ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت، ٢٠٠٦م.

*الفيروز آبادي، محمَّد بن يعقوب (٨١٧هـ/ ١٤١٣م)

١٦٦- القاموس المحيط، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٩م.

*القاضي النعمان، أبو حنيفة المغربي، (٣٦٣هـ/ ٩٧٣م)

١٦٧- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تح: محمَّد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٦هـ.

١٦٨- دعائم الإسلام، تح: آصف بن علي أصغر، ط٢، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

*ابن قتيبة، أبو محمَّد عبد الله بن مسلم، (ت: ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)

١٦٩- الإمامة والسياسة (تاريخ الخلفاء)، تح: علي شيري، المكتبة الحيدرية، د. ت.

١٧٠- المعارف، تح: ثروت عكاشة، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م.

*ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد (٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)

١٧١- المغني، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.

*القرطبي، محمَّد بن عبد الله الأنصاري، (ت: ٦٧١هـ/ ١٢٧٠م)

١٧٢- تفسير القرطبي المسمَّى (الجامع لأحكام القرآن)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م.

*القندوزي الحنفي، سليمان بن إبراهيم الحنفي، (ت: ١٢٩٤هـ/ ١٨٨٢م)

١٧٣- ينابيع المودَّة لذوي القربى، تح: سيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة، قم، ١٤١٦هـ.

*ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، (ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)

١٧٤- البداية والنهاية، تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م.

*المحقق الكركي، علي بن الحسين، (ت: ٩٤٠هـ/ ١٠١٨م)

١٧٥- الخراجيات، تح: مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر، قم، ١٤١٣هـ.

*الكليني، أبو جعفر بن محمَّد، (ت: ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م)

١٧٦- الكافي، تح: علي أكبر الغفاري، ط٥، دار الكتب الإسلامية، طهران، د. ت.

*ابن ماكولا، أبو نصر عليُّ بن هبة الله العجلي، (٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م)

١٧٧- إكمال الكمال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

*الماوردي، علي بن محمَّد بن حبيب، (ت: ٤٥٠هـ/ ١٠٥٧م)

١٧٨- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط٢، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٩٦٦م.

*المبرد، أبو العباس محمَّد بن يزيد، (ت: ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)

١٧٩- الكامل في اللغة والتاريخ، تح: محمَّد أبي الفضل إبراهيم، ط٣، مطبعة المدني، د. م، ١٩٩٧م.

*المتقي الهندي، علاء الدين بن علي، (ت: ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م)

١٨٠- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تح: بكري حياتي وصفوة السقاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.

*المتوكل الليثي، متوكل بن عبد الله (ت: حوالي ٨٥هـ/ ٧٠٦م)

١٨١- ديوان المتوكل الليثي، تح: يحيى الجبوري، مكتبة الأندلس، بغداد، د. ت.

*المجلسي، محمَّد باقر محمَّد تقي، (ت: ١١١١هـ/ ١٦٩٩م)

١٨٢- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تح: محمَّد باقر البهبودي، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣م.

*محب الدين الطبري، أبو جعفر أحمد بن عبد الله (ت:٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م)

١٨٣- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى من مصادر كتب أهل السنة، مكتبة المقدسي، القاهرة، ١٣٥٦هـ.

١٨٤- الرياض النضرة في مناقب العشرة، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

*أبو مخنف الأزدي، لوط بن يحيى بن سعيد، (ت: ١٥٧هـ/ ٧٧٤م)

١٨٥- مقتل الحسين، تح: حسين الغفاري، المطبعة العلمية، قم، د. ت.

*المزي، جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن، (ت: ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)

١٨٦- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

*المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، (ت: ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)

١٨٧- إثبات الوصيَّة للإمام عليٍّ بن أبي طالب (عليه السَّلام)، دار الأندلس، بيروت، ٢٠٠٩م.

١٨٨- التنبيه والإشراف، دار مصعب، بيروت، د. ت.

١٨٩- مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتاب العربي، بغداد، ٢٠٠٤م.

*مسكويه، أحمد بن محمَّد بن يعقوب، (ت: ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)

١٩٠- تجارب الأُمم وتعاقب الهمم، تح: أبي القاسم إمامي، ط٢، دار سروش للطباعة والنشر، طهران، ٢٠٠١م.

*مصعب الزبيري، أبو عبد الله بن المصعب (ت: ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م)

١٩١- كتاب نسب قريش، تح: ليفي بروفينسال، ط٣، دار المعارف، د. م.

*المطهر الحلي، رضي الدين علي بن يوسف المطهر، (ت: ٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م)

١٩٢-العدد القوية لدفع المخاوف اليومية، تح: مهدي الرجائي، مكتبة المرعشي، قم، ١٤٠٨هـ.

*ابن معين، يحيى بن معين بن عون، (ت: ٢٣٣هـ/ ٨٤٧م)

١٩٣- تاريخ ابن معين، عبد الله أحمد حسن، دار القلم، بيروت، د. ت.

*مغلطاي بن قليج، علاء الدين، (٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م)

١٩٤- إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: عادل محمَّد أُسامة، الفاروق الحديثة، القاهرة، ٢٠٠١م.

*المفيد، محمَّد بن محمَّد بن النعمان، (ت: ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م)

١٩٥- الإرشاد، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠٠٨م.

*المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، (ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)

١٩٦- إمتاع الأسماع بما للنبيِّ (صلَّى الله عليه وآله) من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تح: محمَّد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.

*مؤلف مجهول، (من القرن الثالث الهجري)

١٩٧- أخبار الدولة العباسية، تح: عبد العزيز الدوري، دار الطباعة، بيروت، د. ت.

*النجاشي، أحمد بن علي بن أحمد (ت:٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)

١٩٨- فهرست أسماء مصنفي الشيعة المشهور (برجال النجاشي)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠١٠م.

*ابن النديم، محمَّد بن إسحاق (ت: ٤٣٨هـ/ ١٠٣٧م)

١٩٩- الفهرست في أخبار العلماء والمصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، تح: رضا تجدد علي زين العابدين، إسماعيليان، قم، د. ت.

*النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، (ت:٣٠٣هـ/ ٩١٥م)

٢٠٠- سنن النسائي، دار الفكر، بيروت، ١٩٣٠م.

٢٠١- الضعفاء والمتروكين، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦م.

٢٠٢- خصائص أمير المؤمنين، تح: محمَّد هادي الأميني، مكتبة نينوى الحديثة، طهران، د. ت.

*أبو نصر البخاري، سهل بن عبد الله بن داود، (من أعلام القرن الرابع)

٢٠٣- سرُّ السلسلة العلوية، تح: محمَّد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٩٢م.

*نصر بن مزاحم، المنقري (ت: ٢١٢هـ/ ٨٢٧م)

٢٠٤- وقعة صفين، تح: عبد السَّلام محمَّد هارون، ط٢، إيران، قم، ١٤٠٣هـ.

*أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق (ت:٤٣٠هـ/ ١٠٣٧م)
٢٠٥- ذكر أخبار أصبهان، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٣٤م.
*ابن نما الحلي، جعفر بن محمَّد بن جعفر، (ت: ٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م)
٢٠٦- ذوب النضار في شرح الأخبار، تح: فارس حسون كريم، مؤسسة النشر، قم، ١٤١٦هـ.
٢٠٧- مثير الأحزان ومنير سبل الأشجان، تح: محمَّد المعلم، مكتبة الحيدرية، قم، ١٤٣٤هـ.
*النويري، شهاب الدين أحمد، (ت: ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)
٢٠٨- نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية للنشر، القاهرة، د. ت.
*ابن هشام، أبو محمَّد عبد الملك (ت: ٢١٨هـ/ ٨٣٢م)
٢٠٩- السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا وآخرين، دار الخلود، بيروت، د. ت.
*الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت: ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)
٢١٠- مجمع الزوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
٢١١- موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان، تح: حسين سليم وعبد علي الكوشك، دار الثقافة العربية، دمشق، ١٩٩١م.
*الواقدي، محمَّد بن عمر بن واقد، (ت: ٢٠٧هـ/ ٨١٨م)
٢١٢- كتاب المغازي، تح: مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، د. ت.
*اليافعي، أبو محمَّد عبد الله بن أسعد علي، (ت: ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م)
٢١٣- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
*ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)
٢١٤- معجم الأدباء، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠م.
٢١٥- معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م.

*اليعقوبي، أحمد بن يعقوب، (ت: ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م)

٢١٦- تاريخ اليعقوبي، تح: خليل المنصور، دار الزهراء، قم، ١٤٣٩هـ.

*أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي، (ت: ٣٠٧هـ/ ٩١٩م)

٢١٧- مسند أبي يعلى، تح: حسين سليم أسد، ط٢، دار المأمون للتراث، دمشق، د. ت.

المراجع الثانوية:

*إبراهيم بيضون

٢١٨- التوابون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٤م.

٢١٩- من دولة عمر إلى دولة عبد الملك، دار شهاب الدين للنشر، قم المقدسة، ٢٠٠٦م.

*الأردكاني، سيد أبو فاضل الرضوي.

٢٢٠- ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي، ترجمة: علي الهاشمي، الشركة الدولية للطباعة، د. م. ٢٠٠١م.

* الأمين، محسن.

٢٢١- أعيان الشيعة، تح: حسن الأمين، دار التعارف، بغداد، د. ت.

٢٢٢- لواعج الأشجان، مطبعة بصيرتي، قم المقدسة، د. ت.

*الأميني، العلامة إبراهيم.

٢٢٣- دراسة عامة في الإمامة، ترجمة: كمال السيد، ط٣، مؤسسة أنصاريان، قم، ١٩٩٦م.

*البحراني، عبد العظيم المهتدي.

٢٢٤- من أخلاق الإمام الحسين، مكتبة الشريف الرضي، قم، ٢٠٠٠م.

*البراقي، حسين أحمد النجفي

٢٢٥- تاريخ الكوفة، تح: ماجد أحمد العطية، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٤٢٤هـ.

*البروجردي، علي.

٢٢٦- طرائف المقال، تح: مهدي الرجائي، مكتبة المرعشي، قم، ١٣١٣هـ.

*البغدادي، إسماعيل باشا بن محمَّد.

٢٢٧- إيضاح المكنون، تصحيح: محمَّد شرف الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

٢٢٨- هدية العارفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

*التستري، محمَّد تقي.

٢٢٩- قاموس الرجال، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٢م.

*التميمي، هادي عبد النبي

٢٣٠- ثورة الإمام الحسين عليه السَّلام في المصنفات المصرية في القرن العشرين الميلادي، دار البصائر، بيروت، ٢٠١٤م.

*حسن إبراهيم حسن.

٢٣١- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط١٤، دار الجيل، ١٩٩٦م.

*الخزرجي، رحيم جمعة

٢٣٢- الصحابي المحدث جابر بن عبد الله الأنصاري، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠١٥م.

*السيد الخوئي، أبو القاسم الموسوي.

٢٣٣- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، ط٥، مطابع مركز نشر الثقافة الإسلامية، قم، ١٩٩٣م.

*الخضري، محمَّد.

٢٣٤- الدولة الأُموية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.

*الدعجاني، طلال سعود.

٢٣٥- موارد ابن عساكر في تاريخ دمشق، المدينة المنورة، ٢٠٠٤م.

*الربيعي، عبد الهادي.

٢٣٦- قبيلة بني عبد القيس، تح: علي كوراني، د. م، ٢٠١٠م.

*الزركلي، خير الدين.

٢٣٧- الأعلام، دار العلم للملايين، ط٥، بيروت، ١٩٨٠م.

*جعفر السبحاني.

٢٣٨- التوسل أو الاستغاثة بالأرواح المقدسة، الدار الإسلامية للنشر، النجف، ١٩٩٢م.

*الجلالي، محمَّد رضا الحسيني

٢٣٩- الإمام الحسين عليه السَّلام سماته وسيرته، دار المعروف، قم المقدسة، د. ت.

*سركيس، ايان

٢٤٠- معجم المطبوعات العربية، مكتبة المرعشي، قم، د. ت.

*السماوي، محمَّد.

٢٤١- إبصار العين في أنصار الحسين، تح: محمَّد جعفر الطبسي، مركز الدراسات الإسلامية، قم، ١٤١٩هـ.

*سيد أمير علي.

٢٤٢- مختصر تاريخ العرب، ترجمة: عفيف البعلبكي، ط٢، دار العلم، بيروت، ١٩٦٧م.

*الهندي، ناصر حسين.

٢٤٣- إفحام الأعداء والخصوم بتكذيب ما افتراه على السيدة أُمِّ كلثوم، تح: محمَّد هادي الأميني، مكتبة نينوى الحديثة، طهران، د. ت.

*الشاكري، حسين

٢٤٤- شهداء أهل البيت (عليهم السَّلام)، مطبعة ستار، قم المقدسة، ١٤٢٠هـ.

*الشبستري، عبد الحسين.

٢٤٥- الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق عليه السَّلام، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٨هـ.

*الشرهاني، حسين علي

٢٤٦- التغيير في السياسة المالية للدولة الإسلامية في خلافة الإمام عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام، دار تموز، دمشق، ٢٠١٣م.

*شمس الدين، محمَّد مهدي

٢٤٧- أنصار الحسين عليه السَّلام، ط٢، دار الكتاب الإسلامي، مطبعة ستار، ٢٠٠٥م.

*الشيرازي، علي خان المدني.

٢٤٨- الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، تح: محمَّد صادق بحر العلوم، مكتبة بصيرتي، قم، ١٣٩٧هـ.

*الشيرازي، ناصر مكارم.

٢٤٩- القواعد الفقهية، ط٣، مكتبة أمير المؤمنين، قم، ١٤١١م.

*الطائي، نجاح

٢٥٠- مقتل الحسين عليه السَّلام وأنصاره، دار الهدى لإحياء التراث، بيروت، ٢٠١١م.

* العبودي، حيدر محسن بندر.

٢٥١- الإمام الحسن عليه السَّلام وآراء الكتاب المعاصرين، النجف الأشرف، ٢٠١٣م.

*العطار، أحمد عبد الغفور

٢٥٢- غزوات الرسول وسراياه، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١م.

*العكيدي، علي فرعون

٢٥٣- محمَّد ابن الحنفيَّة دوره في الحياة الفكرية والسياسية، بغداد، ٢٠٠٧م.

*العيساوي، علاء كامل صالح

٢٥٤- أُمُّ الإمام السجاد عليه السَّلام دراسة وتحليل، مطبعة الزهراء، البصرة، ٢٠١٩م.

*الغروي، محمَّد هادي اليوسفي.

٢٥٥- موسوعة التاريخ الإسلامي، مؤسسة الهادي، قم، ١٤١٧هـ.

*فان فولتن.

٢٥٦- السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدية في ظل خلافة بني أُميَّة. ترجمة: إبراهيم بيضون، دار النهضة، بيروت، ١٩٩٦م.

*الفرحي، علي الحسيني

٢٥٧- النهضة الحسينية دراسة وتحليل، ط٢، المجمع العلمي لأهل البيت، طهران، ١٤٣١هـ.

*القاسم، أسعد

٢٥٨- أزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، ١٩٩٧م.

*القرشي، باقر شريف

٢٥٩- حياة الإمام الحسين عليه السَّلام، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧٥م.

*كحالة، عمر

٢٦٠- معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

*المامقاني، عبد الله

٢٦١- تنقيح المقال في علم الرجال، المطبعة الحجرية، تبريز، ١٣٤٩هـ.

* ماجد، عبد المنعم

٢٦٢- التاريخ السياسي للدولة العربية عصر الخلفاء الراشدين، المكتبة المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م.

* المحمَّداوي، علي صالح رسن

٢٦٣- أُمُّ كلثوم بنت عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام أحقيقة أم وهم؟ دار البصائر، بيروت، ٢٠١٥م.

*المرعشي، شهاب الدين الحسيني

٢٦٤- شرح إحقاق الحق، تح: شهاب الدين المرعشي، مكتبة المرعشي، قم، د. ت.

*مصطفى، شاكر

٢٦٥- التاريخ العربي والمؤرخين، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.

*المظفر، محمَّد رضا

٢٦٦- عقائد الإمامية، تح: عبد الكريم الكرماني، مؤسسة الرافد، قم، ٢٠١١م.

*المقرم، عبد الرزاق الموسوي

٢٦٧- مقتل الحسين، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٢م.

*موسى، عز الدين

٢٦٨- ابن سعد وطبقاته، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧م.

*المياحي، شكري ناصر

٢٦٩- الإمام عليٌّ دراسة في فكره العسكري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠١٣م.

*الميلاني، علي الحسيني.

٣٧٠- نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار، طهران، ١٤٢٠هـ.

*ناجي، عبد الجبار.

٢٧١- تاريخ الحركة الفكرية في البصرة في العصر الإسلامي، البصرة، د. ت.

*نبيلة عبد المنعم داود.

٢٧٢- نشأة الشيعة الإمامية، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٩٩٤م.

*النقوي، حامد.

٢٧٣- خلاصة عقبات الأنوار، مؤسسة البعثة، طهران، د. ت.

* النمازي، علي.

٢٧٤- مستدركات علم الرجال الحديث، مطبعة حيدري، طهران، ١٩٩٤م.

*اليحيى، يحيى إبراهيم اليحيى.

٢٧٥- مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، دار العاصمة، الرياض، د. ت.

الرسائل والأطاريح الجامعية:

* الأزوري، محمَّد بن أحمد.

٢٧٦- منهج ابن سعد في نقد الرواة من خلال كتابه الطبقات الكبرى، أُطروحة دكتوراه مقدّمة لجامعة أُمّ القرى، قسم الكتاب والسُّنَّة، ١٤٢٢م.

*الجابري، علي رحيم أبو الهيل.

٢٧٧- السياسة الأُمويَّة المضادَّة للإمام عليٍّ عليه السَّلام دراسة في سياسة السبِّ، رسالة ماجستير مقدَّمة لجامعة البصرة كلية التربية، ٢٠٠٨م.

*جاسم، عبد الواحد حسن

٢٧٨- الإمام الحسين عليه السَّلام في كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي، رسالة ماجستير مقدمة للجامعة المستنصرية، كلية الآداب، ٢٠١٢م.

*محمَّد، آلاء حسين محمَّد

٢٧٩- الفضل بن دكين ومروياته التاريخيَّة في كتب التراجم ومصنفات الحديث، رسالة ماجستير مقدَّمة لجامعة بابل، كلية التربية، قسم التاريخ، ٢٠٠٧م.

*البو هلالة، حسين نعمة إبراهيم.

٢٨٠- الإمام الحسين بن عليٍّ عليهما السَّلام دراسة تاريخية تحليلية في جوانب من سيرته، أُطروحة

دكتوراه مقدَّمة لجامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، ٢٠١٦م.

*صاحب، أحمد عليوي

٢٨١- مسيرة الإمام الحسين عليه السَّلام إلى كربلاء (دراسة تحليلية)، رسالة ماجستير مقدَّمة إلى جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٧م.

*العبد الله، نضال محمَّد قمبر

٢٨٢-تطور منهج الكتابة التاريخية حتى القرن الثامن الهجري (كتب التاريخ العام) أُنموذجاً، أُطروحة دكتوراه مقدَّمة إلى جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، ٢٠١٥م.

*العسكري، علي حسين سوادي

٢٨٣- الدعوة الفاطمية في العراق وموقف الخلافة العباسية منها (٢٩٦هـ/ ٤٥١م)، رسالة ماجستير مقدَّمة لجامعة ذي قار، كلية الآداب، قسم التاريخ، ٢٠١٤م.

*عطاوي، عمر فلاح عبد الجبار

٢٨٤- أهل الصفة في عصر الرسالة والراشدي، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٥م.

*اللامي، عباس محيسن حريجة

٢٨٥- منهج الكتابة التاريخية لكتب المقتل الحسيني حتى أواخر القرن السابع الهجري، أُطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة واسط، كلية التربية، قسم التاريخ، ٢٠١٦م.

*اللامي، علاء حسين مردان.

٢٨٦- السيرة النبوية دراسة في الرواية البصرية حتى منتصف القرن الثالث الهجري، أُطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة البصرة، كلية الآداب، قسم التاريخ، ٢٠١٥م.

*الهلالي، ميثم عزيز ثجيل

٢٨٧- الثورة الحسينية دراسة في كتاب مقتل الحسين عليه السَّلام للخوارزمي، أُطروحة

دكتوراه مقدمة إلى جامعة البصرة كلية الآداب، قسم التاريخ، ٢٠١٧م.

الدوريات:

*التميمي، هادي عبد النبي وعبد رفعت اسودي
٢٨٨- قراءة جديدة في هدنة الإمام الحسن عليه السَّلام، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد ١٧، العدد ١/ ٢٠١٤م.
*السويطي، محمَّد حسين علي.
٢٨٩- أثر ثورة الإمام الحسين عليه السَّلام في أركان الدولة الأُمويَّة، مجلة كلية التربية، واسط، العدد الثاني عشر.
* الطبطبائي، عبد العزيز
٢٩٠- ترجمة الإمام الحسين عليه السَّلام ومقتله من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير لابن سعد، مجلة تراثنا، العدد العاشر، ١٤٠٨هـ.
*هادي، رياض هاشم وآمنة محمَّد شامل
٢٩١- ابن سعد ومنهجه في الطبقات الكبير (دراسة في السيرة النبوية)، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد الثامن، العدد ١٥/ ٢٠١٤م.
*الكعبي، شهيد كريم محمَّد والجابري علي أبو الهيل
٢٩٢- الإمام الحسين عليه السَّلام وخيارات المواجهة قراءة في نصائح المتخلفين، مجلة كلية الآداب، ذي قار، العدد ٢ / ٢٠١٧م.

المحتويات

الفصل الأوَّل

الفـصل الثاني

الفصل الرابع